

# مصر والشرق الأدنى القديم

( ٢ )

## مصر

الجزء الثاني  
منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة

الأستاذ الدكتور  
محمد يسوعى مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية  
٤. ش. سوتير - إسكندرية  
٤٨٣ - ١٦٣ : ٤









مصر والشرق الادنى القديم

مصر

الجزء الثانى



# مصر والشرق الأدنى القديم

( ٣ )

## مصر

الجزء الثاني  
منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة

الأستاذ الدكتور  
محمد بسيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفية الجامعية  
٤ شارع سيدى الأثرية  
الإسكندرية





والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمد وآله الكرام

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على

ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما

باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، في العالمين انك حميد مجيد»



## أهدى

الى من كان سبب وجـودي في هذه الدنيا  
الى من اوصلنى بنسبه الى الدوحة الطاهرة  
الى من ربانى على حب الله ورسوله وآل بيته الكرام  
الى من كنت - وأخوتي - أحب اليه من نفسه  
الى من غرس في نفسى - سلوكه - العزة والكرامة  
الى من تركنى بجسده ، وبقيت مبادؤه تهدينى سواء السبيل  
الى من جعل ربه طاعته من طاعة الله  
الى من اوصانى ربه بأن شكره من شكر الله  
الى من امرنى ربه بأن أخفض له جناح الذل من الرحمة  
الى من حرم ربه نهـره حتى بكلمة أف  
الى من امرنى ربه بأن أقول له دائماً قولاً كريماً  
الى من امرنى ربه بأن أسأله الرحمة له  
الى من جعل رسول الله بـره أحب الاعمال الى الله  
الى من جعله رسول الله سبيلى الى الجنة  
الى من امرنى رسول الله بـره حتى بعد لقائه لربه  
بالصلوات عليه والاستغفار له وانفاذ وعده وصلة رحمه

الى أبى : رضوان الله عليه

أهدى هذه الدراسة





# تقديم

وقفنا في «الجزء الاول» من هذه السلسلة (مصر والشرق القديم) عند قيام الوحدة بين شطرى الوادى ، واتحاد مملكتى الصعيد والدلتا فى دولة واحدة ، وبذا كانت «مصر» أول دولة فى التاريخ قاطبة ، تكاملت فيها عناصر الأمة بمعناها الصحيح ، وبعدها كانت «أول دولة» موحدة بالمعنى السياسى المنظم ، تظهر على مسرح العالم القديم .

وسوف نتحدث — ان شاء الله — فى هذا «الجزء الثانى» عن أقدم ملكية فى تاريخ البشرية أقامها المغاوير من أبناء الصعيد ، بزعامه «ميناء» العظيم ، فى الالف الرابعة قبل الميلاد ، ثم عن «الدولة القديمة» ، فعصر الثورة الاجتماعية الاولى ، فالدولة الوسطى ، وأخيرا عصر الانتقال الثانى ، وحرب التحرير ضد المتطفلين الهكسوس» ثم قصة يوسف عليه السلام فى مصر .

وسوف نرى أن مصر قد وضعت فى «عصر التأسيس» (عصر الاسرتين الاولى والثانية) الاسس الاولى للحضارة المصرية ، التى سارت على نهجها آلاف من السنين ، وليس هناك من ريب ، فى أنه قد ساعد على ذلك أن القدرة الالهية ، قد حبت مصر عوامل طبيعية ، جعلت أمر الدفاع عنها — فى عصورها التاريخية المبكرة — لا يتطلب منها طول نضال أو كبير جهد ، ولعل هذا هو السبب فى أنها لم تشترك فى حرب طويلة — قبل أيام الهكسوس — تصرفها الى الاهتمام بالسياسة الخارجية ، وان كان هذا لا يعنى — فى الوقت نفسه — أنها لم تجرد حملة ، أو أن قتالا لم يقع عند حدودها ، إذ أن ذلك قد حدث ، وانما يعنى أن ذلك لم يكلفها أكثر من غزوة أو عدة حملات ، لتأديب تلك القبائل الظاعنة أو المرتحلة حول الحدود ، وهو أمر كان فى مقدور أية

حكومة مصرية أن تعالجه ، كاحدى معضلات الامن العادية ، فلم يكن هناك أى تحد لمصر داخل حدودها ، بل انه حتى ذلك الحين ، كان تفوق مصر الحضارى على جيرانها كبيرا ، ومن ثم فلم تكن فى حاجة الى غزو ، وانما كان يكفيتها اتخاذ بعض اجراءات لحماية مصالحها ، ولا يتطلب الامر أكثر من ذلك ليستمر وصول التجارة اليها ، وهكذا كانت مصر — حتى ذلك الحين — تعيش فى هدوء على طول مجرى النيل ، واثقة من أن الله تعالى ، انما جعلها أعظم من غيرها من بلاد الدنيا ، وسيدة — دون منازع — لكل مكان تصل اليه •

هذا وقد تميز عهد الدولة القديمة ببناء الاهرامات ، حتى عرف هذا العهد بين المؤرخين باسم ((عصر بناء الاهرام العظام)) ، ذلك لأن الملوك انما قد اعتادوا أن يشيدوا لأنفسهم أهراما يدفنون فيها ، على مقربة من قصورهم على حافة الصحراء الغربية — فى ميدوم ودهشور وسقارة ، والى حدود الجيزة وأبى رواش — واذا أردنا أن نذكر مثالاً لهذه المشوامخ الراسيات على أرض الكنانة ، فلنذكر هوم ((خوفو)) الذى شيده على هضبة الجيزة ، وهو المعروف باسم ((الهرم الاكبر)) . والذى مازال شامخاً ، سليم البنيان ، يتحدى الايام ويغالبها ، وينتزع اعجابنا — كما انتزع اعجاب الشعوب القديمة جمعاء — ويعترف الناس اليوم — كما اعترفوا بالامس — بأنه ليس واحداً من عجائب الدنيا السبع وحسب ، بل هو عجيبة العجائب ، ذلك لاننا حين نصف الهرم الاكبر ، بأنه من عجائب الدنيا السبع ، فان ذلك يبدو — كما يقول جاردنر — أقل بكثير من الواقع ، مادام الهرم الاكبر يفوق فى حجمه أى مبنى أقامه الانسان فى تاريخه الطويل ، ومادامت عجائب الدنيا تتغير من عصر الى عصر ، ويظل الهرم الاكبر على رأسها فى كل عصر •

وفى الواقع فلقد اهتم ملوك الدولة القديمة بأهراماتهم كثيراً ، فمثلاً ((هرم الملك ساحورع)) من الاسرة الخامسة ، والذى اختار له منطقة أبو حير الجيزة ، من البدهى أنه لم يكن فى ضخامة هرم الجيزة الاكبر ، ولا فى اتقان بنائه ، ومع ذلك فقد استخدم فى بنائه أثمن المواد المعمارية،

وعنى بتزيين قاعاته وأبوابه بأعمدة من الجرانيت ، تاج كل منها يمثل  
حزبه من النخيل ، كما اعتنى المهندسون بكل ما يؤثر على سلامة البناء ،  
فهم مثلا لم يسقطوا المطر من حسابهم ، وجعلوه ينساب من مزاريب ،  
تزل منها على هيئته رأس أسد . تسقط المياه من أفواهها الى قنوات  
حسيرة ، عمقوها قليلا في الأرض ، ندم تسير المياه منحدره الى الخارج ،  
أما المياه التي كانت تستخدم داخل حجرات المعبد في أجزائه المختلفه ،  
فكانت تسير في مواسير تحت أرضية المعبد . وكانت هذه المواسير مصنوعة  
من النحاس ، وملحومة الى بعضها البعض بالرصاص ، وتسير الى خارج  
المعبد . حيث تصب في احد الأماكن المنخفضة في مكان بعيد عن الأنظار .

هذا وقد تميز عهد الدولة القديمة كذلك بأن وحده البلاد بلغت  
أتمها فيها ، رغم استمرار الملوك في تسمية أنفسهم «ملوك مصر العليا  
والسفلى» . إذ لم يعد هناك نراع بين الصعيد والدلتا ، مما أدى الى  
تركيز السلطة في أيدي الملوك ، الأمر الذي ساعد على النهوض بالبلاد ،  
وبلونها مرحلة ناضجة من مراحل الحضرة . ووصلت الأقاليم الزراعية  
الى حجمها الذي استمرت عليه آلاف السنين ، بل وثبتت الأقاليم  
الإدارية في الصعيد منذ الأسرة الرابعة ، وحتى نهاية العصور الفرعونيه  
عند اثنين وعشرين اقليما ، وان كان الأمر بالنسبة الى الدلتا انما كان  
جدا مختلفا . هذا فضلا عن أن مصر كانت قد رسمت في تلك الفترة  
الخطوط الرئيسية لمعتقداتها الدينية ، ونهضت كذلك تقنية الفنون والعمارة  
والكتابة بشكل كامل .

هذا وقد بلغ من المنحت نسوا بعيدا ، ومن ذلك التمثال الشهير  
المنحوت من حجر الديوريت . والذي يمثل الملك «خفسرع» جالسا على  
عرشه ، وقد جسم المعبود «حور» على شكل صقر ، خلف رأسه ليحميه ،  
ولاشك في أن هذا التمثال انما يعد أروع ما نحتته المثال المصري في أى  
عصر من العصور ، حتى أن الكثيرين من الفنانين العالميين انما يعتبرون  
أن هناك تماثيل على رأس روائع المنحت البشرية كله ، أولهما : تمثال  
الملك خفسرع هذا ، وثانيهما : تمثال «ميثيل أنجلو» والمنحوت من حجر



المزمر ، والذي يمثل السيد المسيح بعد انزاله من الصليب ، وهو يتهاوى  
في النزاع الاخير بين ذراعى أمه مريم العذراء (١) .

ولعل ذلك كله انما جعل البعض يظن خطأ ، أن حضارة مصر في عصور  
الفراعين ليست إلا حضارة مادية في الدرجة الاولى ، وأن هذه الشوامخ  
الراسيات على أرض الكنانة من الاهرامات والمعابد والمسلات وغيرها  
من الآثار المصرية ليست إلا رمزا على السخرة والاستعباد .

غير أن عصر «الثورة الاجتماعية الاولى» ، رغم انه عصر تدهور  
سياسي ، إلا أنه — من وجهة نظر معينة — انما يعد من أهم العصور  
في تاريخ مصر الفرعونية ، فهو العصر الوحيد الذي صور فيه الملك  
المؤله على أنه انما كان انسانا ، كغيره من بنى البشر يخطئ ويصيب ،  
كما أنه العصر الوحيد الذي جرؤ فيه شخص من رعايا الفرعون على  
التشهير به ، فلقد سمحت روح الديموقراطية في ذلك العصر ، بأن يتقدم  
رجل من عامة القوم ليقول بملء فيه في حضرة الفرعون المؤله بأن حكمه  
انما كان نموذجا للفناء . وهكذا لم يعد الملك بعد الثورة ، ذلك الاله  
المترفع الجبار ، الحاكم فوق البشر ، وانما غدا انسانا له ما للانسان من  
ضعف ونزوات ، وحاكما يعمل لخير شعبه ، وأن يكون دائم اليقظة  
والانتباه حتى لا يؤخذ على غرة بيد آثمة ، شأنه مع شعبه ، وشأن  
شعبه معه ، شأن أى انسان من كافة البشر ، قد يفعل الخير فيجد خيرا ،  
وقد لا يجد سوى الشر ، ذلك لأن الملك الذي كان قبل الثورة الها أكثر  
منه انسانا ، أصبح فيما بعد الثورة ، انسانا أكثر من الها ، ذلك لأن  
ضعف الملكية على أيام الثورة قد هبط بها كثيرا من عليائها ، كما أن

---

(١) لاشك في أن هذا التمثال انما يمثل وجهة النظر المسيحية ، والتي  
تختلف تماما عن وجهة النظر الاسلامية ، ذلك أن القرآن الكريم انما يقول  
«وقولهم انا قتلنا عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن  
شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع  
الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما»  
(سورة النساء : آية ١٥٧ - ١٥٨) .

الدعوة الى العدالة الاجتماعية قد أدت الى ارتفاع شأن الشعب . ومن ثم فان الفروق بين الملكية والرعية قد قللت كثيرا من هيبتها . أو لم تعد معها تلك الهالة القديمة التي كانت لها شيما قبل الثورة الاجتماعية الاولى .

وهكذا رأى القوم في عصر الثورة أن يكون الجالس على عرش الكثرة رجلا يخدم مصالح الدولة . ويرعى نسوتونها . ويعمل على وحدتها . رجلا يمتلىء قلبه بحب رعاياه ، والرغبة في العمل من أجل مصلحتهم . ومن سم سدد اقتربت الملكية من الشعب . وأصبحت تحس بأحسسه . وتتفانى في خدمته ، يقول الملك الأهنسي في نصائحه لولده وولي عهده : «اكسب الى جانبك الجماهير . وابعد عنها اللهب . وتذكر أن الشعب الغنى لا يثور . ومن ثم فلا تفقره حتى لا تدفعه الى الثورة ، لأن الفقير هو الذى يخلق المتاعب ، اعمل على غنى الملاح وأهل المدينة» .

وانطلاقا من كل هذا فقد نادت لثورة الاجتماعية في مصر . بأن صلاح الأمور في البلاد انما يتأتى عن طريق حكومة صالحة ، وأن انقسم مفكروها في ذلك الى فريقين ، الواحد . يرى أن ذلك انما يتأتى على يد حيل جديد من الموظفين الأمناء الكفاء العدول ، والآخر : يرى أن ذلك انما يتأتى على يد ملك حازم عادل مخلص مجدد، ينقذ البلاد من الهوة التي تردت فيها .

وفي تعاليم الملك الأهنسي لولده معالم واضحة لفكرة الفريق الاول، الذى ينادى بتكوين جيل جديد من الموظفين الأمناء الكفاء العدول . فالملك ينصح ولى عهده بمبدأ يعتبر من أنبل المبادئ التي تمخضت عنها الثورة الاجتماعية الاولى، اذ يحثه على أن يتحيز الفرد لذاته ، وذلك بأن يبحث عن الكفايات الممتازة في الاوساط الدنيا والعليا ، وتكوين جيل جديد من هؤلاء وأولئك ، ويحذره من أن يتخذ من الحسب والنسب - أساسا للاختيار ، وانما الاختيار يجب أن يعتمد على الكفاية الشخصية فحسب ، ولعل هذا ما نسميه الان «مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين» ، ثم ينصحه بعد ذلك أن يجعل لموظفيه مرتبات موفورة ، لأن

العفة والكرامة وطهارة اليد واللسان ، والنزاهة في الحكم ، والقدرة على انفاذ الامور ، لن تكون لرجل جائع يفنى نفسه تفكيراً في الحصول على قوته وقوت عياله •

غير أن ذلك وحده لا يكفي ، وإنما يجب أن يسانده حاكم عادل حازم ، ففي «قصة الفلاح الفصيح» ما يدل على أن ذلك العلاج وحده غير ناجع ، فلقد وقع على مقربة من قصر فرعون في مجاورات اهناسية المدينة ، اضطهاد غاشم أقدم عليه موظف سيء الخلق ، في ضيعة المدير العظيم لبیت الملك ، مما يدل على أن الوظيفة ذات المرتب الضخم ، لا تغرس وحدها العدالة في نفس صاحبها ، ولن تغنى الفقير شيئاً من اضطهاد رجال الحكومة ، وإنما يجب أن يصاحب ذلك حاكم قوى حازم يدمى الضعيف من عسف القوى ، ويمنع تلك الطبقة من الموظفين التي تتخذ من صلتها بالحاكمين وسيلة لظلم الناس ، وهكذا تدل قصة الفلاح الفصيح على مدى حاجة الدولة الى حاكم قوى ، عادل حازم ، والى موظفين أمناء أكفاء عدول •

هذا وقد نادت الثورة بالمساواة التامة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، وفي تعاليم الملك الاهناسي ما يدل على ايمان القسوم بأن الناس سواسية أمام خالقهم ، وأن على الملكية واجبات توازي حقوقها ، وأن كل راع مسئول عن رعيته، وأن نعم الله التي أسبغها على خلقه إنما هي لهم جميعاً، وأن رحمة الله إنما قد تداركتهم جميعاً وهم ما يزالون أجنة في بطون أمهاتهم ، فالله تعالى قد خالق كل انسان مثل أخيه الانسان ، وجعل الهواء مشاعاً بينهم ، كما جعل للفقير ما للغنى من حق في مياه الفيضان العظيمة ، والفيضان — كما هو معروف — مصدر الثروة ، وعماد الحياة في مصر ، ومن هنا كان لهذا النص أهمية كبرى ، إذ أن ذلك إنما يعنى أن الله تعالى قد أعطى فرصاً اقتصادية متساوية لجميع المصريين ، ولعمري ان هذا هو الطريق الصحيح للديموقراطية السياسية •

هذا وقد نجح عصر الثورة الاجتماعية في تحقيق العدالة الاجتماعية،



ومن ثم فقد استثمر المصريون في عهد الدولة الوسطى يؤمنون بالعدل الاجتماعي، وحقوق الفرد، وجهود الفراعين على تحقيق رفاهية شعبهم، وتشر العدالة بين أفرادهم. فهناك نسخ من خطاب اعتاد الملك أن يوجهه مشافهه إلى وزيره الأعظم إبان تعيينه، ويرجع إلى عهد الدولة الحديثة، يقدم الدليل على أن سياسة الدولة أصبحت تسير على مبدأ العدالة الاجتماعية، فالوزارة — أسمى المناصب وأرفعها شأنًا — ليس الغرض منها تفضيل الأمراء والحكام والمستشارين على العامة من القوم، كما أنها ليست وسيلة لاستعباد الناس، وإنما هي وسيلة لنشر العدالة، وتنفيذ القانون على المواطنين جميعًا، دونما تفرقة بين قريب أو بعيد. فليس من العدل أن يظلم من لا صلة له بولي الأمر، كما أنه ليس من العدل كذلك أن يظلم الأقربون، وإنما العدل أن يأخذ كل ذي حق حقه، وأن يكبح ولي الأمر غضبه، حتى يستطيع أن يقوم بالعدل بين الناس بالقسطاس المستقيم.

وهكذا تتصدر مصر مكانا ممتازا في هذا المجال، فعندما نفحص قوانين حمورابي الشهيرة، والتي ترجع إلى عصر تال، نجد أن إجراء العدالة إنما يشترط فيه الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية، أنه عن نفس الجرم إنما تختلف العقوبة والأضرار، طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد الذي وقع منه الجرم، وفي تنصيب الوزير المصري تمحى مثل هذه الفروق، ويعامل الجميع على قدم المساواة، وعندما قال «افلاطون» في مقالته عن السياسة «الدولة تجسيم العدالة المنظم»، ربما لم يكن يعلم الا قليلا، أن مصر كانت قد اتخذت منذ ألف وخمسمائة سنة. خلت، هذا المثل الأعلى، وحاولت أن تجعله حقيقة واقعة، أو أن هذا دليلا آخر على أن افلاطون كان في مصر، وأن ذلك رأيا استحوذ عليه هناك.

هذا وقد ظل المصريون — كما كانوا قبل الثورة — يؤمنون بأهمية الوسائل المادية، كطريق للسعادة في الآخرة، فالقبر الفخم والهبات السخية من الأمور الهامة في ذلك، ولكن الثورة أضافت إلى ذلك أن

السعادة في الآخرة لن تكون بذلك ، وإنما بشيء أفضل من ذلك وأهم ،  
بالعمل الصالح ، فهو طريق النجاة من أخطار العالم الثاني ، وهكذا  
نادت مصر منذ ذلك الزمن البعيد — منذ خمسة وأربعين قرناً ، أن القيم  
الخلقية يجب أن تحل محل القيم المادية ، وأن المرء ان أراد سعادة في  
آخرفته ، فليسلك الى ذلك سبيل الخير ، وبذا تكون مصر أول أمة عرفت  
القيم التي في الانسان العادي ، وأن هذه المعرفة انما كانت تهدف الى  
خير الناس .

ونادت الثورة ، ولأول مرة في التاريخ المصري ، بوجود محكمة بعد  
الموت ، يقف الناس أمامها جميعاً يؤدون امتحاناً عسيراً عما قدموه في  
دنياههم — خيراً كان أم شراً — ولن ينجح في هذا الامتحان الا لى  
أصحاب الثروة والجاه والأهرامات المشاهقه والقبور الضخمة ، وما يقدم  
لأصحابها من قرابين وأدعيات ، وطقوس وصلوات ، وانما سيكتب  
النجاح فيها لأصحاب العمل الصالح ، وذوى النفوس الطيبة ، وهكذا  
استطاع المصريون القدامى أن يقتربوا الى حد ما ، من المبدأ السامى  
الذى قرره كتب السماء ، وهو أن الآخرة انما هى نتاج عمل الدنيا ،  
وصدق الله العظيم حيث يقول «من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء  
فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد» .

وقامت الدولة الوسطى في أخريات الألف الثالثة قبل الميلاد ، لتمثل  
فترة أخرى من فترات الازدهار في التاريخ المصري القديم ، فزاد اتصال  
مصر بجيرانها ، وأصبحت زعامتها السياسية والثقافية أمراً ثابتاً في غربى  
آسيا ، حتى أن كثرة الآثار المصرية في فلسطين وسورية ولبنان من تلك  
الفترة ، انما دفعت أثرياً محنكا مثل «سير ليونارد وولى» الى أن يؤكد  
أنه لا بد من أن هناك حملات أكيدة تمت في ذلك العصر حتى نلتقى بمثل  
هذا العدد الذى عثر عليه من الأشياء التى تنتمى الى الأسرة الثانية عشرة .

وأما في الجنوب ، فلقد أصبحت النوبة جزءاً من مصر ، وهناك بردية  
من معبد الرمسيوم في طيبة الغربية تقدم قائمة بها ثلاث عشرة قلعة ،



فيما بين أسوان وسمنة (جنوبى وادى حلفا) حيث حدد «سنوسرت الثالث» حدود مصر الجنوبية عند «سمنة وقمة» ، ومنع الأبحار منهما الى الشمال إلا باذن ، ولهدف التجارة أو العمل ، وقد نفذت هذه السياسة بحزم ، كما تشير الى ذلك الرسائل التى بعث بها من سمنة الى العاصمة الطبيعية ، والتى تبين أنه حتى التحركات التافهة لجماعات «المجاي» كان يتم التبليغ عنها ، وتنتهى معظم الرسائل اليومية بالصيغة التقليدية «كل الأمور فى أملاك الملك فى أمن وسلام ، وكل شئون مولانا آمنة سليمة» .

هذا وقد استطاع ملوك الدولة الوسطى أن يحققوا لمصر رخاء . تعرفه البلاد منذ الأسرة السادسة ، وأن يسترد ملوكها سيطرتهم الكاملة على حكام الأقاليم ، يبدو ذلك واضحاً منذ أيام «أمنمحات الاول» مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، الذى اتبع سياسة جديدة بين أمراء الأقاليم ، منعت التنافس بينهم ، وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر ، كما سن قانوننا نظم به نصيب كل اقليم من مياه النيل الخاصة برى الاراضى الزراعية ، هذا فضلاً عن تحديد الكمية التى يقدمها كل اقليم من المواد الغذائية ، وعدد السفن اللازمة للأسطول ، وأعداد الرجال للجيش المرابط ، وذلك للمشروعات الملكية فى أقاليمهم أو خارجها ، حيث كان أمراء الأقاليم هم المكلفون بحشد الجند الذين كانوا يكونون فى ذلك الوقت الجزء الأكبر من القوات المسلحة المصرية . وكان من نتيجة ذلك كله ، أنه ما أن أتى عهد «سنوسرت الثالث» حتى كتب له نجحاً بعيد المدى فى إعادة المركزية المطلقة للإدارة الحكومية ، مركزية أقرب ما تكون الى تلك التى كانت على أيام الدولة القديمة .

هذا وقد عثر فى «اللاهون» من عهد «سنوسرت الثانى» على كمية من الأثاث والادوات والحلى ، تكاد تكون فريدة من نوعها فى أرض الكنانة ، كما عثر كذلك على مجموعة من البرديات التى كتبت بالخط المهيروطيقى تناولت موضوعات مختلفة ، فمن بينها ورقة طبية تتناول أمراض النساء ، وجزازة عن الطب البيطرى ، ثم هناك بردية نستنتج

منها أن المرء يستطيع أن يورث من يتساء ، بيته وامتاعه ووظيفته ، وفي حاله أخرى نرى من بين ما تركه الرجل ، زوجة وأربعة من العاقل ، وبضعه. عبيد اسويين ، وكانت مش هذه الوثائق تتطلب شهودا من الناحية الرسمية . وتودع في مكتب السجلات ، والامر كذلك بالسبب لعملية احصاء السكان — الامر الذى عرفته مصر منذ عهد (وديمو) من ملوك الاسرة الاولى — اذ كان يتطلب الامر ان يذهب رب الاسرة الى مكتب حكومى يتبع ديوان الوزير في منطقته ، فيدلى ببيان عن افراد أسرته وأعمار اطفاله ، ثم يقسم على صحة بياناته ، كما يقدم شهودا على ذلك ، وهكذا كانت الحياة الدائبة لهذه المجموعة المحلية الهامة كانت تنظم عن طريق معايير ادارية دقيقة ، نستطيع أن ندرك مداها ومراميها من لمحات فيما بقى من هذه المخطوطات، وأخيرا فقد كانت هناك قصاصات تعليمية لتعليم الانشاء وصيغ الرسائل ، ثم تمارين حسابية ورياضية كان أمتع ما فيها أخذها بطريقة التربيع والجذر المربع ، فضلا عن مسائل تشبه معادلات الدرجة الاولى .

ولعن من الجدير بالاشارة هنا الى أن مصر قداهتمت ، على أيام أمنومات الثالث ، بتنظيم مياه فيضان النيل الزائدة عن الحاجة ، ولتى لم تستطع البلاد الافادة منها قبل عهده ، ولقد أمر الرجل — باديء ذى بدىء — بتسجيل ارتفاع النهر عند القلاع المنى انشاها أبوه «(سنوسرت الثالث)» فى «(سمنة وقمة)» ، ثم بدأ يقيم مشروعا للافادة من مياه الفيضان وذلك بأن اتخذ من بحيرة منخفض الفيوم (تاحت ان مرور) خزاناً طبيعياً ، وبنى سدا يحجز المياه ، ثم يصرفها بمقدار فى أوقات التحريق ، وذلك باستخدام المجرى الطبيعى — بحر يوسف — الذى كانت تجرى فيه مياه النيل من شمال أسيوط ، عند ديروط ، وكانت المياه تجرى فى بحر يوسف الى الفيوم عن طريق سدود ، لها عيون لتصريف المياه ، وقد بنى هذا السد عند المدخل الطبيعى للبحيرة ، فى أضيق ممر ينفذ منه بحر يوسف الحالى ، خلال جريانه من النيل الى منخفض الفيوم ، وقد سمحت الفتحات الجديدة بتوجيه المياه توجيهها سليما ، حين تجرى على الانخفاض التضاريسى التدريجى من ضفة النهر

حتى بحيرة الفيوم ، وربما سمحت كذلك بوقف اتجاه المياه الى البحيرة بعد الفيضان ، وتوجيهه الى قناة أخرى تجرى الى الشمال المشرقى منها ، وبذلك أمكن اكتساب ٢٧ ألف فدان من غمر مياه الفيضان ، كانت شيئاً كبيراً في زمانها •

ثم تشاء الاقدار أن تصاب مصر بنكسة في أخريات أيام الدولة الوسطى ، وذلك بدخول المتطفلين الهكسوس اليها ، ولكن لما أن يمضى حين من الدهر حتى تقوم ثورة التحرير التى يحمل لواءها المغاوير من أبناء الصعيد ، وتنتهى بطرد الهكسوس من مصر ، ومطاردتهم حتى « زاهى » فى لبنان •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن مصر ، حين لفظت الهكسوس ، إنما لفظتهم أغراباً كما دخلوها ، على الرغم من طول اقامتهم فيها ، وعهد ما سوى مصر من الشعوب أن تنزلها الهجرات فتطغى على قوميتها ، أو تمتزج بأهلها ويمتزجوا بها ، وتفرض عليهم حضارتها — ان كانت ذات حضارة — أو تفرض عليهم لغتها — ان أعوزتها الحضارة — وما حدث شئ من ذلك فى مصر ، وإنما باعدت مصر ما بينها وبين الهكسوس ، فى لغتها وعاداتها ودينها ، بقدر ما استطاعت •

بقيت الاشارة الى مسك الختام فى هذه المقدمة ، وهى أن الله تعالى قد شرف مصر فى هذه الفترة — موضوع الدراسة — بنعمتين كبيرتين من نعمه سبحانه وتعالى ، فلقد شرفت أرض الكنانة بزيارة أبى الانبياء ، وخليل الرحمن ، سيدنا ابراهيم ، وبصحبتة ابن أخيه لوط النبى ، عليهما الصلاة والسلام ، كما شرفت بقدوم يوسف الصديق عليه السلام اليها ، وهو غلام لما يبيع بعد ، فعاش فيها حتى بعث رسولا نبيا الى أهلها ، ثم ضمت بين ثراها جسده الطاهر الكريم ، كما شرفت بمثل ذلك من أبية يعقوب ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين •

وهكذا نالت مصر نصيبها وافرا من شرف النبوة ، وكرامة الرسالة ،

فمن الانبياء من شرفها بزيارة فأقام بين أهلها ، ما شاء الله له أن يقيم ،  
يقول لهم ، ويعلمهم مما علمه الله ، ويهديهم سواء السبيل ، ومنهم من  
جاءها ، وقد كتب عليه شيء من الرق ، فأكرمه الله حتى كان عزيزها ،  
وصاحب الامر في خزائنها ، ثم بعث الى أهلها رسولا نبيا •

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والعزة لله  
ولرسوله وللمؤمنين •

«وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب» •

دكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



# الباب الأول

عصر التأسيس

الأسرتان الأولى والثانية

٣٢٠٠ - ٢٧٠٠ ق م

ويتكون من :

الفصل الأول : مؤسس عصر التأسيس

الفصل الثاني : الأسرة الأولى

الفصل الثالث : الأسرة الثانية

الفصل الرابع : المدن الكبرى في عصر التأسيس

الفصل الخامس : السياسة الخارجية



# الفصل الأول

## مؤسس عصر التأسيس

تعددت الاسماء الاصطلاحية لهذا العصر ، وتعددت الآراء حول القرن الذى بدأ فيه ، وحول اسم مؤسسه أو مؤسسيه ، وعاصمته التى استقر ملوكه فيها ، كما تعددت حول المصدر الذى تطورت عنه حضارته، والموطن الاول الذى انتسبت اليه طبقته الحاكمة ، ولنحاول الان الاجابة عن هذه النقاط فى الصفحات التالية :

### ١ - تسمية العصر وتوقيته :

اعتاد المؤرخون أن يطلقوا على هذا العصر أسماء عدة، منها : العصر الحقيقى : اشارة الى قدمه البعيد ، وزمنه السحيق بالنسبة للعصور التى اعقبته مباشرة، وسميت اصطلاحا باسم «عصور الدولة القديمة» ، ومنها العصر الثينى : نسبة الى «ثنى» القرية من أبيدوس ، ولان «مانيتو» - المؤرخ المصرى - ذكر أن «ميناء» مؤسس الاسرة الاولى ينتسب اليها ، ولان الاعتقاد كان سائدا أنه على أيام هاتين الاسرتين قد اتخذ الملوك من أبيدوس مئوى أخيرا لهم ، ولان عاصمتهم كانت هناك ، فيما يظن بعض المؤرخين •

ومن أسمائه كذلك أنه : بداية العصور التاريخية ، على أساس ما تمتعت به مصر من وحدة سياسية وحضارية خلاله ، وارتكاز نظمها الادارية على أسس مستقرة دائمة ، ومنها عصر بداية الاسرات ، والعصر الباكر ، ومنها عصر التأسيس والبناء ، وذلك لانهم شاهدوا اختلافا واضحا بين حضارة هاتين الاسرتين ، وحضارة الاسرة الثالثة ، وان كان يبدو أن هذا نتيجة التطور بعد حياة الاستقرار التى سادت هذا العصر •

على أننى أفضل هذه التسمية (عصر التأسيس) الى حد ما ، ذلك لأن عصر هاتين الاسرتين انما يعتبر مرحلة التكوين والتشكيل الحضارى والسياسى للتاريخ والحضارة الفرعونية ، زهاء ثلاثة الاف سنة ، وتم خلال هذا العصر تدعيم الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب ، وتوطدت دعائم الامن والنظام فى أرجاء البلاد ، ووضعت تقاليد الملكية، ونظمت الادارات ، كما كان عصر هاتين الاسرتين فترة تدعيم للحضارة المصرية التى وضحت فى عصر الاسرتين الثالثة والرابعة ، وأصبح لها طابعها الخاص الجديد المسمى «المصري»<sup>(١)</sup> .

ولعل أهم موضوع بعد ذلك ، انما هو موضوع تحديد بداية الزمن التاريخى لعصر التأسيس ، حسبما يراه الباحثون ، والذين يمكن أن نقسمهم الى فرق ثلاثة : فريق يمكن أن نطلق عليهم أصحاب التاريخ البعيد المدى ، وقد جعلوا بداية عصر التأسيس سابقا لعام ٤٠٠٠ ق.م<sup>(٢)</sup> وفريق وسط جعلوه يدور حول بداية القرن الثانى والثلاثين<sup>(٣)</sup> ، وفريق ثالث قصير المدى بدأه فى بداية الالف الثالثة قبل الميلاد<sup>(٤)</sup> .

(١) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 44.

(٢) يراه أصحاب هذا الراى ، فيما بين عامى ٥٥٤٦ ، ٤٣٣٦ ق.م ، انظر : من جريت مري : مصر ومجدها الغابر ص ٤١ ،

وكذا W. M. F. Petrie, A History of Egypt, I, 1942, p. 10.

(٣) يراه أصحاب هذا التاريخ فيما بين عامى ٣٥٠٠ ، ٣١٠٠ ق.م ، انظر : A. Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne; 1949, p. 25.

وكذا H. R. Hall, CAH, I, 1942, p. 267.

وكذا W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, 1968, p. 34.

وكذا J. H. Breasted, A History of Egypt, N.Y, 1964, p. 21.

وكذا A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 430

وكذا W. B. Emery, Archaic Egypt, p. 30

وكذا J. A. Wilson, op. cit., p. 43.

(٤) يراه أصحاب هذا الراى فيما بين عامى ٢٩٨٠ ، ٢٨٥٠ ق.م ، انظر : الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٣٨ - ٤٩ ،

وكذا H. Kees, Das alte Aegypten, 1956, p. 197.

وكذا W. F. Albright, JEA, 6. 1920, p. 89 F.



وأما موضوع تحديد الفترة الزمنية التي حكم فيها ملوك عصر التأسيس ، فهو موضوع محير ، إذ أنه من الممكن أن نلمس تضارب الآراء في هذا الشأن بين علماء المصريات ، إذا ما درسنا المدة التي أمضتها الاسرتان الاولى والثانية ، وإن كنا لا نجد — باستثناء «آرثر ويجال»<sup>(٥)</sup> و «ه. ر. هول»<sup>(٦)</sup> الى حد ما — أحدا من المؤرخين يقبل العدد الذي حدده «مانيتو» ، وهو ٥٥٠ سنة للفترة التي تبدأ باعتلاء «ميناء» العرش ، وحتى نهاية الاسرة الثانية ، وإن كان «والتر امرى» يذهب الى أن مثل هذه الفترة (٥٥٠ سنة) لا تبدو مبالغاً فيها ، إذا ما استندنا الى الادلة الاثرية<sup>(٧)</sup> .

ولكن آراء معظم المؤرخين تنتجه الى تقدير فترة عصر التأسيس بحوالي أربعة قرون — كما فعل «جيمس هنرى بريستد» (٣٤٠٥ — ٣٩٨٠ ق.م)<sup>(٨)</sup> — «وليم هيز» (٣٢٠٠ — ٢٧٨٠ ق.م)<sup>(٩)</sup> و «ايتين دريوتون ، وجاك فاندييه» (٣١٩٧ — ٢٧٧٨ ق.م)<sup>(١٠)</sup> و «أ. س. ادواردز» (٣١٠٠ — ٢٦٨٦ ق.م)<sup>(١١)</sup> ، «سير ألن جاردنر» (٣١٠٠ — ٢٧٠٠ ق.م)<sup>(١٢)</sup> ، وإن كان هناك من يذهب الى أن عصر التأسيس لم يستغرق الا فترة قرنين أو قرنين ونصف ، أو هو الى ذلك ، مثل «الكسندر شارف» (٢٨٥٠ — ٢٦٠٠ ق.م)<sup>(١٣)</sup> و «بيير مونتييه» (٣٠٠٠ — ٢٧٨٠ ق.م).

A. Weigall, Histoire de l'Egypt Ancienne, Paris, (٥)  
1949, p. 25-28.

H. R. Hall, The Ancient History of the near East, London, (٦)  
1953, p. 207, 284.

W. B. E mery, Op. Cit., p. 29. (٧)

J. H. Breasted, op. cit., p. 21. (٨)

W. C. Hayes, op. cit., p. 34. (٩)

(١٠) ايتين دريوتون وجاك فاندييه : مصر — ترجمة عباس بيومي —  
القاهرة ١٩٥٠ ص ١٥٢ .

I. E. S. Edwards, The Early Dynastic Period in Egypt, in (١١)  
CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971; p. 1-7; 994.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 340-433. (١٢)

(١٣) الكسندر شارف : المرجع السابق ص ٤٩ .

(ق.م) (١٤) و «جان يويوت» (٣٠٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م) (١٥) .

٢ - مؤسس العصر :

قد يكون نظام تتابع ملوك الاسرة الاولى هو أهم مشكلة حيوية فيما يتصل بتاريخ عصر التأسيس ، وهنا مرة أخرى تشعبت آراء الباحثين ، والصعوبة لا تكمن في نظام تتابع الملوك لاسمائهم الحورية ، اذ أن هذا النظام - باستثناء الملكة مريت نيت - يركز أساساً على أسس أثرية ، ولا يمكن أن يكون هناك نزاع في أن الملك المؤسس قد خلفه «دجر» ثم «وادجي» ثم «أوديمو» ثم «عديج ايب» ثم «سمخت» ثم «قاعا» على التوالي . ولكن الصعوبة وموضوع الجدل إنما يكمنان في التعرف على الاسماء الحورية ، ومطابقتها على تلك التي أوردها «مانيتو» وكذلك على الاسماء التي تظهر في القوائم الاثرية (١٦) .

ثم قبل ذلك ، من هو مؤسس الاسرة الاولى ؟ أهو «نعرمر» أم «عحا» أم «ميناء» ؟ ثم هل «ميناء» هو «نعرمر» كما يقترح بعض المؤرخين ؟ أم أن «ميناء» هو «عحا» كما يقترح البعض الآخر ؟ أم هو شخصية أسطورية كما يقترح فريق ثالث ؟

١ - زعم فريق من الباحثين - ومنهم أركل - أن الملك العقرب إنما هو الملك «ميناء» ، معتمداً في ذلك على رأس صولجان في مجموعة بترى ، ومن ثم فقد ذهب إلى أن العقرب إنما هو الذي وجد الصعيد والدلتا ، وهو الذي عرف فيما بعد باسم «ميناء» ثم خلفه على عرش البلاد «نعرمر» الذي أكمل الانتصار على الدلتا ، واستولى على ميناء اسيوى وصف بالباب الكبير .

(١٤) P. Mon'et, *Eternal Egypt*, Translated from the French by Doreen Weighman (Annal World Book, Published by the New American Library) 1964, p. XIX.

(١٥) جان يويوت : مصر الفرعونية - ترجمة سعد زهران - القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٨ .

W. B. Emery; op. cit., p. 31-32.

(١٦)

ثم يعضد «آركل» رأيه هذا بأن الملك العقرب انما نقش على رأس صولجانته الذى صور فيه مرتديا تاج الصعيد ، قيامه بتحويل مجرى النيل ، تمهيدا لبناء منف ، ومن ثم فالرأى عنده أن توحيد الملك العقرب بمينا أمر مؤكد<sup>(١٧)</sup> .

غير أن هناك عدة عقبات تقف فى طريق قبولنا لهذا الرأى ، منها (أولا) أن الملك العقرب نفسه — رغم اتساع نطاق الانتصارات التى يفاخر بها — فانه لا يزعم أنه كان ملكا على مصر الموحدة — كما أشرنا من قبل — ومنها (ثانيا) أنه لم يدفن فى سقارة جبانة العاصمة منف ، التى يزعم «آركل» أنه قام بتأسيسها ، اللهم الا اذا كانت الارض الجبلية لم تقدم لنا كل ما عنده ، ومنها (ثالثا) أن الآثار التى عثر عليها للملك العقرب<sup>(١٨)</sup> انما تحتاج الى تدعيم أكثر .

ومنها (رابعا) أن تفسير نقوش رأس المقمعة على أنها تشير الى قيام الملك العقرب ببناء سد لتشييد مدينة منف ، انما هو تحميل للامور فوق ما تطيق ، اذ أنه من الواضح أن الملك انما يقوم هنا بحفر قناة لخدمة الاراضى الزراعية . وأخيرا (خامسا) فان الملك العقرب لم يصور أبدا مرتديا تاج الشمال ، ومن ثم فان احتمالية كون الملك العقرب ومينا شخصية واحدة أمر مستبعد<sup>(١٩)</sup> .

٢ — وزعم فريق آخر من المؤرخين — ومنهم هول — أن مينا (وتقرأ منى) انما كان شخصية أسطورية مركبة ، تجسدت فيها أعمال «نعرمر» و «عحا»<sup>(٢٠)</sup> .

(١٧) A. J. Arkell, was King Scorpion Menes ; In Antiquity. 37, 1963, p. 31-35.

(١٨) W. A. M. F. Petrie, The Royal Tombs, II, 1901, p. 20-21. وكذا W. B. Emery op. cit., p. 92.

(١٩) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢٦٩ ، أحمد أمين سليم : دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة أثناء الاسرتين الاولى والثانية ص ٧٩ ، ٨١ .

(٢٠) H. R. Hall, op. cit., p. 104 F.



ويعتقد «الكسند شارف» أنه هو اسم العرش المخاض بنفس الملك الذي كان الاسم الجوري الخاص به هو «عحا» (٢١) ، ويتفق معه في ذلك «أدوارد نافيل» (٢١) و «ريمونة فيلي» (٢٢) و «فلاديمير فيكانتيف» (٢٣) الذين رأوا أن العلامة الهيروغليفية التي اعتبرت اسما له، لاتدل على اسم اطلاقا — بخاصة أن هذه في أوائل عصر الكتابة كانت تكتب بشكل مقتضب، يفتقر الى العلامات المخصصة — وانما هي مجرد علامة تصور منصة التتويج ومقعدى العرش ، وهى منصة ذكرتها نصوص الاهرام باسم «منو» ، ومن ثم فهم يرجحون أن كلمة «منى» لم تكن سوى اسم لعرش كان يستخدم في احتفالات «عيد سد» وان كان «سير ألن جاردنر» يرى غير ذلك ، حين يذهب الى أنه ليس من الحكمة أن ننكر أن هذه الكلمة الهيروغليفية تقرأ «من» ، وأنها تشير الى الاسم الشخصى للملك «مينيس» (ميناء) (٢٤) .

٣ — وزعم فريق ثالث أنه لا يوجد سوى فرعون واحد أسس الاسرة الاولى ، هو الملك «نعرمر» ، ومن ثم فان الاسماء الثلاثة (نعرمر — مينا — عحا) ملك واحد ، تسمى فى اسمه الشخصى باسم «نعرمر» والاسمان الاخران صفتان علقتا به ، فأما «عحا» فتعنى «المحارب أو المقاتل» اعتزازا بنجاح جهوده الحربية ، وأما «ميناء» فتعنى المؤسس (لوحدة ، وربما للعاصمة منف) ، وقد تعنى «المتبث» أو ما يشبهه ، اشارة الى تثبيتته أركان دولته ، وقد تعنى «المرأى أو الدائم» كذلك (٢٥) .

- (٢١) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٤٣ — القاهرة ١٩٦٠ .  
 (٢٢) E. Naville, Rec. Trav., XXI. p. 110 F, XXIV, p. 114  
 F; XXV, p. 206 F.  
 (٢٣) R. weill. Rec. Trav., II, p. 64-65.  
 (٢٤) V. Vikentiev. JEA, XVII, p. 67 F, ASAE, XXXIII, 1933.  
 p. 208-235, XXXIV, 1934, p. 28-35, LIV, p. 1 F; XLVII; p. 665 F.  
 (٢٥) Sir Alan H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 406.  
 (٢٦) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ج ١ ص ١٠١ ،

ويفسر لنا «الكسندر شارف» هذه النظرية بأن اسم الملك «ميناء» الذى ذكر على رأس القوائم الملكية التى وصلت الينا من عهد الدولة الحديثة ، والذى تحدث عنه كتاب الاغريق على أنه الملك التقليدى الاول لمصر الموحدة ، هذا الاسم لم يظهر إلا مرة واحدة على آثار الأسرة الاولى ، وذلك على أساس أنه الاسم الذى يسبق بلقب «نبتى» لرجل كان اسمه الحورى «عحا» .

وليس هناك من ريب فى أن صاحب هذا الاسم ، انما كان يقبض بيد من حديد على قطرى مصر ، وأن الملك المعروف باسمه الحورى «نعرمر» انما يعتبر فرعون مصر الذى كتب له نجحا بعيد المدى فى التغلب عسكريا على مصر السفلى ، وأنه قد خرج من عاصمته (هيراكليون وليس «نخن = البصيلية») لوضع هذا الهدف العظيم موضع التنفيذ ، وهناك فى «نخن» عثر الحفاريون على أهم الآثار الممهورة باسمه — كلوحته المشهورة ، ورأس صولجانته .

هذا فضلا عن أن هناك بعض القرائن التى تجعلنا نرجح أن كلا من الاسمين «عحا» و «نعرمر» يطلقان على شخصية تاريخية واحدة ، اعتقادا بأن «نعرمر» — وهو أحد عبدة الاله حور فى مصر العليا — انما قد أطلق على نفسه اسم «عحا» ، حين تم له النصر على مصر السفلى (الدلتا) بخاصة وأن هذا الاسم انما يعنى فى اللغة المصرية القديمة «المكافح» (وهو يعنى فى نفس الوقت معنى المنتصر) ، وبذلك يحسن بنا أن نرى فى هذا نوعا من الفخر ، وقد اتخذ له لقباً وليس اسماً (٢٧) .

غير أن هذا رأى قد يضعفه أن الاسماء الثلاثة (ميناء — نعرمر — عحا لم توجد أبداً على أثر واحد اطلاقاً ، وان وجد أثر صغير جمع بين اسمى «ميناء» (منى) ونعرمر معا (٢٨) .

وكذا = Jean Vercouter and others. The Near East, The Early Civilization, London, 1967, p. 261-262.

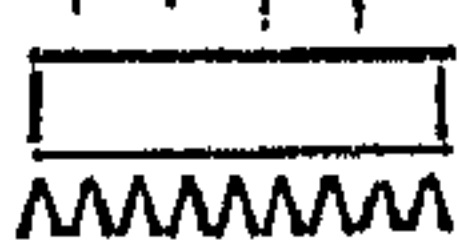
(٢٧) الكسندر شارف : المرجع السابق ص ٤٤ .

W. M. F. Petrie, op. cit., Pl. XIII, p. 92. (٢٨)

J. Vandier, Manuel d'Archeologie Egyptienne, I, Paris, 1992, p. 828-831.

٤ - وهناك فريق رابع يذهب الى أن «نعرمر» انمسا هو الملك «ميناء»<sup>(٢٩)</sup> ، ويعتمد هذا الفريق من المؤرخين على أدلة ، منها (أولا) أن لوحة نعرمر التي عثر عليها في «نخن» (البصيلية) ، يظهر فيها - في احتفاله بانتصاره العسكري - وقد لبس كلا من تاج الصعيد الأبيض ، وتاج الدلتا الأحمر ، وهو بهذا يمثل حاكم الوجهين - القبلى والبحرى - معا ، وهذا المنظر - وان كان يدل دون شك على انتصاره العسكري على الدلتا ، واعطائه الحق في أن ينتحل شعار الحكم الذى كان لخصمه ملك الدلتا المهزوم - فإنه لا يجعله بالضرورة الحاكم الشرعى للدلتا .

ومنها (ثانيا) أن رأس صولجان الملك نعرمر ، الذى عثر عليه في «نخن» يظهره في منظر احتفال جالسا على عرشه - لابسا تاج الدلتا الأحمر<sup>(٣٠)</sup> . وقد اقترح البعض أن المنظر انما يمثل احتفالا بزواج يدخل فيه «نعرمر» المنتصر في تحالف مع الاميرة الشرعية للدلتا ، والتي ربما كانت هي الاميرة «نيت - حتب» ولكن هذا الغرض قد يتسم بأنه معقول جدا ، ولكنه لا يجعل من «نعرمر» الحاكم المقبول لمصر الموحدة ، وبالتالي يكون هو الملك «ميناء» الذى اعتبرته المصادر التقليدية ملك مصر الموحدة<sup>(٣١)</sup> .

ومنها (ثالثا) أن من بين أختام الجرار التي عثر عليها في «أم التتاب» يوجد واحد يحمل علامات  دون أن يسبقها لقب ، وقد عثر عليه مجاورا للقب «نعرمر» المحورى ، وقد اتخذ هذا كدليل على أن «نعرمر» و «ميناء» يعدان شخصية واحدة<sup>(٣٢)</sup> .

P. E. Newberry, Great Ones of Ancient Egypt, London, (٢٩)

1929, p. 37-52.

E. Drioton et J. Vandier, l'Egypte, 1962 p. 161-162.

وكذا

J. Vercoutier, op. cit., p. 262.

وكذا

J. E. Quibell, Herakonpolis, I, Pl. XXVIB, XXIX.

(٣٠)

p. 10, II, p. 40, 43.

P. E. Newberry, Menes, the founder of the Egyptian

(٣١)

Monarchy, Great Ones of Ancient Egypt, London; 1929, p. 37.

W. B. Emery, Archaic Egypt, 1963 p. 33.

وكذا

W. M. F. Petrie, The Royal Tombs, II, Pl. XIII, 93

(٣٢)

P. E. Newberry, op. cit., p. 47.

وكذا



ولكن من سوء الحظ — كما يشير الى ذلك «فرنسيس اللولين جريفث»  
(١٨٦٢ — ١٩٣٤) وكورت هينريش زيته» (١٨٦٩ — ١٩٣٤) — أن مثل  
هذا الدليل يقدم لنا لقبين واضحين لـ «حور عحا» ، لا نجد أيا منهما في  
قوائم الملوك ، وهناك اعتراضات أخرى من نفس النوع ، وتبعاً لهذا فان  
هذا المعيار عديم القيمة وان كان استبعاده لا يثبت أن «نعرمر» ليس  
هو «ميناء» (٣٣) .

ومنها (رابعاً) أنه قد عثر على ختم عاجي صغير في «نخن» (٣٤) وهو  
الآن في متحف الاثموليان في أكسفورد) يوضح انتصار «نعرمر» على  
أرض التحنو الليبيين ، وقد كتب اسم الملك كسمكة كبيرة ، لها أذرع  
آدمية ممسكة بعصا طويلة ، تضرب بها عدداً من الاسرى ربطت أيديهم  
خلفهم ، وتوجد فوقها آلهة الكاب (نخابة) ناشرة جناحيها ، وأمامها  
الصقر ، كما يوجد على يسار اسم الملك منطقة «أرض التحنو» (٣٥) .

ومن ثم فانتصار هذا الرأي انما يذهبون الى أن هذا يتفق مع رواية  
مانيتو التي تذهب الى أن ميناء قد وحد البلاد ، وحارب الليبيين ، ومن  
ثم فان ميناء ونعرمر انما هما شخص واحد ، وان كان ذلك يرد عليه  
— كما أشرنا اليه من قبل — من أن آثار نعرمر ، حتى وان أظهرته كقائد  
عسكري كتب له نجما بعيد المدى في توحيد البلاد ، فليس هذا يعنى  
بالضرورة أنه قد أصبح الحاكم الشرعى لمصر الموحدة (٣٦) .

ومنها (خامساً) أن قطعة حجر بالرمو الموجودة بمتحف القاهرة ،  
انما تحمل الاسم الحورى للملك «جر» (دجر) مصحوباً بخرطوش يقرأ  
«اتيتى» ، وقد ذكر هذا الاسم في قائمة أبيدوس أنه ثالث ملوك الاسرة  
الاولى ، ومن ثم فان «حور عحا» قد يكون الثانى ، وأن «نعرمر» كان

W. M. F. Petrie, op. cit., p. 51-52.

(٣٣)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 405.

وكذا

J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, London, 1900, Pl. XV; 7.

(٣٤)

P. E. Newberry, op. cit., p. 50.

(٣٥)

W. B. Emery, Archaic Egypt, 1903. p. 33.

(٣٦)

الأول ، وعلى ذلك يكون هو «ميناء» ، أى أن (نعرمر) هو (ميناء) (٣٧) ،

وفي الواقع أن هذا الرأي مقبول ، لو أن الكتابة مؤكدة ، وموثوق  
بها وبصحتها ، أما الأمر موضع شك ، فليس هناك ما يمنع أكثر من  
افتراض ، بمعنى آخر ، ليس هناك ما يمنع من أن يكون التتابع على  
الصورة التالية : نعرمر ، ثم ميناء ، ثم عحا ، ثم جر (٣٨) .

هذا فضلا عن أن (إتيتي) (Iteti) إنما هو (Athothis) الذى وضعه  
(مانيتو) كثنائى ملوك الأسرة الأولى (٣٩) ، ومن ثم يصبح الملك (جر)  
ثانى ملوك الأسرة ، والملك (حور عحا) أول ملوك الأسرة ، كما يلاحظ  
تشابه الاسماء (الثانى والثالث والرابع) فى قائمة أبيدوس ، بشكل  
يدعو الى الشك (٤٠) ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن هؤلاء الملوك إنما  
يحملون نفس الاسم (إتيتي) (٤١) ، وفى هذه الحالة يصبح الدليل  
الموجود على هذا الأثر عديم الفائدة (٤٢) .

(٥) وزعم فريق خامس أن الملوك الثلاثة : ميناء ونعرمر وعحا ، إنما  
هم ثلاثة ملوك مختلفون ، وأن ميناء قد خلف نعرمر ، ثم تلاه عحا ، أى  
أن التتابع يجب أن يكون على الصورة التالية : نعرمر ، ثم ميناء ، ثم  
عحا (٤٣) ، وهو رأى — على أية حال — لا يوافق عليه معظم الباحثين ،  
لعدم استناده الى الأدلة القوية التى تدعمه .

---

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 14-15. (٣٧)

W. B. Emery. op. cit., p. 34. وكذا

• نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٩٩ (٣٨)

H. R. Hall. op. cit., p. 104. (٣٩)

W. B. Emery, op. cit., p. 34. (٤٠)

(٤١) إيتين دريوتون وجاك فاندييه : المرجع السابق ص ٦٨٨ ،

وانظر كذلك «وليم هيز» حيث قرأ أسماءهم (Ityy)

W. C. Hayes, op. cit., p. 34.

وانظر كذلك «فلنדרزبترى» حيث قرأ هذه الاسماء كالاتى :

(Ata, Atta, Teta)

(W. M. F. Petrie. A History of Egypt. I, London, 1924. p. 7).

W. B. Emery. op. cit., p. 34. (٤٢)

== W. F. Albright. JEA. VI. 1920. p. 89F. (٤٣)



(٦) وهناك فريق سادس من العلماء يذهب الى أن (عحا) هو (ميناء) (٤٤) ، ويقدمون على ذلك أدلة ، منها أن (دى مورجان) قد عثر في عام ١٨٩٧ ، على لوحة من العاج في مقبرة ضخمة في نقادة (٤٥) ، قصد بها أن تشير الى تأريخ محتويات اناء كانت معلقة به ، ويرى في وسط الصف العلوى الاسم الحورى للملك (عحا) (المحارب) ، الذى نلتقى به كذلك على أختام جرار في المقبرة ، وفي عدة أماكن أخرى ، وتوجد خلف آل (سرخ) (Serekh) سفينة كان يفترض دون شك أن يسافر عليها الملك ، ونرى في المقدمة مجموعة من الكتابات الهيروغليفية داخل ما يشبه الكشك أو (الجوسق) •

وقد ركزت حول هذه المجموعة مختلف آراء الباحثين ، وليس من الحكمة أن ننكر — كما فعل عدد كبير من الباحثين — أن الكلمة الهيروغليفية المرسومة تحتها هي رقعة الداما التي تقرأ «من» ، أو أنها تشير الى الاسم الشخصى للملك «ميناء» (مينيس) (٤٦) ، وفضلا عن ذلك ، فمقارنة ذلك بعلامة «من» المرسومة بالاسود والاحمر خلف «حور عحا» التى عثر عليها فى أبيدوس ، والتى تعتبر فى حد ذاتها إشارة أخرى ، على أن الملك «حور عحا» هو «ميناء» ، انما تؤكد الرأى (٤٧) •

غير أن «سير ألن هندرسون جاردنر» (١٨٧٩ — ١٩٦٣) يعترض على هذا الدليل ، فهو — فيما يعتقد — يتجاهل (أولا) المبنى على شكل «الجوسق» ، والذى كتب بداخله اسم «ميناء» ، وهو (ثانيا) يضرب صفحا عن حقيقة صارخة هي أن اللقب بالهيروغليفية للسيدتين يواجه

CAH. I. 1942. p. 267.

H. R. Hall. The Ancient History of the Near East, London وكذا 1963, p. 105.

James W. Baikie. A History of Egypt. I. London 1928. (٤٤)

W. B. Emery. op. cit., p. 37. وكذا

J. De Morgan, Ethnographic Prehistorique et Tombeau (٤٥)

Royal de Negadat, Paris, 1897, p. 154, fig. 518.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 406. (٤٦)

W. M. F. Petrie, op. cit., Pl. XI, p. 2. (٤٧)

ناحية اليمين ، بينما القاعدة العامة دائما هي أن يواجه لقب «حور» واسم الملك الشخصى أحدهما الآخر ، وهناك حجة أخرى تدعونا الى استبعاد افتراض كون «عحا» هو «ميناء» ذلك أنهما لو كانا شخصية واحدة ، فأننا كنا نتوقع أن نجد «عحا» مذكورا في «هيراكليونبوليس» (نخن = البصيلية) ، بينما لا نجد له في الواقع أى أثر هناك (٤٨) .

هذا ويقدم أصحاب هذا الاتجاه الذى ينادى بأن «حور عحا» انما هو الملك «ميناء» من أدلتهم كذلك ، ذلك المبنى الجنائزى الكبير ، الذى شيده «حور — عحا» في «سقارة» (٤٩) ، ذلك أن المقبرة (رقم ٣٣٥٧) التى تعتبر أقدم مبنى منذ عهد الأسرات في سقارة ، ولم يعثر فيها على أية مخلفات أو بقايا للملك «نعرمر» ولهذا أهمية خاصة ، حيث عثر على مبان في عهد «نعرمر» في «طرخان» — التى تقع بعيدا الى الجنوب — وهذا يشير الى أنه رغم أن دولة الشمال (الدلتا) قد هزمت ، فإنها عند موته لم تكن قد هدأت تماما ، كما يوحى بأن انشاء العاصمة الاستراتيجية الجديدة في «منف» لم يكن قد تم بعد ، وان كان هذا لا يعنى بالضرورة أن مؤسس العاصمة يجب أن يدفن فيها . وحتى ينتهى الكشف العام عن موقع المدينة ، فإنه يكون من غير المنطقى أن نقرر عدم وجود أثر ما للملك «نعرمر» فيها ، فضلا عن ذلك ، فرغم أن منطقة المقابر الكبيرة

A. H. Gardiner, op. cit., 407.

(٤٨)

(٤٩) سقارة : أهم مناطق جبانة منف ، وتقع على حافة الصحراء الغربية على مبعده حوالى ٢٥ كيلا جنوبى هضبة الجيزة ، ويغلب على الظن أنها اشتقت اسمها من الاله المصرى القديم «سوكر» اله الموتى ، وتنقسم الى سقارة الشمالية وسقارة الجنوبية ، وتمتد بطول الصحراء عدة كيلو مترات في مواجهة منف ، وتعد من أغنى المناطق بالاثار — سواء ما اكتشف منها ، أو مازال مطمورا تحت الرمال — وأما أهم آثارها ، فهرم زوسر المدرج ، وأهرامات الاسرتين الخامسة والسادسة ، والتى أشهرها أهرام : وناس وتتنى وببى الاول ، الى جانب مصاطب لرجال البلاط والموظفين والنبلاء ، والتى من أشهرها مقابر (بتاح حتب) ، و «تنى» و «مرروكا» و «كاجمنى» و «محو» ، وأخيرا فهناك السرابيوم أو مدفن العجول ومقابر من العصر الباكر ، وجبانات من العصر المتأخر ، والعصر اليونانى الرومانى (الموسوعة المصرية ٢٧١/١ — ٢٧٢) .

للاسرة الاولى قد تم بحفرها ، الا أن هناك مناطق مجاورة لها لا تزال  
تنتظر الكشف عنها<sup>(٥٠)</sup> ، بخاصة وأنه قد عثر في حلوان على قطعة من  
القيثاني على هيئة «السرخ» تحمل على كل من وجهيها اسم الملك  
«نعرمر»<sup>(٥١)</sup> .

(٧) وهناك فريق سابع من المؤرخين — ومنهم (سيرالن جاردنر)<sup>(٥٢)</sup>  
و «برنهارد جردسلوف»<sup>(٥٣)</sup> — يرى أن الملك «ميننا» (منى) انما كان  
الاسبق ، ثم تبعه ولده «نعرمر» الذي تلقب بلقب «المحارب عحا»  
اشارة الى مراحل كفاحه ، وعُضد رأيهما بنقوش بطاقة عاجية ، عثر  
عليها في نقادة<sup>(٥٤)</sup> ، جمعت بين الاسمين (ميننا وعحا) ، وقد بدأ كاتبها  
سطرها الاول باسم «ميننا» ثم تبعه باسم «عحا» ، وذلك يعنى رغبة في  
تكريم الاول في عهد الثانى ، ثم تعتمد أن يفرق بين الاسمين ، فنسب  
اسم ميننا الى العقاب والحية ربتي الصعيد والدلتا ، وسجله داخل  
جوسق مثلث السقف ، يعبر — فى رأيهما — عن جوسق التطهير أو  
جوسق التحنيط ، بينما نسب اسم ولده الى الاله «حور» راعى المملكة،  
ورسمه داخل الاطار المعبر عن واجهة القصر الملكى ، وكأنه أراد أن  
يفرق بين الاسمين فى الموضع والنسبة ، باعتبار الاول اسما ملك متوفى،  
استقرت جثته فى جوسق التطهير ، واعتبر الثانى اسما ملك حى استقر  
فى قصر الحكم<sup>(٥٥)</sup> .

W. B. Emery, op. cit., p. 36. (٥٠)

Z.Y. Saad, Royal Excavations at Saqqara and Helwan, (٥١)  
(1941-1942). Cairo, 1947. p. 163-165, fig. 239.

(٥٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٣ ،

A. H. Gardiner, op. cit., p. 405-407. وكذا

M. B. Grdseleff, Notes D'Epigraphic Archaique, ASAE, (٥٣)  
XLIV, 1944, p. 281-282.

J. De Morgan, Ethnographic Prehistorique et Tombeau (٥٤)  
Rocaf de Negadah, Paris, 1897.

P. E. Newberry, op. cit., p. 39-42. وكذا

(٥٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٣ ،



وهكذا فان كتابة اسم الملك مينا باللقب النبتى انما يشير الى أنه اسم ملك متوفى ، بينما يشير الاسم الحورى على أن الملك مازال حيا يرزق ، على أساس أن الاسم الحورى انما كان يطلق على الملك أثناء حياته ، ويعيش بعد موته فى اسماء الاماكن والمباني فحسب ، ومنذ عهد الملك «سمرخت» أصبح الملك الميت يعرف باسمه المسبوق بلقب «نيسو — بيت» مع اسمه المسبوق بلقب «نبتى» ، وبعد ذلك أسقط اللقب النبتى وأصبح اللقب «النسوبيتى» يكون اسما منفصلا قائما بذاته ومن ثم فان القوائم الملكية — فى أبيدوس وسقارة وتورين — انما تذكر أسماء الملوك المسبوقه باللقاب «نيسو — بيت» لان هذه القوائم انما تخص الملوك الذين رحلوا الى عالم الآخرة (٥٦) .

ثم أضاف كاتب بطاقة نقادة — الآنفه الذكر — عناصر أخرى رمزية مختصرة فسرهما «سير ألن جاردنر» برغبة الكاتب فى تأريخ البطاقة بمناسبة معينة ، وهى مناسبة ابحار الملك «نعرمر — عحا» بمركبه لزيارة الجوسق، الذى وضعت فيه جثة أبيه لتطهيرها أو تحنيطها قبل دفنها (٥٧) ، ومع منطقية هذه التفسيرات ، الا أنها ماتزال فى مرحلة الفروض .

هذه هى أهم الآراء التى أدلى بها أصحابها حول الاسماء الثلاثة (مينا — نعرمر — عحا) ، ولعل العقدة فى كل مشكلة تكمن فيما اذا كان مينا هو نعرمر أو عحا ، وأى من هذين الملكين (نعرمر ، عحا) ، يجب أن يكون الملك الاول فى الاسرة الاولى ؟

وبدهى أنه ليس من السهل اعطاء حكم نهائى فى هذه المعضلة — وغيرها من المعضلات العديدة المعقدة التى تتصل بهذا العصر العتيق من تاريخ البشرية — ولعل السبب فى مشكلة التتابع هذه ، أن الاسماء الثلاثة (مينا — نعرمر — عحا) قد اختلطت ببعضها البعض الآخر فى

W. B. Emery, op. cit., p. 55.

F. Legge, PSBA, 28, 1906, p. 256-263.

P. E. Newberry, op. cit., p. 48-49.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 405-407.

(٥٦)

وانظر :

وكذا

(٥٧)

أذهان المصريين فيما بعد ، فمزجوا بينها أحيانا وفصلوها أحيانا أخرى ،  
حتى ضاعت الحقيقة — أو كادت — على مر القرون (٥٨) .

هذا فضلا عن عدم وجود آثار معاصرة مؤكدة لاثنتين منهما ، فالملك  
«عحا» — الذى يدل اسمه على معنى الحرب والقتال — لم يظهر على  
أثر معاصر له يدل على اشتراكه فى حرب أو كفاح ، أو يدل على نصيبه  
فى توحيد مملكته .

والملك مينا الذى نسب إليه تأسيس الأسرة الأولى ، لم يترك آثار  
كبيرة تدل على أهميته كمؤسس دولة ولم تذكره وثيقة معاصرة معروفة  
على هذا الاعتبار ، إلا بعد انقضاء عهد الأسرة الأولى ، بنحو ألف  
وخمسماية عام ، حين أوردته قائمة أبيدوس من عهد الملك «سيتى الأول»  
(١٣٠٩ — ١٢٩١ ق م) ، من الأسرة التاسعة عشرة — فضلا عن بردية  
تورين ، التى ترجع الى أيام رعمسيس الثانى (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق م) —  
إلا إذا افترضنا أن قائمة «حجر بالرمو» (من الأسرة الخامسة) قد  
تضمنت اسمه ، فيما فقدته من أجزائها ، كما يرجح ألن جاردنر ، الذى  
يرى أن الصف الثانى منها ، إنما يبدأ دون شك بالملك مينا ، وإن كانت  
الناحية التى ذكر بها مفقودة (٥٩) .

وأما الملك «نعرمر» فمن الغريب أنه لم يرد فى كتابات المؤرخين  
القدامى ، الذين تحدثوا عن الملك مينا ، كموحد للبلاد ، ومنشئ أول  
حكومة مركزية ثابتة ومؤسس أول أسرة حاكمة فى مصر .

ومع ذلك ، ورغم الاختلافات الواضحة بين المؤرخين فى العلاقة بين  
الشخصيات الثلاث (مينا ونعرمر وعحا) ورغم أن بعض الباحثين قد  
نسب مينا الى عحا ، بينما نسبته البعض الآخر الى نعرمر ، فإننى أظن  
— وليس كل الظن اثما — أن الاسماء الثلاثة لملك واحد .

---

(٥٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٩٨ .

A. H. Gardiner, op. cit., p. 408

(٥٩)

ان الاجماع الذى تلقاه الفكرة التى ينادى بها المحدثون من المؤرخين من أن الملك «ميناء» هو أول الفراعنة ، نادى بها من قبل المؤرخون الاغارقة — من أمثلة هيرودوت<sup>(٦٠)</sup> وغيره<sup>(٦١)</sup> — بل ان المصريين القدامى أنفسهم انما قد سبقوا الاغارقة الى ذلك ، حين كان الكهنة فى الدولة الحديثة يحملون فى حفلات تتويج الرعامسة تماثيل «ميناء» و«منتوحتب» و «أحمس» ، على اعتبار أنهم انما كانوا يمثلون ثلاثة عصور عظيمة فى تاريخ البلاد ، فكان «ميناء» يمثل الدولة القديمة ، على أساس أنه موحد القطرين ، وكان «منتوحتب» يمثل الدولة الوسطى ، على أساس أنه معيد الوحدة ، وكان «أحمس» يمثل الدولة الحديثة ، على أساس أنه محرر البلاد ، ومعيد وحدتها كذلك .

هذا فضلا عن أن كثيرا من قوائم ملوكهم — كقائمة أبيدوس ، وبردية تورين — تبدأ سرد ملوكها بالملك ميناء ، كما أن المؤرخ المصرى «مانيتو» قد وضعه على رأس أسرته الاولى ، فارتبط اسمه فى أذهان القوم ببداية العصر التاريخى ، كما أن المصريون أيضا يكتبون اسمه على جعارينهم تيمنا به<sup>(٦٢)</sup> .

هذا الى جانب أن هذه الفكرة نفسها انما تلقى تأكيدا مقابلا من «حجر بالرمو»<sup>(٦٣)</sup> المشهور ، ذلك أن الصف العلوى من المواجهة (الصدر) يقدم الاسماء المكتوبة الغربية الشكل لعدد من الملوك ، ليس لدى صاحب الحوليات من بيانات أخرى عنهم ، وليس من شك فى أن الصف الثانى انما يبدأ بالملك «ميناء» (مينيس) وان كانت الناحية التى

---

(٦٠) يروى هيرودوت أن الكهنة المصريين قد حدثوه أن «ميناء» كان أول ملك لمصر من البشر ، وأنه أول من حكمها ، وأول من أوجد جسر الحماية منف ، ثم تلا الكهنة عليه من ثبت بردى أسماء ثلاثمائة وثلاثين ملكا آخرين بعد «ميناء» (انظر : هيرودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر خفاجة ، وتقديم أحمد بدوى — القاهرة ١٩٦٦ ، الفصول ٤ ، ٩٩ — ١٠٠ ص ٧٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣) .

(٦١) Diodorus Siculus, I, 50.

(٦٢) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٦ ص ٢١٠ .

(٦٣) قارن : الكسندر شاروف : المرجع السابق ص ٤١ .



ذكر بها مفقودة ، والمشابهة الموجودة بالنسبة الى ملكين آخرين من الاسرة الاولى ، والمسجلة على القطعة الكبيرة بمتحف القاهرة ، تجعل من المؤكد تقريبا القول بأن اسميه — الحورى والشخصى — كانا موجودين هناك ، ومصحوبين — كما يبدو كذلك — باسم أمه ، أما خانات السنين أسفل العنوان ، فتشير فى كل عام من أعوام حكمه الى حدث فيه ، وان كان يغلب على الظن أن صاحب هذه الاخبار ، ربما لجأ الى الخيال حين كان يتحدث عن هذه الصورة المعنة فى القدم .

وانه ل يبدو مما يثير الانتباه ان كان صاحب هذه الاخبار قد ذكر أمر توحيد الارضين صراحة ، فهذا قد كان — على أية حال — الاجراء الحاسم فى أعين المصريين ، ذلك الاجراء الذى حدد أول التاريخ الانسانى ، وانا لنجد له ذكراه فى الكلمات «توحيد مصر العليا والسفلى» و «الطواف حول الجدار» الذى يميز فى حجر بالرمو وغيره المعام الاول لحكم كل ملك (٦٤) .

كل هذا وغيره لا يدع مجالا للشك فى أن الملك «ميناء» انما كان أول الفراعنة ، وأول ملك عرفه تاريخ البشرية ، وأول ملك لمصر من البشر ، وأول من حكم مصر — على حد تعبير هيرودوت (٦٥) — بعد أن كتب له نجحاً بعيد المدى فى توحيد الصعيد والدلتا — أو على حد تعبير المصريين القدامى أنفسهم «توحيد مصر العليا ومصر السفلى» — الامر الذى لم يكن سهلاً ، وانما تعرضت فيه البلاد لكثير من الجذب والشد ، كما عرفت حروباً كثيرة ، لا تعرف الرحمة ولا الهوادة ، يدل عليها سيادة ظاهرة السور حول كل مدن هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ مصر (٦٦) .

ولعل سؤال البداية الان : ما هى الصلة بين «ميناء» أول الفراعين

A. H. Gardiner, op. cit., p. 407-8.

(٦٤)

(٦٥) هيرودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر خفاجة

ص ٧٢ ، ٢١٢ .

Janine Monnet-Saleh, Fortresses ou Villes-Protegees

(٦٦)

Thinites; BIFAO, LXVII 1969, p. 186.

و «نعرمر» الذى ترك لنا من بعده آثارا تدل على أن سلفه «العقرب»  
قد ترك له شرف حكم مصر الموحدة ؟

تدل آثار الملك «نعرمر» — بما لا يدع مجالا للشك — على ذلك ،  
ولعل من أهم هذه الآثار « لوحة نعرمر »<sup>(٦٧)</sup> التى اكتشفها «جيمس  
ادوارد كويل» (١٨٦٧ — ١٩٣٥) فى معبد الاله حور ، فى عاصمته  
«نخن» (البصيلية — مركز ادفو بمحافظة أسوان) — والموجودة الان  
بالمتحف المصرى بالقاهرة (رقم ٣٠٥٥) — حيث تراه يلبس التاج  
الابيض لمصر العليا (الصعيد) على أحد وجهى لوحته ، بينما تراه على  
الوجه الآخر — وكذا على رأس ديبوس من «نخن»<sup>(٦٨)</sup> كذلك ، له نفس  
الاهمية — يضع التاج الاحمر لمصر السفلى (الدلتا) ، وبالرغم من أن  
اسمه مكتوب فى أعلى هذا الوجه من اللوحة ، فان الفنان انما أراد أن  
يؤكد لنا مرة أخرى ، أن ذلك الذى يلبس تاج الدلتا الاحمر ، انما هو  
الملك «نعرمر» ومن ثم فقد كتب اسمه مرة أخرى أمام وجهه<sup>(٦٩)</sup> .

J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, 1900, Pl. XXIX, Pl. 10; (٦٧)

II, 1902, p. 41-43.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 404.

F. Legge, op. cit., p. 126-129.

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 7-11.

V. Vikentiev, JEA, 17, 1931, p. 79.

J. E. Quibell, op. cit., I, p. 9, II, p. 40-41.

(٦٩) ورد اسم «نعرمر» على بعض آثاره مكتوبا «نعر» فقط ، ولهذا

يتردد بعض المؤرخين فى نطق اسمه ، هل ينطقونه «نعر» فقط ، أم  
يتبعون النطق الاكمل والاشهر — وأيضا الاصح — «نعرمر» ، وأما  
«ريموندفي» فيقترح تقسيم الاسم الى قسمين : «نعر» وهو الاسم  
الهورى الذى ينسبه الى المعبود «حور» و «مر» وهو اسمه الشخصى ،  
وذلك على أساس كتابة المقطعين منفصلين فعلا فى آثار صاحبها نعرمر  
هذا ، وأما «فلاديمير فيكانتيف» فقد قرأ الاسم «نعر باثاى» أو «نعر  
باثاى معبا» أو «نعرى باثاى معبا» ، وأصر على قراءته حتى وفاته  
انظر : أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٧٤ ،

R. Weill, Rec. Trav., XXIX, p. 33-34, Recherches sur la Ire

Dynastie et les Temps Prepharaoniques, II, le Caire. 1961, p. 117 F, 157.

— V. Vikentiev, JEA, 17, 1931, p. 67 F, ASAE; LIV; IF: وكذا



ومن الواضح أنه كان أول ملك مصرى يفعل ذلك ، كما أنه من الواضح كذلك أن تلك الحقيقة تجعل من «نعرمر» نفس شخصية «ميناء» وهكذا يتفق معظم المؤرخين — أو يكادون — على أن «نعرمر» إنما هو أول ملوك الأسرة الأولى ، وأن «ميناء» إلا اسما آخر له ، وإن كنا لم نعثر عليه حتى الآن بصورة مؤكدة •

وأما عن صلة الملك «ميناء» بـ «عحا» فيثبتهما بطاقة «عحا» التي عثر عليها «دى مودجان» فى «نقادة» (٧٠) ، وميناء الجنائزى الكبير فى سقارة — ولقد أشرنا اليهما من قبل — وكل ذلك يثبت أن «عحا» إنما هو الملك «ميناء» •

ولسنا نريد أن نلجأ الى المعادلات الرياضية أو الاستنتاجات المنطقية ، ومع ذلك فلا حرج أن نقرر أنه مادام «ميناء» هو «نعرمر» ، ومادام «ميناء» كذلك هو «عحا» فإن «عحا» و «نعرمر» إنما هى شخصية واحدة ، وبالتالي فإن ميناء ونعرمر وعحا ، أسماء مختلفة لشخص واحد ، اسمه الشخصى «نعرمر» ، وكنيته «ميناء» و «عحا» •

وإذا أردنا تفسيراً تاريخياً لذلك فإننا نستطيع القول بأنه عند بداية التاريخ خرجت جيوش الصعيد من العاصمة «نخن» (هيراكوبوليس = البصيلية) بقيادة الملك «النقرب» واستطاعت أن تهزم الاقواس

---

XLVIII, p. 665 F.

وكذا : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٢ •  
(٧٠) اكتشف «دى مودجان» جزءاً كبيراً من هذه البطاقة فى حفائره التى قام بها فى «نقادة» فى عامى ١٨٩٦ - ١٨٩٧ م ، وقام بنشر وصف كامل للمقبرة ومحتوياتها ، وفى عام ١٩٠٣ م قام «جارستانج» بالحفر هناك ، حيث نجح فى العثور على الجزء المتبقى من البطاقة ، وقد نسب «دى مورجان» مقبرة نقادة هذه الى «عحا» ثم نسبها «جارستانج» الى زوجته «نيت - حتب» ولكنها أصبحت الآن تنسب الى حمية أو الى أحد كبار موظفيه ( انظر :  
J. Garstang, in ZAS, XLII, p. 63-64.  
وكذا J. Le Morgan, Recherches sur les Origines de l'Egypte,  
Tombeau Royale de Nagadah, Paris, 1897, p. 154 F.

وكذا

التسعة ، وجانب من سكان مصر ، ولكن لم توفّق في لم تشمل مصر  
— جنوبا — شمالا — تحت لواء واحد ، ولم يكتب لقائدها الملك المعقرب  
أن يلبس التاج المزدوج (تاج الصعيد والدلتا) وأن يجلس على عرش  
مصر الموحدة •

وجاء الملك «نعرمر» فتسلم الراية من سلفه المعقرب ، واستطاع  
أن يتم ما بدأه ، وأن يحقق النصر على الدلتا ، وأن يتزوج أميرتها  
الشرعية «نيت — حتب» التي أطلق عليها لقب «سمات — نبوى» (٧١) أى  
«التي ألقت بين السيدتين» تعبيرا عن دورها في سياسة التقريب بين  
البيتين الحاكمين في الصعيد والدلتا ، والتي كان ملوك الصعيد يحرصون  
عليها ، ويتبعون فيها طريق المصاهرة وازدواج اللقب ، والاشتراك  
في عبادة الارباب •

وحين تم للملك «نعرمر» كل ذلك لقب نفسه بلقب «مينا» (منى)  
بمعنى المؤسس للوحدة ، أو بمعنى الراعى لمصر المتحدة ، أو بمعنى  
الخالد أو الدائم، ثم بلقب «عحا» وتعنى المحارب والمكافح والمقاتل (٧٢)،  
وكل ذلك يشير الى معنى المنتصر ، المنتصر على الشماليين أهل الدلتا ،  
وربما على الاجانب الذين هددوا حدود مصر الشرقية والغربية ، وهكذا  
فاننى أميل الى أن الاسماء الثلاثة «نعرمر ومينا وعحا» انما هى أسماء  
ملك واحد ، اسمه «نعرمر» وكنيته «مينا» و «عحا» •

---

(٧١) يذهب «فلنדרزيتري» الى أن هذا الاسم (نبوى — سما) انما  
هو اسم والد الملكة «نيت — حتب» وسلفا مباشرا للملك نعرمر ، زوج  
«نيت — حتب» (نيت — حوتب) (أنظر : W. F. Petrie, op. cit., II, p. 20)  
(٧٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥١، نجيب ميخائيل :  
المرجع السابق ص ١٠١ — ١٠٢ ،  
وكذا Walter B. Emery, Hor-Aha, Cairo, 1939, p. 99.

## الفصل الثانى

### الاسرة الاولى

#### (١) الملك مينا

ينسب «هيرودوت» الى الملك «مينا» (نعرمر - عحا) تأسيس عاصمة لمصر المتحدة ، كما يشير الى ذلك «ديودور الصقلى»<sup>(١)</sup> مع بعض الاضطراب ، تقول رواية هيرودوت : « حدثنى الكهنة بأن مينا كان أول من حكم مصر وبأنه أوجد جسر الحماية ممفيس ، اذ كان النهر كله يجرى بحذاء الهضبة الرملية من الجانب الليبى ، على حين أن مينا - مبتدأ من أعلى - قد أنشأ بواسطة السدود الثنية التى تقع جنوبى ممفيس بنحو مائة ستاد - وبذلك جفف المجرى القديم ، وحول مجرى النهر لينساب فيما بين الهضبتين ... ولما تكونت للملك مينا - أول ملك للبلاد - هذه البقعة التى جفت من الارض بعد عزلها عن الماء ، أسس فيها المدينة التى تسمى «ممفيس» (لان ممفيس تقع فى الجزء الضيق من مصر) وحفر خارج المدينة بحيرة تخرج من النهر ، وتتجه نحو الشمال والغرب ، (والنيل يحدها من الشرق) ، ثم شيد فى المدينة معبد «هيفايستوس»<sup>(٢)</sup> ، وهو هائل ، ويستحق بجداره أن نتحدث عنه<sup>(٣)</sup> .

وفى الواقع ليس لدينا ما ينفى تلك الرواية ، أو ينهض دليلا

---

Diodorus Siculus, I, 50.

(١)

(٢) معبد هيفايستوس : معبد بتاح الذى بنى فى الجنوب من ظاهر منف أيام بناء المدينة ، وتعاقب الملوك على تجديده والاضافة فى عمارته (انظر :  
(A. Badawi, Memphis, p. 12 F

(٣) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢١٢ - فصل ٩٩ .



لبطلانها ، بل ان فى تاريخ آل فرعون الطويل ما يثبىر الى قيام صلة قوية بين «ميناء» ومنف فمعبودها «بتاح» قد نشأت عبادته بنشأة المدينة ، وفى أخبار الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ - ١١٩٤ ق.م) من الوثائق ما يسمى «بتاح» هذا «بتاح ميناء» ، وليس من شك فى أن بناء «منف» (ممفيس) انما قد استوجب أمورا ، منها صرف مياه النيل عن مكانها ، ثم تجفيفه ورفعته ، وكانت المياه تندفع اليه فتغمره طول العام ، من ذلك الفرع المعروف باسم «بحر يوسف» ، فعند فرعون الى اقامة سد فى طريقه عند المكان المعروف اليوم باسم «نقشيشة» فتحول مأؤه بذلك الى واحة الفيوم (٤) .

ولعل السبب فى انشاء هذه العاصمة الجديدة فى هذا المكان — فيما يرى «جون ويلسون» (١٨٩٩ — ١٩٧٦) — أنه لم يكن من المناسب لكل من «نخن» عاصمة الصعيد ، و «بوتو» عاصمة الدلتا ، أن تصبح مقرا ملكيا دائما ، فعاصمة الصعيد تقع فى بقعة غير خصبة ، وبعيدة الى الجنوب ، قريبا من الحد النهائى لمصر العليا (فى البصيلية شمال محافظة أسوان) ، وعاصمة الدلتا يكاد موقعها يشبه موقع جزيرة وسط المستنقعات الكثنة فى شمال غرب الدلتا (٥) (فى تل الفراعين بمحافظة كفر الشيخ) ، كما أن الرجوع الى هليوبوليس — أقدم عواصم الديار المتحدة — قد يثير فى نفوس الفاتحين والمغلوبين — سواء بسواء — كثيرا من ذكريات الماضى ، حين كانت اليد العليا فيها لاصحاب الشمال .

ومن أجل هذا فقد كان اختيار «ميناء» لمكان منف اختيارا موفقا ، حربيا وسياسيا ودينيا واقتصاديا فى آن معا ، فهو قد أقامها قلعة حصينة ضرب من حولها بخنادق الماء ، فالنيل يجرى من شرقها فيحميها ، والماء موجود فى غربها فى شمالها ، ثم هى واقعة فى قلب الوطن ، يستطيع من يقيم فيها أن يدبر فيها أموره فى سهولة ويسر ، ومنها تستطيع

(٤) أحمد بدوى : فى موكب الشمس — الجزء الاول — القاهرة ١٩٥٥

ص ١١٥ .

J. A. Wilson, JNES, XIV, 1955, p. 210 F.

(٥)

الادارة أن توزع الرزق بالعدل على بقية الاقاليم ، وأن تنظر في شئونها الاقتصادية في غير مشقة ، ثم هي لتوسطها أقاليم الديار غدت مع الزمن كعبة الدين والفن<sup>(٦)</sup> .

وعلى أى حال ، فسواء تلك المدينة (منف) التى ستقوم بدور هام في تاريخ البلاد ، قد شيدها «ميناء» — كما يروى هيرودوت وديودور — أو أنها أنشئت في عصر لاحق لعصر قيام الوحدة ، على اعتبار أن ذلك أمر لا يمكن تحقيقه قبل عهد «عدي إيب» — كما يرى «ايتين دريوتون»<sup>(٧)</sup> (١٨٩١ — ١٩٥٦) — وسواء أصبح لها زعمه البعض — من أن «ميناء» — كما أشرنا آنفاً — حول مجرى النيل لينشئ العاصمة الجديدة ، أو أن الأمر لا يعدو إنشاء جسم ضخم يحمي «منف» من غائلة الفيضان، فإن اختيار موقع العاصمة قد تم في نقطة كانت — ولا تزال — تعبر بمثابة المركز التقليدى منذ عصر «ميناء» حتى الآن .

وينسب هيرودوت — كما أشرنا من قبل — الى «ميناء» إنشاء معبد لئلا يبتاع ، وأنه قد أحاط المدينة والمعبد بسور ضخم ، وذلك لحمايتهما من بعض الثورات ، التى ربما يقوم بها أهل الدلتا المغلوبين على أمرهم<sup>(٨)</sup> .

ويقص علينا المؤرخ «ديودور الصقلى» (حوالى ٨٠ — ٣٠ ق.م) — الذى زار مصر في عام ٥٩ ق.م — عن فرعون مصر الاول قصصا أسطورية قليلة الأهمية والقيمة العلمية ، ومن الصعب تصديقها ، فيقول : ان الملك خلال رحلة صيد قام بها في الفيوم ، قد هاجمته كلاب صيد بخيانه ، ولم ينج منها الا بالقاء نفسه في «بحيرة موريس» ، حيث حمله تمساح الى الضفة المقابلة ، ولكي يحيى هذا الهرب العجيب شيده مدينة هناك ، وكرس البحيرة للتمساح ، ويذكر «ديودور» أن الملك أيضا بنى

(٦) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ١١٥ — ١١٦ .

(٧) ايتين دريوتون وباك فاندييه : مصر ص ١٥٤ .

(٨) W. B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 51.

وكذا R. S. Poole, The Cities of Egypt, London; 1882, p. 19

هرما ليدفن فيه بجوار هذه البقعة ، كما يذكر أن المصريين قد تعلموا ،  
أول ما تعلموا ، كيف يعبدون الآلهة ، وكيف يعيشون في حالة متحضرة ،  
وربما كان ذلك صدى لأعمال التهذئة التي قام بها نحو البلاد بعد فترة  
طويلة شاعت فيها الفوضى والمذابح خلال الكفاح من أجل الوحدة •

ويذهب المؤرخ المصري «مانيتو» — طبقا لرواية افريكانوس — أن  
الملك العظيم قد مات في السنة الثالثة والستين من حكمه ، بسبب  
الاصابات التي لحقته من فرس النهر ، وليست هذه الرواية — على أية  
حال — غير محتملة ، ذلك لأن صيد فرس النهر ، إنما كان رياضة شغف  
بها ملوك الاسرة الاولى ، ومع ذلك فربما كانت هذه الرواية رواية أخرى  
بديلة لقصة التمساح التي ذكرها «ديودور الصقلي»<sup>(٩)</sup> •

## (٢) الملك جر

ورث «جر» العرش عن أبيه «ميناء» من زوجته الثانوية «حبت» ،  
وليس من الملكة «نيت — حوتب» — أميرة الدلتا الشرعية — وربما كان  
«جر»<sup>(١٠)</sup> هذا هو الحاكم الثاني الذي ذكره «مانيتو» تحت اسم  
«أثوثيس» ، وأنه حكم سبعة وخمسين عاما ، وبنى قصرا في منف ،  
وأما اسمه «جر» أو «دجر» ، فينطق أحيانا «خنث» وأما اسمه كحاكم  
فهو «انيت» أو «اتى» (تى) ، وإذا صحت هذه القراءة فمن المحتل  
ترجمتها بمعنى «الوالى» أو بمعنى «القاطع» أو «الصاحن» — فيما  
يرى «فلنדרز بترى» و «ريموند فيي»<sup>(١١)</sup> •

Diodorus of Sicily, The Library of History, Trans. (٩)

by G. Oldfather. I, London, 1933, p. 50 F.

W. B. Emery, op. cit., p. 52-53.

وكذا

(١٠) تتفق الآثار على ترتيب ملوك الاسرة الاولى بعد مينا كالتالى:

(جر — جت — دن — عدج ايب — سمرخت — قاعا) ، هذا وهناك قطعة  
من الشست من سقارة تحمل الاسماء النسوييتية للملوك الاربعة الاواخر :

(انظر :

J. P. Lauer, La Pyramide a Degres Tome, III, Le Caire, 1939, Pl. XIX;  
p. 74.

R. Weill, op. cit., II, p. 159.

(١١)

W.M. F. Petrie, RI, II, XV, p. 109.

وكذا



هذا وقد اكتشفت للملك ((جر)) (ZER) مقبرتان ، الواحدة في أبيدوس ،  
وهي رمزية ، والاخرى في سقارة ، وهي حقيقية ، هذا وقد ظن  
المصريون القدامى منذ الاسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) أن  
مقبرة جر في أبيدوس إنما هي مقبرة ((أوزير)) عندما قرأوا اسم ((جر))  
«خننت» ، ثم خلطوا بين هذا الاسم وبين اسم المعبود «خننتى امننتى» ،  
ولما تشبهوا ((أوزير)) بـ «خننتى امننتى» اعتبروه قبرا له ، وأضافت  
نصوصهم أن روح أوزير تعيش في خميلة غناء بأرض بكر على شاطئ  
النيل قرب أبيدوس (١٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة هنا الى أنه يحيط بمقبرة «جر»  
الرمزية عدد ٣٣٤ قبرا ، وقد عثر بها على سبعين لوحة جنزية ، جل  
أصحابها من النساء ، مما دفع البعض الى القول بأن كثرة القبور المحيطة  
بمقبرة هذا الملك إنما تعنى ذبح أفراد حاشيته بقصد خدمته في العالم  
الآخر (١٣) ، وهذا أمر ليس هناك ما يؤكد - على كل حال - فليس من  
دليل قوى يسنده سوى بعض الحالات التى تحتل أكثر من تفسير .

وهناك فى احدى المقابر التى كشف عنها «والترمرى» (١٩٠٢ -  
١٩٧١م) فى شمال سقارة (١٤) ، وهى تنسب للكة تدعى «مريت - نيت»  
عثر على هياكل عظمية لذكور بالغين موسدين القرفصاء ، ووجوههم جميعا  
الى ناحية واحدة (١٥) ، ولم يلاحظ «امرى» وجود أى أثر للعنف على  
البقايا التشريحية ، ولا يشير وضع الهياكل بأية حال الى وجود حركة  
بعد الدفن ، ومن ثم فانه يبدو من المحتمل أنه حين تم دفن هؤلاء  
الأفراد ، فان ذلك حدث بعد موتهم ، وليس هناك ما يشير الى دفنهم

---

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٢ ، عبد العزيز صالح  
المرجع السابق ص ٢٨١ ، الموسوعة المصرية ١١٨/١ .  
(١٣) انظر عن «التضحية البشرية» (محمد بيومى مهران : اسرائيل  
الكتاب الاول - التاريخ - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٦٣ - ١٧٤) .  
(١٤) W. B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 66-67.  
(١٥) A. H. Gardiner, op. cit., p. 409-10.



أحياء ، وعدم وجود آثار. للعنف ، يوحى بأنهم قتلوا بالسهم قبل  
الدفن (١٦) .

وعلى أى حال ، فإن هذه العادة لم تكن شائعة في مصر ، وترجع  
أصلا الى تأثير أقريقى في عصور ما قبل التاريخ ، ثم استمرت بشكل  
عرضي في الأزمنة التاريخية المبكرة (١٧) ، ولكن سرعان ما أقطع المصريون  
عن هذه العادة الهمجية ، فإذا كانت قد وصلت الى ذروتها في عهد الملك  
«جر» فقد وصلت الى بداية النهاية في عهد الملك «قعا» (قع) ، اذ لم  
يوجد حول مقبرته سوى ست وعشرون مقبرة مساعدة (١٨) .

وليس لدينا عنها في عهد الأسرة الثانية سوى اشارة من عهد الملك  
«خع سخموى» ، اذ قدر «جورج رايزنر» (١٨٦٧ - ١٩٤٢) المقابر  
المساعدة حول مقبرته بأبيدوس ما بين عشرة وخمس عشر مقبرة (١٩) ،  
وأخيرا فلعل من أسباب توقف هذه العادة البربرية - أو على الأقل  
ندرتها في الأسرة الثانية - انما كان انتشار السحر ، واحلاله محل  
الشعائر القديمة (٢٠) .

هذا وقد تميز عهد الملك «جر» بعدم وقوع أية اضطرابات داخلية ،  
كما تميز كذلك بتقدم الفنون والصناعات ، وبأن الملك قد قام بزيارة الى  
بلدتي «تل الفراعين» وسائيس ، وهما المدينتان المقدستان في الدلتا (٢١) .

W. B. Emery, Great Tombs, II, p. 142. (١٦)

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 58. وكذا

W. M. F. Petrie, The Royal Tombs, I, Pls, 31-36. II, Pls. 26-30. وكذا

G. A. Reisner, op. cit., p. 121. وكذا

R. El-Nadowry, Human Sacrifice in the Ancient Near East, (١٧)  
PASA, 1968, p. 5.

W. M. F. Petrie, Tombs of the Courtiers and (١٨)  
Oxyrhynchus, London, 1925, p. 3.

G. A. Reisner, The Development of the Egyptian Tomb, (١٩)  
Oxford, 1936; p. 128.

JNES, 17, 1958, p. 194-203. (٢٠)

W. B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 59. (٢١)

### (٣) الملك جت

تدل آثار الملك «جت» (وادي جيت) على أن مصر قد وصلت في عهده إلى درجة لا بأس بها من الرقي ، وبخاصة لوحته الجنزية التي عثر عليها في مقبرته بأبيدوس<sup>(٢٢)</sup> ، والتي يمكن اعتبارها أول عمل عظيم في الفن المصري ، وصلنا من مصر القديمة<sup>(٢٣)</sup> ، وهي توضح كمالات في تصميم والصناعة تعذر التفوق عليه في العصور التالية ، وهي الآن من أعظم كنوز المجموعة المصرية في «متحف اللوفر» بباريس ، وقد هدتنا المقبرة الشمالية في سقارة أيضا بقطع أثرية لها قيمتها الفنية لعلامة ، لاسيما تلك المصنوعة من الخشب المنقوش والآثار وقطع اللعب المصنوعة من العاج<sup>(٢٤)</sup> .

هذا وقد عثر على اسم الملك «جت»<sup>(٢٥)</sup> على صخرة طبيعية في أحد لاودية الواقعة في الصحراء الشرقية ، والتي تربط ادفو بالبحر الأحمر ، هو الدرب المار بوادي مياه ، والذي ظل مستخدما طوال العصور ، سواء للتجارة ، أو للحصول على معادن تلك المنطقة ، وبخاصة الذهب ، ولعل وجود اسم هذا الملك هناك إنما يشير إلى إحدى البعثات التي أرسلت إلى مناجم تلك المنطقة ، وربما إلى شاطئ البحر الأحمر<sup>(٢٦)</sup> .

W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of the First Dynasty, I, (٢٢)  
London, 1900, Pl. LXI.

(٢٣) نسبت للملك (ت) مقبرة في نزلة البطران جنوبى الجيزة ،  
لكن نسبتها إليه موضع شك ، وربما تخص زوجته التي لانعرف اسمها  
(ASAE, 6, 1906, p. 99 F)

W. B. Emery, op. cit., p. 69-70. (٢٤)

(٢٥) قرى اسم هذا الملك (جت) و (وادي جيت) (الشعبان) و (اجو)  
و (نيمو) و (جاني) و (اتي) و (اترتي) (عين المحرابين) انظر :  
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٦ ،

A. H. Gardiner, op. cit., p. 401. وكذا

ASAE, XLIV, p. 282 F. وكذا

W. M. F. Petrie, op. cit., p. 8. وكذا

(٢٦) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٧٩ .

#### (٤) الملك وديمو

نطق اسم هذا الملك «دن»<sup>(٢٧)</sup>، ثم قرأه «كورت زيته» (وديمو)<sup>(٢٨)</sup>، وان كان النطق الاول (دن) فيما يرى بعض الباحثين — أفضل — هذا وقد تقرأه «ريموند غبى» (وجيمو)<sup>(٢٩)</sup>، بمعنى حافر الترع، وربما بمعنى واهب الماء، وقد سمي هذا الملك كذلك «زمتى» أو «سمتى» بمعنى الصحراويين، أو المنسوب الى الصحراويين ثم حرفه أهل الدولة الحديثة الى «حسبتى» ثم حرفه «مانيتو» الى «أو ساغايديوس» أو «اسافيس»<sup>(٣٠)</sup>، ويختبر «وديمو» (دن) من أشهر ملوك الأسرة الاولى.

وقد تميز عصره بتقدم العمارة، كما أصبحت الوثائق والمواد التاريخية أكثر وضوحاً، كما بدأت تظهر أدلة تاريخية أقرب الى الحقيقة، منها ما أكدته نص وجد مكتوباً على أثر حجرى فى هرم ستارة المدرج من تسلسل «وديمو»، وخلفائه فى الأسرة الاولى على العرش، حيث حفرت عليها الاسماء الثمانية لملوك «وديمو» و «مدج — ايب» و «سمرشت» و «تاعا» فى تسلسلهم المتفق عليه، كما عرفنا عنه الكثير من مقابر معاصريه، ومن حجر بالرمو، كما أنه اتخذ لنفسه لقباً جديداً باستخدام نبات السوت رمزا للصعيد، والنحلة رمزا للدلتا<sup>(٣١)</sup>.

هذا وتدل آثاره أنه كان عظيم النشاط، إذ حارب البدو الذين فى شرقى مصر، كما أن ذكره ظلت عالقة فى الازهان فى العصور التالية، فمسجلات بردية «ايبريس الطبية» وصفة طبية تعزى الى هذا الوقت، وترجع الى الوراء حوالى ١٥٠٠ سنة، كما أن الفصل الرابع والستين

J. J. Clere, un Graffito du Roi De jet dans le Desert Arabique, ASAE, 38, 1938, p. 85-94.	وكذا	=
ASAE, 28, 1928, p. 153 F, 44, 1944; p. 287.	(٢٧)	
K. Sethe, ZAS; LIV, p. 50 F, 137 F.	(٢٨)	
R. weill, Recherches sur la Ire Dynastie et les Temps Prepharaoniques, Le Caire, 1961, II, p. 121 F.	(٢٩)	
Rec. Trav. XXIX, p. 26.	(٣٠)	
JEA, 29, 1943, p. 75-76.	وكذا	
W. B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 73-74.	(٣١)	



من «كتاب الموتى» يعزى الى حكمه ، ومن أشهر القطع التى حصلنا عليها من مقبرته فى أبيدوس غطاء صندوق من العاج لابد أنه كان فى الاصل معدا لحفظ خاتمه الذهبى المخصص للادكام ، حيث كتب عليه مايفيد ذلك .

وأما أهم آثار عهده فهو مقبرة ضخمة فى سقارة تنسب الى عظيم من عهده يدعى «حماكا» كان يشغل وظيفة كبير القضاة ، وله مكانة مرموقة ويحمل لقب «المسيطر على قلب الملك» ، كما أن هناك موظفا آخر من كبار موظفى هذا العصر يدعى «عنخ كا» وقد كشف فى سقارة فى عام ١٩٣٦ على مقبرة كبيرة ظن حينذاك أنها مثوى «حماكا» (٣٢) .

ولكن الاكتشافات الحديثة فى مقبرة أخرى فى سقارة قد بنيت على وجه اليقين — خطأ هذا الظن ، وأن هذه المقبرة انما هى المتبرة الشمالية للملك «وديمو» ، وهى — على أية حال — أكبر مقبرة فى عصر هذا الملك وحجمها أكبر بكثير من حجم مقبرة «وديمو» الجنوبية فى أبيدوس (٣٣) .

هذا وهناك ما يشير الى اجراء تعداد فى عهد الملك «دن» (وديمو) — لأول مرة فى التاريخ (٣٤) — وليس من الواضح الغرض من هذا الاحصاء فقد يكون احصاء للأرض الزراعية وموارد الناجم ، وقد يكون احصاء للسكان وممتلكاتهم ، وقد يكون احصاء للماشية لتقدير نصيب الدولة فيها ومن جلودها ، كما نصت على ذلك صراحة نصوص الدولة القديمة (٣٥) .

وقد احتفل «وديمو» «بعيد السد» أى «حب سد» — على حد تعبير المصريين القدامى — وربما يعنى «عيد النهاية» نهاية فترة حكم معينة ، وبداية فترة جديدة ، أو «العيد الثلاثينى» ، اذ كانت العادة أن يقام

---

W. B. Emery, and Z. Y. Saad, The Excavations of Saqqara, (٣٢)  
The Tomb of Hemaka, Cairo, 1938.

W. B. Emery, Archaic Egypt, (a Pelican Book), 1963, (٣٣)  
p. 74-80.

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, p. 106. (٣٤)

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٠ . (٣٥)

عيد بمناسبة مرور ثلاثين عاما على جلوس الفرعون على العرش المصرى،  
أو من بداية اختياره لولى عهده •

هذا ويبدو أن فكرة هذا العيد انما ترجع الى العصور البدائية حين  
كان الناس يتمثلون فى الحاكم قوة تهيمن على مظاهر الطبيعة وترتبط  
بها ، بحيث يتحتم عليهم التخلص منه بعد مرور ثلاثين عاما على بداية  
حكمه عن طريق قتله ، حتى لا تتأثر مظاهر الطبيعة بشيخوخته وضعفه،  
فتقل المحاصيل ، ويضعف نتاج الماشية ، ومن ثم فقد كانوا يسارعون  
بقتله ، واحلال قوى صحيح الجسم ، خلوا من مظاهر الضعف فى مكانه •

وقد افترض «هنرى فرانكفورت» (١٧٩٧ — ١٩٥٤) أن الذى  
يحدد «عيد سد» (Sed Festival) انما هو حالة الملك الصحية وليس هناك  
ما يدعو الى تحديد عدد من السنين عندما يقوم الملك بالاحتفال بهذا  
العيد ، ومن ثم فقد احتفل الملك «تحتمس الرابع» (١٤١٣ — ١٤٠٥  
ق.م) بعيدى فى أقل من عشر سنوات ، بينما انتظر ولده «أمنحتب  
الثالث» (١٤٠٥ — ١٣٦٧ ق.م) ثلاثين سنة ، وربما كانت حالة  
«تحتمس الرابع» الصحية هى التى دفعتة الى الاحتفال بهذا العيد ،  
وعلى أى حال ، فلم ينتظر حفيده «أمنحتب الرابع» (١٣٦٧ —  
١٣٥٠ ق.م) طويلا للاحتفال بعيد سد ، فقام باعادة تجديد الاحتفال  
بالعيد فى العام الثانى عشر ، والخامس عشر •

هذا وما تزال طبيعة أعياد سد غامضة ، وإن كان من الواضح أنها  
تحوى فى صورها تجديد القوة الملكية، فبعد أن كان يقوم يقتلون الحاكم  
الشيخ فى عصورهم البدائية، أصبحوا منذ الاسرة الاولى — على الأقل —  
يعتقدون أن الملك يستطيع أن يخلص على سنوات أخرى باسترضاء  
الآلهة عن طريق طقوس ومراسيم خاصة ، وعن طريق تشييد المعابد  
أو الهياكل ، كما كان يؤتى فى الاحتفال بصور لمختلف الآلهة الاقليمية  
الى العاصمة (٣٦) •



وقد عثر على بطاقة للملك «دن» (وديمو) في أبيدوس وتوضح بعض مراحل هذا العيد ، فيظهر في هذه البطاقة الملك دن مرتديا التاج المزدوج ، ويقوم ببعض الطقوس في ساحة مسورة ، وان كان «بيير مونتيه» يذهب الى أن هذه البطاقة انما تعبر عن الاحتفال بالطواف حول أسوار منف (٣٧) .

هذا وتوضح بطاقة عاجية ترجع لعهد الملك دن كذلك اسم هذا العيد، وشكل قاعدة المنصة التي يقبلها الملك في هذا الاحتفال ، ويبدو من المنظر أن للمنصة سلمين يؤديان الى سطحها ، الذي فوقه مظللتان متجاورتان، الواحدة لعرش الصعيد ، والاخرى لعرش الدلتا (٣٨) .

#### (٥) الملك عديج - ايب

خلف «اوديمو» على العرش الملك «عديج - ايب» ، وكان اسمه المسبوق بلقب «نيسو - بيتي» هو «مرباين» ، وهو عند «مانيتو» (مبيدوس) ، وقد كان على رأس قائمة ستارة ، مما يدل على أنه أول حاكم صعيدى تعترف به الدلتا (٣٩) ، كما كان يذكر في السرخ الملكى بين ذراعين مقدسين ، اشارة الى السند والحماية (٤٠) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى تناول اسم «عديج - ايب»

- 
- |   |        |
|---|--------|
| H. Frankfort, Kingship and the Gods, Chicago, 1948. p. 79.  | = وكذا |
| J. H. Breasted, op. cit., p. 105.   | وكذا   |
| A. H. Gardiner, op. cit., p. 207.   | وكذا   |
| E. L. Griffith, JEA, 5, p. 61-64.   | وكذا   |
| H. Gauthier, le Temple d'Amadé, Pls. XXIX, 133, 136   | وكذا   |
| W. B. Emery, op. cit., p. 74.   | وكذا   |
| C. G. Seligman, Egypt and Negre Africa, 1934.   | وكذا   |
| P. Montet, Eternal Egypt, Translated from the French by Dorcen weightman, An Nae Eook Published by the New American Library, 1904, p. 45. | (٣٧)   |
| B. Gunn, Inscriptions from the Step Pyramid Site, ASAE, 28, 1928, Plc. 1-2, p. 158.   | (٣٨)   |
| W. B. Emery, op. cit., p. 80.   | (٣٩)   |
| A. Moret, Le Nile et la Civilisation Egyptienne, fig. 32.   | (٤٠)   |

أو «عنجاب» (وان كان ريموند فيبي يفضل قراءته «عنخ سن»)(٤١) بالكثب أو المحو ، بواسطة خلفه «سمرخت» — كما يبدو ذلك واضحا على بعض قطع من أوان مصنوعة من الالبستر(٤٢) ، وأخرى من الكريستال في أبيدوس(٤٣) — وان كان «سمرخت» بدوره قد أزيل اسمه من قائمة سقارة ، مما يوحي بنزاع بين أفراد الأسرة المالكة على عرش الكنانة(٤٤) .

ولعل السبب في ذلك أن «عديج — اييب» انما قد انتزع هذا العرش من «سمرخت» الذي كان يعتقد أنه أحق بولاية العرش بعد «وديمو» ، وربما لأن أمه انما كانت أكثر شرعية من أم «عديج — اييب» ، وأيا ما كان السبب ، فان هناك مطالبين بالعرش ، عضد الواحد منهما الصعيد ، وعضدت الدلتا الآخر ، وان لم تكن من نتائج ذلك انقسام معين في وحدة القطرين خلال حكم «عديج — اييب» — على الأقل —(٤٥) .

وعلى أية حال ، فان قائمة الملوك في سقارة قد بدأت بالملك (عديج — اييب) ، وأغفلت اسم خليفته «سمرخت» ، هذا فضلا عن أن مقبرة «عديج — اييب» في أبيدوس ، أقل مقابر ملوك الأسرة الاولى في بنائها وفي محتوياتها ، وأنه قد اتخذ لقباً جديداً عبارة عن صقرين فوق المسرح ، ذهب بعض الباحثين الى أنهما يدلان على حوروست ، ومن ثم فهما بقرءان «نبوي» أي «الربين» في مقابل «بنتي» أي «الربتين»(٤٦) ، وذهب البعض الآخر الى أنهما انما يعتبران رمزين لمحور الدلتا ومحور

R. weil, Recherches, II, 1961, p. 127, 154. (٤١)

W. M. F. Petrie, The Royal Tomb, 1, p. 20. (٤٢)

E. Naville, The Cemeteries of Abydos, I, London, 1914 p. 35 (٤٣)

I.E.S. Edwards, op. cit., p. 29. (٤٤)

W. B. Emery, op. cit., p. 80.

W. B. Emery, op. cit., p. 80-81. (٤٥)

I.E.S. Edwards. op. cit., p. 27. (٤٦)

K. Sethe, ZAS XXXV, p. 1. F.

E. Naville, Rec. Trav. XXI, p. 121.

الصعيد المشتركين<sup>(٤٧)</sup> ، وربما يشير إلى سيادة «حور» على الصعيد والدلتا معا ، مما يعنى الحد من نفوذ «ست» — ولو بطريق غير مباشر — بخاصة وأن الصقر إنما كان رمزا لائليم «نخن» منذ أقدم العصور ، الذى عبد هناك ، مما أثار حفيظة عبدة ست تجاه الملك •

وربما يشير ذلك كله إلى أن هوى الملك «عديج — ايبي» إلى الشماليين ، مما جعلهم يعتبرونه أول ملك شرعى ومن ثم فقد بدأوا به قوائمهم ، غير أن ذلك لم يرض أهل الصعيد ، أو على الأصح الملك «سمريخت» ، فشن غارة هوجاء على تلك السياسة ، ومحا اسم سلفه ، مما جعل الشماليين لا يذكرونه فى قوائمهم ، ولكن خليفته «قاعا» ( قع ) أعاد الأمور إلى ما كانت عليه ، وأظهر عدم رضائه على سياسة سلفه وذلك بمحو اسمه من فوق آثاره<sup>(٤٨)</sup> •

وأيا ما كان الامر ، فإن حجر بالرمو إنما يشير إلى أن الملك «عديج ايبي» قد حارب البدو فى العام السابق لاحتفاله بعيدة الثلاثينى ، كما ينسب إليه كذلك تأسيس مدن جديدة ، وأما مقبرته فى سقارة (رقم ٣٠٣٨) — شأنها فى ذلك شأن مقبرته فى أبيدوس — فرغم أنها كانت أصغر وأفقّر المقابر فى المجموعة كلها ، فقد قدمت لنا مظاهر معمارية هامة وثيقة ، ولم تحفظها لنا حتى الآن أية مقابر أخرى من ذلك العصر ، فعندما كشف عنها فى بادئ الامر ، ظهر أن البناء العلوى للمقبرة يتبع التصميم الشائع لمنصة مستطيلة ، وقد زين داخلها بدخلات وخرجات • ولكن مع موالاة الحفر ظهر مبنى هرم مدرج مخبأ بداخلها ، ولم يبق من البناء المدرج سوى جزء منخفض ، ربما استمر بناؤه إلى أعلى ، مكونا بذلك شكل هرم مدرج كامل •

ولعل السبب فى اخفاء تصميم داخل تصميم آخر ذى فكرة مختلفة جذريا ، أنه ربما يمثل الارتباط بين تصميمات المباني العلوية فى الصعيد

(٤٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٥ •

(٤٨) أحمد سليم : المرجع السابق ص ١٤٧ — ١٤٨ •



والدلتا في مبنى واحد ، وهو الركمة الترابية أو المبنى المدرج في الجنوب ،  
والمبنى المستطيل ذو الدخالات والمخرجات في الشمال .

وهناك ظاهرة غير عادية أخرى لمقبرة «عديج - ايب» الشمالية ، هي  
الدرج ذو المدخلين ، أحدهما لحجرات الدفن السفلية ، والاخر الى  
حجرة فوقها ، والى مخزن حبوب به صوامع قمح مبنية<sup>(٤٩)</sup> .

### (٦) سمرخت

يرى بعض الباحثين أن «سمرخت» ربما كان مغتصبا للعرش ، وأن  
رجاله - كما أشرنا من قبل - قد أزالوا باذن منه أسماء سلفه مما  
وصلت اليه أيديهم - كما رأينا في أوان من أبيدوس بعضها من الالبستر،  
وبعضها الاخر من الكريستال<sup>(٥٠)</sup> - وأن خلفه «قاعا» سوف يفعل به  
نفس الشيء .

هذا ولم تذكر قوائم الملوك - لأمر غير معروف - اسم «سمرخت»  
وانما ذكرته باسم آخر ، عبرت عنه نصوص عهده بصورة كاهن يمسك  
منسأة مرة ، ويمسك صولجانا مرة أخرى ، وذكرته إحدى هذه القوائم  
باسم «سمسم» . واذا صح أن صورة الكاهن كانت مقصودة لذاتها ،  
فانها انما تشير الى أن اسم «سمرخت» كان غريبا على الاسرة المالكة،  
وان كان من المحتمل أن الملوك الثلاثة (عديج ايب وسمرخت وقاعا) انما  
كانوا اخوة من أمهات مختلفات ، لاسيما وأن بعض آثارهم جمعت الى  
أسمائهم اسم سلفهم «دن» (وديمو) رغبة منهم في تأكيد الرابطة بينهم  
وبينه ، أو هم على الاقل ، انما كانوا ينتمون الى فروع مختلفة من  
الاسرة الحاكمة ، ادعى كل فرع منها أحقيته في العرش ، دون الفروع  
الأخرى<sup>(٥١)</sup> .

W. B. Emery op. cit., p. 82-84.

(٤٩)

W. M. F. Petrie, op. cit., p. 20.

(٥٠)

E. Naville, op. cit., p. 35.

(٥١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٣ .

W. M. F. Petrie op. cit., p. 19, Pls XVII, 26 XXVIII, 72.

IEA, 1943, p. 75 - 76.

وأيا ما كان الامر ، فيبدو أن حكم «سمرخت» لم يكن مستقرا ،  
ذلك لان اسم «سمنبتاح» الذى كان يأتى بعد كل من لقبى «نبتى»  
و «نيسو» انما كان بالتأكيد هو اسم «سمبيس» الذى ذكره  
«مانيتو» والذى روى أنه خلال حكم هذا الملك انما كانت توجد نذر  
شؤم عديدة ، و كارثة عظيمة ، وربما أراد مؤرخنا الوطنى أن يشير الى  
ذلك الانقسام ، وتلك الفرقة التى حدثت على أيامه بين أفراد الاسرة  
المالكة .

هذا وقد نسب اليه بعض الاثريين ذلك النقش الذى وجد على لوحة  
صخرية كبيرة فى وادى مغارة بسيناء وسموه «الضارب» لانتصاره على  
البدو هناك ، ولكن ثبت منذ عام ١٩٥٤ أن النقش للملك «سخم - خت»  
من ملوك الاسرة الثالثة - وقد كشف عن هرمه الناقص فى سقارة عام  
١٩٥٤ م (٥٢) .

وعلى أية حال ، فلم يعثر حتى الان على أى أثر للملك «سمرخت»  
فى سقارة ، وان كانت مقبرته فى أبيدوس تفوق كثيرا مقبرة سلفه  
«عدج ايب» وقد وجدت فى المقبرة لوحة كبيرة من حجر الكوارتز  
الاسود ، عليها اسم الملك يعلوه لقب «الصقر» ، كما يظهر على بطاقات  
عاجية من نفس المقبرة اسم المدعو «خنوكا» وكان موظفا كبيرا خلال  
حكم «عدج - ايب» و «قاعا» (٥٣) .

سمر

#### (٧) قاعا

كان «قاعا» (قع = قاي - ع ، بمعنى على الذراع أو طويل المباع)  
آخر ملوك الاسرة الاولى ، وقد ظهر الى جانب اسمه على بعض أختام  
تنسب اليه ، اسم آخر اعتبره «كورت زيته» اسما آخر لهذا الملك ،

(٥٢) انظر : Mohamad Zekaria Ghoneim. la Nouvelle Pyramide :  
a Degres a Saqqars, Revue du Caire, 1955, p. 18 - 31, Sekhem Khet,  
Vol. I. Cairo 1957.

w. B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 84 - 85.

(٥٣) .



وقرأه «سمنو» ، بينما قرأه «ريموندى» «سن» ، ولكنه تردد في اعتباره اسما للملك ، أو لقبا لأحد موظفيه ، بمعنى الرفيق والوصفى ، أو بمعنى «حامل الختم»<sup>(٥٤)</sup> .

هذا وقد فعل «قاعا» باسم سلفه ما فعله هذا الأخير بسلفه ، كما يبدو ذلك واضحا على جزء من آنية من الشست ، عليها الاسم النباتي لكاهن الملكين «سمرخت» و «قاعا» مما يدل على استمرار النزاع في الأسرة ، والذي أودى بها آخر الأمر ، وأدى الى قيام الأسرة الثانية الفرعونية<sup>(٥٥)</sup> .

وكان للملك «قاعا» مقبرتان ، الواحدة رمزية في أبيدوس ، وهى أكثر اتقانا في البناء من مقبرة سلفه ، والاخرى في سقارة (رقم ٣٥٠٥) وهى بالتأكيد — فيما يرى والترامرى — المكان الذى دُفن فيه ، وعلى أى حال ، فلم يعثر حول هذه المقبرة على مدافن للضحايا من الخدم ، مما يدل على أن هذه العادة الهمجية ، انتهت فى عصر هذا الملك ، صحيح أن هناك مقبرة جانبية على قدر من الحجم قد كشف عنها فى الجانب الجنوبي من مدخل المقبرة ، ولكنها مقبرة نبيل ، من المحتمل أن يكون قد أعطى شرف الدفن داخل حرم القبر الملكى ، وقد وجدت لوحة هذا النبيل — ويدعى «مركا» — على مقربة من المقبرة<sup>(٥٦)</sup> ، هذا وقد عثر على جزء من آنية من الشست توضح الاحتفال الثانى للملك «قاعا» بعيد سد<sup>(٥٧)</sup> .

---

(٥٤) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢٥٧ .

K. Sethe; Untersuchungen, III, Leipzig 1905, p. 14

R. weill, op. cit. p. 161 - 162.

B. Gunn, op. cit. Pl. 1 - 2.

(٥٥)

I.E.S. Edwards, op. cit, p. 27, 29.

w. B. Emery, op. cit, p. 86 - 90.

(٥٦)

B. Gunn, Inscriptions from the Step Pyramid Site, ASAE,

(٥٧)

28, 1928, p. 158.

## الفصل الثالث

### الاسرة الثانية

#### ١ - ملوك الاسرة الثانية :

ما يزال المؤرخون لا يعرفون — على وجه اليقين — الاسباب التي أدت الى سقوط الاسرة الاولى عند موت «قاعا» وقيام أسرة جديدة ، غير ذلك النزاع الذي حدث بين أفراد الاسرة المالكة — كما أترنا من قبل — كما أنهم لا يدرون — على وجه اليقين — ان كانت الاسرة الثانية تمت بصلة من قرابة الى الاسرة الاولى .

وعلى أية حال ، فنحن نتبع تقسيم «مانيتو» للأسرات التي حكمت مصر ، ولابد أن مؤرخنا الوطني كانت لديه الاسس والوثائق الكافية لتبرير تقسيمه المشهور ، وهو يخبرنا بأن الاسرة الثانية تكونت من تسعة ملوك حكموا جميعا ٣٠٢ سنة (بوثوس وكايخوس وبنوثريس وتلاس وسيثينييس وخايرس ونفرخريس وسيزوخريس وخنيريس) وتشير جداول الملوك الى ثمانية ( بجاو ، وكاكو ، وبانيترن ، وورجناس ، وسندي ، وجاجاي ونب كا — طبقا لقائمة أبيدوس مثلا) .

وما زال تاريخ الاسرة يشوبه بعض الغموض ، فهناك اختلاف كبير بين المصادر القديمة (مثل قائمة أبيدوس وبردية تورين وقائمة سقارة) ، كما أن الاسماء التي وردت نقلا عن مانيتو في صيغتها المكتوبة باليونانية يصعب أرجاع بعضها الى أصله المصري<sup>(١)</sup> .

وقد أدى ذلك كله الى قيام جدل طويل حول ترتيب ملوك الاسرة

---

W.M.F. Petrie. A. History of Egypt. I, 1924, p. 27.

(١)

الثانية ، وهناك نقش على كتف تمثال حجرى صغير بمتحف القاهرة ، وجدت عليه الاسماء الحورية للملوك الاوائل الثلاثة من الأسرة (حتب سخمورى - رع نب - نى نثر) فاذا أضفنا الى ذلك أن الباحثين قد اكتشفوا لهؤلاء الثلاثة أنفسهم نقوشا في مقبرة «بر - ايب»<sup>(٢)</sup> ، وأن «رع - نب» قد استخدم أوانى «نى نثر» ، لكان من المنطقى القول بأن الترتيب الصحيح لهم انما كان «حتب سخمورى» ثم «رع - نب» ثم «نى نثر» (أولا)<sup>(٣)</sup> ، وأنهم قد سبقوا «بر - ايب» على عرش الكنانة (ثانيا) ، وإن «رع - نب» انما قد سبق «نى نثر» (ثالثا)<sup>(٤)</sup> .

ثم جاء من بعدهم «ونج» ثم (سند)<sup>(٥)</sup> ، ثم تلاهما الملك (سخم ايب) (الذى لقب سخم ايب - بران ماعت) وقد اتخذ هذا الملك لقبا آخر ، انتسب فيه الى الاله (ست) بدلا من الاله (حور) ، وهو (بر - ايب سن)<sup>(٦)</sup> (وقد قرأه ماسيرو وريموندفيى (برسن)<sup>(٧)</sup> ، بخاصة وأن أختام (سخم ايب) وجدت مع أختام (بر ايب سن) في مقبرة واحدة<sup>(٨)</sup> ، وأن (خع سخم) هو الخاف المباشر (برايب سن) ، الذى لا نلتقى باسمه فى (نخن) ، وأنه استطاع أن يسترجع الدلتا ، وأن خليفته انما كان (خع سخموى) .

وهكذا كان الحور (خع سخم) هو السلف المباشر للحور (خع سخموى) خاصة وأن آثار كل منهما متميزة عن الاخرى فى (نخن)

W.M.F. Petrie, The Royal Tombs, I, Pl. VIII

(٢)

I.E.S. Edwards, op. cit, p. 30.

(٣)

W.F. Petrie, op. cit, Pl. VIII, 12.

(٤)

B. Grdseloff, op. cit, p. 292.

(٥)

ASAE, XLIV, p. 295.

(٦)

W.M.F. Petrie. The Royal Tombs. II, p. 31.

ASAE, XLIV, 1944, p. 288 F.

(٧)

R. weill. op. cit, II, 1961, p. 161.

W.M.F. Petrie, op. cit, p. 31.

(٨)

(البصيلية) وأهمها قطعة كبيرة لكتف بوابة من الجرانيت الوردي يظهر في خلفيتها منظر يمثل احتفال تأسيس هام<sup>(٩)</sup> .

هذا وقد عثر على ختم في مقبرة (خخ سخموى) في أبيدوس<sup>(١٠)</sup>، يذكر اسم ملكة هي (حب ان ماعت) ك (أم أطفال الملك) وأن (حب ان ماعت) هذه نفسها يطلق عليها لقب (أم ملك مصر العليا والسفلى) على ختم في المقبرة الكبرى في (بيت خلاف) — وتقع على مبعدة ثلاثة أميال ونصف الى الغرب من مدينة جرجا — حيث دفنت أهمية (زوسر) هناك الى افتراض أنه صاحبها<sup>(١١)</sup> ومن ثم فقد افترض بعض الباحثين أن (خخ سخموى) و (حب ان ماعت) كانا الابوين الفعلين للملك (زوسر) مؤسس الأسرة الثالثة<sup>(١٢)</sup> .

## ٢ - ثورة بر - اييب سن :

وأيا ما كان الأمر ، فلقد بدأت الأحوال هادئة عند قيام هذه الأسرة الثانية ، بل أننا في الواقع لا نرى أى تغيير ، ولا نحس بأى أثر لأنفعال نجائى ، فإن كل شئ استمر في سيره الطبيعى ، سواء من ناحية التطور العنى ، أو في تنظيم الحكومة بوجه عام ، ولكن ما لبثت أن تغيرت الأمور قرابة منتصف الأسرة ، ذلك لأن ألوانا من الاضطرابات الشديدة، قد شجرت من وراء خصومة ربما كانت سياسية ، وربما كانت دينية ، وربما كانت عصبية ، وربما كان ذلك كله في آن واحد ، وان كان من المستحيل أن نشخص صيغتها ، أو حتى أن نذكر عنها أشياء معينة ، الا عندما وصلت الامور الى درجة محاولة التغيير في نطاق الدولة العام ، والثورة على عبادة حور .

JEA; XX, 1934, p. 183 - 184.

(٩)

A.H. Gardiner, op. cit, p. 418 - 419.

وكذا

W.M.F. Petrie, The Royal Tombs of The Earliest Dynasties. (١٠)

II, London. 1901. Pl. 24, No. 210.

J. Garstang, Mahasna and Bet - Khallaf, London, 1905,

(١١)

Pl. 10, No. 8.

A.H. Gardiner, op. cit, p. 419.

(١٢)



كان الاله (حور) يرتبط في الماضي البعيد بالدلتا — فيما يرى بعض الباحثين — بينما كانت عبادة الاله (ست) محلية في (نوبت) بالصعيد، ولكن انتشار عبادة حور كادت أن تطيح به، وبنفوذ كهنته، وبخاصة عندما أصبح الملوك قبل بداية الاسرة الاولى يمثلون حور، ويعيشون في ظله، وأصبح كل منهم ينسب اليه نفسه، ثم سرعان ما أصبح الاله الحامي للحكام المنتصرين على مصر المشغلى، وخلفائهم المباشرين.

وبمرور الزمن فضل ملوك الصعيد المنتصرون العاصمة الجديدة (منف) عند ملتقى الصعيد بالدلتا، ومن المحتمل أنهم أخذوا يتأثرون بثقافة أهل الشمال، ويظهرون الاهتمام بمعبوداتهم، ويرى بعض الباحثين أن (سخم اييب) انما قد شذ عن هذا التقليد، وتخلي عن ولائه للاله حور، وعبد الاله (ست) وغير اسمه الى (بر — اييب — سن) وكتب هذا الاسم في اطار (سرخ) يعلوه حيوان الاله (ست) بدلا من (الصقر) الذي كان يعلوه اسمه الاصلى (سخم — اييب) وهو حدث يكاد يكون منفردا في تاريخ مصر — ثم يعتبر (ست) حامية، وأنه هو الذي سلم اليه عرش مصر، يبدو ذلك واضحا على ختم واحد من نبلائه، جاء فيه: «اله أومبوس، مركز قبائل ست في مصر الحليا، الى ابنه (بر اييب سن)».

ولعله أراد بذلك أن يؤكد للناس أنه وريثه دون غيره، وأنه لا يعترف بالفضل لسواه، وأنه قد تخلى عن الانتساب الى حور، ربما نتيجة لخصومة عنيفة بينه وبين مناطق الدلتا، التي تعصب أهلها لربهم القديم (حور)، الامر الذي رأى فيه المؤرخون ثورة دينية، أو نوعا من الصراع السياسى والدينى بين الصعيد والدلتا، أو ثورة ضد عقيدة الملكية الآلهية، وأن الملوك انما كانوا يهدفون الى الوصول الى توطيد تلك العقيدة توطيدا تاما في البلاد (١٣).

J.A. Wilson, op. cit, p. 65.

(١٣)

W.B. Emery, Archaic Egypt, p. 96.

وكذا

P. E. Newberry, The Set Rebellion of the II nd Dynasty,

وكذا

Ancient Egypt, 1922, p. 10 F.



ولم يقف (بر — اييب — سن) عند هذا الحد ، وانما عاد مرة أخرى الى الحصيد ، وأبى الا أن يعود الى التقليد القديم ، وهو تشييد قبره في أبيشويس<sup>(١٤)</sup> — وليس في سقارة — ومن أسف أننا لا نعرف رد الفعل الذى حدث فى الدلتا ، فان ذلك العمل انما كان خروجاً قويا على ما سارت اليه مصر من تقاليد ، منذ بداية الأسرة الاولى — على الأقل — فان تمثيل الملك بالاله حور أصبح متأصلاً منذ أجيال ، بخاضعة وأن حجر الزاوية فى الحضارة المصرية انما كان قائماً على ألوهية الملك الذى أصبح منذ توليه أمر البلاد ، هو (حور) ، وكان يقدر من شعبه على هذا الاساس ، بل أصبح واحداً من الآلهة لا يختلف عن غيره من اخوانه بل يمتاز عليهم بأنه كان يحكم الناس على الأرض ، ويقوم بحفظ النظام واقامة العدل ، كما يضمن للبلاد النعم الالهية ، وأن معرفته وقوته وإطلاعه ، انما كان كاملاً وتاماً تماماً مطلقاً .

(أ) وكان الاساس الروحى هو أن مصر كانت أسعد البلاد وأن أى شئ يصيبها كان لا يلبث أن يزول ، كما كان الملك يساعد الناس على قيامهم بواجبهم لعبادته وعبادة اخوانه من المعبودات<sup>(١٥)</sup> . ربما كانت مكانة الاله «حور» هذه سبباً فى اثاره كهنة الاله (ست) الذين شعروا بتضاؤل نفوذهم القديم ، فبذروا بذور الفتنة ، وأشعلوا نيران الثورة ، ضد هذه الاتجاهات الجديدة .

وهكذا ثار «بر — اييب — سن» على الاله حور ، وان كانت ليست لدينا معلومات ثابتة عن حرب أو ثورة ضده وانما كل ما نعرفه أن بعض قوائم الملوك قد أغفلت اسمه ، باعتباره خارجاً على عبادة الاله حور ، وأن هذا التغيير انما قد انتهى فى عهد خلفه «خخ سخم» الذى عاد الى عبادة الاله حور وتمجيده ، وتدلنا آثاره التى اقتصر على

G.A. Reisner, op. cit; p. 124 - 126.

(١٤)

W.M.F. Petrie. The Royal Tombs, II, p. 11, Pl. LXI.

وكذا

(١٥) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٨٤ .

JA. Wilson, op. cit, p. 67.

وكذا

مدينة (نخن) (١٦) (البصيلية) على مدى جهوده في سبيل توطيد الوحدة والقضاء على الفتنة (١٧) .

ومن ثم فهناك إشارة الى الاعداء الشماليين، وعددهم ٤٧٢٠٩ (١٨)، وهناك كذلك ثلاثة أوان حجرية (١٩) ، وقد مثلت عليها الربة (نخبت) (نخابه - العقاب) تقدم الى (خع سخم) رمز توحيد الارضين ، ويستقر مخطباها الخلفيان فوق خرطوش دائري ، بداخله علامات (بش) . وأغلب الامر أن (بش) هذا ، انما هو الاسم الشخصي للملك (خع سخم) أكثر منه اسم بلد ، أو رئيس منهزم ، وان كان (وانتر امري) قد فسرهما بمعنى (ثوار) ، بينما ذهب (ادواردز) الى أنها تشير الى القبائل الليبية ، ويشغل الجانب الايمن من الرسم التعبير بالهيوغرافية عن (سنة) مصحوبا بالكلمات (المحاربة وضرب الشماليين) والملك يلبس في هذه القطع جميعا تاج الصعيد (٢٠) .

ولعل سائلا يتساءل: ما هي العلاقة بين «(خع سخم)» الهيراقونبوليسى، وبين «(بر اييب سن)» من ناحية ؟ وبين «(خع سخموى)» من ناحية أخرى ؟

ان أكثر الافتراضات تقبلا اليوم ، هي أن «(خع سخم)» هو الخلف المباشر للملك «(بر اييب سن)» الذى لا تلتقى باسمه فى «(هيراقونبوليس)» (نخن = البصيلية) وأنه استطاع أن يسترجع الدلتا ، وأن خلفه انما كان «(خع سخموى)» (٢١) آخر ملوك الاسرة الثانية ، الذى أراد أن

---

(١٦) لم يعثر للملك «(خع سخم)» على أية آثار فى سقارة ، ولم يعثر له على مقبرة فى أبيدوس ، وانما كل آثاره فى «(نخن)» التى يحتمل أنه دفن فيها . ( W.B. Emery, op. cit, p. 100 - 101 ).

J.E. Quibell, op. cit, I, p. II (١٧)

J.E. Quibell. Hierakonpolis. I. 1900. Pl. XXXIV F. 11. (١٨)

J.E. Quibell. op. cit, Pl. XXXVIII. (١٩)

W.B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 99. (٢٠)

I.E.S. Edwards, op. cit, p. 32 - 33. وكذا

A.H. Gardiner, op. cit, p. 418. وكذا

A.H. Gardiner. op. cit, p. 431. (٢١)

يرضى كلا من الجنوب والشمال. ويضع حدا لتلك الفتنة ، فاتخذ لنفسه شعارا ، هو المعبودان «حور» و «ست» وكان يضعهما سوريا فوق اسمه ، وهكذا انتهت الفتنة • وعادت الوحدة مرة ثانية الى مصر •

ولكن هناك تفسير آخر لهذه الاحداث ، ذلك أنه من المستحيل أن نترجم الاحداث ، وكأنما هي صراع بين الارضين ، كان من أثره أن اكتفى «بر ايوب سن» بأن يصبح حكمه مقصورا على الصعيد ، بدليل العشور على أختام الملك ، التي تحمل اسمه منتسبا للاله «حور» في المقبرة التي تنسب اليه في أبيدوس بجوار تلك التي تحمل اسمه منتسبا للاله «ست»<sup>(٢٢)</sup> ، وأنه لم يكن عدوا لحور ، وانما خادما أميناً «لست»<sup>(٢٣)</sup> هذا فضلا عن وجود نقش غير كامل — عثر عليه مكتوب على جزء من آنية من الديوريت تحت الهرم المدرج بسقارة — يستدل منه على قيام الملك بغزو للبلاد الاجنبية ، والتي ربما كان المراد بها تلك الارض التي يحتلها الاجانب ، أى الدلتا<sup>(٢٤)</sup> •

وهكذا يمكننا القول أنه لو كانت هناك ثورة دينية حقا من الملك «بر ايوب سن» ضد الاله «حور» لما احتفظ هذا الملك بأختامه التي يظهر فيها في أبيدوس منتسبا اليه ، بل كان من المتوقع أن يقوم بمحو اسم «حور» من على آثاره — شأنه في ذلك شأن اخناتون فيما بعد عندما قام بثورته الدينية ضد آمون<sup>(٢٥)</sup> — وألا يحتفظ بتلك الآثار في المكان المعد لدفنه •

هذا الى جانب أن ألقاب ذلك العصر انما تشير الى أن الملوك كانوا مرتبطين دائما مع الالهين «حور» و «ست» ومن ثم فقد كان من ألقاب

W.M.F. Petrie, op. cit. p. 121.

(٢٢)

J. Sainte Fare Garnot. BIE. 37. 1956. p. 317 - 328.

(٢٣)

B. Gunn. Inscriptions from the Step Pyramid Site.

(٢٤)

ASAE. 28. 1928. p. 160.

(٢٥) انظر : (محمد بيومى مهران اخناتون : دعوته وعصره — الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٣٣٧ — ٣٤٩) •



الملكات مثلا لقب «التي ترى حوروست»<sup>(٢٦)</sup> أو «تلك التي تشهد حور وست» الذي عشر عليه في مقبرة الملك «جر»<sup>(٢٧)</sup> ، أو ذلك الذي عشر عليه من الأسرة الرابعة ، وينتمى للملكة «مرسى عنخ»<sup>(٢٨)</sup> .

هذا فضلا عن ظهور لقب آخر يجمع بين الالهين ، وأعنى به «ساق حور ، وذراع ست»<sup>(٢٩)</sup> ، مما يشير الى عدم وجود عداة بين حور وست في تلك الفترة وأن الملوك انما كانوا مرتبطين بكل من الالهين معا ، هذا الى جانب ظهور اسم الملك في أحد أختامه منتسبا لاله «ست» والاله «رع» اله «أون» (عين شمس) وهو من آلهة الشمال الكبار ، مما يشير الى عدم وجود نزاع بين الملك والدلتا ، والا لما انتسب الى أحد آلهتها ، كما يظهر على نفس الختم السابق الاله الصقر حور في هيئة بشرية ، وله رأس صقر ، ويمسك باحدى يديه الصولج ، وباليده الاخرى علامة «عنخ» ، ويقف أمام «سرخ» الملك ، الذي صور حيوان «ست» فوقه<sup>(٣٠)</sup> .

ولعل كل هذا يدل بوضوح على انتساب الملك الى كل من الالهين (حور وست) ، وفي نفس الوقت يدحض فكرة وجود عداة بينهما في تلك الفترة من تاريخ الكنانة ، وبالتالي قيام «بر اييب سن» بثورة دينية ، أحل فيها الاله «ست» محل الاله «حور» بل ان هناك من الباحثين من يرى — في نفس الختم — صورة للالهة «ايزه» وأن اسمها انما كتب مرتين ، الواحدة منفردة ، والاخرى تحت قدميها<sup>(٣١)</sup> .

وأخيرا فهناك ما يشير الى أن «بر — اييب — سن» انما قد اتخذ

P.E. Newberry. op. cit, p. 41. (٢٦)

A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 194, p. 422. (٢٧)

M A. Marry. Index of Names and Titles of the Old Kingdom London. 1908. p. XX. (٢٨)

W.F. Petrie. op, cit. Pl. XXVII. 96. 129. (٢٩)

Ibid p. 31. (٣٠)

Ibid. p. 53. (٣١)



الاسم «النسوبيتى» ، والذي يتكون من النحلة ونبات البوص<sup>(٣٢)</sup> ،  
والاسم النباتى الذى يتكون من الالهتين «نخبت» (نخابة) آلهة الكاب  
— فى مقابل نحن عبر النهر ، وعلى مبعدة ١٩ كيلا الى الشمال من ادفو  
بمحافظة أسوان — والالهة «وادجيت» الهة «بوتو» فى شمال الدلتا<sup>(٣٣)</sup>  
مما يشير الى أن الملك لم يتعصب للصعيد ، ولم ينقم على الدلتا .  
بدليل انتسابه لشعار الشمال ، ورغبته فى حماية الالهة الشمالية  
«وادجيت» بل ان هناك كاهنا يدعى «شبرى» عاش على أيام الاسرة  
الرابعة ، يذكر أنه كان كبيرا للكهنة القائمين على شعائر «بر ايى سن»  
فى الجبانة ، الى جانب شعائر الملك «سند»<sup>(٣٤)</sup> والذى كانت تقام  
— فيما يرجح البعض — فى سقارة<sup>(٣٥)</sup> ، ومن ثم فان وجود طقوس  
تؤدى للملك «بر ايى سن» حتى الاسرة الرابعة فى سقارة انما يتعارض  
مع دعوى مفاصلة الرجل للشمال<sup>(٣٦)</sup> .

هذا فضلا عن أن مثل هذا الصراع لم كان حقا قد وجد بين الصعيد  
والدلتا لكان فى مقدور الملك «بر ايى سن» أن يؤكد زعمه بأن تجسيد  
لالله «حور» الأكثر قوة<sup>(٣٧)</sup> ، كما أن أهل الوجه البحرى لم يناصروا  
الاله «ست» العداء ، ولم يكتفوا له ضغينة ، بل ان مفكرى مدينة  
«أون» عندما كونوا تاسوعهم المقدس جعلوا من «ست» أحد أفرادهم ،  
وينسب الاثريون الى الملك (زوسر) بناء معبد صغير فى مدينة (أون)  
صور فيه بعض أفراد تاسوعها المقدس ، ومن بينهم الاله (ست) ،

Ibid. Pl. XXII. p. 190.

(٣٢)

B. Gunn. op. cit. Pls. 2, 2 - 3.

(٣٣)

I.E.S. Edwards. op. cit. p. 31.

(٣٤)

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٣٦) أحمد سليم : دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة — أثناء

عصر الاسرتين الاولى والثانية — الاسكندرية ١٩٧٧ ص ١٥٥ — ١٥٧  
(رسالة ماجستير) .

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford.

(٣٧)

1964, p. 417.

وسجل أحد كبار رجال الاسرة الثالثة ويدعى (خع باوسكر) في نصوص مقبرته أنه كان كاهنا للاله (ست) (٣٨) .

### ٣ - الليبيون والدلتا :

وعلى أى حال ، فهناك مشكلة ، ربما كانت أخطر من ذلك بكثير ، هى أنه أطلق على حيوان الاله (ست) فى بعض الاختتام الخاصة بالملك (بر - ايب سن) اسم (آش) Ash أو (شا) Sha ، ومن المعروف أن هذا انما يخص المقابل الليبى للإمبوتى Ombuite (٣٩) .

وهنا بدأ بعض المؤرخين يقدمون تفسيراً آخر لملاحظات ، فهم يرون أنه قد حدث فى عهد الملك «نئى نتر» («نثرن») - أو «نثريمو» ، بمعنى المنتمى الى الاله والذى ربما كان أوزير (٤٠) ، وهو الملك السابق للملك «بر - ايب - سن» أن هاجم الليبيون أرض الدلتا ، واحتلوها عنوة ، وانفصلوا بها عن الصعيد ، فلما جاء بعده «بر ايب سن» لم يحكم غير الصعيد وحده ، ولكنه اعتزم الكفاح وتسمى باسم «سخم ايب» (٤١)

---

(٣٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣٩) A.H. Gardiner. op, cit. p. 417.

(٤٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٧ .

وكذا ASAE. XXVIII. 1928. p. 153. F. XLIV. 1944. p: 287

وقد نسب له تمثال صغير ، فاذا كان ذلك صحيحا ، فانه يكون أول تمثال معروف لملك ( انظر .

W.K. Simpson. A. Statuette of King Nyneter. JEA. 42. 1956. p, 45 F.

(٤١) وجد اسم «سخم ايب» فى نفس المقبرة التى وجد بها اسم «برايب سن» ، كما وجد اسم «سخم ايب برن ماعت» بجوار الحصن المنسوب الى «برايب سن» فى أبيدوس مما يدل على أن الاسمين لم يكونا غير لقبين للملك «برايب سن» ومرادفين لاسمه ، كما عثر على قطع أوان من الديوريت تحت هرم سقارة المدرج تحمل هذين الاسمين معا ، كما ذكر بترى أنه عثر على ختم فى مكان غير معروف عليه الاسمين (سخم برايب سن) ، مما يشير الى ارتباط الاسمين ببعضهما ، وأنها لشخص واحد ( انظر :

W.M.F. Petrie. op. cit. p. 51. 176. History of Egypt p, 32 - 33

أى الجسور ، ولقب «برن ماعت»<sup>(٤٢)</sup> ، بمعنى «الذى خرج للحق» أو بمعنى «أنبعث للنظام» ، واستمسك فى أغاب أحواله برب الصعيد «ست» ، باعتباره من أرباب الحرب والقتال ، واحتفظ لنفسه بلقب «نيسو بيتى» أى أنه ظل يحتفظ بانتسابه الى شعار الدلتا وربتها ، بجانب ربة الصعيد وشعاره ، ولكنه لم ينته فى كفاحه الى شىء<sup>(٤٣)</sup> .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن الاسمين اللذين أطلقتهما «بر اييب سن» على نفسه ، وهما «سخم اييب» و «برن ماعت» انما يشيران الى أن هذا الملك انما كان شجاعا ، وأنه لم يكن يهدف من وراء حروبه سفك الدماء ، وتخریب البلاد ، وانما كان يبغي تحقيق العدالة، النى رآها فى تطهير أرض الدلتا من دنس الاستعمار ، وذل الاستعباد، كما يشير اللقبان الى عهق تقدم الفكر المصرى الحضارى ، وأن المصرى لم يكن فى يوم من الايام معبا لسفك الدماء ، وانما كان يلجأ الى الحروب مضطرا ، حين لا يجد غيرها وسيلة لتحقيق العدالة وتحرير الوطن<sup>(٤٤)</sup> .

وعلى أية حال ، فلقد جاء «خع سخم» بعد «بر اييب سن» واتخذ ثوب حور واستنصره ، ولم يجد بأسا من أن يعترف بالامر الواقع فى أول عهده ، فظهر فى تماثيله بتاج الصعيد وحده ، وصور المعبود «حور» بتاج الصعيد تارة ، وبلقب حور السماء تارة أخرى ، ثم هاجم أراضى الدلتا ، وقاتل الليبيين المسيطرين عليها قتالا عنيفا ، حتى انتصر عليهم فى نهاية عهده ، وعندما أراد رجاله أن يعبروا عن انتصاره عليهم،

---

(٤٢) زعم بعض الباحثين أن «برايب سن» قد خلع «سخم اييب - بران ماعت» كما طرد صاحب الحق الشرعى «خع سخم» الى «نخن» ولما قوى «خع سخم» واستعاد قوته تسمى «خع سخموى» وأن الحرائق التى لوحظت فى مقابر أبيدوس من حمل «برايب سن» .

( J. E. Lauer, B.FAO, 55. 1956. 162 F. )

(٤٣) عبد العزيز صالح : الترقى الادنى القديم - الجزء الاول - مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ ص ٨٠ .

(٤٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ١٥٤ .



أشاروا الى أرض الدلتا ، باعتبارها الأرض التي كان اللبينيون يحتلونها ،  
وليس باعتبارها وطنهم الاصيل أو أرض الخصوم الفيليين<sup>(٤٥)</sup> .

وأتى بعده الفرعون «خـع سخموى» — آخر غراغة الاسرة  
الثانية — فأكد وحدة البلاد ، وبذا انتهى النزاع وبعد أن كان اسمه  
«خـع سخموى» (ظهور القوتين) ، أضيف الى اسمه الكامل (الالهان  
في سلام) ونجد دائما الكثير من أختام سدادات الجرار عليها صورة  
الصقر وحيوان الاله ست ، وقد اعتلت اسم الملك ، وهذه اشارة الى  
أن نوعا من الوحدة القائمة على المساواة قد تحقق<sup>(٤٦)</sup> .

وهكذا عادت الى مصر وحدتها ، تلك الوحدة التي جهد من أجلها  
أسلاف له من أبناء الصعيد ، حين خرجت قواتهم في مطلع التاريخ من  
«نخن» (البصيلية) وقد كتب لها نجحها بعيد المدى في غزو الدلتا تحت  
قيادة «ميناء» ثم توحيد الارضين وقيام الاسرة الملكية الاولى ، وتتويج  
«ميناء» ملكا على مصر المتحدة .

وأخيرا فلعل من الامة يمكن الاشارة الى أن «خـع سخموى»  
قد شيد عدة مبان في (هيراكليونبوليس) (نخن = البصيلية) ، فقد عثر على  
كتف باب من الجرانيت عليه الاسم المزدوج للملك يعلوه الصقر وحيوان  
ست ، وربما كان مصدر هذا الحجر ، إنما هو معبد تهدم منذ زمن  
بعيد ، وصناعة الحجر متقدمة ، وتشبه بوضوح — في طرازها وفي  
طريقة التنفيذ — أعمال النحت في أوائل الاسرة الثالثة ، حتى أنه يمكن  
أن يؤرخ هذا الحجر بلا جدال بنهاية الاسرة الثانية ، وعلى ظهر الكتف  
نص أزيل جزء منه يصور الملك والالهة «ثسات» في احتفال ربما كان  
لوضع أساس .

---

(٤٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٨١ .  
وكذا W.M.F. Petrie, The Royal Tombs II. Pls. XXI. 164 - 172.  
XXII. 173 - 190.  
وكذا J.E. Quibell. op. cit. I. Pl. LVIII, p. 48  
(٤٦) W.B. Emery. op. cit. p. 101.



ويبدو أن «خع سخموى» — شأنه في ذلك شأن أسلافه من أوائل الأسرة الأولى — قد طبق الخطة السياسية بزواجه من إحدى أميرات الشمال ، ويبدو أن زوجته كانت الملكة «نى معات حب» وهى — طبقا لختم اناء من أبيدوس — كانت تحمل لقب «الام الملكية» وقد عبادت فى العصور التالية ، بصفتها جدة ملوك الأسرة الثالثة ، وعلى أى حال ، فبموت الملك «خع سخموى» انتهى العصر المعتيق (عصر التأسيس) فى تاريخ مصر ، ووقفت مصر على أبواب عصر بناء الأهرام المجيد<sup>(٤٧)</sup> .

---

W.B. Emery, op. cit. p. 102 - 103.



## الفصل الرابع

### المدن الكبرى في عصر التأسيس

من البدهى أن أوجه النشاط السياسى والدينى فى عصر التأسيس،  
انما قد تركز فى المدن الكبرى فى تلك الفترة من تاريخ الكنانة المبكر ،  
والتي كان من أهمها : نخن وثنى وانب حج •

#### (١) نخن البصيلية

«نخن» أو «مخن» ، هو الاسم المصرى القديم لعاصمة  
مصر العليا فيما قبل التوحيد — وأقدم المدن الكبرى فى عصر  
التأسيس ، وهى مدينة ترجم العالم الالمانى «كورت زيته» اسمها  
بمعنى «الحصن» ، وترجمه مواطنه «هرمان كيس» بمعنى «طشولة  
الرب»<sup>(١)</sup> ، ثم تغير الاسم فى العصر الاغريقى الى «هيراكونبوليس»  
Hieraconpolis بمعنى «مدينة الصقر» (مدينة الاله حور) •

هذا ويعرف موقع المدينة الحالى باسم «الكوم الاحمر» ، وهى  
تسمية يشاركها فيها غيرها من أسماء المواقع الاثرية المصرية ، وللتفرقة  
بينها وبين غيرها من المواقع التى تحمل نفس الاسم ، أى «الكوم

---

H. Kees, Goetterglaube, Leipzig. 1941, p. 173.

(١)

K. Sethe, ZAS, LIII, P. 55 F.

وكذا

A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, I, Oxford  
1947. No. 329.

وكذا

الاحمر»<sup>(٢)</sup> ، فاننى أميل الى الاتجاه الى تسميتها بانتم البلاد الذى تقع فيه ، والذى يطلق عادة على اسم المنطقة كلها — بما فيها الكوم الاحمر — وهو «البصيلية»<sup>(٣)</sup> ، وتقع أطلال المدينة القديمة «نخن» على حافة الصحراء ، غرب النيل ، على مبعده ١٧ كيلا الى الشمال من مدينة ادفو ، بمحافظة أسوان ، ويفصلها عن النيل قريتا المويسات والجمعاوية وترعة الرمادى ، وتواجهها على الضفة الشرقية للنيل ضاحيتها الدينية «نخب» (الكاب) .

(٢) لعل من أهم الأماكن الاثرية التى حملت اسم «الكوم الاحمر» هى :

١ - الكوم الاحمر : وتقع على أطلال مدينة «حبنو» عاصمة الاقليم السادس عشر من أقاليم الصعيد ، وتقع الى الجنوب مباشرة من زاوية الميتين (زاوية الاموات) على الضفة الشرقية للنيل ، على مبعده ثمانية كيلو مترات الى الشمال الشرقى من المنيا .

٢ - الكوم الاحمر : وتعرف الان باسم «الكوم الاحمر سوارس» وقد عرفت على أيام الفراعنة باسم «حت نسوت» (حوت نسوت) ، وسماها الاغريق «البسترنوبوليس» وتقع على الضفة الشرقية للنيل على مبعده خمسة كيلو مترات الى الجنوب من بلدة «شارونة» الحالية ، مركز بنى مزار ، بمحافظة المنيا ، وكانت عاصمة الاقليم الثامن عشر من أقاليم الصعيد ، وكان يعبد فيها الاله حور .

٣ - الكوم الاحمر : فيما بين البدارى ودير تاسا شرقى أسيوط .

٤ - الكوم الاحمر : مركز قرشوط بمحافظة قنا (الموسوعة المصرية ٢٥٨/١ - ٢٥٩ ، سليم حسن) : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ١٨٥ .

A. H. Gardiner, op. cit., II, p. 106.

٣ - تمتد قرية البصيلية على مدى ١٦ كيلا من الشمال الى الجنوب وان كان عرضها يتراوح بين الكيلو والخمسة كيلو مترات ، وتتكون من ثلاث وحدات ادارية : البصيلية بحرى (وتضم نجوع القنان والحاجر وهيكل والشماعية والمعمرية والسايح والشرفا والزوايدية) والبصيلية الوسطى (وتضم نجوع البياض والزعيرات والقريطية والحاجر) والبصيلية قبلى (وتضم نجوع الجمعاوية والمويسات والحاجر) ، وعدد سكانها يقارب السبعين ألفا ، وبها ١٥ مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس اعدادية ومدرسة ثانوية تجارية ، وأخرى ثانوية صناعية ، ومعهدين أزهرين ، وست وحدات صحية وبيطرية ، وثلاثة مكاتب للبريد وثلاثة مكاتب للتلغراف ونقطة للشرطة ، وثلاث جمعيات تعاونية زراعية وتسع جمعيات للشئون الاجتماعية «مركز لرعاية الطفولة ومركز ثقافى وسجل مدنى ومكتب للتموين ومكتب تأمينات اجتماعية ، وجميع نجوعها مغطاة بشبكة



وتشير الابحاث الاثرية الى أن المدينة انما قد اتخذت اسمها «نخن» أو «مخن» من قل صناعى من الرمال ، شيد القوم فوقه معبداً للاله «حور» — رب نخن — على هيئة بيضاوية أو شبه مستطيلة ، وأن هذه الهيئة انما كانت أصلاً للعلامة الهيروغليفية التى كتب أهل العصور التاريخية اسم المدينة بها ، وأن الخطين المرسومين داخل هذه العلامة انما يرمزان الى هيكل المعبد أو قدس أقداسه ، أو هما يعبران عن تنقيس معبودين فيه<sup>(٤)</sup> .

وقد حرص ملوك عصر التأسيس على رعاية معبد نخن ، ووجدت بعض آثارهم داخل أطلاله ، وأهمها تمثالان للملك «نخع سخم» ، وأوان ضخمة منقوشة وآثار أخرى صغيرة من عهده ، ثم جدد الملك «نخع سخموى» آخر ملوك العصر ، بعض أجزاء المعبد ، وشاد رجاله جزءاً من واجهته بالجرانيت ، لأول مرة فى تاريخ العمارة المصرية<sup>(٥)</sup> .

هذا ويرجع تاريخ مدينة «نخن» (البصيلية) الى عصر ما قبل الاسرات ، ذلك أن بعضاً من الباحثين انما يذهب الى أنها انما قد عمرت منذ عصر البدارى<sup>(٦)</sup> (العصر الحجرى النحاسى = حوالى منتصف الالف الخامس قبل الميلاد) ، وذلك بسبب وجود شقاف من

---

= كهربائية ومياه صالحة للشرب ، وجميع هذه المصالح تخضع للوحدة المحلية بالبصيلية ، وبها مكاتب تتبع شركة السكر بادفو ، وأخيراً فهناك نهضة تعليمية جارفة فى البصيلية حتى أنه لا توجد كلية بآية جامعة مصرية لا تضم واحداً من أبناء البصيلية ، ومؤلف الكتاب أحد أبنائها .  
(٤) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها - الجزء الاول - القاهرة ١٩٦٢ ص ٢١٠ .

وكذا J. E. Quibell and F. W. Green Hierakonpolis, II, London, 1902, p. 3 F.

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٩ .

وكذا J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, London, 1900, Pls; II; XXXVI -- XLI.

(٦) G. Brunton, The Predynastic Town - Site at Hierakonpolis, p. 272 F.

وكذا Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 391.

فُخار ذلك العصر في موقع المدينة ، وأن المدينة ربما نقلت في عصر ما قبل الاسرات الأخير ، حيث توجد الآن الاراضي الزراعية ، وحيث يوجد معبد الملك «نعرمر» ، وقد كشف عن وجود خنادق صغيرة في جميع الجهات ، مختلفة الاحجام ، غير أن أوسعها لا يزيد في عمقه عن قدمين ، وتمتد في الناحية الشمالية الشرقية للحصن على مدى ٣٥م في خط منتظم ، وربما كانت تكون خندقا يحيط بالحصن<sup>(٧)</sup> ، هذا وترجع «باومجارتل» مدينة نخن ، على الأقل ، الى عصر نقادة الاولى (عصر ما قبل الاسرات الاول)<sup>(٨)</sup> .

وأيا ما كان الامر ، فعند بداية التاريخ قامت مصر العليا بتكوين اتحاد من الاقاليم ، كانت عاصمته «نخن» (البصيلية) حيث كان يعبد الاله «حور» ، الذي رمزوا له بالصقر ، وكان — فيما يعتقد هرمان كيس وجوستاف جيكييه — معبودا أصيلا في مدينتهم<sup>(٩)</sup> ، وقد تجمع حكام الاقاليم الاخرى — وكذا الالهة المحلية الاخرى — حول ذلك الاله ، وحول ملك نخن (ميراقونبوليس) ، وكونوا اتحادا ، وهؤلاء هم الذين نطلق عليهم «أتباع حور» ، وهم الذين عرفوا كذلك في التاريخ «بأصحاب مملكة مصر العليا» وعلى أيديهم تحققت وحدة مصر تحت قيادة الملك «ميناء» وذلك حين بدأ المظهر الختامي لتاريخ ما قبل الأسرات من «نخن» (البصيلية) ، وانتهى بغزو مصر السفلى على يد الملك مينا ، ثم توحيد القطرين .

وتعزز هذه الحقائق جميعا من النتائج التي أدت اليها كشوف «جيمس ادوارد كويل» (١٨٦٧ — ١٩٣٥م) في «نخن» في عامي

(٧) G. Brunton, The Predynastic Town - Site at Hierakonopolis, in Studies Presented to Griffith, p. 272.

(٨) Elise J. Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt, I, Oxford, 1955, p. 129.

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٠ .  
 وكذا H. Kees, op. cit; p. 194 F, 197 F  
 وكذا H. Kees, Horus und Seth als Gotterpaar, MVAG, I, 1923. p. 9; 29.

١٨٩٧ — ١٨٩٨م<sup>(١٠)</sup> ، فلقد كانت مملكتنا «نخن» و «بى» المنفصلتين حقيقة لا يتناولها الشك • والامر كذلك بالنسبة لتوحيدهما على يد «ميناء» ، ومع ذلك فانه تبقى بعد ذلك على أية حال بعض الصعوبات التى لا نستطيع أن نزيحها جانبا ببساطة<sup>(١١)</sup> •

ذلك أن بعضا من المؤرخين انما يذهبون الى أن ملوك عصر التأسيس بمجرد أن تم لهم توحيد القطرين ، وقيام أول مملكة مصرية موحدة فى التاريخ ، سرعان ما تركوا «نخن» متخذين من «ثنى» عاصمة لهم ، وقد أشار «جون ويلسون»<sup>(١٢)</sup> الى كيف أنه لم يكن من المناسب لكل من «هيراكوبوليس» و «بوتو» أن تصبح مقرا ملكيا مناسبا ، فالاولى نفع فى بقعة مجدبة غير خصبة ، قريبة من الحد النهائى لمصر العليا ، وأما الثانية فموقعها يكاد يشبه موقع جزيرة وسط المستنقعات الكائنة فى شمال غرب الدلتا • وربما أصبحت المدينتان مقدستين ، وربما مراكز حج ، فيما بعد<sup>(١٣)</sup> •

هذا فضلا عن أن المدينتين «نخن — نخب» لم تتمتع واحدة منهما بموقع متوسط يسمح لها بأن تكون عاصمة مناسبة ، وأما اهتمام الملوك بالمدينتين وتحصينهما قبل بداية عصر الاسرات وخلالها ، فقد فسره الباحثون بأمرين : الواحد ، أن مدينة «نخن» انما كانت مسقط رأس ملوك الصعيد فيما قبل الاسرات ، فتعصبوا لها واهتموا بها ، على الرغم من موقعها غير الملائم ، والاخر ، أن مدينة «نخب» انما كانت تقع عند نهاية واد يؤدي الى بعض مناجم الذهب والفضة فى الصحراء الشرقية ، وهو «وادي الكاب» •

---

(١٠) انظر : J. E. Quibell and F. W. Green, Hierakonpolis, 2 Vols, London, 1900-1902.

(١١) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 422.

(١٢) J. Wilson, Buto and Hierakonopolis in The Geography of Egypt, JNES, 14; 1955; p. 209-236.

(١٣) A. H. Gardiner, op. cit; p. 422.



وهكذا بدأت «نخن» تفقد أهميتها السياسية شيئاً فشيئاً ، منذ أن بسط ملوكها نفوذهم على الصعيد كله ، وذلك حين تبينوا أن موقعها كعاصمة في أقصى الجنوب لا يسمح لهم بالاشراف على ملكهم الواسع ، فانتقلوا الى «ثنى» ، ولكنهم ظلوا يحتفظون لها بسمعتها الدينية وسمعتها التذكارية ، واستمرت لها سمعتها فيما تلا عصرهم من عصور (١٤) .

والواقع أنه لم يثبت حتى الآن أن ملوك عصر التأسيس كانوا من «ثنى» ، أو أن عاصمتهم كانت هناك (١٥) ، أو أنهم دفنوا في المقابر القريبة منها ، والتي عثر فيها على بعض آثارهم ، بل ان معظم وثائق عصر الوحدة إنما قد وجدت في «نخن» ففيها اكتشف «جيمس ادوارد كوييل» في عام ١٨٩٨م ، أهم الآثار التي تنسب الى تلك الفترة ، والتي تمثل حلقة تصل بغير منازع بين أواخر عصر ما قبل الاسرات وأوائل عصر الاسرات ، ومن ذلك صولجان الملك العقرب (١٦) ، فضلاً عن اناء من الحجر الجيري للملك نفسه (١٧) ، كما عثر من العصر نفسه على آثار للملك «نمرمر» لعل من أهمها لوحة «نمرمر» المشهورة ورأس صولجانه (١٨) .

هذا فضلاً عن أن الدلتا عندما انفصلت عن الصعيد في النصف الثاني من عصر التأسيس — سواء أكان ذلك بسبب ثورة في الدلتا ، أو باستيلاء لبيى عليها — فإن أواخر ملوك الاسرة الثانية ، لم يجدوا غير موطنهم الاصلى في «نخن» مكانا يلجأون اليه ، ويستعينون برجاله

---

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨٠ .  
وكذا Somers Clarke, El-Kab and The Great Wall, JEA, 7; 1921, p. 54.

(١٥) جيمس بيكي : الآثار المصرية في وادي النيل — الجزء الثاني —  
ترجمة شفيق فريد ، ولبيب حبشى — القاهرة ١٩٦٧ ص ١٥٤ .

(١٦) J. E. Quibell and F. W. Green, Hierakonopolis, II, London, 1902, p. 41.

(١٧) Ibid, p. 8.

(١٨) J. E. Quibell, op. cit; I, 1900, p. 10, II, 1902; p. 40;43.



لإعادة الوحدة التي أقامها أسلافهم من قبل ، ومن هنا نرى الملك «نخمن» وقد اقتضرت آثاره على «نخن» (البصيلية) (١٩) .

أضف الى ذلك أن «هيروdot» انما ينسب تأسيس مدينة «منف» الى الملك «مين» (٢٠) ، والتي يشير اليها «ديودور الصقلي» كذلك ، مع بعض الاضطراب (٢١) وهناك كذلك «حجر رشيد» الذي يشير الى «منف» ويتحدث عن الاحتفالات المعتادة التي يقوم بها الملك حين يتسلم وظيفته الكبيرة ، وهكذا فان انتقال الملك من مكان ما في الجنوب الى هذا المركز الممتاز من ناحية الموقع عند رأس الدلتا ، يجب أن ينظر اليه كمنااسبة مباشرة لارساء دعائم المملكة المزدوجة (٢٢) .

هذا فضلا عن أن «ثنى» تمتاز حقيقة بموقع يكاد يتوسط الصعيد كله ، ومن هنا فهي قد تصلح لأن تكون عاصمه لمصر العليا — ان كان الامر أمر موقع متوسط فحسب — وهو أمر يتفق الباحثون على أنه كان — فيما قبل الوحدة — لمدينة «نخن» ، وليس لمدينة «ثنى» ، ومن هنا فان موقعها المتوسط هذا يكاد لا يخفى عنها كثيرا في أيام الوحدة حين تتضمن الدلتا تحت لواء الصعيد ، ويكونان معا مملكة واحدة ، هذا الى أن بقايا المباني التي وجدت في «ثنى» تكاد لا تختلف كثيرا عن تلك التي وجدت في «نخن» .

وانطلاقا من هذا كله ، فاننى أتردد كثيرا في قبول وجهة النظر التي تنادى بأن مقر الملك قد انتقل من «نخن» الى «ثنى» منذ أن كتب النجح للوكها في ترحيد القبطيين ، ومن ثم شائنى أميل كثيرا الى أن «نخن» انما قد بقيت محتلة بمركزها السياسى والدينى على أيام عصر التأسيس ،

A. H. Gardiner, op. cit; p. 418.

(١٩)

J. E. Quibell, op. cit; I, p. 39-40, II, p. 58.

وكذا

I. E. S. Edwards, The Early Dynastic Period in Egypt,

وكذا

CAH, I, 1964, p. 28.

Herodotus, II, 92.

(٢٠)

Diodorus Siculus, I, 50.

(٢١)

A. H. Gardiner, op. cit; p. 403.

(٢٢)

أى فى عهد الأسرتين الأولى والثانية ، وأن العاصمة انما قد انتقلت من «نخن» الى «منف» مباشرة . على أيام الاسرة الثالثة ، دون المرور بـ «ثنى»<sup>(١٣)</sup> .

وأما آثار «نخن» التى كشف عنها حتى الآن . فعمل من أهمها ، حصنها العظيم الذى بنى على حافة الصحراء على بعد قليل من الاراضى الزراعية عند واد يجرى فى الصحراء الغربية ، وهو على شكل مربع تقريبا ، ومدخله عند حافة الاراضى الزراعية لاستعماله عند حدوث الاخطار ، وله حائطان أو سوران متداخلان ، سمك الخارجى منهما ٢٤٣م ، بينما يبلغ سمك الداخلى منهما ضعف الخارجى (٨٧م) ، كما أنه أكثر منه ارتفاعا ، هذا ويفصل الواحد منهما عن الآخر مساحة قدرها ٢٣٣م ، كما أن مدخل الحصن انما قد بنى بطريقة تعوق اندفاع أى شخص الى الداخل بسرعة ، وقد بنيت حوائط الحصن بطوب من غير تبن ، وقد دهنت جميعها باللون الابيض<sup>(٢٤)</sup> .

وليس هناك من دليل على وجود أكثر من مدخل واحد للحصن ، ويبدو أنه قد وجدت سلاسل خشبية ، استخدمت للصعود الى أعلى الجدار ، ويلاحظ أن سطح السور الخارجى مسطح ، بينما بنيت واجهة السور الداخلى المواجهة للممر الضيق على هيئة دخلات وخرجات ، ولقد ظل الجزء الجنوبى الغربى قائما لم يتحطم ويبلغ ارتفاعه حوالى ثمانية أو تسعة أمتار ، ويبلغ ارتفاع الجدران القرية من البوابة نفس الارتفاع تقريبا ، ويبدو محتملا أنها لم تفقد سوى متر واحد من طولها الحقيقى ، ويضاهى هذا البناء فى كثير من أحواله شونة الزبيب فى أبيدوس<sup>(٢٥)</sup> .

---

(٢٣) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر زعمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٤٠٣ - ٤٠٤ ، جيمس بيكى : المرجع السابق ص ١٥٤ ، سليم حسن : مصر القديمة - الجزء الاول ، ص ١٥٤ ، ٢٦٨ .

(٢٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤٩ .

وكذا J. E. Quibell op. cit; II, p. 19-20.

(٢٥) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤٩ .

وكذا J. E. Quibell, op. cit; p. 19-20.

ويذهب «(جون جارستانج)» إلى أن الحصن إنما قد بنى لحماية مدينة «(نخن)» عندما كانت في أوج ازدهارها في عصر الأسرات الأولى ، وقد وجدت شقافة عليها اسم الملك «(نعرمر)» على مقربة من الحصن (٢٦) ، ويذهب «(برنتون)» إلى أن المدينة ربما اتجهت بعد ذلك في اتساعها نحو الأراضي الزراعية ، حيث يوجد معبد «(نعرمر)» ، وقد لوحظ وجود خنادق صغيرة مختلفة الأحجام في جميع الجهات ، وإن كان أوسعها وأعمقها لا يزيد عن قدمين ، وتمتد في الناحية الشمالية الشرقية للحصن على مدى ٣٥ م في خط منتظم ، وربما تكون خندقا يحيط بالحصن (٢٧) .

هذا وتذهب «(باومجارتش)» إلى أن الحصن ربما كان قصرا ، أكثر منه حصنا ، وربما كان يستخدم للأميرين معنا ، ذلك لأن الأحاط الخارجى — كما أشرنا من قبل — أقل ارتفاعا من الداخلى (٢٨) ، وأما «(آرثرويجال)» فالرأى عنده أن المكان الذى به الحصن ، ربما كان يستخدم معسكرا للقوافل . وربما للثروات العسكرية (٢٩) .

ويذهب «(سومزر كلارك)» إلى أن مدينة «(نخن)» إنما كانت تقع على مبعدة مائة ميل من الطريق الرئيسى إلى الواحات الخارجة ، فإذا أضفنا إلى ذلك عدم وجود معادن في الصحراء الغربية ، فمن الأفضل أن نذهب إلى أن الحصن إنما كان مقرا للقائد الذى بنى مقبرته الشهيرة إلى الجنوب من الحصن (٣٠) ، وأما الموقع الدماى فربما كان في «(نخب)» ، حيث الموقع الممتاز للملائم للتجارة ، فضلا عن وجود وادى الكاب إلى

J. Garstang, Excavations at Hierakonopolis, Esna and Nubis, ASAE, VIII, 1907, p. 194 F. (٢٦)

G. Brunton. The Predynastic Town - Site at Hierakonopolis, p. 272 F. (٢٧)

Elise J. Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt. II; Oxford, 1960, p. 129. (٢٨)

A. Weigall, A. Guide to The Antiquities of upper Egypt, London, p. 3 8. (٢٩)

S. Clarke, op. cit; p. 54-58. (٣٠)



الشرق منها ، والذي يؤدي الى مناجم الذهب (٣١) .

هذا وقد احتفظت مدينة «نخن» (البصيلية) بسور بنى من الحجر الخشن ، يذهب «كوييل» الى أنه لم يكن مستطيلا وانما كان شكله منتظما الى حد ما ، ومن أسف فقد دمرت أجزاء كثيرة منه ، وغطتها منازل القرية الحديثة ، وبالتالي فمن الصعب علينا أن نتتبع مداره بالكامل ، وعلى أى حال ، فهو سور ضخم بالنسبة لمكانات عصره ، وقد تراوحت أبعاده فيما بين ١٩٠ ، ٢٢٠ مترا عرضا وبلغ سمك جدرانها فى بعض مواضعه ستة أمتار ، ولكنه شيد من اللبن ، واستعان أصحابه على تحقيق سمكه الكبير ، بأن ملأوا ما بين واجهتيه بالرديم والدبش (٣٢) .

وقد عثر فى السور على مدخلين يؤديان الى المدينة ، الواحد منهما فى حالة سيئة جدا ، ويوجد فى مواجهة المدخل الشمالى الشرقى للمعبد ، والاخر عند ثلثى طول الجدار نحو الزاوية الشمالية ، ولا يزيد اتساعه عن مترين ، وقد رصف بالاحجار التى عثر على أجزاء منها فى مكانها ، وتشير القرائن الاثرية الى أنه انما يرجع الى عهد الاسرات الثلاث الاولى ، وبالتحديد منذ نهاية الاسرة الثانية أو بداية الاسرة الثالثة (٣٣) .

وهناك من الاسرة الثالثة «هرم الكولة» (٣٤) — ويقع على مسافة لا تزيد عن ستة كيلو مترات من مدينة «نخن» فى نجع المعمارية فى البصيلية نفسها — ورغم أن «جان ستينون» لا يريد أن يقطع برأى

---

(٣١) A. H. Sayce and S. Clarke, Report on Certain Excavations Made at El-Kab, ASAE, VI, 1905, p. 259 F.

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٩ .  
وكذا J. E. Quibell, op. cit; II, p. 15 F.

(٣٣) Ibid., p. 16.

(٣٤) انظر عن «هرم الكولة» .  
G. Steindorff, Guide to Egypt and The Suban, London, 1929, p. 364.

وكذا B. Porter and R. L. B. Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts Reliefs and Paintings, V, Oxford, 1951, p. 167.



حازم بشأنه ، وكل ما ذهب اليه أنه إنما يرجع الى عصر مبكر جدا (٣٥) ،  
فإن علماء الآثار إنما يعتقدون أن «هرم الكولة» — وكذا هرم سيلا  
بمحافظة الفيوم ، وهرم زاوية الاموات بمحافظة المنيا — رغم أنها لم  
تبحث حتى الآن بحثا علميا ، إلا أنها إنما ترجع الى عصر الاسرة  
الثالثة (٣٦) .

هذا وقد كان «هرم الكولة» في عام ١٨٣٩ م مكونا من سبعة وعشرين  
مدمكا مشيدة في ثلاث درجات ، وكان ارتفاعه ٣٨ قدما وست بوصات ،  
أى ١١٧٤ مترا (٣٧) .

وقد حاول العالم الفرنسى «جاستون ماسبيرو» (١٨٤٦ — ١٩١٦) ،  
منذ أكثر من ثمانين عاما — وكان وقت ذاك مديرا لمصلحة الآثار المصرية —  
أن يصل الى حجرة الدفن في هرم الكولة ، غير أن النفق الذى قطعه فى  
أحد جوانب الهرم لم يصل به الى النتيجة المرجوة (٣٨) ، وكثيرا ما حاول  
بعض الباحثين عن الكنوز الحفر فى الهرم ، اعتقادا منهم أن بداخله  
الكثير من الكنوز ، ولكن آمالهم إنما كانت تخيب دائما .

ويشير العالم الأمريكى «جورج رايزنر» (١٨٦٧ — ١٩٤٢) الى  
الابعاد التى قدمها له «لودفيج بورخاردت» (١٨٦٣ — ١٩٣٨) عن  
«هرم الكولة» قبل التنظيف الأخير لجوانب الهرم فى عام ١٩٤٦ م ، من  
أنها إنما كانت ١٣٥ × ١٢ م وأن كان «رايزنر» نفسه إنما يتردد فى  
تسمية هرم الكولة هرما (٣٩) .

---

Jean Stienon, El-Kolab; in Chronique d'Egypte, 49, (٣٥)  
1950, p. 42-45.

(٣٦) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية — القاهرة ١٩٦٣ ص ٩٠ .

H. Vyse and J. S. Perring, Operations Carried on at The (٣٧)  
Pyramids of Gizeh, III, London, 1842, p. 85.

G. Maspero, Histoire Ancienne des Peuples de L'Orient. (٣٨)  
II, p. 58.

G. Reisner, The Development of The Egyptian Tomb.. (٣٩)  
London, 1936, p. 339.

وأيا ما كان الامر ، فان آخر الابحاث التى تمت فى «هرم الكولة»  
انما كانت فى عام ١٩٤٦م ، حيث قامت بعثة بلجيكية من «مؤسسة الملكة  
اليزابيث للدراسات المصرية القديمة» فى «بروكسل» برياسة الاثرى  
«جان كابار» (١٨٧٧ - ١٩٤٧) بالحفر فى الموقع أملا فى العثور على  
مدخل الهرم ، ولكنها لم تنجح فى عملها ، وقد قام «جان ستينون»  
مهندس البعثة بعد ذلك بعدة سنوات ، بعمل دراسة عن الجزء الذى فوق  
سطح الارض من هذا الاثر ، ونخرج من دراسته أن هرم الكولة انما  
شيد ليكون هرما ذات طبقات ، ويتكون من نواة ثلاث طبقات ، وأنه ذو  
ثلاث درجات : أولاها مكونة من اثنى عشر مدمكا من الاحجار وارتفاعها  
٣٠م ، والثانية من عشرة مداميك ، وأما الثالثة فقد تهدمت ولم يبق  
منها الا الشئ القليل ، وقد حصل البنّاءون القدماء على الاحجار الصغيرة  
التي شيد بها هذا الهرم من محجر قريب منه ، وأن تلك الاحجار  
موضوعة مائلة الى الداخل ، أما المونة فكانت من البطين المخلوط بالتبن  
والقليل من الجير .

ولم يقدم لنا «جان ستينون» سوى طول الضلع الذى فى الناحية  
الشمالية البحرية (١٨٦٠م) ، ولكننا نرى من رسمه أن القاعدة مربعة،  
وأن ارتفاعه كان ٩٤م .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى ظاهرة غير عادية فى هذا الهرم  
وهى أن زواياه — وليست أضلاع قاعدته — هى التى تتجه نحو الجهات  
الاربعة الاصلية ، وربما كان ذلك راجعا الى الاتجاه الذى يسير فيه نهر  
النيل فى هذه المنطقة ولم يعثر «ستينون» على أى أثر للكساء الخارجى  
لاحجار هذا الهرم (٤٠) .

وأيا كان الامر ، فلقد احتفظت «نخن» (البصيلية) بمكانتها فى عصر

---

(٤٠) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٩٤ - ٩٧ .  
وكذا  
Jean Stienon; El-Kolah, Mission de la Fondation  
Egyptologique Reine Elisabeth, 1949 in Chron. d'Eg, 49, 1950, p. 42-43.

التأسيس ، وأصبح الملوك يشهدون بالقداسة لأرواح أجدادهم فيها ، وحرصوا على أن يولوا حكاما متميزين ، لقبوا كلاً منهم بلقب «ساونخن» و «مينونخن» بمعنى «راعى نخن» ، وربما بمعنى «راعى أرواح نخن» وربما أصبح اللقب يعنى فى الدولة الوسطى على أقل تقدير ، معنى «أمين تاج الصعيد» على أساس نسبة التاج الأبيض الى مدينة «نخن» منذ عهد زعامتها القديمة (٤١) .

هذا وتشير رسوم عصر بداية الاسرات ونقوشه الى معبدتين عتيقين لواحد فى الدلتا ، والاخر فى «نخن» (وربما فى نخب) ، ويسمى «بر - ور» بمعنى «البيت الكبير» أو «المعبد الكبير» وظل رمزا اصطلاحيا لمعابد الصعيد ، خلال العصور التاريخية ، ولهذا فقد كان يسمى أحيانا «اترة شمعية» بمعنى «محراب الصعيد» ونسب فى أغلب أحواله الى الربين الصعيدين «ست» و «نخب» (أنخاب) ، كما نسب اليه تاج الصعيد ، واعتاد الفراغة على أن يقيموا بأسمائهم معابد على شاكلته فى ساحات احتفالاتهم بأعيادهم الثلاثينية ، ودلت نصوصهم على أنهم كانوا يتمنون لانفسهم أن يحتفظوا فيه بأعيادهم الاخروية أيضا (٤٢) .

وقد احتفظت «نخن» (البصيلية) منذ بداية عهد الدولة القديمة بزعامتها كعاصمة للاقليم الثالث من أقاليم الصعيد والذى يبدأ من مكان ما الى الشمال من ادفو من ناحية الجنوب ، وحتى بلدة «المعلا» الحالية — وتقع على الشاطئ الشرقى للنيل ، فى منتصف المسافة بين أرمنت واسنا ، وعلى مبعده ٢٠ ميلا جنوبى الاقصر — وكان أهم مدن اقليم نخن هذا — أو الاقليم الثالث — خمسة مدن ، غير مدينة نخن .

---

(٤١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨٠ .

R. Engelbach, Statues of The Soule of Nekhen and The Soule of Pe of The Reign of Amenophis, ASAE, 42, 1943, p. 71-73.

(٤٢) . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨٩ .

C. M. Firth, J. E. Quibell and J. P. Lauer The Step Pyramid, Cairo, 1935, Pl, XL, p. 19; 99.



كانت المدينة الاولى هي مدينة «نخب» ، والتي عرفت عند الاغريق باسم «اليوتو بوليس» ، وعند العرب «أنكاب» وأما اسمها الحالي فهو «الكاب» — وتقع على الضفة الشرقية للنيل ، وعلى مبعدة ١٩ كيلا الى الشمال من ادفو — وهي أحدث بكثير من «نخن» التي كانت تتاهضها الشهرة ، ويبدو أن مركز العاصمة انما كانت تتناقله المدينتان الواحدة تلو الاخرى ، الى أن استقر في عصر البطالة في «اسنا» (٤٣) .

وأما ثمانية المدن ، فهي «بر — خنس» بمعنى «بيت الاله خونسو» وهي «عزبة بخنوس» (بخانس) الحالية ، والتي تقع في «البصيلية» نفسها ، على مبعدة حوالي خمسة كيلو مترات الى الشمال من هرم الكولة وليس في مركز نجع حمادى ، كما رأى المرحوم الدكتور سليم حسن ، ذلك لان نجع حادى انما تقع في الاقليم السابع ، وعاصمته «هو» (ديو سبوليس بارفا) ، على مقربة من مدينة نجع حمادى وليس في الاقليم الثالث ، والذي كانت عاصمته «نخن» .

وأما ثلثة المدن ، فهي «كوم مرة» ، وهي قرية «كومير» الحالية ، على مبعدة ١١ كيلا ، جنوبى اسنا ، وكانت المدينة الرابعة «تا — ست —

---

(٤٣) اسنا : عاصمة آخر مركز بمحافظة قنا من ناحية الجنوب ، وتبعد بحوالى ٥٥ كيلا الى الجنوب من الاقصر ، وقد اشتق اسمها الحالي من اسمها المصرى القديم «تا — سنى» ، وسميت أيام الاغريق «لاتونبوليس» أى مدينة «اللاتوس» وهو نوع من السمك كان يرمز به للالهة «نين» التي كانت تعبد في هذه المدينة ، وكان ذلك السمك مقدسا فيها ، وأهم معبودات المدينة «خنوم» وزوجته «نب — ووت» و «منحيت» . وكانت مدينة هامة في عهد الدولة الحديثة ، حيث شيد ملوكها معبدا تهدم مع الزمن ، وقام بترميمه ملوك الاسرة السادسة والعشرين ، ثم أعيد تشييده في عهد بطليموس السادس ، حيث أصبحت اسنا في عصر البطالة عاصمة اقليم نخن ، بدلا من مدينة نخب ، ومازال هذا المعبد قائما ، وقد أضيف اليه في العصر الرومانى بهو الاعمدة الفخم ، من أيام «كلوديوس» و «فسباسيان» ، وقد نقش على جدران المعبد نصوص دينية هامة ، جعلت لهذا المعبد مكانة خاصة بين الآثار الهامة في مصر ، ويرجع آخر نقش في المعبد الى عهد الامبراطور «ديكيوس» عام ٢٥٠م ولم يتم حفر المعبد حتى الآن ، كما ان جزءا كبيرا من المدينة القديمة ما يزال تحت منازل المدينة الحالية (أحمد فخري : الموسوعة المصرية ١/٩٩) .



ان حولو» وهي قرية «الحلة» الحالية، في مواجهة ابننا عبر النهر تقريبا،  
وأما خامسة المدن فهي «حسفت» (أصفون المطاعنة) ، وتقع غرب  
النيل شمال اسنا •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه في عهد الامبراطورية  
المصرية ، أصبحت سلطات حاكم الذوبية المصري ، والذي كان يلقب «ابن  
الملك في كوش» تتغير من وقت لآخر ، فبينما نراها في أوائل عهد الاسرة  
الثامنة عشر تمتد من «نباتا» (على مقربة من الشلال الرابع) ، وحتى  
«اليفانتين» (جزيرة أسوان) نراها بعد ذلك تمتد حتى «نخن» وذلك  
بسبب الرغبة في جعل مناطق استغلال الذهب في كل من مصر والسودان  
تحت ادارة واحدة<sup>(٤٤)</sup> ، وان ذهب البعض الى أن ذلك انما كان لفترة  
قصيرة<sup>(٤٥)</sup> •

وأيا ما كان الامر ، فلقد عدت مدينة «نخن» — عاصمة الاقليم  
الثالث — وسطا بين أقاليم وادي النيل ، التي تقع تحت السيادة  
المصرية ، كما أصبحت مقر الحاكم المشرف على جنوب وادي النيل ، بعد  
أن كان مقره «أسوان» في عهد الدولة القديمة<sup>(٤٦)</sup> •

وأما اقليم «نخن» ، فقد عبد فيه الاله «حور» وهو الاله الاكبر في مصر  
في بداية العصر التاريخي — وقد كان «حور» اله «نخن» ، ثم أصبح  
الاله الحامي لحكام نخن المنتصرين على الدلتا ، وخلفائهم المباشرين<sup>(٤٧)</sup> ،

---

(٤٤) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم  
ص ١١٧ •

(٤٥) ايتين دريوتون وجاك فاندييه : مصر — ترجمة عباس بيومي  
ص ٥٢٠ •

(٤٦) أحمد بدوي : في مركب الشمس — الجزء الثاني — القاهرة  
١٩٥٠ ص ٣٨٧ — ٣٨٨ •

(٤٧) W. B. Emery, Archaic Egypt, (Penguin Books), 1963, p. 120.

J. E. Quibell, op. cit; I, Pl, II

I. E. S. Edwards, op. cit; p. 51.

وظلت «نخن» — الى جانب ادفو وقوص — أكثر مدن الصعيد تشييعا  
للالة حور ، الامر الذى جر على سكان هذه المدن عداء المتعصبين للالة  
«ست» ، رب الصعيد القديم ، وقد ترتب على ذلك أن أصبح زعماء  
نخن يعرفون بين الناس بلقب «شمسو حور» أى «أتباع حور» ، وقد  
استمسك القوم بهذا اللقب ، وجاهدوا حتى أصبحوا زعماء الصعيد  
من غير منازع (٤٨) .

هذا وقد عبدت فى «نخب» صاحبة نخن الدينية ، الالهة المحلية  
«نخب» ولما امتد سلطان «نخن» على الصعيد كله ، أصبحت نخب  
(نخابة) الالهة الحارسة لمصر العليا كلها ، ولقبت (بنخاء نخن) ، ثم  
اعتبرها ملوك التوحيد راعيتهم وحاميتهم ، ثم سرعان ما أسهمت مع  
الكوبرا ( ادجور ) من ( بوتو ) فى الدلتا فى شرف منح الملك لقبه  
المعروف (٤٩) (لقب السيدتين) ، وهو واحد من ألقاب الملك الفرعون  
الخامسة ، وكانت (نخب) فى عصر التأسيس تصور دائما ببساطة فى  
شكل رخمة ، وفى العصور التالية غالبا ما صورت فى شكل امرأة برأس  
رخمة (٥٠) .

## (٢) ثنى = ابيدوس

قامت (ثنى) — عاصمة الاقليم الثامن من أقاليم الصعيد — فى اقليم  
أطلق المصريون القدامى عليه اسم (قا — ور) بمعنى الارض العظيمة  
أو البلاد الكبير أو الوطن العظيم ، وهو اقليم كان مركزا من المراكز  
الكبيرة للحضارة النقادية القديمة ، هذا وقد احتلت ثنى مكانة عظيمة  
لدى الفراعنة ، وذكرى طيبة ظلت عالقة فى أذهان المصريين حتى  
أخريات عصورهم القديمة .

---

(٤٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٠٨ .  
A. Moret, Le Nile et al Civilization Egyptienne, Paris.  
1926, p. 9.  
Sir Alan Gardiner, Egypt of The Pharoohs, Oxfird. (٤٩)  
1964, p. 402.  
W B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 125. (٥٠)

ولما ابتغى المؤرخ المصري (مانيتو) أن يكتب تاريخ بلاده في القرن الثالث قبل الميلاد ، الذى عاش فيه ، وجد لديه من الروايات ما سمح له بأن ينسب ملوك الأسرة الاولى والثانية اليها ، فسماهم باسم (الملوك الثينيين)<sup>(٥١)</sup> وان كان هذا لا يعنى أننا نوافق على أن (ثنى) انما كانت عاصمة البلاد في عصر التأسيس ، ولعل من الافضل القول بأنها كانت احدى المدن الثلاثة الكبرى (نخن — ثنى — انب جح) ، وليست عاصمة البلاد<sup>(٥٢)</sup> .

وأيا ما كان الامر ، فان آثار (ثنى) قد زالت تماما ، ومن هنا كان اختلاف المؤرخين حول تحديد مكانها على وجه اليقين ، وان كان (هرمان كيس) يذهب الى أنه انما يقع بالتأكد الى الشمال من (أبيدوس)<sup>(٥٣)</sup> (جبانة ثنى) ، وفي مركز جرجا بالذات ، وأن الاختلاف يجب أن يقتصر على التحديد الدقيق للمكان من هذا المركز ، ومن ثم فقد ذهب رأى الى أن (ثنى) انما تقع في مكان قرية (البربا) الحالية ، على مبعدة خمسة كيلو مترات الى الشمال الغربى من جرجا ، غير أن هذا المكان لم يعثر فيه على آثار هامة تؤيد هذا الرأى، كما أنه يبعد نسبيا عن أبيدوس<sup>(٥٤)</sup> .

على أن هناك وجهها آخر للنظر ، يذهب الى أن (ثنى) انما تقع في مكان قرية (الطينة) الحالية<sup>(٥٥)</sup> ، بينما يتجه رأى ثالث الى أنها عند (نجع الدير) — على الشاطئ الشرقى للذيل ، جنوب جرجا ، وعلى

---

(٥١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٤٤٢ .

A. H. Gardiner, Egyptian Grammar, Oxford, 1966, p. 559

(٥٢) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى في عصر رعمسيس الثالث — الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٤١٤ ، جيمس بيكى : المرجع السابق ص ١٥٤ .

(٥٣) تقع أبيدوس على حافة الصحراء الغربية ، عند قرية العرابة المدفونة (عرابة أبيدوس) ، على مبعدة ١٠ كيلا ، الى الغرب من مدينة البلينا ، بمحافظة سوهاج .

(٥٤) H. Kees, Ancient Egypt, London, 1961, p. 231.

(٥٥) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة — القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣١ .



بعد قريب من نجع المشايخ<sup>(٥٦)</sup>، وأما (سير ألن جاردنر) فإنه يميل الى رأى مواطنه الاثرى (سايس) الذى يذهب الى أن «ثنى» انما هى «نجع المشايخ»<sup>(٥٧)</sup> ، جنوب شرقى جرجا عبر النهر ، وعلى أى حال ، فان «ثنى» تقع فى مكان لا يبعد كثيرا عن «جرجا» لان الهها «أنوريس» غالبا ما يدخل فى أسماء أعلام الجهة المجاورة ، وهى نجع الدير ، ونجع المشايخ<sup>(٥٨)</sup> .

هذا وقد احتفظت «أبيدوس» (ابدو — ابجو) — جبانة ثنى — ببقاياها وشهرتها ، أكثر مما احتفظت بها مدينة «ثنى» نفسها، واكتسبت شهرتها منذ — شاد ملوك الاسرة الاولى ، وبعض ملوك الاسرة الثانية مقابرهم وأضرحتهم فيها<sup>(٥٩)</sup> واكتسبت نصيبا من القداسة لوجود معبد «خنثى امنتى» امام الغربيين (أو الغرب ، والغرب هنا هو عالم الموت) على حافة الاراضى الزراعية المؤدية اليها ، وعلى حافة الطرق المؤدية الى مقابر الملوك فيها ، وزادت قدسيتها بعد بداية عصر الاسرات ، منذ أن اعتبرها أهل الدين مقرا لضريح معبودهم «أوزير» ، منذ أن نسبوا اليه قبر الملك «جرجا» من الاسرة الاولى ، ثم تمخفضت قداستها بمرور الاجيال ، حتى اعتبرت فى الدولة القديمة دارا للالحج والزيارة<sup>(٦٠)</sup> .

أما الآلهة التى كانت تعبد فى اقليم «تا — ور» (تا — ور : هو اسم أبيدوس وثنى)<sup>(٦١)</sup> ، فقد دلقتنا قائمة «سنوسرت» على أن أول معبود فيها انما كان «خنثى امنتى» (أول أهل الغرب) ، ثم «أوزير» ،

(٥٦) A. H. Gardiner, Ramesside Textes Relating to The Textion and Transport of Corn, JEA, 27, 1944, p. 48.

Sir Alan H. Gardiner, JEA, 27, 1941, p. 48. (٥٧)

A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, II, Oxford, 1947, p. 38. (٥٨)

Walter B. Emery, Archaic Egypt, (Penguin Books), 1963, p. 54.F. (٥٩)

(٦٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨١ .  
A. H. Gardiner, Onom, II, p. 36. (٦١)



وقد وجد الاثنان معا (٦٢) ، ثم عبد «أنحور» (أنوريس عند الاغريق) (٦٣) ،  
في عهد الدولة الحديثة ، ثم استضافت أبيدوس «حور — مين» (٦٤)  
بعد ذلك .

هذا وقد كانت الالهة «ماتيت» أو «محييت» التي مثلت على هيئة  
إبوة إلهة مدينتي «نخن» و «ثني» ، وقد مثلت في كثير من الاختتام التي  
ترجع الى الاسرة الاولى في شكل إبوة جاتية ، يبرز من ظهرها ثلاثة أو  
أربعة قضبان منثنية (٦٥) أمام مقصورة مصر العليا ، كما يبدو واضحا  
من طبقات أختام طينية في مقبرة الملك «جت» في سقارة ، وكذا المقبرة  
المنسوبة للملكة «مريت — نيت» (٦٦) .

ولعل من أهم آثار أبيدوس ، ذلك المبنى الذي نسب الى الملك  
«نخع سخموى» من الاسرة الثانية ، ويدعى الان «شونة الزبيب» ، وقد  
سور بسورين ، بلغ ارتفاع الواحد منها اثني عشر مترا ، ويتضمن  
السور الداخلى دخلات طويلة عميقة ، تمتد رأسيا بارتفاع الجدران ،  
وبلغت أبعاده ١٠٨ × ٢٢ مترا ، ويوجد على قمة البناء طبقة من البناء  
لا توجد فيها بعض قوالب الاجر ، مما يرجح استخدام هذه الفجوات  
لقذف المحاصرين للسور بالمقذوفات ، كما عثر على بناء آخر ينتمى  
للملك «بر — ايب — سن» يطلق عليه الان اسم «القلعة الوسطى» (٦٧) ،

---

(٦٢) W. B. Emery, op. cit; p. 124-125.

(٦٣) سليم حسن : اقسام مصر الجغرافية ص ٤٨ .

(٦٤) انظر عن الالهين ، حور ، ومين ، وأصلهما العربى المشترك  
(محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ،  
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية — العدد السادس — الرياض  
١٩٧٦ ص ٢٩٩ — ٣٠٧) .

(٦٥) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة — ترجمة عبد المنعم  
أبو بكر ، ومحمد أنور شكرى — القاهرة ١٩٥٢ ص ٤٠ .

W. B. Emery, op. cit., p. 125.

W. B. Emery, Great Tombs of The First Dynasty, (٦٦)  
II, London, 1954, figs, 186-228-230.

(٦٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق : ص ٢٨٢ ، أحمد سليم  
المرجع السابق ص ٢٥٢ .

هذا ويرجح العلماء أن هذين البنائين إنما قد استخدمهما كحصنين ، وليس كاستراتيجتين للملوك أو معابد وادى — ذلك لأن أسوارهما ومداخلهما الحصينة إنما تؤكد استخدامهما للأغراض الجريبية<sup>(٦٨)</sup> .

(٣) انب حج = منف

كانت «انب — حج» ثلاثة المدن الكبرى (نخن — ثنى — انب حج) في عصر بداية الاسرات ، من حيث الزمن ، ولكنها ظلت أوفرها مجدا ، وأبقاها شهرة ، وتعددت الاحتمالات حول ترجمة اسمها ، فهو قد يعنى الجدار الابيض أو الحصن الابيض ، أو السور الابيض أو الاسوار البيضاء .

ولعل سبب وصف البياض هذا ، إنما يرجع الى أن حصن المدينة أو سورها إنما كان مشيدا من قوالب اللبن — شأنه في ذلك شأن غيره من أسوار المدن التي كشفت عن بقاياها ، والمدن التي صورتها صلابات أوائل عصر بداية الاسرات — ثم كساه أصحابه بملاط أبيض ، أما تقليدا للون تاج الصعيد الابيض ، وتمجيذا لأصحابه الذين أتموا وحدة البلاد ، وأما تفاديا للون اللبن القاتم ، ورغبة في اظهار المدينة بلون واضح مشرق ، وقد بقى ظل لطلاء أبيض بالفعل فوق جدران كل من سور مدينة «نخن» وأسوار ثبونة الزبيب والمقلعة الوسطى في أبيدوس .

على أن هناك وجها آخر للنظر ، يذهب الى أن القوم ربما شادوه أولا من الرديم والدبش ، كما فعلوا في تسوير قاعدة المعبد الداخلى لمدينة «نخن» ثم كسوه بعد ذلك بالحجر الجيري الابيض<sup>(٦٩)</sup> .

W. M. F. Petrie, Tombs of The Courtiers Oxyrhynchos, London, 1925, p. 9.

R. El-Nadowry, PASA, 1968, p. 19-17. (٦٨)

(٦٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨٤ .

E. R. Ayrton and Others, Abydos, IIL, London, 1904, p. 2.

H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, London, 1954, p. 81.

هذا وقد سميت «انب جح» «منف» من عبارة «من نفر» بمعنى «المقر الجميل» وقد أخذ هذا الاسم «من نفر» من اسم «هرم ببي الاول» والمدينة التي بناها الملك حوله ، وقد كان يسميان «ببي من نفر» ويوجد على جافة الصحراء في مواجهة قرية سقارة الحديثة ، وإلى الغرب منها بحوالى ثلاثة كيلو مترات ، حيث أسس معبد بتاح ومعابد عظيمة أخرى ، ولم يوجد اسم «من نفر» قبل الأسرة الثامنة على رأى (٧٠) ، وقبل الأسرة السادسة ، على رأى آخر ، ثم حرفه الاغريق الى «ممفيس» ، ثم كتبها العرب «منف» (٧١) .

وتقع أطلال «منف» على الشاطئ الايسر للنيل ، على مبعده ثلاثة كيلو مترات ، ٢٢ كيلا الى الجنوب من القاهرة ، تحت وبجوار قرية «ميت رهينة» بمركز البدرشين ، بمحافظة الجيزة ، وقد اشتق اسم «ميت رهينة» من الكلمة المصرية التى تعنى «طريق الكباش» ، وكان هذا هو الطريق الممتد بين معبد بتاح الذى كان مقاما فى المدينة الى جبانة سقارة التى تقع الى الغرب ، وكان على جانبى الطريق تماثيل الكباش .

وقد عرفت المدينة فى العصور التاريخية بأسماء عدة ، منها «نوت» أى المدينة و «نوت نوح» أى المدينة الابدية ، و «عنخ توى» أى حياة الارضين ، و «حت كابتاح» أى معبد روح بتاح ، وفى الواقع أن اسم «مدينة بتاح» لا يحتاج أيضا الى ايضاح ، ذلك لان «بتاح» كان رب المدينة ومعبودها وحاميها ، اليه يهرع الشعب فى أوقات العسر والشدة ، وإلى ساحته يحج الناس من أقاليم الوادى ، وفى معبده يتوج الملوك ، وباسمه تجرى أمور الدولة وتدير شئونها ، وشبيه هذه التسمية ماهو شائع فى الاقاليم المصرية فى أيامنا هذه (٧٢) .

وينسب بناء المدينة الى الملك «مين» اذ يحدثنا «هيرودوت» (٧٣) أن

(٧٠) A. H. Gardiner, Onom, II, 1947, p. 122-123.

(٧١) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٦٣٣ .

(٧٢) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٦٣٣ .

(٧٣) Herodotus, II, 92.



«ميناء» كان أول ملوك الاسرات ، وأنه قد بنى هذه المدينة ، على أن المؤرخين انما يختلفون في الوقت الذى أصبحت فيه «منف» عاصمة البلاد ، فبينما يذهب البعض أن «ميناء» لم ينتقل اليها من صعيد الوادى بعد انشائها مباشرة ، يذهب البعض الآخر الى أن انتقال المقر المسمى من مكان ما فى الجنوب الى هذا المركز الممتاز عن ناحية الموقع عند رأس الدلتا ، يجب أن ينظر اليه كمناصفة مباشرة لأرساء دعائم المملكة المزدوجة .

وقد ناقش «دورث زيت» الأعمال الهامة التى نسبها «هيروودوت» الى «ميناء» بحير من البراعة ، وهى عبارة عن انشاء جسم ضخم يحمى «منف» من غائلة الفيضان ، وكذلك بناء معبد بتاح الى جنوب الاسوار المحصنة ، ويؤكد هذا الامر لوحة من الاسرة التاسعة عشرة تشير الى «بتاح منيس» هذا الى جانب حقائق أخرى كثيرة لا يمكن احصائها تربط بين مينا ومنف<sup>(٧٤)</sup> ، وعلى أى حال ، فهناك اجماع على أن عاصمة الدولة انما قد نقلت بصفة نهائية الى الشمال فى منف ، على الاقل منذ أيام «زوسر» ثانى ملوك الاسرة الثالثة .

وقد نسب المصريون مدينتهم الجديدة الى معبودها «بتاح» وكان من أرائهم المعبودات التى ظهرت فى هيئة بشرية منذ ما قبل عصر بداية الاسرات ، وظل محتفظا بها حتى نهاية التاريخ المصرى القديم ، كما ظلت عقيدته — وخاصة بين الطبقات المثقفة — قوية ، اذ كانت تسودها الروحانية ، بخلاف العقائد الأخرى التى غلبت عليها المادية ، وربما كان أصل هذا الاله رجلا عبقرى ، طواه النسيان لزمان بعيد ، اذ أنه بخلاف مجموعة الآلهة المصرية لم يأخذ صورة حيوان ، ولم تكن له صلة بواحد من هذه الحيوانات ، وقد مثل فى شكل رجل فى لفاف مومياء ، لا يغطى رأسه قلنسوة ضيقة ملاصقة لعظام الرأس<sup>(٧٥)</sup> .

ZAS, XXX p. 43 F.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 408,

W. B. Emery, Archaic Egypt, 1963, p. 122.

(٧٤)

وكذا

(٧٥)



هذا وقد شاد المقوم معبد بتاح في الناحية الجنوبية المفتوحة من  
الصور ، واعتسادوا أن يلتقبوه منذ ذلك الحين بلقب «الكائن جنوبى  
جداره» (أو جنوبى سور) ، وربما تسادوا الى الجنوب من الباب  
القبلى لمعبده ، بناية صغيرة خصصت للمعبود «حب» أو «حاب» الذى  
رمز اليه بالفحل ، وربما للفحل نفسه ، فيما يظن هرمان كيس<sup>(٧٦)</sup> .

وشارك بتاح شهرته في منطقة «منف» معبود آخر ، هو «سـكر»  
(أو سوكر) الذى صور على هيئة صقر محفف ، وبشكل آدمى برأس  
صقر واعتبر لها لمجانة منف (سقارة) التى سميت باسمه ، وربما كان  
له معبد داخل «انب — جح» نفسها<sup>(٧٧)</sup> .

هذا وقد أضافت نصوص الدولة القديمة ذكر معابد أخرى ، داخل  
منف وخارجها ، يغلب الظن أنها كانت موجودة فعلا منذ عصر بداية  
الاسرات ، وأهمها معبد «نيت» شمال الجدار ، في مقابل معبد بتاح ،  
جنوب الجدار ، ومن ثم فقد لقيت بأنها «الكائنة شمالى جداره» وكذا  
معبد «حاتحور» التى لقيت «سيدة الجميزة القبلية» ، وكان لها معبد  
جنوبى المدينة ، وربما معبد آخر داخل المدينة ، شرق معبد بتاح على  
كوم الكالة الحالية ، ومعبد «سخت»<sup>(٧٨)</sup> التى وصفت بأنها «الكائنة في

---

(٧٦) - عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨٥ .  
H. Kees. Das alte Agypten, p. 88. وكذا

(٧٧) أدواف أرمان : المرجع السابق ص ٣٠ .  
I. E. S. Edwards, op, cit., p. 53. وكذا

(٧٨) سخت : أشهر الالهات اللاتى صورن على هيئة سيدات لهن  
رؤوس لبوات ، وكانت في منف زوجة للاله بتاح ، وأما للاله «نفرتوم»  
وكان مركز عبادتها الرئيسى في منف ، الى جانب مركز آخر في «أوسيم»  
عاصمة الاقاليم الثانى من اقاليم الدلتا ، ولم تلعب «سخت» دورا في  
اللاهوت المصرى القديم ، الا بعد أن ارتبطت بالاله بتاح ، ولعل اسمها  
في اشتقاقه اللغوى من كلمة «سخم» بمعنى «قوى ، شديد البأس» ، يدل  
على مجموعة صفاتها ، فكانت الهة حرب في الدرجة الاولى ، تصاحب  
الملك في غزوانه ، فتنشر الذعر في قلوب الاعداء ، وكانت في بعض  
الاساطير «عين رع» التى فتكت بالبشر عندما خرجوا على طاعة الاله ،  
وهى التى تحمى رع ، وتحمى ايزة ، وهى التى فتكت بأعوان «ست»  
في الصراع بين حور وست ، وهى التى تتغلب على الثعبان أبوفيس، وقد

الوادي الصحراوي» أى فى الحافة الصحراوية الفاصلة بين « انب - جح» وبين جبانته سقارة ، وشبهت بربة أو الهة عبدت فى «تل بسطة» الحالية ، وسميت «الباستية» التى يقوم معبدها فى الجانب الغربى من المدينة (٧٩)

وأما أهمية موقع «منف» فهو فى منتهى الأهمية ، اذ قام بدوره الهام منذ أول التاريخ ، وكان نقطة الارتكاز فى كل محاولة لحكم قطرى الوادى ، بل ان «القاهرة» - العاصمة الحالية لمصر - انما تقع فى حدود هذا الاقليم ، كما أن الاقليم ذو تاريخ حضارى قديم ، فيه قامت حضارات هلوان وطره والمعادي ، ومن هنا كانت أهمية منف فى التاريخ المصرى ، ودورها الهام فى كل العصور الفرعونية أو تكاد ، فقد كانت عاصمة لمصر طوان عهد الدولة القديمة ، كما كانت العاصمة العسكرية لمصر على أيام الدولة الحديثة ، ثم أصبحت مع «بى رعسيس» (٨٠) (قنتير) بالتناوب ، المقر الملكى الرئيسى فى الشمال ، خلال عهد الاسرتين ، التاسعة عشرة والعشرين .

وهكذا ظلت لمنف أهمية سياسية كبيرة طوال التاريخ الفرعونى ولم تبدأ فى التدهور الا بعد دخول المسيحية للبلاد ، وان كان مما لا شك فيه أن قيام الاسكندرية فى عام ٣٣٢ ق.م لتكون عاصمة انما كان عاملا حاسما فى تدهور منف وهبوطها الى المركز الثانى بين مدائن مصر (٨١) ، وعلى أى حال ، فلم يبق من آثار هذه المدينة العظيمة الآن ، الا أطلال بسيطة ، أما جبانة سقارة فى غربها ، فهي زاخرة بالمقابر والاهرامات

قورن بين سخمت وبين عدد من الالهات مثل باستت وبوتو وحاتور ، كما أنها شاركت «ايزة» فى لقبها «عظيمة السحر» ( الموسوعة المصرية ٢٦٨/١ ) .

(٧٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٨٥ .

(٨٠) أنظر عن «بى - رعسيس» عاصمة الرعامسة (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٤٦ - ٦٢) .

(٨١) R. S. Poole, The Cities of Egypt, London, 1882, p. 187.

## الفصل الخامس

### السياسة الخارجية

#### الموقع الجغرافي :

كانت مصر بعزلتها في اطار من صحراوات لا تحد ، ربما تستطيع القوافل الصغيرة أن تخترقها ، ولكنها موانع لا يمكن التغلب عليها ، اذا ما أرادت قوة حربية كبيرة أن تشق طريقها في غيافيها ، وهكذا حبت الطبيعة مصر وسائل طبيعية للدفاع عنها ، ففي الجنوب كانت الشلالات (الجنادل) بمثابة حواجز طبيعية تصد هجـوم الاقوام الساكنة في جنوبها ، كما تصد الصحاري ومياه البحر المتوسط هجمات من يسكنون الى الشمال والى الشرق والغرب منها .

ولئن اتجهنا الى خارج الحدود المصرية لنرى الى أى مدى كان ذلك صحيحا ، وبدأنا من الجنوب ، لرأينا أنه في وسط الطريق بين ادغو والمناحي الضيقة لجبل السلسلة — على مسعدة ٤٢ كيلا الى الجنوب من أسوان — أن شكل الارض يتغير تماما ، فهناك نمر من اقليم الحجر الجيري الذى يشكل الكتلة الضخمة لمصر ، الى اقليم خشن من الحجر الرملى ، يمتد جنوبا الى مسافة ألف ميل من ناحية السودان ، ولا يعوق هذه المرحلة سوى خط قصير قبل الجندل الاول ، وراء الجزيرة الكبيرة المعروفة باسم ((اليفانتين)) (جزيرة أسوان) مباشرة ، ويتكون الجندل من تيارات نهريّة ، بسبب وجود كتل ضخمة من الجرانيت الاحمر أو الاسود تعترض الطريق ، وقد جعلت هذه لمصر الفرعونية حدودها الطبيعية (١) .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 33.

(١)



وأما الرقعة الغربية من مصر ، فتكاد أن تكون صحراء تماما ، ولكن علينا أن نقدر مدى الجفاف الذى حل بها خلال الخمسة آلاف عام الماضية ، فقد كان هناك على طول البحر الأبيض المتوسط اقليم مأهول بالسكان ، تشغل جانبا منه المراعى ، وتشغل جانبا آخر منه أرض صالحة للزراعة<sup>(٢)</sup> ، وعلى أى حال ، فإن مصر لم تتعرض لخطر جسيمة من هذه الجهة إلا على أيام الاسرتين ، التاسعة عشرة والعشرين ، بسبب هجمات «شعوب البحر» وقد كتب لمصر نجحا بعيد المدى فى القضاء على هؤلاء الغزاة ، على حدود الدلتا الغربية<sup>(٣)</sup> .

أما من ناحية البحر الأبيض المتوسط ، الذى يكون الحد الشمالى لمصر ، فليس هناك من كثير يقال ، سوى أن البلاد قد أصبحت مكشوفة من هذه الناحية ، وذلك حين أصبح مغامرون من أبناء البحر أكثر جرأة ، ولا بد أن الاتصال بكريت كان قائما منذ زمن بعيد ، ذلك لان الثقافة المينوية تقدم دلائل قوية على التأثير المصرى ، أما الاتصال البحرى المباشر من هذه الناحية ، فليس لدينا عليه من دليل مؤكد<sup>(٤)</sup> ، وان كنا نعرف أن أول هجوم بحرئ تعرضت له مصر ، كان فى العام الثامن من عهد «رعمسيس الثالث» (حوالى عام ١١٧٤ ق.م) ، وقد كتب لها نجحا بعيد المدى فى القضاء عليه<sup>(٥)</sup> .

### المينويون

أما من ناحية الشرق ، فقد كانت مصر مكشوفة ، وعرضة للهجوم ، وان كان ذلك فى بقعة محددة بالذات ، كان الطريق من وإلى فلسطين ، يمر بشمال شبه جزيرة سيناء مسيرة قرابة تسعين ميلا (من القنطرة إلى العريش) على أرض شاسعة رملية محرومة من الماء ، ولكن هذه

(٢) Ibid., p. 43-45.

(٣) انظر عن «شعوب البحر» (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١١٥، ١٢٨، ١٩٨ - ٢١٨) .

(٤) A. H. Gardiner, op. cit; p. 46.

(٥) انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٢٥-٢٣٤ .



المسافة لم تكن كافية لتعوق أولئك الذين تشدهم الحاجة ، أو الطمع ،  
الى خيرات مصر .

ولقد سارت في الطريق نفسه ، أن عن طريق «بلوزيوم» على مقربة  
من البحر ، جيوش «أسرحدون» و «قمبيز» و «الأسكندر» الغازية ،  
كما سار في عكس الاتجاه العديد من فراعين مصر نفسها — أمثال أحمس  
وتحوتمس ورعمسيس<sup>(٦)</sup> — وهناك اشارات عن مدى الخطر الذي يتهدد  
مصر من هذه الناحية ، يتردد حوالى عام ١٩٧٠ ق.م ، في الحديث عن  
«أسوار الحاكم» التي شيدت لترد «الستيو» ولتقضى على «المتنقلين  
فوق الرمال»<sup>(٧)</sup> .

وأما بعيدا الى الجنوب ، فقد كانت مصر آمنة تماما ضد أية فرصة  
للعديوان ، ذلك لان خليج السويس ومن ورائه البحر الاحمر ، انما كانا  
بمثابة خط دفاع ، بل انها أكثر من ذلك ، كانت تفصلهما عن طريق النيل  
قنن من الجبال ، ترتفع أحيانا الى أربعة آلاف قدم ، ولم يكن يعيش  
في هذه الناحية قوم لهم من القوة ما يكفى لشق طريقهم الى مصر<sup>(٨)</sup> .

ومجمل القول أن مصر في عصورها الفرعونية ، يسرت لها الطبيعة  
عزلة ناعمة كأية دولة أخرى ، ترزق حسن الطالع ، حتى تستطيع أن  
تطور ثقافتها الفردية العالية ، ولم تقل هذه الظروف السعيدة من  
فكرتها الطيبة عن ذاتها ، فقد كان المصريون يعدون أنفسهم «الرجال»  
الحقيقيين وحدهم ، والشعب الوحيد حقا الذي يستطيع أن يحمل عن  
جداره اسم «رومي»<sup>(٩)</sup> .

(٦) A. H. Gardiner, The Ancient Military Road between Egypt and Palestine, JEA, 6, 1920, p. 99.

(٧) A. H. Gardiner, The Prophecy of Neferti. JEA, I, 1914. p. 105.

(٨) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 36-37.

(٩) كلمة «بيروميس» أى «رومي» مسبوقة بأداة التعريف أوردها  
هيرودوت بمعنى يقارب كلمة «جنتلمان» اليوم .

(Gardiner, op. cit: p. 37) (Herodotus, II, 143).

ومن الطبيعي أنها كانت تزدرى جيرانها الاقربين ، الذين كانت تطلق على رؤسائهم لقب «(وغد)»<sup>(١٠)</sup> ذلك لان القوم انما كانوا يعتقدون أنهم وحدهم المتمدينون ، أما الاجانب فلا ، كما كانوا يعتقدون أن لبلادهم مكانة ليست لغيرها من البلاد .

وأيا ما كان الامر ، فلقد حبت القدرة الالهية مصر عوامل طبيعية ، جعلت أمر الدفاع عنها — في عصورها المبكرة — لا يتطلب منها طول نضال أو جهد ، ولعل هذا هو السبب في أنها لم تشترك في حرب طويلة — قبل أيام الهكسوس — تصرفها الى الاهتمام بالسياسة الخارجية ، وان كان هذا لا يعنى — في الوقت نفسه — أنها لم تجرد حملة ، أو أن قتالا لم يقع عند حدودها ، اذ أن ذلك قد حدث ، وانما يعنى أن ذلك لم يكلفها أكثر من غزوة ، أو عدة حملات ، لتأديب تلك القبائل الخائنة أو المرتحلة حول الحدود ، وهو أمر كان في مقدور أية حكومة مصرية أن تعالجه كاحدى معضلات الأمن العادية ، فلم يكن هناك أى تحد لمصر في داخل حدودها ، بل انه حتى ذلك الحين ، كان تفوق مصر الحضارى على جيرانها كبيرا ، ومن ثم فلم تكن في حاجة الى غزو ، وانما كان يكفيها اتخاذ بعض اجراءات لحماية مصالحها ، ولا يتطلب الامر أكثر من ذلك ليستمر وصول التجارة اليها .

وهكذا كانت مصر — حتى ذلك الحين — مضطجعة في هدوء على طول مجرى النيل، واثقة من أن الآلهة انما جعلتها أعظم من غيرها من بلاد الدنيا ، وسيدة — دون منازع — لكل مكان تصل اليه<sup>(١١)</sup> .

وهكذا كانت مصر — في أوائل أيامها — بلدا آمنا لا يهدده خطر الغزو ، ومن هنا لم يكن ضروريا للمصريين أن يحتفظوا بقوة حربية كبيرة بصفة مستمرة ، لتصد ما عساه أن يحدث من هجوم ، فقد كانوا

---

A. H. Gardiner, op. cit; p. 37.

(١٠)

J. A. Wilson, The Cultures of Ancient, Egypt p. 154.

(١١)

وانظر : نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٠ (الاسكندرية

١٩٦٦) .

يستطيعون أن يروا أى خطر محتمل من مسافة بعيدة ، فضلا عن أنه كان شيئا بعيد الاحتمال أن يتمكن أى شخص مهاجم ومعه قوة كبيرة من أن يصل الى مصر نفسها (١٢) .

ولنحاول الآن أن نتتبع سياسة مصر نحو حدودها الشرقية والغربية والجنوبية في عصر التأسيس :

#### (١) في الشمال والشمال الشرقي

كان من الواجبات الملقاة على عاتق ملوك عصر التأسيس أن يكفلوا حماية القوافل ، وبعثات المناجم والمحاجر ، والتي تجوس خلال صحراوات سيناء ، وقد ذكرت قطعة القاهرة لاجر « بالرمو » إشارة الى ما حدث في عهد الملك «جر» - ثانى ملوك الاسرة الاولى - من «ضرب ستية» وهو اصطلاح جغرافى علينا أن نشير اليه بأنه يقابل آسيا تقريبا (١٣) ، ونحن نطالع في عهد ملك متأخر (ربما عدج - ايب) اشارات عن «ضرب الايونيتو» وهو اصطلاح مبهم كذلك ، قد يشير الى الشعوب القاطنة في شمال شرق الدلتا ، وربما كان بمعنى «أصحاب العمد» وهم من بدو الصحراء الشرقية وسيناء، وربما ماورائها أيضا (١٤) ، وقد أطلق عليهم «سترابو» «سكان الكهوف» ، والذين كانوا يعيشون على النهب والسلب ، أو التجارة في قوافل تقطع صحراء العرب (١٥) .

وهناك لوحة رائعة تمثل الملك «دن» (وديمو) يقوم بذبح اسدوى يسكن في الصحراء الرملية هي «سيناء» ، وليس بالنصوص الهيرغليفية

J. A. Wilson, op. cit; p. 13. (١٢)

A. H. Gardiner, op. cit; p. 414. (١٣)

(١٤) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم - الجزء الاول - القاهرة ١٩٦٧ ص ٨٩ .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, وكذا 1964, p. 414.

(١٥) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ١٤٢ .



بها أية صعوبة في الترجمة ، فقرأتها واضحة ، وتعنى «أول مرة لضرب الشرقيين» (١٦) .

ويبدو أن «جبيل» — وتقع على مبعدة \* ؛ كيلا شمالى بيروت — كانت على اتصال تجارى بمصر السفلى منذ عصر ما قبل الاسرات ، حيث وجدت جسور من جذوع الارز ، يعود تاريخها الى ما قبل الاسرة الاولى (عهد البدارى) مما يدل على أن الخشب انما كان يستورد من لبنان منذ ذلك العهد السحيق (١٧) ، هذا فضلا عن أنه قد عثر فى «جبيل» (بيدوس) على بعض اللوحات الحجرية المرمية المصرية ، وبعض التماثيل الحيوانية الصغيرة التى ترجع الى عصور ما قبل الاسرات (١٨) .

وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى أن المصريين قد استوردوا من فينيقيا أخشاب الارز والصنوبر التى استخدمت فى مقابر الملوك فى أيدوس ، وفى صناعة السفن الكبيرة — ربما من عهد عما — فضلا عن استيراد الزيوت والخمور فى أوان فخارية من جنوب سورية .

وقد ذهب البعض الى أن هذه الواردات انما كانت بمثابة جزى ، قدمتها المناطق الخاضعة لمصر فى سورية وفلسطين ، بل ان هناك من يذهب الى أن مصر انما كانت لها حصون وعمليات دفاعية فى غربى آسيا منذ أيام الملك «نعرمر» — مؤسس الاسرة الاولى — وخلفائه من أمثال «جر» و «دن» و «تعا» اعتمادا على صورة حصن نقشت على صلاية «نعرمر» ، وعلى شقة فخار مصرى تحمل اسم «نعرمر» فى «تل الشيخ»

(١٦) A. H. Gardiner, op. cit., p. 415.

(١٧) فيليب حتى : تاريخ لبنان ص ٨٥ .

G. Brunton and Caton Thompson, The Bodarian Civilization, London, 1928 p. 627. وكذا

S. R. K. Glanville, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, p. 6. وكذا

(١٨) رشيد الناضورى : أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان — الاسكندرية ١٩٦٨ ص ٥ .

Pierre Montet, Byblos et L'Egypte, Paris, 1928, Nos., 118; 187, 358, 359. وكذا



جنوب فلسطين ، وعلى ذكر اسم حصن يدعى «باب عن» ، وآخر يدعى «وننه» في جنوب فلسطين ، على آثار العصر نفسه ، والامر بهذه الصورة غير مؤكد تماما ، الا أن هناك في نقوش الملوك ، وفي حوليات «حجر بالرمو» ما يشير الى ذلك (١٩) .

هذا وقد عثر في أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد على نسبة كبيرة من التماثيل الحيوانية المصرية وبعض الاواني الحجرية في بيلوس ، ومن أهمها قطعة حجرية مصرية تحمل سرخ ملكي ينتمي الى الأسرة الثانية المصرية ، واسم الملك «نخ سخموى» آخر ملوكها (٢٠) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى تلك الصلات التي كانت بين مصر وجنوب العراق فيما قبل عصر التأسيس وأثنائه ، اذ يشير كثير من الباحثين الى وجود صلات تجارية وحضارية بين البلدين ، اعتمادا على مجموعة الاواني الفخارية ذات الصنابير المائلة ، فضلا عن ذات الأذان المثلثة في المستجدة والبداري ، والتي تنتمي الى حضارة جمدة نصر ، هذا الى جانب الاختتام الأسطوانية الأربعة التي عثر عليها في جرزة ونجع الدير ، والتي تنتمي الى حضارتى الوركاء وجمدة نصر في العراق القديم (٢١) .

هذا الى أن الاسطوانة المحفورة التي وجدت في مصر والعراق وعيلام والاناخول عند بداية التاريخ ، انما تشير مادتها الى صنعت منها — فضلا عن الاشكال التي نقشت عليها — الى أنها انما صنعت

(١٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٨٩ .

وكذا H. Kantor, in JNES, 2, 1942, p. 174 F, 201 F.

وكذا W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of The First Dynasty,

I, London, 1900, p. 16-18, 3, II; 1901; p. 30.

وكذا Y. Yadin, in Israel Exploration Journal, 1955, p. 1-16

(٢٠) رشيد الناضوري : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا — الكتاب

الاول — بيروت ١٩٦٨ ص ٢١٠ — ٢١١ .

I. E. S. Edwards, CAH, I, Part, 2, 1971; p. 42-43.

H. Frankfort, op. cit, p. 101.

وكذا

— فيما يرى البعض في بلاد النهرين (٢٢) ، وان استخدمت في مصر في أغراض تختلف عن تلك التي استخدمت فيها في العراق القديم ، اذ استخدمها المصريون في كتابة بعض أسماء الملوك — فضلا عن أسماء الموظفين وألقابهم — بينما كانت الأسطوانة العراقية تحمل رسوما لا نقوشا ، هذا إلى أن الاختتام المصرية انما كانت تصنع من الخشب ، وهو المادة التي لم يستعملها العراقيون القدامى (٢٣) .

وهناك تشابه فني بين مصر والعراق ظهر على الآثار من تلك الفترة المبكرة ، اذ ظهرت في مصر أشكال وعناصر زخرفية ، ظهرت لها مثيلات في العراق ، وكانت من سمات الفن هناك واستمرت طوال العصور القديمة ، ولكنها اختلفت هنا في مصر بعد الاسيرة الاولى ، ومن هذه الأساليب الفنية ما نجده محفورا على يد سكين عثر عليها في جبل العركي على مقربة من نجع حمادي ، ويظهر فيها رجل يفصل بين أسدين . ومثل هذا المنظر مألوف في العراق ، ولكنه نادر في الآثار المصرية ، ويبدو من رداء وهيئة الشخص الذي يفصل بين أسدين أنه سومري ، ولا يدع ذلك مجالا للشك في أصلها العراقي .

ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح الى أنه ان صح أن صورة هذا الشخص تشبه صور العراقيين أو الساميين الاوائل ، فلا بأس من افتراض أن الفنان المصري قد استوحاها من أثر عراقي وصل اليه عن طريق التجارة غير المباشرة ، ثم قلدها على مقبض سكين جبل العركي هذه (٢٤) .

وهناك سمة أخرى من سمات الفن العراقي تظهر على لوحة نعمر الاردوازية ، وهي نقش أسدين أو نمرين استطالت أعناقهما ، والتفت

H. Frankfort, op. cit, p. 101.

(٢٢)

I. E. S. Edwards, op. cit, p. 43.

وكذا

H. Frankfort, op. cit, p. 101.

(٢٣)

(٢٤) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها — الجزء

الاول — ص ١٨٩ .



حول بعضهما ، الامر الذى يتطابق الى حد كبير مع أختام وطبعات  
أختام اكتشفت في «أورك» ، كما يتطابق كذلك مع ختم اسطوانى من  
متحف اللوفر من نفس العصر ، وفي كل من لوحة نعرمر والأختام كانت  
رقاب الوحوش متشابكة، وهو الشكل الذى تقرر في الفن العراقى كما  
ظهرت الشعبان الملتفة الرقاب على أيدي ثلاثة سكاكين، ترجع الى عصر  
ما قبل الاسرات في مصر ، كما أن ترتيب هذه الوحوش والشعبان هو  
نفس نموذج الانتاج العراقى<sup>(٢٥)</sup> .

### سماحية العمارة

وهناك كذلك ظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة ، حيث استعمل  
الطوب اللبن كزخارف ذات بروز وانخفاض (Panelling) ، وهى طريقة  
في البناء يمكن تتبع أصلها وتطوره في العراق ، ولكنها وصلت الى مصر  
في أواخر عصر ما قبل الاسرات ، وهى كاملة التطور<sup>(٢٦)</sup> ، كما في مقبرة  
(نيت حتب) في نقادة .

غير أن الاجزاء العليا من مقابر عصر ما قبل الاسرات ، لم يبق منها  
شئ على الاطلاق بحيث يمكن أن نستدل منها عما اذا كانت قريبة من  
نظام المشكاوات أو بعيدة عنها ، هذا فضلا عن أن مقبرة نقادة ربما  
كانت تطورا لمقابر عصور ما قبل الاسرات في الدلتا ، بخاصة وأنها انما  
قد بنيت من أجل ملكة الشمال (نيت حتب) ثم تبنت مصر هذا النموذج  
بعد التوحيد ، هذا الى جانب أن الفكرة المعمارية للمشكاوات في مصر  
والعراق ، رغم تشابهها ، الا أنها قد اختلفت في طريقة التنفيذ وفي  
الاعراض التى استخدمت من أجلها في كلا البلدين ، فقد بنى المصريون  
السطوح الداخلية لمشكاواتهم على مستويات كثيرة متعاقبة لم تظهر في  
مشكاوات العراق ، كما أنهم قد استخدموها في واجهات القصور

J. A. Wilson, op. cit, p. 37.

(٢٥)

I. E. S. Edwards, op. cit, p. 41.

وكذا

H. Frankfort, The Origin of The Monumental in  
Egypt, AJSL, LVIII, 1941, p. 329-358.

وكذا

J. A. Wilson, op. cit, p. 37.

(٢٦)

والاسوار والمصاطب ، بينما استخدمها العراقيون في معابد الآلهة  
فحسب (٢٧) .

وأما الطريقة التي تم الاتصال بها بين مصر والعراق ، فهي ما تزال  
موضع خلاف بين الباحثين ، فربما تم الاتصال عن طريق البحر الأحمر .  
ثم طريق وادي الحمامات (طريق القصير - قفط) ، وربما عن طريق  
وادي طميلات ، الذي يصل جنوب شرق الدلتا بالبحر الأحمر ، وربما  
تم الاتصال عن طريق أحد موانئ البحر الأحمر ، كالتويس أو  
القصير (٢٨) ، وأما الطريق الآخر فربما كان عن طريق سورية ، خلال  
الهلال الخصيب (٢٩) ، بل ربما تم الاتصال في المناطق التي يجلب منها  
البخور في جنوب الجزيرة العربية أو الشاطئ الصومالي (٣٠) .

## (٢) في الجنوب

هناك من يتجه الى أن المصريين - في عصور مغلطة في القدم ، ربما  
نرجع الي ما قبل الاسرات بكثير - وكذا الجزء الرئيسي من هؤلاء الذين  
يقطنون النوبة السفلى ، والذين يسمونه بالمجموعة (أ) (A. Group) ،  
ربما كانوا ينتسبون جنسيا الى نفس مجموعة الاقوام الحامية (٣١) ،  
وأما أنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة ، فذلك أمر لا نستطيع أن نتحقق  
منه ، مادامنا لا نملك وثائق مكتوبة ، تثبت ذلك الأمر ، أو تنفيه (٣٢) .

وربما كانت الحدود بين مصر والنوبة تقع - بادية ذي بدء - في

- (٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٦٦ .  
(٢٨) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 41.  
(٢٩) R. Engelbach, The Advent of The Dynastic Race, ASAE, XLII, 1943, p. 208.  
(٣٠) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951, p. 110-11.  
(٣١) G. E. Smith and F. W. Jones, The Archaeological Survey of Nubia, II, Report on The Human Remains, Cairo, 1910, p 15-36.  
(٣٢) I. E. S. Edwards, The Early Dynastic Period in Egypt. CAH, I, Part, 2, 1971, p. 50.



مكان ما في مجاورات جبل السلسلة ، ولعل هذا هو السبب في أن المصريين انما كانوا يطلقون على المنطقة التي تقع الى الجنوب من الشلال الاول - بالمقارنة بأول أقاليم مصر العليا في القوائم الملكية - «أرض النوبيين» وربما ما جاء على آثار «عديا» من أنه قد ضرب «أرض النوبيين» ، انما يعنى أنه قد مد حدود مصر الجنوبية فيما وراء جبل السلسلة، أكثر مما يعنى أنه قام بحملة حربية في النوبة السفلى (٣٣)، وان كان من الأرجح أن حدود مصر كانت حتى «آبو» (اليفانتين) منذ أيام «ميناء» مؤسس الأسرة الاولى (٣٤) .

وفي عام ١٩٤٩م عشر على منظر المعركة المحفورة على صخور جبل الشيخ سليمان ، على مقربة من بوهن ، أمام وادى حلفا ( ٣٤٠ كيلا جنوبى أسوان ) ، وفيها يسجل الملك «جر» - ثانى ملوك الأسرة الاولى - انتصاره على النوبيين (٣٥) . ويرمز النقش الى النوبة السفلى برسم قوس ، ولعل أقدم اسم للنوبة في النصوص المصرية ، انما هو «أرض التوس» (تا - زيتى = Ta - Zeti ) وهناك الكثير من الشواهد التي تربط بين القوس والنوبة السفلى ، فضلا عن مهارة النوبيين في استعمال القوس والسهم (٣٦) .

وعلى أى حال ، فاعل الملك «جر» يعد - طبقا لهذا النقش - الفاتح الفعلى للنوبة السفلى ، كما يعد ذلك كذلك دليلا على اهتمام ملوك الأسرة الاولى بتأمين حدود مصر الجنوبية ، وعلى وصولهم الى

T. Save - Soderbergh, Agypten und Nubie, Lund, 1941, (٣٣)

p. 7.

H. goedicke, ZAS 81, 1956, p. 24. وكذا

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 50. (٣٤)

A. J. Arkell, Varia Sudanica. JEA, 36, 1950, p. 27-30. (٢٥)

J. E. Quibell and F. W. Green, Hierakonpolis, II. (٣٦)

London, 1902, Pl. LVIII, p. 47-48.

A. J. Arkell, A History of The Sudan from Earliest وكذا

Times to 1821, Lonpon, 1961, p. 40 F.

منطقة السلال الثانى بغية تأمين التجارة مع السودان<sup>(٣٧)</sup> ، واستغلال  
مناجم الذهب عند وادى حلفا ، وقيام جيوشهم بحماية واستغلال  
هذا الذهب .

وفى عهد الاسرة الثانية ، نرى الملك : (نخع سخم) فى نقش له من  
«هيراقلو نبوليس» (نخن = البصيلية)<sup>(٣٨)</sup> لا يترك لنا شكاً فى أن  
النوبيين قد قاموا هذه نفس معاملة المتمردين فى الدلتا ، ولعل السبب  
فى ذلك أنه إنما أراد أن ينقى أى هجوم من الخلف يقوم به النوبيون  
ضده ، فى وقت يكون فيه مشغولاً بالحروب ضد مصر الوسطى والدلتا ،  
ومن ثم فقد قام بحملته ضد النوبة ، قبل أن يبدأ الحرب ضد الشمال ،  
ثم سادت العلاقات الودية بعد ذلك بين الفريقين ، وكانت تجارية فى  
الدرجة الاولى ، فكان النوبيون يأتون معهم بالابنوس والعاج ، ويحملون  
معهم أثناء عودتهم الاوانى الحجرية والفخارية التى صنعت فى مصر<sup>(٣٩)</sup> .

### (٣) فى الغرب

لعل أقدم اشارة الى الليبيين فى الآثار المصرية ، ما جاء على لوحة  
الملك «المقرب» — أو لوحة تيجنو — حيث ظهر فى أحد وجهى اللوحة  
من أسفل ، أشجار يفترض : «نيوبرى»<sup>(٤٠)</sup> أنها أشجار الزيتون ، وأن  
عارضه فى ذلك : «كيمر»<sup>(٤١)</sup> والى جانب الأشجار فقد ميز «زيتة» العلامة  
الهيروغليفيه الدالة على بلاد تيجنو ، وهى أرض الليبيين المعروفين  
باسم «جحنيو» (تجنيو) وليس الامر فى حاجة الى كثير من البراعة  
للقول بأن المثلية عبارة عن غنيمة ، وأن الأشجار يستخرج منها زيت

- |  |      |
|--|------|
| A. J. Arkell, JEA, 36, 1950, p. 27 F.  | (٣٧) |
| I. E. S. Edwards, op. cit., p. 50.   | وكذا |
| B. Grdseloff, ASAE, 44, 1945, p. 300.  | (٣٨) |
| J. E. Quibell and F. W. Green, op. cit., Pls, LVII   | وكذا |
| I. E. S. Edwards, The Early Dynastic Period in Egypt, CAH, I, Part, 2. Oxford, 1971, p. 50-51. | (٣٩) |
| P. E. Newberry, The Tehenu-Olive Land, in Ancient Egypt, 1915, p. 97-98.                       | (٤٠) |
| L. Keimer; BIFAO, 1931, p. 121 F.  | (٤١) |

جيجنو (تحنو) ، الذى له قيمة كبيرة (٤٢) .

وهناك لوحة أخرى يظهر فيها الملك فى شكل «ثور قوى» يطعن حتى الموت رجلا مستلقيا من ذلك الطراز الذى يطلق عليه «ليبيى» ، وأما هدف اللوحة فقد كان تسجيل المذبحة أو القبض على مصريين من الدلتا أو أعداء لبيبين على يد زعيم من الصعيد على رأس حلف من بضعة أقاليم (٤٣) ، وهناك من يرى أن لوحة نعرمر انما تشير الى انتصاره على الليبيين ، كما تشير الى انتصاره على الدلتا ، وهكذا تسجل الآثار المصرية من عهد ما قبل الأسرات انتصار المصريين على التحنو (٤٤) .

ويبدو أن الأمر جد مختلف فى الاسرة الثانية ، ذلك أن هناك من يذهب الى أن الليبيين انما قد هاجموا أرض الدلتا واحتلوها عنوة ، وأنفصلوا بها عن الصعيد وأن ذلك كان على أيام «ننى نشر» فلما أعقبه «نبر - ايب - سن» لم يهزم غير الصعيد وحده ، ولكنه اعترى الكفاح (٤٥) .

وهناك كثير من الاحتمال ، لما يفترضه «جرد سلوف» (٤٦) من الملك «سخم ايب ان ماعه» هو فى الواقع «نبر - ايب - سن» قبل أن يتخلى عن ارتباطه بالاله «حور» ليصبح المتعبد المتحمس للمعبود «ست» باعتباراه من أرباب الحروب ، وان احتفظ لنفسه بلقب «نيسو - بتى» ولقب «نبتى» ، أى أنه مايزال محتفظا بانتسابه الى كل من الصعيد

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 394. (٤٢)

Sir Alan H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, I, Oxford, 1947, p. 116-117. وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 396. (٤٣)

(٤٤) انظر عن «التحنو» (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٧-١٤٥ .

(٤٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٨٠ .

A. H. Gardiner, op. cit., p. 417. (٤٦)

B. Grdseloff, ASAE, XLIV, 1945, p. 295. وكذا



والدلتا ، والى معبوديتهما في نفس الوقت (٤٧) ، فضلا عن أنه — رغم  
إعلانه الكفاح — لم يكتب له النجاح في مسعاه .

وهكذا يبدو أن هناك الرأيا من الاضطرابات الشديدة نشأت من  
وراء هذه الحركات الثورية ، ولكن من المستحيل أن نشخص طبيعتها ،  
ولقد كان «حور» يرتبط بخاتمة في الماضي بالدلتا ، حينما كانت عبادة  
«ست» محلية في «أمبروس» على مقربة من نقادة ، ويرى بعض العلماء  
أن كهنة الآله «ست» شعروا أن نفوذهم القديم بدأ يتضاءل ، بخاتمة  
وأن الملوك بدأوا ينتسبون الى الآله «حور» ويهتمون بالعاصمة الشمالية  
«منف» ، وربما كذلك أخذوا يتأثرون بثقافة أهل الشمال ويظهرون  
الاهتمام بمعبوداتهم .

وهنا بدأ كهنة الآله ست يخشون على نفوذهم القديم ، فبذروا بذور  
الفتنة ، وأشعلوا نيران الثورة ضد الاتجاهات الجديدة ، مما جعل  
«بر — ايوب — سن» يحدف رمز «حور» ويضع رمز «ست» في مكانه ،  
أي أنه أعلنها حريجة بأنه ينتمي الى الآله ست ، وليس الى الآله  
«حور» (٤٨) .

ومع ذلك فمن المستحيل — فيما يرى سير ألن جاردنر (٤٩) — أن  
نترجم الاحداث ، وكأننا هي صراع بين القطريين (الصعيد والدلتا) كان  
من أثره أن اكتفى «بر — ايوب — سن» بأن يصبح حكمه مقصورا على  
الصعيد ، فلو أنه كان هناك مثل هذا الصراع بين الصعيد والدلتا ، ألم  
يكن في مقدور «بر ايوب سن» أن يؤكد زعمه بأنه تجسيد لحور  
الأكثر قوة ؟

وأيا ما كان الامر ، فلتد جاء بعد «بر ايوب سن» على عرش الكنانة

(٤٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٨١ .  
وكذا W. M. F. Petrie, op. cit., IV, p. 7, XXII, p. 190,  
XXIX, p. 97.

(٤٨) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ص ٨٨ .  
(٤٩) A. H. Gardiner, op. cit., p. 417.



الملك «خع سخم» واقتصر آثاره على «نخن» (البصيلية) ، ولم يجد  
بأسا من أن يعترف بالامر الواقع في بداية حكمه ، فظهر في تماثيله بتاج  
الصعيد وحده ، وصور الاله «حور» بتاج الصعيد تارة ، وبلقب «حور  
السما» تارة أخرى (٥٠) .

وهناك لوحة مكسورة للملك «خع سخم» عشر عليها في نخن (٥١) تشير  
بوضوح الى أن ذلك الصراع انما كان مع عدو ليبي ، ذلك لان اللوحة  
تكشف عن ماهية هؤلاء الاعداء ، اذ أن هناك رأسا ملتحميا (فوق ريشة)  
تتصل بما يشبه الدعامة البيضاء التي شهدناها في لوحة نعرمر ، وهي  
تشير في وضوح الى الاعداء الليبيين .

وهناك تمثالان جالسان للملك نفسه من «نخن» (البصيلية) كذلك،  
الواحد من الحجر الجيري بمتحف كسفورد ، والثاني من الاردواز  
بمتحف القاهرة ، وتزين قواعد التمثالين زخارف من صور محفورة لاعداء  
مذبوحين في كل مظهر يمكن تصوره ، مما يمثل الالم والعذاب ، وتعد  
قدم احصاء بعددهم البالغ ٤٧٢٠٩ من اعداد التمثالين . بينما يقدم  
التمثال الاخر احصاء بعددهم البالغ ٤٨٢٠٥ أسيرا (٥٢) .

وهكذا يمكننا القول أن «خع سخم» ما أن استقر في «نخن»  
( البصيلية ) حتى بدأ يعد المدة لاعادة الوحدة القومية للبلاد — كما  
فعل سلفه البعيد مينا — ومن ثم فقد هاجم أرض الدلتا وقاتل الليبيين  
المسيطرين عليها قتالا عنيفا ، حتى انتصر عليهم في نهاية عهده ، وعندما  
أراد رجاله أن يعبروا عن انتصاره هذا ، أشاروا الى الدلتا باعتبارها

- (٥٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٨١ .  
J. E. Quibell, Hierakonopolis, I, London, 1900, Pl. LVIII, p. 48. وكذا  
J. E. Quibell, and F. W. Green, Hierakonopolis, II, (٥١)  
London, 1902, pl. 58.  
J. E. Quibell, op. cit., Pls. 39-40. (٥٢)  
A. H. Gardiner, op. cit., p. 418. وكذا

الأرض التي كان المليونيين يحتلون بها ، وليس باعتبارها وطنهم الأصلي ،  
أو أرض الخصوم الفعليين (٥٣) .

وجاء بعد ذلك آخر ملوك الأسرة الثانية ((خع سخموى)) (نب وى  
حوتب إيم اف) (٥٤) ، وترجمة التركيب كله ((أضاعت القوتان ، السيدان  
على سلام فيه)) وبمعنى آخر أن الملك ((خع سخموى)) يجسد في ذاته  
الآن الآلهين اللذين كانت العداوة قائمة بينهما عن طريق انكار ((بر اي  
سن)) لسلفه التراشي في سبيل العدو اللدود لذلك المعبود (٥٥) .

ولعل هذا فيما أظن — وليس كل الظن اثما — إشارة الى أن النزاع  
في عهد سلفيه ، إنما كان نزاعا داخليا ، وليس نزاعا خارجيا ، وبمعنى  
آخر ، نزاعا بين الصييد والدلتا ، أو بين الآله ست والآله حور ، وليس  
نزاعا بين مصر وجيرانها الغربيين ، وعلى أى حال ، فليستنا نستطيع أن  
نقدم شيئا محددا أبعد من ذلك عن أحداث تلك الفترة المضطربة .

(٥٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٨١ .  
W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of The Earliest  
(٥٤) Dynasties, II, London, 1901, Pl. 23, p. 191-200.  
Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٥٥)  
1964, p. 417.

# الباب الثانى

## الدولة القديمة

٢٧٠٠ - ٢٢٨٠ ق م

ويتكون من :

- ١ - الفصل الاول : السياسة الداخلية
- ٢ - الفصل الثانى : قصة السخرة فى بناء الاهرامات
- ٣ - الفصل الثالث : التنظيم الادارى





# الفصل الأول

## السياسة الداخلية

تميز عهد الدولة القديمة ببناء الاهرامات ، حتى عرف ذلك العهد  
«ب عصر بناء الاهرام العظام» ذلك لان الملوك انما قد اعتادوا أن يشيّدوا  
لهم أهراما يدفنون فيها ، على مقربة من قصورهم على حافة الصحراء  
الغربية ، في ميدوم ودهشور وسقارة ، وإلى حدود الجيزة وأبى رواش ،  
كما تميز عهد الدولة القديمة كذلك بأن وحدة البلاد بلغت أتمها فيها ،  
رغم استمرار الملوك في تسمية أنفسهم «ملوك مصر العليا والسفلى» ،  
اذ لم يعد هناك نزاع بين الصعيد والدلتا ، مما أدى إلى تركيز السلطة  
في أيدي الملوك ، الأمر الذي ساعدهم على النهوض بالبلاد ، وبلوغها  
مرحلة ناضجة من مراحل التحضر، ووصلت الاقاليم الزراعية إلى حجمها  
الذي استمرت عليه آلاف السنين ، كما رسمت مصر في تلك الفترة  
الخطوط الرئيسية لمعتقداتها الدينية ونفذت كذلك تقنيّة الفنون والعمارة  
والكتابة بشكل كامل (١) .

### نظرية وراثة العرش :

ولعل من الأفضل هنا — وقبل أن نتحدث عن الاسرة الثالثة، وبداية  
الدولة القديمة بسقوط الاسرة الثانية — أن نتحدث عن نظرية «وراثة  
العرش في مصر الفرعونية» .

يعلل «هرمان يونكر» (١٨٨٥ — ١٩٦٢) فكرة وجود أسرات جديدة،

Jean Bottero and Others, The Near East, The Early  
Civilization, London, 1967, p. 276.

وتقسيم عهود الحكم الى الاسرات ، الى تطور أو انقلا ب في نظام الحكم ، أو الى وجود أميرة في آخر الأسرة تزوجت من شخص من غير العائلة المالكة ، ومن نسلها تتكون أسرة جديدة ، ويكون هذا الزواج حلقة الاتصال بين الاسرتين ، ذلك لان ولاية العرش في مصر الفرعونية انما كانت تنحصر في الابن الملكى الاكبر ، من الدم الملكى الخالص ، ثمرة زواج الاخ الملكى من الاخت الملكية من الابوين الملكيين<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كانت القاعدة الثابتة أن يعتلى عرش مصر من تسرى في عروق أمه وأبيه الدماء الملكية النقية ، أما اذا كان ابنا لزوجة مصرية ثانوية ، فكان من الواجب عليه أن يلجأ الى الزواج من أميرة من الفرع الملكى الخالص ، ليقوى بذلك شرعية مركزه ، ويصبح أهلا لتولى عرش الفراعين<sup>(٣)</sup> ، ومع ذلك فان زوج الأميرة الملكية انما يعتبر مجرد أمير ، وأما ابناؤها — ثمرة هذا الزواج — فقد كانوا يعتبرون ورثة شرعيين للعرش ، وفي بعض الحالات قد يصبح زوج الملكة الوارثة ملكا ، حين تكون هذه الملكة كبرى نساء البيت الملكى ، كان تكون أرملة الملك أو كبرى بناته ، أو أبعد من ذلك قرابة<sup>(٤)</sup> .

ولعل ذلك كله انما يعنى أن العرش كان ينتقل عن طريق المرأة، ومن هنا كانت الزوجة الكبرى للملك هى الوريثة التى يستطيع هذا الملك الوصول الى العرش عن طريق الزواج بها ، ولم يكن مولد الملك مهما ، فقد يكون من أية طبقة ، ولكنه يصبح ملكا حين يتزوج من الملكة ، ونستطيع أن نقول أن الملكة ملكة بحق المولد ، وأن الملك ملك بحق الزواج ، ولا يستطيع تفسير هذه الزيجات الملكية بغير عادة التسلسل

(٢) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم — الجزء الرابع — الحضارة المصرية القديمة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٧٦ .

(٣) Percy E. Newberry, King Ay, The Successor of Tut Ankhamun, JEA, 18, 1932, p. 51.

(٤) انظر : محمد بيومى مهران : اخناتون — عصره ودعوته — القاهرة ١٩٧٩ ص ٥٠ — ٥١ .

## الاموي وانتقال التاج عن طريق خط الانثى (٥) .

ولعل هذا هو الذي جعل نظرية تولي العرش في مصر الفراعنة ، تنحى على أن تكون أم الملك من نسل ملكي خالص ، ففى أما أن تكون ابنة آله ، أو زوجة آله ، أو أم آله ، أو قد تكون الثلاثة معاً أى ابنة ملك وأخت ملك وزوج ملك .

ويذهب الدكتور سليم حسن ( ١٨٩١ - ١٩٦١ ) الى أن قانون الوراثة بين أفراد الشعب إنما كان يجرى على نظام الامومة ، والامر كذلك عندما ينقطع نسل الذكور فى الاسرة المالكة ، ومن ثم فإن الملك الذى يتولى العرش من غير الاسرة المالكة ، كان عليه أن يتزوج من إحدى الاميرات الملكيات ، حتى يأتى مظهره والدم الملكى يتجسرى فى عروقه (٦) ، ذاك لان الملكات إنما كن ممثلات لدم الملكى ، ويحافظن على التقاليد الملكية بارتباطهن بالاسرة الجديدة ، سواء أكان أول ملوكها زوجا للملكة ، أو أحد أبنائها .

هذا وقد اعتبر المصريون الزوجة الرئيسية من (الزوجة الآلهة) ، وان كانت من نسل ملكى سابق . لكن قد جرى بها من سلب جسد الهى ، ومن هنا نشأت نظرية تولي العرش ، ورغم أن للملك الحق فى الزواج بأكثر من واحدة ، إلا أن الزوجة الرئيسية إنما كانت تعتبر أنقى الزوجات ، ولعل ذلك هو السبب فى زواج الاخ بأخته التى لها اليها بعض الفراعنة ، بغرض تأكيد مشاء الامومية من ناحية ، فضلاً عن التقليل من عدد المتطلعين الى العرش من ناحية أخرى (٧) .

(٥) A. M. Margaret, The Splendour That Was Egypt, London, 1950, p. 102.

(٦) سليم حسن : مصر القديمة - الجزء الاول - القاهرة ١٩٤٠ ص ٢٨٥ .

(٧) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago 1963, p. 96-97.



على أن هناك بعضاً من الملوك ، إنما قد لجأوا — في تبرير شرعيتهم للعرش — الى قصص الولادة الالهية ، كما فعلت « حتشبسوت » و « أمنحتب الثالث » في نصي الولادة المشهورين ، الواحد منهما في معبد الدير البحري ، ويتحدث عن ولادة الملكة « حتشبسوت » من الاله آمون ، ومن « أحمس » زوج الملك تحوتمس الاول <sup>(٨)</sup> ، والثاني في معبد الاقصر ، ويتحدث عن ولادة الملك « أمنحتب الثالث » من الاله آمون ، ومن « موت ام ويا » زوج الملك تحوتمس الرابع <sup>(٩)</sup> ، وفي كلا النصين نرى الاله آمون يتخذ شخصية « الزوج الاب » ، ثم يتصل بالملكة الام « أحمس » أو « موت ام ويا » اتصال الرجل بزوجته ، فتجمل الملكة ، وتتجب الفرعون .

ولعل هذا إنما يعنى أن الاله آمون إنما تخفى في زى وفي جسد الملك الحاكم ، ودخل بهذه الصورة على الملكة ، وضاجع الزوجة الاولى العظيمة ، ووضع فيها البذرة الالهية ، التي أصبحت فيما بعد ، ملكا في مستقبل الايام ، أى أن المولد الالهى الذى تم كمعجزة ، كان دون تدخل الملك ، وأنه حدث من الاله الاعظم الذى تخفى مؤقتا في شكل فرعون ، وعلى ذلك فإن « أم الاله » كان يجب أن تحتل مكانة لا نظير لها بين النساء <sup>(١٠)</sup> .

وهكذا كان الفرعون وأمه ، يمثلان مع الاله آمون — بالتناسق مع عائلته المقدسة ، آمون وموت وخونسو — عائلة بشرية ، يمثل فيها الاله آمون دور الاب ، وتمثل الملكة دور الام ، ويمثل الفرعون دور الابن <sup>(١١)</sup> .

(٨) E. Naville, The Temple of Deir El-Bahari, Part, II, London, 1896, p. 46-56.

وكذا J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, II, Chicago, 1927, Parag. 192-220 p. 78-89.

(٩) A. Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1895, Pls. 62-73, fig. 205.

J. A., Wilson, op. cit., p. 97. (١٠)

(١١) محمد عبد اللطيف : آمون في الدولة الحديثة — الاسكندرية ١٩٧٠ ص ١٤٦ — ١٥٨ ، ٢٢٦ ، عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم الجزء الاول — مصر والعراق — العراق — القاهرة ١٩٦٧ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .



## ١ - الأسرة الثالثة

### (١) الملك زوسر

بدأت عصور الدولة القديمة بعصر الأسرة الثالثة ، وبدأ الحكم فيها بولاية ملك ذكرته نصوص عهده باسمه الحورى ، الذى يمكن أن يقرأ بعدة قراءات ، لا تخلو واحدة منها من مدلول معبر طريف ، فقد يقرأ «نثر رخت» بمعنى أنه إله أكثر منه جسد ، أو بمعنى أنه أكثر قداسة من جماعة الأرباب ، وقد يقرأ «نثرى رخت» بمعنى ربانى الجسد ، وقد يقرأ «نثرى مس» بمعنى ربانى المولد ، وقد يقرأ «ارى رخت نثر» بمعنى المنتمى الى بدن الإله أو ذات الإله ، أو المنتمى الى جماعة الأرباب .

وهناك اسم آخر لهذا الملك هو «جسر» أو «زوسر» بمعنى المقدس ، والذى لم يظهر الا فى الآثار المتأخرة ، حيث كان ملوك الأسرة الثالثة يستخدمون الاسم الحورى على آثارهم ، ومن ثم فإن الاسم الوحيد الذى ظهر على الهرم المدرج هو «نثرى رخت» ، ولم نعرف الا من نقوش الدولة الحديثة والعصور التالية ، أن «نثرى رخت» و «زوسر» انما هما شخص واحد<sup>(١)</sup> ، اذ تشير الكتابات التى دونها زوار الهرم المدرج فى عصر الأسرة الثامنة عشرة لمعبد زوسر الى ذلك ، هذا فضلا عن الاسمين «نثرى رخت ، وزوسر» قد ذكرا معا - الى جانب اسم ايمحوتب - فى نقش من العصر البطلمى ، فى جزيرة سهيل ، على مقربة من أسوان<sup>(٢)</sup> .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وكذا B. Gunn, Inscriptions from the Step Pyramid Site, ASAE 26, 1926; p. 188 F.

وكذا K. Sethe, Unters., III, p. 41.

(٢) W. S. Smith, The Third Dynasty, in CAH, I, Part 2, 1971, p. 145.

وكذا Jean Vercoutter, Egypt under The Old Kingdom, in The Near East; The Early Civilization, London, 1967, p. 283.

وفي الواقع أننا لا ندري السبب الذي دعا المؤرخ المصري «مانيتو» الى أن يبدأ الاسرة الثالثة بعد موت الملك «خع سخموى» مباشرة، ولعل الشئ الوحيد الواضح هو أن «جسر» (زوسر) — أشهر ملوك الاسرة الثالثة — إنما يرتبط بالملك «خع سخموى» — آخر ملوك الاسرة الثانية — عن طريق الملكة «نى معات حاب» التى وصفت فى عهد «خع سخموى» بأنها «أم ولد» أو «أم ولد الملك» أو «أم أبناء الملك» ، وفى عهد «زوسر» بأنها «أم الملك» أو (الملكة الوالدة) ، ومن ثم فهى زوجة للملك «خع سخموى» وأما للملك «زوسر»<sup>(٣)</sup> .

ولكن ان كان ذلك كذلك ، فما هو السبب فى قيام أسرة جديدة ؟ .

وهنا فلعل أقرب الفروض الى الصواب ، أن «نى معات حاب» إنما كانت زوجة ثانوية للملك «خع سخموى» ، وأن الزوجة الرئيسية ربما قد أنجبت بناتا ، وربما كانت عقيما ، ومن ثم فقد أعثلى زوسر — ابن الزوجة الثانوية — العرش .

على أن هناك وجها آخر للنظر ، يذهب الى أن «نى معات حاب» إنما كانت ابنة للملك «خع سخموى» وليست زوجة له، وأنها قد تزوجت من الملك «نب كا» الذى اختلف الباحثون فى تعيين عهده ، وفى صحة اسمه ، وان أعطاه البعض فترة حكم تتراوح فيما بين ١٨ ، ١٩ عاما قبل عهد زوسر ، وأنجبت منه «نثر رخت» (زوسر) الذى يعتبر — طبقا لوجهة النظر هذه — حفيدا للملك «خع سخموى» وليس ولدا له<sup>(٤)</sup> .

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وكذا W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of The Earliest Dynasties, II, London, 1901, p. 210.

وكذا J. Garstang (With a chapter by K. Sethe). Mahasna and Bet Khallaf; (E.R.E.) London, 1903; p. 7, 22-23.

وكذا R. Weill, Recherchessur la Ireet Les Temps Prepharaoniques, Le Gaire, 1961, I, p. 319.

(٤) H. Junker, in Mitt., Kairo, III, p. 140.

وكذا W. M. F. Petrie: op. cit., p. 32.

ويذهب «الكسند شارف» (١٨٩٢ - ١٩٥٠) الى أن «ننى معات حاب» أميرة من الدلتا ، وليست ابنة «خغ سخموى» اذ أنه ليس من المعقول أن نتصور ملكا يعتز كل الاعتزاز بعصبية «الصعيدية» ، ثم يطلق على ابنته اسما تنتمى كل عناصره الى الدلتا ، ذلك لان اسم «ننى معات حاب» انما يحوى كلمة «حاب» أى (الاله الثور أبيس) ، مما يدل على أنها انما كانت منفية الاصل .

ومن هنا فانه يذهب الى أنها انما كانت تمثل الدم الملكى لمصر السفلى (الدلتا) ، وتنتمى الى أولئك الاعداء الذين صورهم «خغ سخموى» فوق قاعدة تمثاله الذى عثر عليه فى «نخن» (البصيلية) ، وقد ظهرت عليهم الذلة والمسكنة بعد انتصاره عليهم ، وعندما تمت له الوحدة اختارها زوجة له ، دون أن يعطيها الحق فى اللقب الرسمى «زوجة ملك» وهو اللقب الذى لم تذكره لها الآثار أبدا .

أما ابنها «زوسر» ، فقد كان من أب آخر ، ينتمى الى أهل الدلتا ، ثم تمكن — بعد أن ارتبطت أمه برباط الزوجية مع آخر ملوك الاسرة الثانية — من أن يكتسب شرعية مقدسة ، أهلته ليؤسس أسرة ملكية جديدة ، هى الاسرة الثالثة<sup>(٥)</sup>

واستغل «يواقيم شبيجل» هذا الرأى ، أو نادى بمثله ، وذهب الى أن كل أسرة مصرية حاكمة ، انما كان يعنيه أن ترد نسبها الى أصل مقدس ، وهذا حق ما فى ذلك من ريب ، غير أنه أضاف أن «نثر رخت» لم ينس أباه البحر اوى ، فضلا عن الدلتا مسقط رأسه ، وموطن أمه ، ومن ثم فقد اعتبر أباه ممثلا للاله «أوزير» معبود الدلتا القديم ، الذى كتب له فى عهود غابرة أن يحكم الدلتا والصعيد معا ، والذى راح ضحية مكر أخيه «ست» معبود الصعيد ، فضاع منه ملكه ، ثم شبه «نثر رخت» بالاله «بحور» بن «أوزير» الذى استعاد ملك أبيه من أهل

(٥) الكسند شارف : تاريخ مصر ص ٥٠ - ٥١ .



الصعيد ، أعوان ملوك الأسرة الثانية ، ثم شبه «ننى معات حاب»  
بالمعبودة «نبت حت» أخت أوزير ، التى تزوجت «ست» رغما عنها ،  
ولكنها ظلت وفيه لآخيها «أوزير» (٦) .

غير أن هناك أمورا عدة ، انما تقف عتبة فى قبولنا لهذا الرأى ،  
منها (أولا) أن «ننى معات حاب» لم تتلقب بلقب «أم ولد» فحسب ،  
وانما لقبت كذلك بلقب «أم ولد الملك» أو «أم أولاد الملك» ، مما يدل  
على أن زوجها قد اعترف بأن ولدها منه ومن صلبه ، وعهد اليه بالملك  
بعده ، ومنها (ثانيا) أن الاثريين انما كانوا ينسبون الى «نثر رخت»  
(زوسر) مقبرة فى «بيت خلاف» ، جنوبي أبيدوس ، ويفترضون أنه  
بدأ حكمه فى الصعيد ، وليس فى الدلتا .

ومنها (ثالثا) أن الاثريين انما نسبوا الى «نثر رخت» بناء معبد  
صغير فى مدينة «أونو» صور فيه بعض أفراد قاسوعها المقدس ، ومنهم  
ست الصعيدى ، ولو كان من أعدائه فعلا ، لما جعل له مكانا بجوار  
عاصمته ، ولأوحى لرجالها بعدم تصويره ، ومنها (رابعا) أن الآثار  
المعاصرة للأسرة الثالثة المعروفة حتى الآن ، لم تشر الى «أوزير»  
بالاسم ، ولا بالصورة ، وكان من المفروض أن تمجده وتردد ذكره ،  
لو أراد ملوكها أن يدفعوا الناس الى الاعتراف بنسبتهم اليه .

ومنها (خامسا) أن «نثر رخت» حين استخدم لقباً جديداً فى ألقابه ،  
انما قد تخير لقب «رع نوب» بمعنى الشمس الذهبية ، بينما استمسك  
سلفه البعيد «خع با» بلقب «حور نوب» بمعنى الصقر الذهبى ، ولو  
تعمد «نثر رخت» أن ينسب نفسه الى «حور» فعلا ، لاتخذ خطوة  
«خع با» وليس العكس .

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠١ .  
وكذا J. Spiegel, Das Werden der Altägyptischen Hochkultur, 1953, p. 122 F.



ومنها (سادسا) أن رجال «نثر رخت» صوره تحت هرمه المدرج، وكذا في مقبرة بيت خلاف، خمس مرات بتاج الصعيد، ومرة واحدة بتاج الدلتا، وذكرت نقوشه من أسماء المعابد التي زارها، ثلاثة معابد على الأقل، أن لم تكن خمسة، من معابد الصعيد، إلى جانب معبد واحد أو ثلاثة، من معابد الدلتا، مما يدل على حرصه على تقوية علاقاتها بالصعيد وكهانة معابده، وليس البعد عنهم<sup>(٧)</sup> .

وعلى أى حال، فإن الأسرة الثالثة إنما تبدأ بمشكلة، وأن عدد ملوكها — وكذا تتابعهم على العرش — لم يتقرر بعد بصورة مؤكدة، كما أن الحفائر الحديثة قد أثبتت أن «زوسر» لم يكن أول ملوك الأسرة الثالثة، وإنما سبقه إلى العرش المصري الحور «سانخت» الذي جعله كل الاحتمالات أخا أكبر لزوسر، غير أننا لا نعرف عنه شيئا، سوى أثره الجنائزي الذي يحتمل أنه قد استخدم كنقطة بداية لهرم زوسر المدرج<sup>(٨)</sup>

وهناك ما يشير إلى أن «زوسر» قد دفن أخاه «سانخت» في أهم مكان في مدخل الأروقة، يمكن الوصول إليه عن طريق إحدى عشرة بئر، محفورة في الصخر في الجانب الشرقي من هذا البناء، خلال المراحل المبكرة من تشييده، وقد خصص اثنان من هذه المداخل (الدهاليز) لتخزين جهازه الجنائزي، وقد ملئ اثنان منها بالوانى الحجرية،

- (٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠١ - ٣٠٢ .  
وكذا C. M. Firth and J. E. Quibell, The Step Pyramid, p. 40-42.  
وكذا R. Weill, op. cit., I, p. 277.  
(٨) R. Weill, Les IIe et IIIe Dynasties Egyptiennes, Paris, 1908 - p. 128.  
وكذا J. P. Lauer, Les Pyramides a degres, in Rev. Arch., 47, 1956, p. 17.  
وكذا A. H. Gardiner, T. E. Pect and J. Cerny, The Inscriptions of Sinai, I, London, 1952, I, Pls, 4, II, 1955, p. 52.

والكثير منها كتب عليه أسماء ملوك الاسرتين الاولى والثانية ، وان لم يعثر على أية آنية ، أو حتى قطعة من آنية ، في الجزء الرئيسي من البناء السفلى للهرم المدرج ، تحمل اسم «نثر رخت» (زوسر) أو «سانخت» وان عثر على ختم طينى للملك «نثر رخت» وآخر للملك «خع سخموى» فى احدى الاروقة الشرقية •

ومن ثم فهناك من يذهب الى أن «سانخت» انما قد دفن فى مقبرته التى كان قد شيدها من قبل فى «بيت خالف» جنوبى أبيدوس ، حيث عثر فيها على هيكل عظمى يمكن نسبته اليه ، فيما يرى جارستانج<sup>(٩)</sup> •

وأيا ما كان الامر ، فلقد سجلت بردية تورين اسم «زوسر» بالمداد الاحمر بين أسماء ملوكها ، تأكيداً لتمييزه وأهمية عهده ، وصور كاتب مصرى من القرن الثانى عشر قبل الميلاد «زوسر» مع كل من مؤسس الأسرة الخامسة ، ومؤسس الأسرة السادسة ، باعتبارهم رأس أسرة حاكمة جديدة مثلهما ، ثم سجل «مانيتو» فى تاريخه أن «زوسر» انما هو بداية الملوك مذهب جميعاً<sup>(١٠)</sup> •

ولعل السبب فى ذلك أن «زوسر» انما كان يمثل بداية عهد جديد — عهد بناء الاهرام — هؤلاء الذين استطاعوا توطيد دعائم الوحدة على أسس ثابتة ، بعد القضاء على ثورات الدلتا التى رأيناها فى الأسرة الثانية •

هذا وقد ارتبط اسم «زوسر» ارتباطاً وثيقاً بالمنطقة الواقعة الى

(٩) W. Stevenson Smith, The Old Kingdom in Egypt and The Beginning of The First Intermediate Period, in CAH, I, Part 2, Cambridge, 1971, p. 146.

وكذا J. Garstang, Mahasna and Bet Khallaf, (E. R. A.) London, 1903, Pl. X, p. 7.

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠٢ •  
وكذا BIFAO, V, p. 41 F.



الجنوب من أسوان ، والتي عرفت في العصر اليوناني باسم «دوديكا  
سختينوس» فيما عرف باسم «لوحة المجاعة» وفي الواقع أن العلماء على  
كثرة ما قرأوا من أخبار المجاعات في مصر القديمة ، انما يقفون موقف  
المتأمل الفاحص من تلك المجاعة التي حدثت في عهد «زوسر» والتي  
نقشت أخبارها على الصخر من جزيرة سهيل ، جنوبي أسوان ، ولئن  
كان الخبر منسوباً الى «زوسر» فالذي لأشك فيه أنه انما نقش في تلك  
الجزيرة بعده بما يقرب من خمسة وعشرين قرناً ، وقد نقشه كهان  
الآله «خنوم» في عهد البطالمة في مصر ، ولعلمهم نقشوه في عام ١٨٧ ق م  
على أيام الملك «بطليموس الخامس — أبيفان» (٢٠٥ — ١٨٠ ق م) ،  
وربما في عهد بطليموس العاشر (١٠٧ — ٨٨ ق م) .

وهكذا وقف العلماء على ما ورد عن هذه المجاعة ، ومن أنها حلت  
بمصر سبع سنين ، وأن الملك «زوسر» دعا وزيره الحكيم «إيمحوتب»  
ليستفتيه في تلك النازلة التي أحزنته ، وليعلم علم هذا الذي أصاب  
النيل فحبسه عن المجيء في عهده سنين سبع ، فذوت الحبوب ، وصوحت  
الثمار ، وقلت الأقوات ، حتى لكان الناس قد حرموا الأنفاس ، فلم  
ترقاً لطفل أدمعة ، وأقام الشباب على الانتظار ، على حين امتلأت  
القوب أسي ، فانحنوا على أطرافهم مدقعين ، واشتدت الحاجة برجال  
الحاشية ، وغلقت المعابد ، وعم الناس الحزن .

ويروى النص أن الملك «زوسر» كتب الى محافظ أسوان ، يستشير  
فيما يجب عليه للخلاص من هذا الخطب ، وأي الآلهة أولى باستدراج  
العطف ، فأشار الحاكم بأن الآله «خنوم» هو الذي يأتي بالنيل الطيب  
والنيل الرديء ، ويأتي الملك الى أسوان ليشهد «خنوم» الذي يقرر  
— في رؤيا للملك — أن اهمال شأنه ، انما كان سبباً لما حاق بالبلاد من  
مصائب ، ووعد بالخير ، ان عني بشأنه ، ويصدر الملك أمره بأن توقف  
عليه الاراضي الواقعة على ضفتي النهر ، وعلى مدى مرحلة طولها فيما  
بين ٨٠ ، ٩٠ ميلاً ، أي فيما بين جزيرة سهيل جنوبي أسوان ،  
(وتاكاميسو) — وهو الاسم الاغريقي للجزيرة المعروفة باسم جزيرة

ضرار ، أو جزيرة قرته ، تجاه بلدة قرته ، إلى الجنوب قليلا من الدكة ،  
على خط العرض ٣٥ (١١) •

فالنص اذن يتحدث عن مجاعة حدثت في العام الثامن عشر من حكم  
الملك «نثر - ار - خت» (زوسر) وامتدت سبع سنين ، وعن مشورة  
استشارها الملك من وزير ، عرف بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعن حلم  
راه ، وغير بعيد أن يكون هذا النص صوتا من واقع بعيد ، وأن كهان  
خنوم حين كنبوه على عهد البطالمة ، إنما كانوا تحت تأثير ما كان شائعا  
يومئذ من أصداء الماضي السحيق ، وبما ورد في التوراة (١٢) من أصداء  
السنين السبع الشداد التي جرت بها السنة من كانوا بمصر يومئذ من  
يهود ، بخاصة وأن (الترجمة السبعينية) (١٣) للتوراة ، إنما كانت قد  
تمت بمصر على أيام «بطليموس الثاني» (٢٨٤ - ٢٤٦ ق م) ، وأن  
هناك جالية من يهود إنما كانت تقيم في جزيرة (اليفانتين) (١٤) تجاه  
أسوان عبر النهر - وتطل من حيث الموقع على جزيرة سهيل ، وأن كان  
كهنة (ايزة) في (فيله) إنما يتقدمون نصا آخر ، يقررون فيه أن الملك  
(زوسر) قد وهبهم نفس البقعة التي يزعم أصحاب (خنوم) أنها إنما  
تأنت هدية الملك لهم ، ومنحته لالههم (خنوم) (١٥) •

وليس يهنا أى الفريقين هو الصادق ، وأيهما الكذوب ، ولكن الذى

(١١) أنظر : Paul Barguet, La Stele de la Famine a sahel; Cairo, 1953.

وكذا J. A. Wilson, The Tradition of Seven Lean year in Egypt in ANET, 1966 p. 31-32.

وكذا J. Vandier, La Famine dans L'Egypte Ancienne, Cairo, 1963, p. 132-139.

(١٢) تكوين ٤١ : ١ - ٥٧ •

(١٣) أنظر : عن «الترجمة السبعينية» ( محمد بيومى مهران :  
اسرائيل - الكتاب الثالث - الحضارة - الاسكندرية ١٩٧٩ ص ١٠٧ - ١١٣ ) •

(١٤) أنظر : عن «الجالية اليهودية في أسوان» ( محمد بيومى مهران :  
اسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٠٧٦ -  
١١٠٢ ) •

(١٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٠ ، أحمد عبد الحميد  
يوسف : المرجع السابق ص ٦١ •



بهمنا أن الوثيقة نفسها إنما تحيط بها هواتف من ريب ، وإن كانت تشير في الوقت نفسه الى امتداد الحكم المصرى الى تلك المنطقة إبان كتابة تلك الوثيقة (١٦) ، وأن اسم (زوسر) إنما قد ظل حيا في ذاكرة المصريين طوال تلك القرون الطوال ، وأن العقيدة الخاصة به ظلت حتى نهاية التاريخ المصرى القديم .

هذا وقد بدأ (زوسر) حياته واقعا تحت التأثير التقليدى ، بأنه ملك يجب أن يشيد لنفسه مقبرة على نمط المقابر التى شيدها من قبله من أجداده من ملوك مصر ، وهو ذلك الاسلوب الذى يجعل المقبرة عبارة عن مصطبة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال الى الجنوب ، وعند أقصى الجنوب يوجد على الجانب الشرقى المكان المخصص لتقديم القرابين .

وهكذا بدأ زوسر بتشيد مقبرة له على شكل مصطبة كبيرة من الطوب اللبن طولا ٩٥ مترا ، وعرضها ٥٥ مترا ، وارتفاعها عشرة أمتار (١٧) فى «بيت خالف» قرب أبيدوس ومن أعلى المصطبة يبدأ ممر طوله ١٧ مترا ، ينزل الى أسفل حتى يصل الى ممر فيه اثنتا عشرة حجرة ، عثر فيها على كثير من الاوانى الحجرية ، ولم يعثر على اسم (زوسر) على أى اثناء منها ، وإن وجد مكتوبا على المسدادات الطينية ، ومعه أسماء عدد من الكروم وبعض الموظفين ، فضلا عن اسم أمه (نى معات حاب) على نقش خاتم عثر عليه هناك (١٧) .

هذا وقد تشيد (زوسر) كذلك عدة معابد ، عثر على بقايا واحد منها ، على مقربة من (هربيط) الى الشمال الشرقى من الزقازيق ، وآخر فى

(١٦) الكسندر شارف : تاريخ مصر - ترجمة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٣ ، ثم قارن :

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 76.

(١٧) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ص ٤٦ .

J. Garstang, op. cit., p. 38, Pl. 19.

J. Vandier, Manuel d'Archeologie Egyptienne, I, Paris,

1952, p. 867.

وكذا

وكذا

هليوبوليس<sup>(١٨)</sup> ، كما تنسب نماذج المثاليين لبعض الوجوه ، والحروف الهيروغليفية المحفوظة الآن في متحف المتروبوليتان في نيويورك الى هذا العصر المبكر من تاريخ مصر<sup>(١٩)</sup> .

غير أنه مما لا ريب فيه أن أعظم منجزات (زوسر) المعمارية ، إنما كان هرمه المدرج في سقارة ، الذي كان يطل على مدينة منف العظمى ، ويرجع تاريخه الى حوالي عام ٢٧٨٠ ق.م. فيما يرى البعض ، والذي يمثل أقدم أثر كبير الحجم قائم بذاته ، ومشيد من الحجر ، وأول مقبرة ملكية بنى جزءها العلوى — أى الذى فوق سطح الأرض — من كتل من الأحجار ، ويتكون من ست طبقات غير متساوية بعضها فوق بعض ، يبلغ ارتفاعها ٦٠ مترا ، ويبلغ طول السور المحيط بالهرم والمجموعة الهرمية ٥٤٥ مترا ، وعرضه ٢٧٧ مترا ، وارتفاعه عشرة أمتار ونصف ، وله أربع عشرة بوابة مَحَصنة ، منها ثلاث عشرة بوابة رمزية — أى مرسومة فوق السور فقط — وبوابة واحدة حقيقية ، وهى التى استخدمها المصريون القدماء<sup>(٢٠)</sup> .

هذا ويبدو أن السور إنما يمثل السطح الخارجى للمقابر الملكية ذات المشكاوات فى عهد بداية الأسرات وبذلك يضاف على البناء طابعا جنازيا ، وإن كان هناك من يذهب الى أنه إنما يمثل الجدار من اللبن الذى كان يحيط بمدينة الجدران البيضاء (منف) أو الذى كان يحيط بالقصر الملكى ، هذا وقد وجدت لهذا السور فى «(ميت رهينة)» نسخة معاصرة من المرمر المصرى فيها معظم تفاصيله<sup>(٢١)</sup> .

(١٨) W. S. Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in The Old Kingdom, Boston, 1946, figs, 48-53.

(١٩) W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, N. Y, 1953; I, p. 60-61.

(٢٠) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٩ — ٦٤ .

(٢١) محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .

J. P. Lauer, op. cit., p. 87 F.

وكذا



ولعل أقدم ما نعرفه عن الحفائر داخل (الهرم المدرج) ما قام به  
الفصل الألماني (فون مينو تولى) عام ١٨٢١ ، حيث عثر على أجزاء  
من مومياء ، وبعض نقوش عليها اسم (زوسر) وفي عام ١٨٣٧ م قام  
الكولونيل (هوارد فيز) الإنجليزي ، ومواطنه (بيرنج) بأول بحث علمي  
دقيق عن مبنى الهرم المدرج ذاته ، والأجزاء الداخلية الواقعة تحت  
سطح الأرض (٢٢) .

وفي الفترة (١٨٤٣ - ١٨٤٥) جاءت بعثة لبيسيوس الألمانية ،  
واهتمت بهرم سقارة كثيرا ، بل أن (كارل رتشارد لبيسيوس) (١٨١٠ -  
١٨٨٤) ، إنما كان أول من أدرك أنه بنى في الأصل كمصطبة واحدة ،  
أضيفت فيما بعد مصاطب أخرى ، ثم وصلت البعثة الى داخل الهرم ،  
وأخذت منه جزءا من الجدران المغطاة بالقواميد الزرقاء وبعض كتل  
الأحجار المنقوش عليها اسم زوسر التي كانت تحيط بتلك القواميد (٢٣) .

ثم قام بعد ذلك (أوجست فرديناند فرانسو مارييت) (١٨٢١ -  
١٨٨١م) و (جاستون ماسبرو) (١٨٤٦ - ١٩١٦م) و (لودفيج  
بورخاردت) (١٨٦٣ - ١٩٣٨) وغيرهم بأبحاث أثرية ، وكتب كل منهم  
عن الدهاليز والممرات التي تحت الهرم .

وفي عام ١٩٢٠ م عهدت مصلحة الآثار المصرية الى (فيرث) بالحفر  
في منطقة سقارة ، حيث عثر عام ١٩٢٤ م ، في داخل الهرم المدرج على  
دهاليز أخرى تحت بناء الهرم ملأى بأوان مكسرة بعضها فوق بعض ،  
قدر عددها بما لا يقل عن ثلاثين ألف اناء من المرمر والجرانيت  
والديوريت والبزشيا وحجر الشست (الاردواز) وغير ذلك من أنواع  
الحجارة .

(٢٢) Colonel Howard Vyse; Operations Carried on at The  
Pyramids of Gizeh in 1837, 3 Vols, London, 1840-1842.

(٢٣) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٤ - ٤٠ .  
R. Lepsius, Denkmaler (Text), I, p. 189-195.  
وكذا

وفي عام ١٩٢٧ م انضم «جان فيليب لاور» كمهندس معمارى لمساعدة (فيرث) وبعد موت الاخير في عام ١٩٣١ م ، أصبح ( جيمس ادوارد كويل ) ( ١٨٦٧ - ١٩٣٥ ) مديرا للحفائر (٢٤) ، واستمر في العمل مع (لاور) ، وفي عام ١٩٣٦ انشرد (لاور) بالعمل في تنظيف ما حول الهرم وترميمه حتى عام ١٩٥٥ م ، ولكن الدهاليز الواقعة تحت الهرم لم يتم العمل فيها ، وما زالت بحاجة الى المزيد من الحفائر ، وقد عاد (لاور) الى العمل مرة ثانية في عام ١٩٦١ م .

هذا وتشغل مجموعة مباني زوسر مساحة تزيد على مائة وخمسين ألف متر مربع ، يحيط بها سور سميك ، ويتوسطها الهرم المدرج - أبرز معالم سقارة - والى الشرق منه بهو المدخل ومعبد اليوبيل والجنوسق الملكى ، وببيتا الجنوب والشمال ، وفي الشمال بيت الشمال والمعبد الجنائزى ، وفي الجدار الجنوبي من السور المقبرة الجنوبية ، وتحيط بها مباني تكون مسطحات كبيرة وتحتوى على مخازن عديدة ، أهمها على طول الجدار الشرقى للسور وفي الشمال ، وهى كلها مبنية بحجر صغير من الهضبة الغربية ، وكان يكسوها حجر جبرى جيد من الهضبة الشرقية ، وهى فى مجموعها تدل على مهارة فى التخطيط والبناء ، وقد ذهب الرأى الى أنها - فيما عدا الهرم والمقبرة الجنوبية - تمثل فى الحجر قصر زوسر فى منف وملحقاته ، وأن الغرض منها أن تيسر له أداء وظيفته كملك فى الآخرة (٢٥) .

هذا وقد مر بناء الهرم المدرج بعدة مراحل ، كانت المرحلة الاولى بناء مصطبة مربعة ، تواجه جوانبها الجهات الاربعة الاصلية ، ويبلغ طول ضلع كل منها حوالى ٦٣ مترا ، وارتفاعها ثمانية أمتار ، وقد شيدت من الحجر الجبرى المحلى فى سقارة ، وأما أحجار الكساء الخارجى فقد

(٢٤) C. M. Firth and J. E. Quibell, The Step Pyramid, 2 Vols, Cairo, 1935, 1936.

(٢٥) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٢٧٦ .



كان من المخبّر الجبيري الجيد من مهاجر طرة ، هذا ويبدو أن  
(ايمحوتب) كان متأثرا بأفكار دينية معينة ، جعلته يحول المصطبة الى  
هرم مدرج ، ربما بهدف تمثيل صعود الملك نحو اله الشمس وعالم  
السما (٢٦) .

وأيا ما كان الامر فاننا نرى (ايمحوتب) يضيف الى المصطبة الاولى  
مبان أخرى ، عرضها ثلاثة أمتار ، في كل جوانب المصطبة ، وأما التعديلات  
الثاني فهو اضافة تسعة أمتار الى الناحية الشرقية منها ، ومن ثم فقد  
أصبحت المقبرة مستطيلة الشكل ، ثم سرعان ما أضيفت ثلاثة أمتار  
أخرى الى كل الجوانب ، وهكذا أصبحت المصطبة الأصلية وكل ما أضيف  
اليها ، هي المصطبة الاولى لهرم مدرج مكون من أربع مصاطب مشيدة  
واحدة فوق الاخرى ، ثم زاد (ايمحوتب) في امتداد الهرم من الناحيتين  
الشمالية والغربية ، كما زاد عدد المصاطب من أربع الى ست ، فضلا  
عن اضافة بعض المباني في كل جهة من الجهات ، وهكذا أصبح طول  
الهرم المدرج — بعد كل هذه التعديلات — ١٤٠ مترا في الشرق الى  
الغرب ، وحوالي ١١٨ مترا من الشمال الى الجنوب ، وأصبح ارتفاعه  
حوالي ٦٠ مترا (٢٧) .

وهكذا يمكن القول أن الهرم المدرج إنما يتكون من اضافات متتالية  
جانبيه ، تتركز كل منها على سابقتها ، وهو بذلك ليس مبنى من ست  
درجات أو مصاطب كل منها فوق الاخرى ، كما كان يظن ، وإنما هو  
طراز جديد ، يبرز المقبرة الملكية أحسن ما تكون فوق الهضبة الثاسعة ،  
قد كسر ارتفاعه من حدة امتداد السور الطويل من حوله ، وزاد من  
أثره الجميل في النفس .

- (٢٦) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٦٢ .  
F. Daumas, op. cit., p. 71. وكذا  
(٢٧) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٦٢ — ٦٣ .  
I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, London, 1965, p. 55-56. وكذا

وقد ذهب الرأي الى أن الهرم المدرج انما يرجع أصله الى مجموعة  
الاحجار التى كانت تكوم فوق القبر فيما قبل الأسرات ، وأنه يدين  
بشكله الى تطور المباني التى كانت تعلو المقابر الملكية فى أبيدوس ،  
وذهب الظن كذلك الى أنه توفيق مفاجئ اهتدى اليه المهندسون الكهنة  
بما يتفق والعقائد الدينية والتصورات الجنائزية عن حياة الملك فى الآخرة .

وتمهما يكن من أمر ، فان التقدم المعماري والاقتصادي ، فضلا عن  
أن تخلد المتبرة الملكية على الزمن ، لتصون جثة الملك على الدوام ، وأن  
تتم عما أصبح له من قوة وسلطان ، انما كانت من الاسباب الهامة التى  
أدت الى أن تبنى على شكل هرم مدرج عظيم ، وليس هناك من شك فى  
أن الملك (زوسر) انما قد دفن فى هذا الهرم المدرج ، وأن مصطبة (بيت  
خلاف) التى شيدت من الطوب اللبن ، لم تكن سوى خريج للملك  
العظيم (٢٨) .

## (٢) ايمحوتب

ولد (ايمحوتب) ، على الأرجح ، فى بلدة (الجبلىن) — على مبعده  
١٨ كيلا شمالى أسنا ، بمحافظة قنا — وطبقا لما جاء فى نقش المهندس  
(خنوم — ايب — رع) فى وادى الحمامات ، ويرجع الى الفترة بين  
عامي ٤٩٥ ، ٤٩١ قبل الميلاد ، فان اسم والد (ايمحوتب) انما كان  
(كا — نفر) ، وكان يعمل مديرا للأعمال فى الوجه القبلى والبحرى ،  
وأما أمه فكانت تدعى «(خردو — عنخ)» ، كما كانت زوجته تدعى  
«(نفرو — نبت)» .

وعبقرينا هذا ، لم يكن سوى واحد من أبناء الشعب ، استطاع أن  
يصل بعبقريته الفذة ، ومواهبه العظيمة ، الى أن يصبح ، كما تشير الى

(٢٨) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .  
وكذا G. A. Reisner, The Development of The Egyptian Tomb  
down to The Accession of Cheops, Cambridge, 1963, p. 307 F.



ذلك آثار عصره — «أمننا لا ختام الوجه البحرى ، والاول بعد الملك ،  
والمشرف على ادارة القصر العظيم (القصر الملكى) والمهندس ، ومسجل  
الحوليات ، وكبير كهنة هليوبوليس ، والنبل الوراثى ، ورئيس المثاليين ،  
ورئيس النحاتين» وفي الوثائق الاحدث اطلق القوم عليه : الوزير ، ومدير  
أعمال الصعيد والدلتا ، والمشرف على المدينة الهرمية ، وكبير الكهنة  
المرتلين للملك زوسر ، وكبير كتاب الاله» (٢٩) .

وهكذا كانت ألقاب «ايمحوتب» (٣٠) تدل على أنه كان مرتبطا كل  
الارتباط بالنشاط الفنى فى عصره ، وأنه كان متمتعا بنفوذ كبير فى القصر  
الملكى ، وكان بصفته كبير كهنة عين شمس يشغل أكبر وظيفة دينية  
فى البلاد .

وتمضى القرون ، ويزداد المصريون احتراما لهذا العصامى العظيم ،  
ويتردد اسمه باحترام فى الدولة الوسطى ، حيث يمجدون فيه المثل  
الاعلى للعبقرية ، والتعمق فى العلوم ، ويجعلونه المثقفون فى الدولة  
الحديثة على رأس أهل الحكمة والموعظة الحسنة ، وواحدا من رعاتهم ،  
ومن ثم فقد استحبوا أن يسكبوا قطرات من الماء من مؤخرة محابرهم ،  
مع التمتمة باسمه ، كلما هموا بكتابة أمر خطير .

وفى عصر الاسرة السادسة والعشرين (٦٦٤ — ٥٢٥ ق م) — أى  
بعد أكثر من ألفى سنة — زاد تقدير المصريين للعبقري العظيم الى

Kurt Sethe, Imhotep der Asklepios der Aegypter (٢٩)

(Uters., II, 4), Leipzig, 1902.

J. B. Hurry, Imhotep, The Vizier and Physician of King وكذا

Zoser, Oxford, 1928, p. 368.

P. Gilbert, L'Histoire et la Legende d'Imhotep, Brussel, وكذا

1949, p. 200-202.

F. Doumas, op. cit., p. 71-73. وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 73. وكذا

(٣٠) معنى اسم «ايمحوتب» الذى يأتى فى سلام ، أو المجىء فى سلام

(J. B. Hurry, op. cit., p. 190).



درجة التأليه واعتباره «ابنا للاله بتاح» ، وشيدت له المقاصير من  
 «منف» وحتى «فيله» — فضلا عن الواحات البحرية وبلاد النوبة —  
 وبخاصة في منطقة طيبة — في الكرنك ، وفي الدير البحري ، وفي دير  
 المدينة — وأخيرا في «فيله» ، حيث خصص له «بطليموس الخامس»  
 (٢٠٥ — ١٨٠ ق م) مقصورة (٣١) .

ولعل هذا التقدير الأخير لايمحوتب انما كان كرد فعل بين المصريين  
 ضد آشور واليونان والفرس ، وقوتهم التي أخذت تزداد ويرتفع  
 شأنها في ذلك العهد ، ومن ثم فقد أخذ القوم يتعلقون بأمجادهم القديمة ،  
 وخاصة تلك التي تمت على أيدي رجالات الدولة القديمة ، وتسبق  
 القوم الى تقديس الرعيل الاول من العلماء ، وعلى رأسهم (ايمحوتب)  
 الذي شهروه باله العلم والحكمة المصري (تحوت) معبود الاشمونين (٣٢) .

وفي القرن السابع قبل الميلاد ، زاد اتصال المصريين بالآغارقة ،  
 وعندما وقف الآخرون على كتابات (ايمحوتب) في علوم الطب أبوا أن  
 يصدقوا أن مثل هذه النابغة يمكن أن يكون بشرا كسائر الناس ، وإنما  
 هو اله ، ومن ثم فقد اعتبروه ربا للشفاء (٣٣) .

G. Posner, Dict. de Civil Egypt., p. 138-139.

(٣١)

K. Sethe, op. cit., p. 4.

وكذا

Entaille, ASAE, 38, 1938, p. 64-65.

وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 73.

وكذا

P. Gilbert, op. cit., p. 200-202.

وكذا

F. Daumas, op. cit., p. 73.

وكذا

(٣٢) الاشمونين : وتقع في مجاورات مدينة «ملوى» : بمحافظة المنيا ،  
 واسمها المصري «خمتو» (أي مدينة الثمانية) . وفي الآغريقية  
 «هرموبوليس ماجنا» وكانت مقر عبادة الاله «تحوت» ، الذي ساواه  
 الآغريق بالهم «هرمس» (كريستيان نوبلكور : توت عنخ آمون ص ١٠٧) .  
 (٣٣) كانت معابد «ايمحوتب» من الأماكن التي كان يحج اليها المرضى  
 ليكتب لهم الشفاء ، وتعرف من قصة «نشاتيس» الذي كان كاهنا في معبد  
 «ايمحوتب» كيف شفيت والدته اثر معجزة تمت في ذلك المعبد ، وقد أراد  
 «نشاتيس» أن يعبر عن اعترافه بالجميل ، فقام بترجمة قرطاس بردى  
 مصرى منسوب الى «ايمحوتب» الى اللغة اليونانية (أحمد فخري :  
 المرجع السابق ص ٤٥) .

وفي عام ٣٢٣ ق.م ، جلس ملوك البطالمة على عرش البلاد ، وقد حاولوا — ما استطاعوا الى ذلك سبيلا — أن يظهرُوا أمام المصريين كفراعنة ، وتعبدوا للآلهة المصرية ، وكان «تحتوت» واحدا من هذه الآلهة • وقد عُدوه تحت اسم «هرمس» الإله الاغريقي ، وبالتالي فقد عبدوا «ايمحوتب» كصورة من صور «تحتوت — هرمس» ، ثم سرعان ما أدخلوا عبادة الإلهم (اسكلاب) (اسكليبيوس) رب الطب الى مصر ، وتكون في النهاية معبود مصري بطلمي ، ييلور في عقيدة الناس القوة المهيمنة على العلوم والمعارف هو (تحتوت — ايمحوتب — هرمس — اسكلاب) ، ولعل أهم ما تبقى من صفات هذا المعبود صلته الكبيرة بعلوم الطب •

وفي الحقيقة فان تفوق المصريين القدامى في علوم الطب أمر معروف ، وقد وصل الينا العديد من البرديات التي تدل على تعمق المصريين في شئون الطب وتنوع دراساته ، فهناك الطب البيطري ، والطب الباطني ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب العيون ، وطب الاسنان ، فلا غرو اذن أن نعرف أن البلاد قد امتلأت في العصور المتأخرة بمراكز طبية ، كان يهرع اليها المرضى طالبا للشفاء ، بل ان في وسعنا أن نقول أن وسائل العلاج قد انتقلت من المصريين الى اليونان ، الى الرومان ، ومن الرومان الى عصرنا الحاضر ، ولانزال حتى الآن نجترع في ثقة واطمئنان كثيرا من الادوية التي خلطها أطباء هذا الشعب المعريق الذي عاش على ضفاف النيل منذ أربعة آلاف سنة •

هذا وقد شاد مريدو «ايمحوتب» — بصفته ربا للشفاء — في العصر الاغريقي ، مقصورة فوق المسطح العلوي لمعبد «حتشبسوت» في الدير البحري ، وشبهوه — فيما يروى مانيتو — بالمعبود الاغريقي «اسكليبيوس» راعي الطب والحكمة ، ومجدوه لمهارته في الطب ، وفي

J. B. Hurry, op. cit., p. 29 F.  
Grenfell and Hunt, Oxyrhynchus Papyri, Vol. XI, 1915.

وكذا =  
وكذا



الادب والكتابة ، فضلا عن استخدامه الحجر المنحوت في البناء ، ومن  
نم فقد قدسوه في «الاسكيبين» المجاور لمنف ، وهو معبد أقاموه فوق  
ما ظنوا أنه قبره القديم ، جنوبى «السرابيوم» ، وهكذا أصبحت  
«سقارة» من أهم المناطق التى تمتعت بشهرة فائقة في عبادة «ايمحوتب»  
ولعل كل هذا إنما يعنى أن المجد في مصر الفرعونية لم يقتصر على  
الفراعين وحدهم ، وإنما كان لبعض الافراد نصيب منه يزيد عن نصيب  
الفراعين أحيانا (٣٤).

### (٣) خلفاء زوسر

يقدم لنا المؤرخ المصرى «مانيتو» ثمانية ملوك حكموا في الاسرة  
الثالثة ، بينما لا نجد في ثبت أبيدوس الا أسماء ستة ملوك فقط ، أما  
برديه تورين المباشرة فلم تحتفظ لنا غير خمسة أسماء ، والامر كذلك  
بالنسبة الى الآثار المادية المعاصرة ، غير أن المؤرخين ما يزالون مختلفين  
في ترتيب ملوك هذه الاسرة .

ويقترح البعض الترتيب التالى : ١ - سانخت (وربما كان  
«نب كا» الذى جاء في بردية وستكار) ٢ - نثرى خت (زوسر)  
٣ - سخم خت (صاحب الهرم غير الكامل في سقارة) ٤ - خع با  
(صاحب الهرم غير الكامل في زاوية العريان) ٥ - ملك - وربما ملكة -  
غير معروف (وربما كان نب كارع ، الذى جاء ذكره في قائمة سقارة)  
٦ - حونى (صاحب الهرم المدرج في ميدوم - على مبعدة ٥٠ كيلا  
الى الجنوب من سقارة ، ٢٥ كيلا الى الشمال من مدينة الواسطى ،  
بمحافظة بنى سويف) (٣٥) .

(٣٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، الموسوعة  
المصرية ١٣٦/١ - ١٣٧ .

K. Sethe, op. cit., p. 14.

Jean Vercoutter, op. cit., p. 285.

E. Drioton and J. Vandier, Les Peuples de L'Orient

Mediterraneen, II, L'Egypte, Paris, 1952; p. 169, 200.

وكذا

(٣٥)

وكذا

وكذا



هذا وقد كشفت الحفائر التي قام بها المرحوم « محمد زكريا غنيم »  
( ١٩٥٩ - ١٩٥٥ ) في منطقة سقارة ، فيما بين عامي ١٩٥١ ، ١٩٥٤ م ،  
عن هرم مدرج لم يتم بناؤه نسب إلى الملك « سخم خت » ( قوى البدن ) ،  
والذى كان يطلق عليه قبل هذا الكشف « سمر خت » ، ولم يكن معروفا  
من قبل في أى مصدر من القوائم الملكية .

هذا ويحيط بهرم « سخم خت » المدرج ، سور ضخمة على شاكلة  
سور « زوسر » لم يتم تشييده ، وان بلغت مقاييسه ( ٥٥٠ × ٣٠٠ مترا ) ،  
وأما الهرم نفسه فيتكون من المصطبة الأولى أو السفلى ، فضلا عن  
جزء من المصطبة الثانية ، والبناء جيد الطراز ، وان كانت كتل الأحجار  
الجيرية صغيرة نسبيا ، كما هى الحال في هرم زوسر ، ذلك لان البنائين  
لم يكونوا قد توصلوا بعد إلى مرحلة البناء بالأحجار الضخمة ، ويبلغ  
ارتفاع البناء الحالى قرابة أمتار سبعة ، وان اعتقد مكتشفه أن البناء  
الأصلى ربما كان ضعف هذا الارتفاع ، وأن أحجارا قد نزلت منه في  
نصور لاحقة ، وأما قاعدة هذا الهرم فهى مربعة ، طول كل ضلع منها  
نحو ١٢٠ مترا ، ومن ثم فهى أكبر في رقعتها من قاعدة هرم زوسر ،  
ولم توجد أية آثار لتكسية خارجية ، ومن ثم فيمكن أن نستنتج أنه قد  
بدىء في نواة الهرم فحسب ، وأنه لم يتم اطلاقا .

وعلى أى حال ، فالهرم طبقي يتكون - في غالب المبانى - من أربعة  
عشر غطاء ، يتناقص ارتفاعها من المركز إلى الخارج ، وترتكز في ميل  
إلى نواة وسطى في زاوية تتراوح فيما بين ٧١ ، ٧٥ درجة ، وتصنع  
مراقده المداميك زوايا قائمة مع خطوط المواجهة ، وقد تركت واجهات  
البناء على خشونتها ، وإذا فرضنا أن كل زوج من هذه الاغطية كان  
تصميمه أن يكون درجة واحدة ، كما في هرم زوسر ، لأمكننا أن نستنتج  
أنه كان في النية أن يكون الهرم الجديد من سبع درجات ، مقابل ست  
في هرم زوسر ، ولو كان هذا الهرم قد تم ، فربما كان ارتفاعه سيصل  
إلى قرابة ٦٩ مترا ، أى أعلى من هرم زوسر بتسعة أمتار .

وعلى أي حال ، فالهرم يقوم مباشرة على الصخر ، وقد شيد بالحجر  
جبيري محلى أشهب اللون ، خشب ، وكانت تسوية الكتل بطريقة مائلة ،  
وقد وجدت في ملاحق يتكون من صاعدال ابن (طفا) مجاوب من نراديب  
حفرت في الممرات التي تحت سطح الأرض ، بعد مزجه بشظايا من  
الحجر الجيري .

هذا وقد عثر في ممرات الهرم على أوان حجرية ، صندت من المرمر  
والشست والديوريت والبرشيا ، كما عثر كذلك في داخل الهرم ( في مايو  
١٩٥٤ ) على واحد وعشرين سوارا من الذهب ، بعضها صغير جدا .  
والبعض الآخر حجمه عادي ، هذا فضلا عن عقد ذهبي وملقط من  
الالكتروم (خليط من الذهب والفضة) ، وان كان أجمل القطع الذهبية  
أنما كان صندوقا ذهبيا صغيرا ، غطاؤه على هيئة محارة صدغية ، وقد  
عثر على هذه القطع الذهبية كلها في صندوق من خشب ، تحلل بمرور  
الزمن ، وقد وجد في فجوة في أرضية الدهاليز (٣٦) .

هذا وقد حفرت غرفة الدفن في الصخر على عمق ٢٥ مترا من سطح  
الأرض تكتنفها غرفتان في الشرق والغرب ، وهي مستطيلة على وجه  
التقريب ، بمحور من الشمال إلى الجنوب يبلغ طوله ٨٥ مترا ، ومحور  
من الشرق إلى الغرب ، يبلغ طوله ٢٣٢ مترا ، وأما الارتفاع فكان  
خمسة أمتار ، وكانت الأرضية مغطاة بطبقة سميكة من الطفل الناعم ،  
وقد عثر في وسط الغرفة على تابوت من قطعة واحدة من المرمر ، مسطح  
انقمة ، وغير مقبب السقف (وأبعاده الخارجية ٢٣٧ مترا طولا ، ١١٤  
مترا عرضا ، ١٨ ارتفاعا) وله باب واحد في أحد جوانبه يمكن رفعه  
وخفضه .

(٣٦) محمد زكريا غنيم : الهرم الدفين - ترجمة زكي سوسن ،  
ومراجعة الدكتور محمد جمال الدين مختار - القاهرة ١٩٦١ ، أحمد  
فخرى : المرجع السابق ص ٦٧ - ٧٣ .

وكذا Mohamad Zakaria Ghoneim, Horus Sekhem - Khet, I,  
Cairo, 1957, p. 8-20.

وكذا Mohamad Zakaria Ghoneim, The Buried Pyramid,  
London, 1956, p. 48-1323.



ورغم أن التابوت قد وجد مغلقا ومثبتا في مكانه بالملاط ، كما وجدت بقايا بعض أوراق نبات على سطح التابوت ، مما جعل مكتشفه يظن أنه أمام تابوت يضم رفات ملك قديم لم تمتد اليه أيدي اللصوص ، إلا أنه عندما فتح (في ٢٧ يونيو ١٩٥٤) وجد فارغا لا يحتوى على شيء ، بل حتى لم يوجد ما يشير الى أنه قد استعمل في الدفن في يوم من الأيام ، ومن ثم فقد اقترح البعض أن تكون هذه مقبرة رمزية ، أو ربما كان هذا الهرم هو الذي شيده صاحبه ليدفن فيه ، ولكن ذلك لم يتم ، بل أنه لم يستخدم للدفن في وقت من الاوقات ، أو ربما أن المقبرة أعيد استخدامها في عصر متأخر ، وأن واحدا من كبار القوم أراد أن يقبر فيها ، ومن ثم فقد أعد التابوت الذي لم يكتب له أن يدفن فيه (٣٧) .

وأما الملك «(خح با)» فهو صاحب «الهرم ذي الطبقات» في منطقة زاوية العريان — فيما بين أهرام الجيزة وأبو صير — وقد زاره «البيسيوس» في عام ١٨٤٠م ، وترك لنا وصفا له (٣٨) ، كما حاول «جانستون ماسبرو» عام ١٨٨٥م أن يفتحه ، وان باءت محاولته بالفشل ، وفي عام ١٨٩٦م تمكن «دي مورجان» من أن يكشف سلما في الزاوية الشمالية الشرقية ، وفي مارس ١٩٠٠م ، نجح «الكيندر بارزانتي» من اكتشاف مدخل الهرم (٣٩) ، ثم قامت بعد ذلك البعثة المشتركة من جامعة هارفارد ومتحف الفنون الجميلة في بوسطن بحفر لكشف عن هذا الهرم والجبانات التي حوله (٤٠) .

- M. Z. Ghoneim, La Nouvelle Pyramide a Degres a (٣٧)  
 Saqqara, Rev. du Cairo, 1955, p. 18-31.  
 Ahmed Fakhry, The Pyramids, Chicago, 1970, p. 41-57. وكذا  
 C. R. Lepsius, Denkmaler (Texts), I, p. 128-129. (٣٨)  
 A. Barsanti, Ouverture de la Pyramide de Zaouiet-el- (٣٩)  
 Aryan, ASAE, II, 1901, p. 92-94.  
 G. A. Reisner and C. S. Fisher, The Work of The (٤٠)  
 Harvard University-Museum of Fine Arts, Egyptian Expedition, in Bull.  
 M. F. A, IX, p. 54-59.



ويتكون الهرم من نواة طول كل ضلع منها مترا ، فضلا عن أربع عشرة اضافة بقاعدة مربعة طول ضلعها ٨٤ مترا ويؤدي إلى غرفة المدفن (٣٦٣م طولا ، ٢٦٥م عرضا ، ٣م ارتفاعا) نفق في الأرض من الشرق إلى الغرب ، موازيا للجانب الشمالي من قاعدة الهرم حتى يلتقى ببئر تقع على امتداد محور الهرم من الجنوب إلى الشمال ، ويخرج من قاع البئر دهليزان ، الواحد يتجه إلى الجنوب حتى يتصل بدرج يؤدي بدورة إلى دهليز ينتهي إلى غرفة الدفن تحت مركز الهرم ، والاخر يتجه نحو الشمال ، ثم لا يلبث أن يؤدي إلى دهليز طويل يمتد من الشرق إلى الغرب ، ومن ثم ينحرف طرفاه إلى الجنوب ، ويشرف عليه اثنان وثلاثون مخزنا (٤١) .

هذا وقد عثر على اسم الملك «(خع با)» على بعض الاواني في الجبانة التي حول الهرم ، ورغم أن «(جورج رايزنر)» (١٨٦٧ - ١٩٤٢م) لا يميل إلى الربط بين وجود هذا الاسم وبين اسم مشيد الهرم ، ومن ثم فهو يرى أن اسم مشيد الهرم ما يزال غامضا ، وربما لم نكشف حتى الان عن مكان دفن جثته ، فان «(ادواردز)» - وكذا «(جان فيليب لاور)» - انما يفضلان نسبة هذا الهرم إلى عصر الاسرة الثالثة (٤١) .

وهناك في زاوية العريان - وعلى مبعدة سبعة كيلو مترات من أهرام الجيزة ، وكيلو ونصف إلى الجنوب من الهرم ذى الطبقات - اكتشف «(الكسندر باراتنتي)» في الفترة (١٩٠٤ - ١٩١١م) «(الهرم الناقص)» ، والذي ينسب إلى الملك «(نبكاو)» (تفر - كارع) - والذي تمثل أبعاده قاعدة هرم سقارة المدرج (١٨٠ × ٢٠٠) مترا - ولم يكشف منه غير

- (٤١) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .  
 وكذا Jean Philippe Lauer, Histoire Monumentale des Pyramides d'Egypt, T. I, Les Pyramides a Degres, Le Caire, 1962, p. 206 F.  
 (٤٢) J. P. Lauer, La Pyramide a Degres, I, Cairo, 19٥6, p. 8-9.  
 وكذا I. E. S., Edwards, op. cit., p. 69.  
 ثم قارن E. Drioton and J. Vandier, L'Egypte, Paris, 1952, p. 202, 628.

الجزء الاسفل المحفور في الصخر تحت الارض ، وفيه القابوت المنحوت  
من الجرانيت ، والذي لم يعثر فيه عن شيء على الاطلاق (٤٣) .

وكان «أحو» أو «أحوني» (بمعنى الضارب) آخر ملوك الأسرة  
الثالثة ، وقد حكم ٢٤ عاما ، وتكرر اسمه في قوائم الملوك ، وطبقا لما  
جاء في بردية «بريس» — من الدولة الوسطى — فان «أحوني» جاء  
بعد «أنب كاو» ، وقبل «سنفرو» (٤٤) ، هذا وقد بدأ «أحوني» بناء هرمه  
في «ميدوم» ، والذي يمثل مرحلة الانتقال بين الهرم المدرج والهرم  
الكامل ، أو بعبارة أخرى المرحلة النهائية من مراحل تطور الشكل  
الهرمي للقبر الفرعوني ، ويشبه هذا الهرم الآن — بعد أن زالت  
كسوته — برجا مدرجا ، وهو فوق قل مرتفع من الرمال ، وكأنه قلعة  
حصينة (٤٥) .

وهناك ما يشير الى أن هذا الهرم كان عند موت «أحوني» اما ناقصا  
لم يتم تشييده ، واما أن «سنفرو» أحس بأنه كان أقل مما يليق  
بصاحبه ، ومن ثم فقد أضاف اليه الكثير ، وأتم بناءه ، ومن ثم فيمكننا  
أن نعتبر اتمام هرم ميدوم ومجموعته الجنائزية مما يمكن نسبته الى  
عهد «سنفرو» (٤٦) ويرجع الاهتمام بهذا الهرم الى القرن الثامن عشر  
الميلادي ، كما كان من بين الاهرامات التي غنى بفحصها «برنج»  
و «فيز» في عام ١٧٣٩ م (٤٧) .

ثم قام «سير ماثيوس فلندرز بترى» ( ١٨٥٣ — ١٩٤٢ )

A. Barsanti, Fouilles de Zaouite el-Aryan in ASAE, 7, (٤٣)

1906, p. 260-286, 8, 1907, p. 201-210, 12, 1912, p. 57-63. (٤٤)

E. Drioton and J. Vandier, op. cit., p. 196.

G. Jequier, Le Papyrus Prisse et ses Variantes, Paris, وكذا  
1911, p. 12.

(٤٥) محمد جمال الدين مختار : الموسوعة المصرية ٣٨٤/١ .

(٤٦) أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٠٥ .

H. Vyse and J. S. Perring, Operations Carried on at The (٤٧)  
Pyramids of Gizeh, III, London, 1842, p. 78-80.



بالحفرة في المنطقة منذ عام ١٨٩٠<sup>(٤٨)</sup> ، وفي عام ١٩٢٧ قام (لودفيج بورخاردت) (١٨٦٣ - ١٩٣٨) بفحص هرم ميدوم<sup>(٤٩)</sup> ، وبعد ذلك بسنوات ، وحتى عام ١٩٢٤ م ، قامت بعثة متحف جامعة بنسلفانيا بحفر المنطقة ، وإن ركزت اهتمامها بالمعبد ، والجبانات التي حول الهرم ، دون العناية بالهرم نفسه<sup>(٥٠)</sup> .

هذا وقد شيد هرم ميدوم على حافة البهضبة ، وقد أحاط به سور خارجي تدهم الآن ، ونرى في الجهة الشرقية منه طريقا صاعدا له حداران ، وليس له سقف ، يوصل بين حافة الوادي ، وبين مدخل في الناحية الشرقية من سور الهرم ، وعند حافة الأراضي الزراعية ، وفي نهاية الطريق الصاعد كان يوجد معبد الوادي ، هذا وقد وجدت بقايا هرم صغير في الجهة الجنوبية من هرم ميدوم ، كما وجد في الجهة الشرقية منه معبد جنزي صغير ، له سور خارجي<sup>(٥١)</sup> .

وتبلغ مساحة قاعدة هرم ميدوم ٢٠٨٨٠ مترا ، أي ما يزيد على مساحة قاعدة هرم زوسر بنحو الثلث ، ويظن أنه كان في الأصل مصطبة مستطيلة ، بيد أنه لا ينبغي أن يكون البناء قد اتقاد كما يفتقنه «ايثوتب» في هرم زوسر ، فأنشأ - بادئ ذي بدء - هرما مدرجا ، وإن كان على غير يقين من ذلك .

وأيا ما كان الأمر ، فقد كان هرما ذا سبع درجات ، يقوم على مساحة مربعة ، طول ضلعها نحو ١١٠ مترا ، وارتفاعها ٦٧ مترا ، وتتكون

(٤٨) أنظر : W. M. F. Petrie, Medum London, 1892

وكذا W. M. F. Petrie, G. A. Wainwright and A. Macky, Meydumy, and Memphis, III, London, 1910.

(٤٩) Ludwing Berchardt, Die Entstehung der Pyramide, an der Baugeschichte der Pyramide bei Medum Nachgewiesen, Berlin, 1928.

(٥٠) A an Row , University of Pennsylvania Museum Journal, 22 1931, p. 5-46.

(٥١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٩٨ - ١٠٥ .



كل درجة من نواة ، من حجر محلى يكسوها حجر جبرى جيد ، احسن تسوية سطحه الظاهر ، ثم زيد فى حجمه بتعاية الدرجات ، واضافة درجة جديدة اليها ، فأصبح هرما ذى ثمانى درجات ، وقد ظلت أهرامات الدولة القديمة تبنى بمثل هذه الاضافات الجانبية ، بحيث يقل ارتفاع كل اضافة عن سابقتها ، وهناك من يذهب الى أن القوم انما قد اعتبروا ذلك مما يساعد على متانة البناء ، ان لم يكن يرجع الى شدة محافظتهم على تقاليدهم<sup>(٥٢)</sup> .

وهناك فى متحف القاهرة أثر مخروطى الشكل من الجرانيت الموردي محاصر للملك «(حونى)» ، عثر عليه فى «(اليفانتين)» وقد ظن «(لودفيج بورخاردت)» أنه جزء من حصن بنى فى تلك الجزيرة التى كانت تمثل الحدود بين مصر والنوبة<sup>(٥٣)</sup> ، وقد كتب خرطوش الملك «(حونى)» على هذا الأثر مرتين<sup>(٥٤)</sup> ، هذا فضلا عن اسم «(حونى)» انما قد جاء على مقصورة فى سقارة ، ترجع الى بداية الأسرة الرابعة ، وكذا على منجز بالرمو ، عند تسجيل هبة من «(نفر اير كارع)» الى «(حونى)»<sup>(٥٥)</sup> .

#### ( ٣ ) أهرام سيلا وزاوية الاموات والكهنة

لحل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك أهراما ثلاثة أخرى ، تنتمى الى الأسرة الثالثة ، لم تشيد فى منطقة منف ، وانما بعيدا عنها ، فى محافظات الفيوم والمنيا وأسيوان .

وأولها «(هرم سيلا)» : — ويقع على «بعده خمسة كيلو مترات من

(٥٢) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٢٩٦ — ٢٩٧ ،

وكذا W. M. F. Petrie, The Bulding of a Pyramid, Ancient Egypt, 15, 1930, p. 33 F.

L. Borchardt, Altagyptische Festungen, Leipzig, 1909, (٥٣) p. 41.

ZAS, 46, 1909, p. 12, 75, 1956, p. 18. (٥٤)

W. S. Smith, The Old Kingdom in Egypt and The (٥٥)

Beginning of The First Intermediate Period, CAH, I, Part, 2 1962, p. 17.

تريعة وهبي ، على مقربة من عزبة زنانيري ، بمحافظة الفيوم — وقد زاره «بورخاردت» في عام ١٨٩٨ م ، وكتب أول وصف له (٥٦) ، وفي عام ١٩٣٧ م نشر «بوشسان» خمس صور لهذا الهرم (٥٧) ، ولا نجد في الناحية الشرقية من هذا الهرم أية بقايا من معبد أو هيكل ، كما لا توجد في هذه الناحية مساحة كافية لمعبد الوادي ، لان الهرم نفسه مشيد قريبا من حافة الهضبة ، وأمامه من الناحية الشرقية منحدر عميق ، ولم يسبق لأحد أن لاحظ وجود مقابر على مقربة منه ، كما لا يوجد حوله الا بعض قطع متناثرة من الفخار ، وشظايا من الحجر الجيري ، وأن أشار (بورخاردت) الى رؤيته لقطعة من حجر البازلت ، مما قد يشير الى وجود تماثيل أو معبد هناك (٥٨) .

هذا ويتردد «جورج رايزنر» في أن يطلق عليه صفة المصطبة ذات الطبقات ، ويصفه بأنه رديم وحوله كساء من الحجر ، ويتكون من نواة وطبقة واحدة (٥٩) .

وأما الهرم الثاني ، فكان في «زاوية الاموات» (زاوية الميتين) — ويقع على الضفة الشرقية للنيل ، على مبعده ثمانى كيلو مترات ، شمالى المنيا — وسط جبانة مدينة «حبنو» القديمة ، ومازال الجزء الاسفل منه باقيا حتى الان ، وهو مشيد بكتل من الاحجار التى تميل الى الداخل ، وقد قام «ريموند في» بتنظيف جوانبه ، وان لم يجد أى دليل لتحديد تاريخه ، بل انه فشل حتى فى العثور على مدخله (٦٠) .

L. Borchardt, Die Pyramide Von Silah, in ASAE, I, (٥٦)

1900, p. 211-214.

A. Pochan, Pyramide de Seila au Fayoum, in BIFAO, (٥٧)

37, 1937, p. 161.

(٥٨) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٩٢ .

G. A. Reisner, The Development of The Egyptian Tomb, (٥٩)

p. 339.

R. Weill, Fouilles a Tounah et a Zaouiet-Maïetin, 1912, (٦٠)

p. 488.

B. Porter and R. L. B. Moss, op. cit., IV, p. 134. وكذا

G. A. Reisner, op. cit., p. 339. وكذا

وأما ثالث هذه الاهرامات ، فهو هرم «الكولة» ، ويقع في «البصيلية»  
مركز ادفو ، بمحافظة أسوان ، وقد سبق أن تحدثنا عنه •

هذا ويمكننا أن نضيف الى هذه الاهرامات الثلاثة أثرا رابعا ،  
يوجد في خرائب «نوبت» على مبعدة سبعة كيلو مترات ونصف من  
نقادة ، بمحافظة قنا ، وقد فحصه «بتري» عام ١٨٩٢م • وهو أيضا  
نوع من المصطبة ذات الطبقات ، ومداميكه متجه نحو الداخل ، وله  
نواة وثلاث طبقات ، ولكننا لا نجد أى أثر لمصاطب فوق المصطبة  
السفلى ، حتى يمكننا القول بأنه هرم مدرج (٦١) •

ولعل أهم الموظفين في الاسرة الثالثة — غير ايمحوتب وزير زوسر —  
المدعو «مثن» ، وقد تدرج في كثير من المناصب ، وكان من المعمرين ،  
حيث بدأ حياته الوظيفية في عهد «زوسر» ، وادتد به العمر الى أوائل  
الاسرة الرابعة ، وقد نقلت مقبرته بأكملها الى متحف برلين ، ومن  
نقوشها عرف النشء الكثير عن التنظيم الإدارى للبلاد في ذلك العهد ،  
فضلا عن الوظائف التى تدرج فيها ، والاقاليم المختلفة التى كان  
يشرف عليها •

وهناك كذلك «حسى رع» وكان يشغل وظيفة «رئيس كتبة الملك» ،  
وقد عثر في مقبرته المعروضة الآن بالمتحف المصرى على الكثير من  
اللوحات الخشبية (٦٢) ، وهناك كذلك «منكا» وكان يحمل ألقاب  
«القاضى» و «الوزير» كما يبدو ذلك من أوام حجرية ، عثر عليهما بين  
الكميات الضخمة المخزونة في الأروقة الموجودة أسفل هرم زوسر  
المدرج (٦٣) •

W. M. F. Petrie and J. E. Quibll, Nagada and Ballas, (٦١)  
London, 1896, p. 65-70.

J. E. Quibell, The Tomb of Hesy in Saqqara (1911- (٦٢)  
1912), Cairo, 1913, p. 26.

J. Vandier, Manuel d'Archeologie Egyptienne, I; Paris (٦٣)  
1952, p. 947.

W. S. Smith, in CAH, I, Part, 2, 1971, p. 160. وكذا



«وعلى أى حال»، فرغم أن الكثير لم يعرف بعد عن النظم الادارية  
 في عصر الاسرة الثالثة ، فان النخبة الممتازة من رجال الدولة القلائد  
 الذين نعرفهم ، من أمثال «ايمحوتب» و «حسي رع» و «نجم عنخ»  
 و «نفع باوسكر»<sup>(٦٩)</sup> و «أخت عا» ومهندس السفينة «بجمس» انما  
 كانوا اجمعين ارجالا أكفاء ، نشيطين ، ومفكرين وضعوا النظريات الدقيقة  
 فيهما يتقن بالامور العامة ، وتخصصاتهم الحرفية ، بصفة خاصة<sup>(٦٥)</sup> .

ويبدو بصفة عامة أن الدولة القديمة لم تعرف نظام الموراثة الجامد  
 وانما كانت الممارسات الفطرية ، وتفضيل الملك ، هي العوامل التي تحدد  
 عمل الأفراد ، وربما كانت الحاجة ماسة الى رجال أكفاء للمشروعات  
 الكثيرة في عصر الاسرة الثالثة ، من العوامل التي جعلت الترقى في  
 الميراث ، وأسبل منه في الاسرة الرابعة ، عندما كان كبار الرجال  
 المفضلين عند الملك من أفراد أسرته<sup>(٦٧)</sup> .

Pm, III, p. 11.

M. A. Murrey, The Tomb-Saker, II, 1937, p. 11.

W. S. Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt,  
 Harmondsworth, 1965, p. 35-38.

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 1600.

(٦٤)

وكذا

(٦٥)

(٦٦)

## ٢ ... الاسرة الرابعة

### (١) سنفر

يبدأ «مانيتو» أسرته الرابعة بملك دعاه «سوريس» ، وليس هناك من ريب في أنه كان يعنى به «سنفرو» (نب ماعت) <sup>(١)</sup> ، وطبقا لما جاء في «بردية ابريس» فقد اعتلى سنفرو العرش بعد «حوني» مباشرة <sup>(٢)</sup> ، ومن ثم فقد ذهب كثير من العلماء الى أن انتقال السلطة من الاسرة الثالثة الى الرابعة انما قد تم بطريقة طبيعية <sup>(٣)</sup> ، وأن «أم» سنفرو انما كانت تدعى «مرس عنخ» ، وأنها قد دفنت في ميدوم ، وأن اسمها قد جاء في قائمة بالرمو ، وكذا على خراطوش في معبد «حوني» في ميدوم <sup>(٤)</sup> .

وهكذا ذهب بعض الباحثين الى أن «مرس عنخ» لم تكن الزوجة الرئيسية للملك «حوني» ، ومن ثم فقد تقدمت عليها زوجة أخرى ، أنجبت ابنا لم يعرف اسمه ، وربما مات في أخريات عهد أبيه ، فضلا عن بنت تدعى «حنتب حرس» انحصرت وراثة العرش فيها ، ولما كان القوم حينئذ لم يألوا حكم الاناث منفردات ، فقد زوج «حوني» ابنته هذه من ولده الذي أنجبه من «مرس عنخ» ، تجنبيا للخلاف بين فرعى

---

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford (١)  
1964, p. 77.

W. S. Smith, op. cit., p. 160. (٢)

G. A. Reisner and W. S. Smith, A History of Giza (٣)

Necropolis, II, The Tomb of Hetep-Heres, Cambridge, 1955, p. 1 F.

W. S. Smith, Inscriptions Evidence for The History of وكذا

The Fourth Dynasty JNES, II, 1952, p. 113 F.

B. Gardsetoff, Notes sur deux Monuments inedits de (٤)

L'Ancien Empire, ASAE, 42, 1943, p. 118.

W. M. F. Petrie, Medum, London, 1892, p. 19. وكذا

الضرتين ، ولكي تنتقل اليه الصبغة الشرعية الكاملة في اعتلاء العرش ، واحتفظ «سنفرو» لزوجته بمكانتها ، فسمح لها بأن تحمل لقب « بنت الاله » (سات نثر) ، وهكذا انتقل العرش الى سنفرو مباشرة بعد موت أبيه حونى<sup>(٥)</sup> .

على أن هناك وجها آخر للنظر ، يذهب أصحابه الى أن انقساما قد حدث في البلاد بشكل ما ، بعد وفاة «زوسر» ، لم يستطع « حونى » — آخر ملوك الاسرة — القضاء عليه ، وعند وفاته ورثت العرش ابنته «حتب حرس» ، فتزوجت من سنفرو ، وهو من غير أبناء الاسرة المالكة ، فنقلت اليه حق الملك ، أو بمعنى آخر نقلت اليه الحق الاوزيرى المقدس الذى استندت اليه أسرتها الثالثة فى حكمها ، واعتمد أصحاب هذا الاتجاه على تفسير خاص للجانب السياسى والاسطورى فى المذهب المنفى<sup>(٦)</sup> .

وفى الواقع اننا لا نتفق مع وجهة النظر التى تذهب الى أن البلاد قد فقدت وحدتها فى الاسرة الثالثة ، وان كنا نوافق تماما على أن أم سنفرو ، انما كانت تدعى «مرس عنخ» وأن زوجته كانت «حتب حرس» وأنها قد قامت بالدور الرئيسى فى انتقال العرش اليه ، فهى سليله الدم الملكى النقى ، الذى يمثل الفرع المباشر للوراثة ، على أساس انها ابنة «حونى» آخر ملوك الاسرة الثالثة .

وهناك ما يشير الى أن زواج سنفرو من «حتب حرس» انما تم ابان عصر سلفه «حونى» ولم يكن قبيل أو بعد ارتقائه عرش الفراعين ، ذلك لان ولدهما «خوفو» انما كان رجلا فى العشرينات من عمره ، عندما اعتلى العرش ، وأن الامير «خوفو خع اف» (Khufukhaf) قد ظهر فى مقصورة مقبرة تم بناؤها فى السنة الاخيرة من حكم والده سنفرو ،

---

G. A. Reisner and W. S. Smith, op. cit., p. 5. (٥)

وكذا W. S. Smith, JNES, II, 1952, p. 125.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢١ - ٣٢٢ .



مرة كرجل شاب مع أمه ، وأخرى كرجل عجوز سمين<sup>(٧)</sup> ، وأن ولى العهد «كاوعب» (Kawab) الذى توفى حوالى وقت وفاة والده ، انما قد صور فى مقبرة ابنة الملكة «مرس عنخ الثالثة» فى صورة رجل بدين مهيب فى خريف العمر<sup>(٨)</sup> ، وهكذا يذهب بعض الباحثين الى أن «سنفرو» انما كان فى حوالى الثامنة عشرة ، عندما رزق بأكبر أبنائه ، وأنه تزوج من «حطب حرس» فى منتصف عصر سلفه «حونى» ، لكى يدعم حقه فى وراثة العرش المصرى<sup>(٩)</sup> .

وأيا ما كان الامر ، فليست المشكلة فى صلة سنفرو بحونى ، فهناك من يجعله ابنا له ، ومن يجعله زوجا لابنته ، وفى الواقع نحن لا نعرف على وجه اليقين صلة الواحد منهما بالآخر ، وان كنا لا نميل الى أن سنفرو انما كان ابنا لحونى ، والا لما كان هناك ما يدعو الى قيام أسرة جديدة ، اللهم الا اذا كان ذلك يعنى أن فترة حكمه انما تمثل بداية عهد جديد فى تاريخ مصر ابان أيام الدولة القديمة ، تتميز بتركيز الحكم فى الشمال ، فضلا عن عدم وجود أمهرام فى الجنوب ، ومهما يكن من أمر ، فان سنفرو انما يدين بعرشه الى الرابطة التى تربطه بحونى وأسرته .

وعلى أى حال ، فلقد أسس «سنفرو» أسرة ملكية ، وأصبح مركزه شرعيا لاعتلاء عرش البلاد بزواجه من الاميرة «حطب حرس» التى كانت تحمل لقب «ابنة الاله» وكان لها حق وراثة العرش ، على أساس أنها الوريثة المباشرة لخط الدم الملكى ، هذا وقد عثرت بعثة متحف بوسطن على مخبأ أثاثها الجنزى ، الذى يحتل حجرة كاملة فى المتحف عام ١٩٢٦ م فى جبانة الجيزة<sup>(١٠)</sup> .

---

W. S. Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in The Old Kingdom, 1946, Pls. 43-44. (٧)

W. S. Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, 1958, pl. 46. (٨)

W. S. Smith, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 165. (٩)

G. A. Reisner and W. S. Smith, A History of The Giza Necropolis, II. The Tomb of Hetep-Heres. Cambridge, 1955. (١٠)

هذا وقد ذُلف «سنفرو» وراءه شهرة الحاكم المثالي في الخير وحسن التصرف ، شديد الحرص على أن يسود العدل رعيته ، حتى أنه اتخذ العدالة شعاراً له ، فلقب نفسه «(نب هاعت)» (سيد أو رب العدالة) ، ومن ثم فقد ظلت ذكراه عدة قرون بين المصريين ، وكانوا يشيرون اليه بقولهم «الملك الحسن» و «الملك الرحيم» و «الملك المحبوب» و «الملك الفاضل» ، كما صورتها الوثائق متواضعا ، يميل إلى المعرفة ، ويكرم العلماء ، ويحسن الاستماع ، ويكتب بنفسه ، ولا يبالي أن يسأل عما لا يعرفه ، كما اختار بعض ملوك الأسرة الثمانية عشرة — بعد وفاته بحوالي سبعة قرون — نفس المنطقة التي دفن فيها ، لتكون مثوالهم الأخير ، تيمنا به ، وتقديسا له (١١) .

هذا وقد حكم «سنفرو» أربعة وعشرين عاما ، وكان ابتناؤه يتولون أغلب المناصب الهامة في البلاد ، سواء أكان ذلك في العاصمة أم في الأقاليم ، فلما جاء اليوم الذي ترك فيه أمور مصر إلى ولده «خوفو» من بعده ، ترك عرشا ثابت الأركان ، وبلاد غنيا منتظم الإدارة ، وموظفين مدربين اكتملت خبرتهم الفنية .

وهناك على مبعدة عشرة كيلو مترات تقريبا إلى الجنوب من أهرام سقارة ، شيد «سنفرو» مقبرتيه المشهورتين ، عرفت الواحدة منهما باسم «الهرم المنحني» (وميلحته ٣٥٤٠٠ مترا ، وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته ١٨٨٦ م ، وارتفاعه ١٠١١٥ مترا) وذلك لأن جوانبيه شيدت بانحدار منكسر .

وأما الأخرى فهي الهرم الأحمر ، لأن حجارته تميل إلى الحمرة ،

G. Posener, Littérature et Politique. Paris, 1956, p. 32. (١١)

B. Gunn, Concerning King Sneferu, JEA, 12, 1926, وكذا  
p. 250-251.

Sir Alan A. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, وكذا  
1964, p. 79.

موتقع إلى الشمال من الهرم المنحني ، وقد بنيت على شكل هرم مربع الشكل (ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٢٢٠ م ، وارتفاعه ٩٩ م) ، ويعد أول هرم حقيقي في مصر ، وألش الذي احتذاه بقية ملوك الأسرة الرابعة فيما بعد (١٢) .

والله سبحانه من غير الطبيعي أن ملكا واحدا يبني لنفسه هرمين كبيرين الحجم لا يبعد الواحد منهما كثيرا عن الآخر . ولكن حقيقة الأمر يؤكد أنها مرسوم في عصر «إيبي الأول» يعني الموظفين من خدمات معيثة ، كان رعايا فرعون الأثقل حظا يكلثون بها ، وقد عثر على اللوحة التي تحمل المرسوم فيما تظن أنه كان معبد الوادي للهرم الحجري الشمالي في دهشور ، يحتوي سقارة ينصص كياو مترات ، والذي يقصص مستقرو في أغلب الأمر ، تبعا لذلك (١٣) .

هذا ولم يعثر على أي أثر يدل على أن الهرم الشمالي قد استخدم ليكون مقفنا هكيا ، سواء عندما قام «يوتنج» و «تير» بفحصه وتنظيفه في عام ١٨٣٩ م ، أو عندما أعيد تنظيفه في عام ١٩٤٧ م ، ويذهب استاقتنا الكبير أحمد فخري — طيب الله ثراه — إلى أن مستقرو إنما قد دفن في الهرم المنحني في دهشور ، وفي الحجرية العليا التي تقع في المر اللعربي ، وليس من المستبعد أن نثر في المستقبل على ميان جتزية على مقربة من الهرم الشمالي في دهشور ، كالتى كشف عنها على مقربة من اللجتيبي (المنحني) بين أعوام ١٩٥١ ، ١٩٥٥ م ، وهو الهرم الذي كان دون غيره من الأهرام ، المقر الأبدى للملك مستقرو (١٤) .

## (٢) خوقو

حك «خقوم خواف وي» — أو «خوقو» كما يختصر اسمه

J. Vercoer, op. cit., p. 288.

(١٢)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 78.

(١٣)

(١٤) أحمد فخري : الأهرامات المصرية — القاهرة ١٩٦٣ ص ١٤٣ —



عادة — أباه «سنفرو» على عرش الكنانة ، وتزوج من أخته «مريس ايتس» (الزوجة الرئيسية) وقد أفاد «خوفو» من خبرات رجال أبيه ، وخبرات عهده ، وتوفر له من السلطات أكثر مما توفر لأبيه ، وتوفر لمصر في عهده من الامكانيات المادية ، والكفايات الفنية ، أكثر مما توفر لها في عهد أبيه ، وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من شهرة «خنوم خو اف وى» — صاحب الهرم الاكبر ، فلسنا نعرف سوى القليل عن أعماله — خارج نطاق هذا الشاهد المادى لسلطانه العظيم —

وأما خرطوشه الذى يحمل اسمه «خنوم خو اف وى» ، فقد عثر عليه فى محاجر متعددة ، وفى مقابر أقربائه ونبلائه ، وفى عدد من الكتابات من العصر المتأخر ، ولكن من بين هذه جميعا ، ليست هناك وثيقة معاصرة تستطيع أن تدعم اصلتها التاريخية ، الا فيما يتصل بدفن أمه «حتب حرس» ، هذا فضلا عن أنه ليس لدينا سند سليم نقيم عليه قرارا ثابتا عن طول مدة حكم خوفو ، الذى تسجله بردية تورين ، وكأنما استغرق ثلاثة وعشرين عاما ، بينما يسجل له المؤرخ المصرى «مانيتو» — ولعله يعتمد على الחדس وحده — ليس أقل من ثلاثة وستين عاما<sup>(١٥)</sup> .

هذا وقد أطلق خوفو على نفسه — بعد اعتلائه العرش — لقباً ، صعبت قراءته قراءة سليمة حتى الآن ، وربما قرئ (حور مجرو) ، والذى قد يعنى «حور سديد المرمى» أو «حور الدرء» (الحصين) ، ثم سرعان ما انتسب الى الربتين — «نخبت» (نخابة) الهة الصعيد ، و «وادجيت» الهة الدلتا — بنفس كلمة «مجدو» (أو مجرو) بمعنى المهتدى بهما ، وأما رجال الملك فقد لقبوه بلقب آخر ، ربما يمكن أن يقرأ «حورى نب رخو» بمعنى الملك الحورى رب المعرفة ، أو «حورى نب رخينيو» ، بمعنى رب الشعب ، المنتسب الى الصقرين ، وأيا ما صح

---

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 79-80.

(١٥)

من هذه القراءات ، فانما يدل على رغبة القوم في وصف ملكهم بصفة  
طيبة يحبونها فيه (١٦) .

وعلى أى حال ، فلقد قام «خوفو» بكثير من الاعمال الجلييلة  
والمنشآت العظيمة ، غير أن ذلك كله لم يكن السبب في تخليد اسمه في  
التاريخ على مدى الاجيال ، وانما كان السبب في ذلك هرمه الذى شيده  
على هضبة الجيزة ، وهو المعروف باسم «الهرم الاكبر» والذى مازال  
شامخا ، سليم البنيان ، يتحدى الزمن ويغالبه ، وينتزع اعجابنا كما  
انتزع اعجاب الشعوب القديمة جمعا ، ويعترف الناس اليوم — كما  
اعترفوا بالأمس — بأنه ليس واحدا من عجائب الدنيا السبع (١٧)  
وحسب ، بل هو عجيبة العجائب ، ذلك لاننا حين نصف الهرم الاكبر  
بأنه من عجائب الدنيا السبع ، فان ذلك يبدو — كما يقول جاردنر —  
أقل بكثير من الواقع ، مادام الهرم الاكبر يفوق في حجمه أى مبنى  
أقامه الانسان في تاريخه الطويل ، الامر الذى سوف نناقشه في فصل  
مستقل في كتابنا عن «الحضارة المصرية القديمة» .

وهو — على أية حال — يشغل مساحة تقرب من ١٣ فدانا ( ٥٤ ألف  
متر مربع ) ، وكان ارتفاعه ١٤٦ مترا ، تهدم منها تسعة أمتار منذ بضعة  
قرون فأصبح ارتفاعه الآن ١٣٧ مترا ، واستخدم البنائون في بنائه  
— فيما يقال — مليونين وثلاثمائة ألف كتلة حجرية ، زنة الواحدة

( ١٦ ) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٤ .

H. Gauthier, Le Livre des Rois d'Egypte, I, Cairo, 1907. وكذا  
p. 73-74.

G. Reisner, op. cit., p. 8. وكذا

K. Sathe, ZAS, 42, p. 53 F. وكذا

( ١٧ ) بدأ كتاب اليونان يتحدثون عن عجائب الدنيا السبع منذ القرن  
الثاني قبل الميلاد ، وقد حدث بعض التغيير فيها على مر العصور ،  
وهاهى ، كما ذكرها المؤرخ «فيلو البيزنطى» : ١ — أهرام مصر ٢ — حدائق  
سيميراميس في بابل ٣ — تمثال الاله «زيوس» في أوليمبيا ٤ — معبد الالهة  
«أرتيمس» في افسوس ٥ — ضريح هاليكارناس ٦ — تمثال رودس ٧ — منارة  
الاسكندرية ( احمد فخرى : الاهرامات المصرية ص ١٤٥ ) .

٢١ طن ، وبعضها يزن ١٥ طنا (وربما ١٦ ١/٢ طنا) ، هذا ويتضمن الهرم الأكبر ثلاث حجرات كبيرة للدفن ، حجرة سفلية نحتت في باطن الصخر ، وثانية في باطن الهرم تعرف خطأ باسم «غرفة الملكة» وقد هجرتا ، ثم حجرة ثالثة بنيت بالجرائيت في منتصف الهرم العلوى ، دفن الفرعون فيها ، هذا ويصل بين حجرة الدفن الوسطى في باطن الهرم ، دهليز صاعد يعتبر آية من آيات الفن المعماري في عصره ، ويبلغ طوله ٥٣ قدما ، وارتفاعه ٢٨ قدما ، كسيت الاجزاء السفلى من جانبه بأحجار مصقولة ضخمة .

وأما المباني التي كونت مجموعة الهرم الأكبر فقد اختلفت جميعها الا قليلا ، فمعبد الوادي لم يتم حفره حتى الان . ويقع تحت قرية نزلة السمان أو الى الشرق منها ، وأما الطريق الصاعد ، والذي وصفه هيرودوت بأنه لا يقل عن تشييد الهرم نفسه ، فقد رآه « لبسيوس » عندما زار مصر عام ١٨٤٣ م ، وأما السور الخارجى فلم يتبق منه غير آثار قليلة ، والامر كذلك بالنسبة الى المعبد الجنائزى الذى كان الى الشرق من الهرم ، ويتكون من فناء تحيط به أعمدة ، وهو مدرج يؤدي الى مقصورة القربان أو الى مشكاوات خمس .

هذا وهناك تمثال صغير للملك «خوفو» من العاج ، عثر عليه في أبيدوس وهو محفوظ بمتحف القاهرة ، ولا يتعدى طوله بضعة سنتيمترات ، ويمثله جالسا على كرسى ، متوجا بالتاج الاحمر (١٩) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه في عام ١٩٢٥ م ، عثر

---

(١٨) ذهب «برستد» الى أن «خوفو» ليس منفى الاصل ، وانما من «بنى حسن» بالمنيا ، دقر عبادة «خنوم» ، ومن ثم فقد سمي المصريون هذه الناحية «منعت خوفو» أى «مرضة خوفو» ، وهناك عدة افتراضات ، منها أن «منعت خوفو» قد تكون مسقط رأسه ، ومنها أن مرضعة خوفو قد تكون من بنى حسن (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٥) .

J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 116.

وكذا

J. Vandier, Manuel d'Archeologie Egyptienne III, Paris. (١٩)

1958, p. 15.



«جورج أندرو رايزنر» (١٨٦٧ — ١٩٤٢) على حجرة دفن من عصر الدولة القديمة ، شرقى الهرم الاكبر ، لم يعرف اللصوص طريقهم اليها ، فقد عثر فى داخل الحجرة على التابوت المرمى الجميل، والاثاث الجنازى للملكة «حتم حرس» زوج سنفرو ، وأم خوفو — ومع أن التابوت وجد خاليا ، الا أنه قد عثر على الاحشاء التى استخرجت من الجسد فى صندوق من المرمر ، عرف باسم «الصندوق الكانوبى» .

ويذهب «رايزنر» الى أن الملكة ربما قد دفنت فى مقبرة بدهشور ، على مقربة من هرم زوجها الملك سنفرو ، غير أن اللصوص سرعان ما اقتحموا قبرها وأخذوا الجسد بما عليه من جواهر وحلى ذهبية ، ولكنهم قبل أن يتمكنوا من سرقة بقية الاثاث ، اكتشف الحراس الامر، ومن ثم فقد نقلوا البقية الباقية منه الى الجيزة ، وهناك قطعوا — الى جانب طريق المحبد الجنازى للهرم الاكبر ، الذى كانوا يعملون فيه وقتذاك — بئرا عميقا كدسوا فيه ما بقى من محتويات المقبرة ، دون أن يحيطوا خوفا علما بذلك .

وهناك فى احدى قاعات المتحف المصرى بالقاهرة ، صفت محتويات مقبرة الملكة «حتم — حرس» ، ومنها أوان من المرمر ، وابريق من النحاس ، وثلاث أوان ذهبية ، وأمواس وسكاكين من الذهب ، وأدوات من النحاس ، وآلة ذهبية لتقليم الاظافر — مديبة من أحد طرفيها لتنظيف الاظافر ، مقوسة من الطرف الاخر لضغط أطراف اللحم عند النظر الى أسفل — هذا وقد احتوى صندوق الزينة على ثمان أوان صغيرة من المرمر ، مملأى بالعطور والكحل ، فضلا عن عشرين خلخالاً من الفضة ، رصع كل منها بفراشات من الدهنج واللازورد والعقيق الاحمر .

وهناك كذلك سرير الملكة المصنوع بالذهب ، وكرسیها الكبير، وخيمتها المتنقلة ذات الاعمدة المصنوعة بالذهب ، فضلا عن محفة مصنوعة من

الخشب ، وكسى جزء منها بصفائح من الذهب ، محلاة بكتابات  
هieroغليفية من الذهب ، مثبتة فى لوحات من الابنوس ، ومكررة أربع  
مرات ، ويمكن ترجمتها كالتالى : «أم مصر ملك مصر العليا والسفلى ،  
تابعة الاله حور ، رائدة الحاكم ، العزيزة التى تنفذ كل أوامرها ، ابنة  
الاله ، المولودة من صابه حتب — حرس» (٢٠) •

### (٣) خلفاء خوفو

كانت الخلافات بين أفراد البيت الملك ، سواء فى عهد خوفو أو  
بعده ، سببا للكثير من المتاعب ، فقد تزوج خوفو من عدة زوجات ،  
وكان بعضهن ، دون شك ، أميرات يجرى فى عروقهن الدم الملكى ، وقد  
رزق الكثير من البنين والبنات من زوجاته الكثيرات ، وكانت الامنية  
الكبرى لأكثر من واحدة من زوجاته أن ترى ولدها متربعا على العرش  
فى يوم من الايام ، ومن ثم فقد ظهر نوع من الصراع بين فرع-ين  
رئيسيين من أبناء خوفو ، بين «جدفرع» وبين «خفرع» ، وربما قد  
امتد هذا الصراع الى صفوف الكهنة والى الشعب •

وقد أدى ذلك الى أن يصبح ترتيب الملوك فى الاسرة الرابعة — بعد  
خوفو — غير موثوق به ، وطبقا لما جاء فى بردية تورين فقد تولى العرش  
بعد خوفو ، ولده «جدفرع» (رع جدف) — وهو ابن زوجة ثانوية —  
ثم تمكن بعد وفاة ولى العهد «كاوعب» — أو قتله — من الزواج من  
أرملته «حتب حرس الثانية» ، ولكنه سرعان ما اختفى بعد حكم لم يزيد  
عن سنوات ثمان ، ليخلفه على العرش أخ له (فى الفرع الثانى) يدعى  
«خفرع» (خع اف رع) (٢١) •

---

(٢٠) G. A. Reisner and W. S. Smith, A History of The Giza  
Necropolis, II, The Tomb of Hetep-Heres, Cambridge, 1955.

وكذا i. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 135-136.

(٢١) H. Gauthier, Le Roi Zadfre Successeur Immédiat de  
Khufu-Kheops, ASAE, 25, p. 175-180.

Urku, I, p. 166, 285 F.

وكذا

هذا وقد استمرت ذكرى «جد فرع» في نصوص أفراد من الأسرة الخامسة كانوا يعملون بالكهانة في معبده ونسبوا اليه عدة ضياع (٢٢) ، هذا فضلا عن نص في وادى الحمامات ، يرجع الى الأسرة الثانية عشرة (٢٣) \* وهناك ما يشير الى أن «جد فرع» قد تعهد أولاده بتربية طيبة ، سمحت لهم بأن يظهروا في تماثيلهم على هيئة الكتاب والقراء في ساحة معبده (٢٤) .

وهناك في بردية تورين — وكذا مانيتو — ما يشير الى أن النزاع بين فرعى عائلة خوفو الرئيسيين (٢٥) ، وأن فرع «جد فرع» انما قد تمكن مرتين من الاستيلاء على العرش ، كانت الاولى بعد موت «خفرع» ، وقبل أن يتمكن ولده «منكاورع» من استعادة عرش أبيه ، وكانت الاخرى في أخريات أيام الأسرة الرابعة، وبعد وفاة «شيسسكاف» وان لم تعترف نصوص الأسرة — فضلا عن الوثائق التى كتبت في العصور التالية — بهذه المحاولات التى قام بها أبناء «جد فرع» ، ومن ثم فقد اعتبرتهم ملوكا مغتصبين للعرش المصرى من أصحابه الحقيقيين

- 
- |   |        |
|---|--------|
| G. A. Reisner, op. cit., p. 7.  | = وكذا |
| W. S. Smith, JNES, XI, 1952, p. 124.  | وكذا   |
| B. Gardeloff, Notes Surdeux Monuments Inedits de L'Ancien Empire, ASAE, 42, 1943, p. 118.   | وكذا   |
| H. Ranke, JAOS, LXX, p. 65 F.   | وكذا   |
| W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, 1971, p. 173.   | وكذا   |
| H. Gauthier, Le Livre des Rois d'Egypte, Paris, 1907, p. 84-85.   | (٢٢)   |
| F. Debono, ASAE, 51, 1951, p. 89.   | (٢٣)   |
| عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٧ .   | (٢٤)   |
| Von Walter Federn, Archiv fur Ag. Arch., Wien, 1938, p. 57.   | وكذا   |
| (٢٥) يذهب «رايزنر» الى أن فروع أسرة خوفو انما كانوا ثلاثة : فرع أبناء الزوجة الرئيسية ، وبقي منه أميران صغيران ، لم يستطيعا الوصول الى العرش أو المطالبة به وهما «ددف - حور» ، و «باوف رع» ، وفرع من زوجة ثانية ، ترأسه جدفرع ، وفرع من زوجة ثالثة ترأسه خفرع (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٥) . |        |
| G. A. Reisner, Mycrinus, Cambridge, 1931, p. 241.   | وكذا   |



— نوسل خفرع — وهكذا نجدها تقتصر على أسماء خفرع (خع اف رع) ومنكاورع (من كاورح) وشبسكاف (٢٦) \*

وفي عام ١٩٥٠ ، عثر في وادي الحمامات على نقش على أحد الصخور هناك ، به جدول بأسماء داخل خانات ملكية ، وقد رتبوا كالتالى : خوفو — رع جدف — خفرع — حور ددف ، وأخيرا «باوف — رع» (٢٧) ، ورغم أن هذا النقش لا يرجع الى ما قبل الأسرة الثانية عشرة ، فإنه يصور لنا — على الأقل — ما كان معروفا عن تتابع ملوك الأسرة الرابعة في أيام الدولة الوسطى \*

كان «حور ددف» أحد أبناء «خوفو» ، وقد دفن في مصطبة كبيرة شرقى الهرم الأكبر (ومقبرته رقم ٧٣١٠ بجبانة الجيزة) (٢٨) وأما «باوف — رع» فلما نعرف آثارا باسمه ، وعلى أى حال ، فإننا نعرف واحدا من أبناء «خوفو» يدعى «خنوم — باوف» (ومقبرته رقم ٧٣١٠ في جبانة الجيزة) ، وآخر يسمى «حور — با — اف» ، وقد عثر له على تابوت محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة ، وربما أن واحدا منهما اتخذ لنفسه اسم «باوف — رع» عند اعتلائه العرش ، ونعرف من «بردية وستكار» ، أن القصة التى قصها «باوف — رع» تلى القصة التى قصها «خفرع» ، وقبل تلك التى قصها «حور — ددف» (٢٩) \*

H. Goedicke, Ein Verehrer des Weisen Ddîhr, in ASAE, 55, 1958, p. 35-44. (٢٦)

G. A. Reisner, Mycerinus, Cambridge, 1931, p. 246. وكذا

F. Debono, Expedition Archeologique Royale au Desert Orientale. ASAE, 51, 1951, p. 89. (٢٧)

G. A. Reisner, Hetep-Heres, Mother of Cheops, Boston Museum Bulletin, XXX, 1927, p. 4. (٢٨)

(٢٩) يرتب بعض الباحثين ملوك الأسرة الرابعة كالتالى : ١ — سنفر

٢ — خوفو ٣ — جدفرع ٤ — خفرع ٥ — جدف — حور ٦ — باوف — رع ٧ — منكاورع ٨ — شبسكاف \*

H. Gauthier, Le Livre Rois d'Egypte, I, p. 62-79.

F. Daumas, Le Civilization de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 72.

وعلى أى حال ، فليس من السهل القول بأن هذين الرجلين (خنوم  
باوف - حور باوف) قد جلسا على عرش الكنانة ، وأن كلا منهما كان  
يوما هو الحاكم الاوحد للبلاد ، ذلك لان مصر انما كانت وقت ذاك  
تجتاز فترة من عدم الاستقرار ، وربما حكما فى السنوات الأخيرة من  
حكم «خفرع» أو أوائل عهد «منكاورع» وعلى أى حال ، فلقد اعترف  
بهما كاتب بردية تورين ، وكذا نقش وادى الحمامات ، ومانيتو<sup>(٣٠)</sup> .

وايا ما كان الأمر ، فلقد أعقب «خفرع» من الأسماء الكبيرة فى  
الأسرة الرابعة اسم «منكاورع» والذي أطلق على نفسه لقب «كأخت»  
بمعنى فحل جماعة الأرباب، ولقب «حور نب» بمعنى الصقر الذهبى<sup>(٣١)</sup>  
ولم يبين مقبرته على شكل هرم ، وانما على طراز غير عادى ، وقد عرفت  
باسم «مصطبة فرعون» واتخذت نموذجا لمقبرة احدى بناته ، وهى  
«خنت - كاو اس» التى تعتبر حلقة اتصال بين الأسرة الرابعة  
والخامسة .

#### (٤) آثار خلفاء خوفو

##### (١) هرم جددفرع

هناك على مبعدة سبعة كيلو مترات الى الشمال من الهرم الاكبر ،  
وفى موقع ممتاز يشرف على الوادى ، وعلى مقربة من قرية أبو رواش  
الحالية ، بنى «جدد فرع» (واللقب خبر) هرمه ، وهو هرم مربع  
القاعدة ، وطول كل ضلع من أضلاعه مائة متر ، وأما ارتفاعه الاسالى  
فحوالى اثنى عشر مترا ، ولا يزيد الباقي فى بنائه عن ثمانية أو عشرة  
مدا ميك من الحجر الجيرى ، مبنية فوق مرتفع من الصخر الطبيعى ،

(٣٠) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وكذا W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, 19/1, p. 1/5.

(٣١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٤ .

1944, p. 53-54.

H. Gauthier, op. cit., 95 F., E. Drioton, ASAE, 44, وكذا

1938, p. 57.

وكثيرا ما نقروا عن هذا الهرم من أن بناءه لم يتم في عهد صاحبه الذي لم يحكم سوى ثماني سنوات \*

ومن عجب أن «جد فرع» (ددف رع = رع ددف) اختار العودة الى تصميم الخندق المكشوف والبئر العمودية ، الخاصين بالاسرة الثالثة ، في حين أن سلفه «خوفو» قد نجح في بناء الأجزاء السفلية من قبره بطريقة تستنفذ مجهودا أقل من مجهود عمل خندق وربما كان السبب في ذلك هو اختلاف نوع الصخر في الهضبتين (٣٢) \*

وهناك على مقربة من قرية «أبو رواش» ، والى الغرب قليلا ، نرى بضع كتل من الحجر الجيري في المكان الذي نستدل منه على مكان معبد الوادي ، الذي لم يحفر بعد ، ويبدأ من هذه البقعة الطريق الصاعد لهذا الهرم ، والذي ربما كان أفخم وأفخر الطرق الصاعدة للآهرام كلها ، وأما بقايا المعبد الجنائزى فقد عثر عليها «شاسينا» عام ١٩٠١م في الناحية الشرقية ، وفي الجهة الجنوبية من الهرم — وربما في داخل سورته الخارجى — كان يوجد هرم جانبى صغير ، كادت أن تندثر الآن كل معالمه \*

هذا وقد وجدت حفرة لسفينة كبيرة منحوتة في الصخر في الناحية الشرقية من الهرم (طولها ٣٥م ، وعرضها ٧٥ر٣م ، وعمقها ٣٠ر٩م) ، وفي أسفل الرديم الذى كان يملؤها عثر «شاسينا» على ثلاثة رؤوس مكسورة لتمثيل متقنة الصنع للملك «جد فرع» يوجد اثنان منها الآن بمتحف اللوفر في باريس ، وأما الثالث فهو في المتحف المصرى بالقاهرة (٣٣) \*

وعلى أى حال ، فلقد نحت فنانونا «جد فرع» تماثيله بأسلوب

---

I. E. S. Edwards. The Pyramids of Egypt, (Pelican Original), 1965, p. 164. (٣٢)

(٣٣) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٨٦ - ١٨٩ \*



واقعى حزين كما ابتدعوا — فيما يرى البعض — أول نموذج لتمثيل أبو الهول ، برأس انسان وجسم أسد رابض ، وظهر وجه هذا النموذج دقيق التقاطيع ، ملونا بلون أصفر ، ومن غير لحية ، ومن ثم فقد افترض البعض أنه وجه أنثى ، وافترض آخرون أنه يمثل العدالة «ماعت» ولا يمثل الملك جدفرع بالذات (٣٤) .

#### (ب) هرم خفرع :

تعد مجموعة الملك «خفرع» (والذى لقب «حور سخم اي» بمعنى «الجسور») و «حور سخم نب» بمعنى «حور الذهبى الشديد») و «حور نفر» بمعنى «حور الخير») و «نثر نفر» بمعنى «الاله الخير» ، تعد أكمل المجموعات الهرمية فى الجيزة (٣٥) .

وهرم خفرع — أو الهرم الثانى من أهرام الجيزة — لا يقل ارتفاعه غير أمتار قليلة عن هرم ابيه «خوفو» ، إذ كان ارتفاعه الاصلى ١٤٣م (ارتفاعه الان ١٣٦م) وطول ضلع قاعدته المربعة ١٢٥م ، أما داخله فبسيط اذا قيس بالهرم الاكبر ، وله مدخلان من الناحية الشمالية .

وقد بنى الهرم الثانى فوق مرتفع من الارض ، ومن ثم فانه يبدو ، وكأنما هو الاكبر — رغم أن الهرمين يكادان يكونان متساويين فى الارتفاع والمساحة ، إذ أن الفارق بينهما ليس كبيرا ، حيث لا يزيد عن مترين ونصف ، ولا يزال التابوت المهشم المصنوع من الجرانيت المصقول ، قائما فى مكانه فى غرفة الدفن ، ولكن اللصوص لم يخلفوا أثرا لصاحبه

---

(٣٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٧ .

J. Spiegel, op. cit., Parag. 528.

W. Federn, op. cit., p. 60.

W. S. Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in The Old Kingdom London, 1949, Pl. XI, p. 323.

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٨ .

H. Gauthier, op. cit., p. 87-89.

الأصلى ، وأما البقايا الجوهرية للأجزاء الثلاثة الرئيسية من مبنى الهرم ، فماتزال ترى (٣٦) .

ولعل أبرز ميزة في معبد خفرع الجنازى هو ضخامة كتل الحجر الجيرى التى استخدمت في بنائه ، فهى أكبر كتل من نوعها في أى مكان آخر في مصر القديمة ، وأما التوش في هذا المعبد ، وفي الممر الصاعد ، فقد دمرت — ربما فيما عدا قطعة أو اثنتين — ولم يعثر على شئ منها في معبد الوادى — والذي حفر على حافة الصحراء ، قريبا من نزلة السمان — حيث كانت مثل هذه الزخرفة لا تستطيع الا أن تنتقص من جمال جدار الجرانيت الأحمر المساء ، وعلى أى حال ، فما يزال معبد الوادى — والذي كان يسمى خطأ من قبل ، معبد أبو الهول — يعد واحدا من أكثر المناظر التى تبعث على الرعدة في منطقة الجيزة ، فالأبناء الفسيحة بأعمدتها المربعة الصارمة ، تعكس البساطة والجمال الأخاذ لعمارة تلك الأيام الغابرة (٣٧) .

ولعل من الجدير بالإشارة أن الهرم الثانى مازال يحتفظ بالقرب من ذروته بجزء من كسائه من الحجر الجيرى الجيد ، وكان يكسوا أسفله مدماك على الأقل من حجر الجرانيت ، ويظن أن «الهرم» الذى كان يحلوه ، كان كذلك من الجرانيت ، وله مدخلان في الشمال ، الواحد : في أرض الفناء يؤدى الى أحدهم ، دهليز ، ثم الى غرفة دفن ، حفرت كلها في الصخر ، والآخر في جانب الهرم ، على ارتفاع خمسة عشر مترا من سطح الأرض ، ويؤدى الى دهليز هابط ، سقفه وجدرانه من حجر الجرانيت ، وبذلك ازداد استخدام الحجر في بناء الهرم ، ولا يلبث الدهليز أن يستقيم الى أن ينتهى الى غرفة دفن ، جدرانها محفورة في الصخر ، ومكسوة بحجر جيرى ، وسقفها أحطب في بناء الهرم ، وهناك

I. E. S. Edward, op. cit., p. 151-152.

(٣٦)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 81.

وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 81.

(٣٧)

في أرض غرفة الدفن ، بالقرب من الجدار الغربي ، خفض به تابوت جميل من حجر الجرانيت المصقول ، وأخيرا ننتد كان الى جانب هذا الهرم هرم صغير .

وهناك على مقربة من المعبد الجنائزي توجد خمس حفرات سفن ، قطعت في الصخر ، هذا الى جانب حفرة أخرى في الصخر كذلك ، تقع شمال شرق المعبد ، وربما أراد البنائون أن يجعلوا فيها مكانا لحفر سفينة سادسة (٣٨) .

هذا وقد عثر في أرجاء معبد الوادي على خمسة تماثيل للملك خفرع (كفرن) موجودة الان بالمتحف المصري بالقاهرة ، ومن بينها ذلك التمثال الشهير المنحوت من حجر الديوريت ، والذي يمثل الملك خفرع جالسا على عرشه ، وقد جسد جسم الاله حور على شدة حسكر ، خلف رأسه ليحميه (٣٩) ، ولاشك أن هذا التمثال انما يعد أروع ما نحتت المثال المصري في أي عصر من العصور ، لدرجة أن الكثيرين من الفنانين العالميين انما يعتبرون أن هناك تماثيل على رأس زواضع المنحت البشرية كله ، أولهما : تمثال خفرع هذا ، وثانيهما تمثال «ميشيل أنجلو» والمنحوت من حجر المرمر ، والذي يمثل السيد المسيح بعد انزاله من الصليب، وهو يتهاوى في النزاع الاخير بين ذراعى أمه مريم العذراء (٤٠) .

---

(٣٨) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ، احمد فخري : المرجع السابق ص ١٩٩ .

وكذا I. E. S. Edwards, op. cit., p. 152-155.

وكذا W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, 1971, p. 173.

(٣٩) انظر : K. Lange and M. Hirmer, Egypt, Architecture,

Sculpture, Painting, London, 1961, Pls. 36-39, p. 301.

(٤٠) يمثل هذا التمثال وجهة النظر المسيحية ، والتي تختلف تماما عن وجهة النظر الاسلامية ، ذلك أن القرآن الكريم انما يقول : وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما» (سورة النساء: آية ١٥٧ - ١٥٨ ، وأنظر تفسير الطبري ٣٦٧/٩ - ٣٧٨ ، تفسير القرطبي ص ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ ، ابن كثير ٣٩٩/٢ - ٤١٩ ، تفسير المنار ١٠/٦ - ٤٩) .



ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى «أبو الهول» ( سفنكس Sphinx ) والذي يمثل في الخيال الشعبى فى كل العصور ، تجسيدا لم يمت عنه اللثام ، فضلا عن الحق المبهم ، ولكن الآن ، وبعد حفائر متتالية فى المنطقة ، فيما بين عامى ١٩٢٦ ، ١٩٣٦ (٤١) ، وبعد أن تم تنظيف تمثال أبو الهول ، الذى على شكل أسد ، برأس آدمية ، اختفى الكثير من سحره ومع ذلك ، فان أحجية أصله لا تزال باقية •

ولعل أكثر وجهات النظر احتمالا ، هى أن «خفرع» نحتته فى ربوة فى الصخر ، كانت متاخمة للممر الصاعد ، صور بها نفسه فى صورة تجمع بين الرجل والأسد ، ولدينا من صور أبو الهول ، مثال واحد من عصور ما قبل الاسرات ، على لوحة اردوازية محفوظة بالمتحف البريطانى ، تتكون من جسم انسان ، ورأس صقر أو نسر ، وله جناحان يخرجان من وسط الظهر ، ويظهر أنهما مشدودان بحبال من تحت ابطه ، وقد فى حالة هجوم على ظهر ثور (٤٢) •

غير أن أبو الهول هذا ، انما يقدم لنا من الوجهة الاثرية ، أنجح طراز من طرز أبو الهول ، فله جسم أسد قوى ، وغير مكبل بالاجنحة ، وله رأس انسان وثيق التركيب ، يبدو فى ذلك الغطاء المعروف باسم «نمس» وعلى جبينه الناشر ، وله لحية مجدولة ، كحلية «أوزير» ، ومن ثم فقد قدر له أن يصبح شائعا فى الوحدات الزخرفية فى العالم أجمع ، فضلا عن زخرفة العمارة المصرية •

ولعل السبب فى اختيار التمثال ، على هيئة انسان ، ورأس أسد ، أن هناك لوحات اردوازية ترجع الى عصور ما قبل الاسرات ، صورت عليها أشكال أسود تهاجم حصونا ، أو رجالا ذوى ملامح أجنبية ، وأن

PM, III, p. 8-9.

(٤١)

وكذا Selim Hassan, The Great Sphinx and its Secrets, Cairo, 1953.

(٤٢) سليم حسن : أبو الهول - ترجمة جمال الدين سالم - القاهرة

١٩٦٨ ص ٥٦ - ٥٧ •

A. H. Gardiner, op. cit., p. 82.

وكذا

### ( ج ) هرم منكورع :

أقام منكورع (منقرع) هرم الجيزة الثالث ، على مقربة من هرم أبيه ، وجده ، وان كان أقل منهما حجما ، فارتفاعه ٦٦٥ مترا وطول ضلع قاعدته ١٠٨٥ مترا ، إلا أنه يمتاز بذلك الكساء الفخم من الجرانيت الذي كان يغطي جزءا من الهرم لا يقل عن الستة عشر مدمكا الأولى ، بدلا من الحجر الجيري الأبيض ، وذلك مما دعى المقرئ إلى أن يصفه في أيامه «بالهرم المون» ولكن صاحب الهرم مات قبل أن يتم وضع كسائه ، ومن ثم فقد وقع على «شبيسكاف» عبء اتمام مباني أبيه ، الأمر الذي تم في صورة لا تتفق وبناء الهرم ، إذ فعل ذلك باللبن ، وليس بالحجر •

وكان للهرم معبدان ، وطريق صاعد ، شأنه في ذلك شأن بقية أهرام الأسرة الرابعة ، معبد شعائر كبير ، ضخيم ، معقد التركيب ، بدى في بناءه بأحجار ضخمة هائلة ، وأنفقوا فيه جهدا كبيرا ، ومع ذلك لم يتم في عهد صاحبه ، رغم أنه حكم أكثر من واحد وعشرين عاما ، وطريق صاعد رصفت أرضيته بالحجر ، ولكنه ، لم يتم ، فأكمل فيما بعد باللبن ، كما حدث في المعبد الجنائزى • ثم هناك معبد الوادى ، وقد بنى من اللبن على مقربة من جبانة نزلة السمان الحالية ، وان بنيت قواعد الأعمدة وبعض أجزاء من الأرضية وعتبات الأبواب من الحجر الجيري ، وفي ذلك كله ، ما يباعد بين آثار منكورع وامكانات عهده ، وبين فخامة معابد خوفو وخفرع ، وضخامة عمارتها ، وضخامة الجهود التى بذلت فيها (٥١) •

وعلى أى حال ، فعندما كشف «برنج» عام ١٨٣٩م ، هرم منكورع ، ودخل حجرة الدفن ، عثر على بقايا مومياء الملك فى تابوته ، وقد كتب عليه : «ملك مصر العليا والسفلى ، منكورع ، الحى أبدا ، ولد من توت ، وريث الإله جب ، والمفضل عند ، أمك توت تبسط ذراعيها عليك

---

(٥١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٥ •

باسمها «سر السماء» وتمنحك الحياة كاله بدون أعداء» (٥٢) .

هذا وقد كشف «رايزنر» أثناء حفائره في المعبد الجنائزى عن عدد كبير من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، معظمها يمثل الملك ، اما بمفرده أو كفرد في مجموعة ، من ذلك بعض مجموعات تماثيل من حجر الاردواز عثر عليها في مبنى معبد الوادى ، وتحتوى كل منها ثلوثا مكونا من الالهة حاتحور والملك وأحد آلهة الاقاليم ، وهناك تماثيل يجمع بين الملك منكاورع والملكة «خع - مرر - نبتى» الثانية ، وكل هذه التماثيل تعد من الاعمال الفنية الممتازة ، والتي يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى عرفت من نوعها حتى الان ، وهناك خمسة عشر تمثالا صغيرا لهذا الملك تركت دون اتمام ، ولعل السبب فى ذلك موت الملك المفاجئ ، وشح خلفه (٥٣) .

(د) مصطبة شبسسكاف :

لم يحاول «شبسسكاف» (شبسس خت) أن يبنى لنفسه هرما كآسلافه ، وانما بنى مقبرة فى جنوب سقارة تعرف الان باسم «مصطبة فرعون» تختلف عن مقابر آسلافه ، فما هى بالهرم ، ولاهى بالمصطبة ، ولكنها على هيئة تابوت ضخيم مستطيل ، مائل الجوانب ( ١٠٠ متر طولا ، ٧٣ عرضا ، ١٨ متر ارتفاعا ) ترتفع جوانبه فوق مستوى سقفه ، وشادوه فوق قاعدة منخفضة ، وكسوه بأحجار بيضاء ، وأحاطوا قاعدته بآزار من الجرانيت ، وأحاطوه بسور خارجى ، كما شادوا له معبدين صغيرين ، وطريقا صاعدا بينه وبين معبد الوادى الذى لم يكشف عنه بعد (٥٤) .

A. Weigall, Histoire de L'Egypt Ancienne, Paris, 1968. (٥٢)  
p. 41-42.

G. A. Reisner, Mycrinus, Cambridge; 1931. (٥٣)

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 159-160. وكذا

(٥٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٧ .  
I. E. S. Edwards, op. cit., p. 166-167. وكذا



تلك الاسود انما كانت تمثل الملك الظاهر ، وأن القوم قد استمروا في هذا التشبيه في العصور التاريخية<sup>(٤٣)</sup> ، ومن ثم فقد كانوا يشبهون الفرعون بالاسد ، فيقولون «كالاسد في ساحة القتال» أو «الاسد الضارى» أو «أسد بين الحكام» بل أن «أمنحتب الثالث» (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق م) انما كان شديد الرغبة في أن يشبه بالاسد - كما في لوحة جبل البرقل - حيث يوصف «بالاسد القومى ، محبوب أهون رع»<sup>(٤٤)</sup> .

غير أن المصريين بعد أن تقدموا في المدنية طويلا ابان العصور التاريخية ، رأوا أن تمثيل مليكهم المؤله في صورة أسد أمر غير مقبول ، وذلك لارتباط الاسد في عقولهم بالشراسة والوحشية ، وهى صفات ما كان يجب - فيما يعتقدون - أن يوصف الفرعون بها ، وهو الملك المؤله الجالس على عرش الاله حور ، ومن ثم فقد تفتق ذهنهم عن صورة «أبو الهول» الذى تظهر فيه رشاقة الاسد وقوته المخيفة ، فضلا عن القوة الفعلية الخلاقة التى خص الله بها خلقه من بنى الانسان<sup>(٤٥)</sup> .

هذا ولم يهتم المصريون كثيرا بالاصل التاريخى لآبو الهول ، فقد كان بالنسبة اليهم الها ، أطلقوا عليه «حور - ام - آخت» أو «حور فى الافق» وهو فى الميونانية «حرماخيس» ، ولكنه من المؤكد أنه يعتبر كذلك شبيها بالملك «خفرع» وأن هناك كثيرا من الرصانة فى مقترح الاستاذ «باتسكومب جورج جن» (١٨٨٣ - ١٩٥٠) أن كلمة «سفنكس» مشتقة من «شسب عنخ» أى «الصورة الحية» ، وهى فقرة ربما تتطلب أن يضاف اليها «لرب العالم» أو «الاله أتوم» التى نلتقى بها أحيانا<sup>(٤٦)</sup> .

S. Hassan, The Sphinx, its History in The Light of (٤٣)

Recent Excavations, Cairo, 1949, p. 63.

A. W. Budge, Legends of The Gods. p. 88-89. وكذا

A. W. Budge, The Egyptian Sudan, p. 618. (٤٤)

S. Hassan, op. cit., p. 68. (٤٥)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 82. (٤٦)

وأما تسمية أبو الهول ، فربما جاءت من المقارنة بين اسم «حور -  
أم آخت» ، وبين اسم اله الحيثيين الذين أقطعهم الملك «آي» (١٣٣٩ -  
١٣٣٥ ق م) ضيعة في هذه المقارنة ، وهو الاله حورون<sup>(٤٧)</sup> ، فأطلقوا  
عليه «بر - حول» أي «بيت حول» التي حورت فيما بعد الى «أبو  
الهول»<sup>(٤٨)</sup> .

ومن عجب أن «هيرودوت» تجاهل أبو الهول تماما ، وأن «بليزى  
الأكبر» (٣٢ - ٧٩ ق م) كان الكاتب الكلاسيكى الوحيد الذى عرض  
لذكره<sup>(٤٩)</sup> ، وعلى أى حال ، فإن المصريين ظلوا دائما ينظرون الى  
الاهرام كرمز للاستقرار والاعتزاز ، والى أبو الهول (ارتفاعه ٢٠ مترا ،  
وطوله ٥٧ مترا) ، كمصدر غير محدود للحكمة وللالمل فى المستقبل .

ولعل من الجدير بالإشارة الى أن ما ذهب اليه البعض من تحطيم  
جنرید نابليون لأنف «أبو الهول» - عندما استخدموه هدفا إبان  
تدريباتهم على إطلاق البنادق والمدافع - غير صحيح ، ذلك أن المؤرخ  
الاسلامى الكبير «المقرئى» (١٣٦٤ - ١٤٣٦ أو ١٤٤٢ م) انما يحكى  
أن شيخا من كبار الصوفية كان يعيش فى عهده ، ويدعى «صائم الدهر»  
أراد أن يمسح وجه أبو الهول ، باعتباره أثرا من آثار الوثنية الاولى ،  
فهبت على زروع الجيزة ريح عاتية أتلفتها ، فظن «صائم الدهر» أنها  
كرامة من صاحب التمثال واضطر الى العدول عن محاولته<sup>(٥٠)</sup> .

(٤٧) هناك ما يشير الى أن «حورون» كان الها لملك صيدا ، كما جاء  
فى نقش اغريقى من «ديلوس» أن «حورون» هو اله بلدة «يمينا» فى فلسطين  
وفى قصيدة «رأس شمرا» التى كتبت قبل النقش الاغريقى بألف ومائتى  
عام ، ذكر كذلك أن «حورون» قد كان له شأن ببلدة «يمينا» وتقع غربى  
بيت المقدس ، غير بعيد من البحر ، وقرب منطقة تسمى حتى اليوم  
«بيت حارون» ، وهو اسم بالغ الدلالة بمعناه «بيت حورون» (سليم  
حسن : أبو الهول ص ١٠٥) .

(٤٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٤ ، سليم حسن : المرجع  
السابق ص ١٠١ - ١٠٧ .

G. Posener, in JNSE, IV; 1945, p. 240 F.

Pliny, Natural History, XXVI, 17.

(٥٠) أنظر : خطط المقرئى ١٩٧/١ .

( ه ) مقبرة خنت كاواس :

وقد شيدت على غرار قبر «شيسسكاف» وقد كشف عنها الدكتور سليم حسن في عام ١٩٣١/١٩٣٢م ، وكانت قاعدتها تكاد تكون مربعة ، طول كل ضلع فيها ٤٥.٥ مترا ، وارتفاعها عشرة أمتار ، وأما البناء العلوى فهو ٢٧.٥ مترا في الطول ، ٢١ مترا في العرض ، سبعة أمتار ونصف في الارتفاع<sup>(٥٥)</sup> ، ورغم أن الدكتور سليم حسن يطلق على هذه المقبرة اسم «الهرم الرابع» فإن معظم الاثريين إنما يرفضون هذه التسمية ، ذلك لأن كلمة هرم إنما تدل على شكل هندسى معين، ولا يمكن إطلاقها على كل قبر ملكى ، دون النظر الى تصميمه الهندسى .

وعلى أى حال ، فلقد جوف مهندسوها معبد شعائرها في صلب قاعدة المقبرة ، وبنوا معبد وادياها على مقربة من معبد وادى منكاورع، ومدخل المقبرة أخدود في أرض «قدس الاقداس» يؤدي الى ردهة بها بابان وهميان ، والى الغرب منها غرفة الدفن ، وفي شرقها أربع قاعات صغيرة ، وفي الجنوب الغربى من المقبرة حفرة كبيرة في شكل مركب تمتد من الشرق الى الغرب<sup>(٥٦)</sup> .

---

(٥٥) S. Hassan, Excavations at Giza, 1943, IV, p. 1-68.

(٥٦) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٣٩ .



### ٣ - الاسرة الخامسة

#### (١) نشأة الاسرة الخامسة

انحصرت وراثة العرش في أخريات أيام الاسرة الرابعة في «خنث - كاو - اس» التي يرى البعض فيها بنتا لمنكاورع من زوجته «مرس عنخ الثالثة» ، وزوجة للملك «ثببسسكاف» الذي مات دون أن يكون له ولد منها ، فتمكن أحد الامراء ، وهو «بتاح - ددف» (جدف بتاح) من الاستيلاء على العرش ، ولكنه لم يستمر سوى عامين ، تمكن بعدهما «وسر كاف» من اعتلاء العرش ، وتأسيس أسرة جديدة ، هي الاسرة الخامسة .

غير أن هناك من يذهب الى أن «خنث كاواس» انما كانت زوجة لـ «وسررع» ، ولما لم يكن ملكا شرعيا من دم ملكي ، صار ابنهما «وسركاف» هو الملك الشرعي الذي عرفته قوائم الملوك وجداولها على رأس الاسرة الخامسة (١) .

وهناك وجه ثالث للنظر ، يذهب الى أن «خنث كاواس» انما تزوجت من «وسركاف» مؤسس الاسرة الخامسة ، وأصبحت أمما لولديه اللذين حكما من بعده ، الواحد تلو الآخر ، وهما «ساحورع» و «نفر اير كارع» ، بل ان «هرمان يونكر» (١٨٨٥ - ١٩٦٢) انما يذهب الى أن «خنث كاو اس» انما قد انتحلت لنفسها فعلا لقب «ملك مصر العليا والسفلى» وهي دعوى قام بها ثلاث نسوة سواها في

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٦ .  
وكذا  
A. H. Gardiner, op. cit., p. 434.

كذلك التاريخ المصري<sup>(٢)</sup> . ومع ذلك فهناك ترجمة بديلة لها قسوتها من الناحية اللغوية ، وتصفها كأنما هي أم ملكين ، لا ملك واحد فحسب ، وعلى أى حال ، فمن المتفق عليه أن «خنث كاو اس» كانت السلف المباشرة للأسرة الخامسة<sup>(٣)</sup> .

وأيا ما كان الأمر ، فإن وراثة العرش في آخر الأسرة الرابعة انتهت إلى «خنث كاو اس» ، وأنها تزوجت من «وسر كاف» وكان — فيما يعتقد برنهارد جردسلوف<sup>(٤)</sup> — حفيدا للملك «جد فرع» ، ورث الأمانة عن أمه «نفر حنب» بنت «جد فرع» والتي عثر لها على تمثال في أبو رواش ، وهى نفسها الملكة «نفر حنب» المذكورة في مقبرة «بيرسن» والمدفون على مسافة قريبة إلى الجنوب من هرم «وسر كاف» في سقارة ، وقد قدمت قرابين لمعبد بتاح في منف على أيام «ساحور رع» وربما أن هذه القرابين قد أعدت — فى أوائل الأمر — لمقبرة الملكة نفسها ، ولكنها نقلت فيما بعد إلى المقبرة القريبة منها بسبب الحاجة إليها فى المقبرة الأخيرة ، ومن ثم فلعل من المقبول أن «نفر حنب» — أم وسر كاف — إنما قد دفنت فى هرم صغير ، يقع إلى الجنوب من مقبرة «وسر كاف» .

وهكذا يمكن القول أن «وسر كاف» لم يرث عرش الفراعين عن أبيه ، الذى يبدو أنه كان من أنصار الإله رع وكهانته ، وفى نفس الوقت من فرع ثانوى من عائلة خوفو ، وأنه قد اشترك مع «خنث كاو اس»

(٢) الملكات الثلاث هن : سبك نفرورع (١٧٨٩ - ١٧٨٦ ق م) من الأسرة الثانية عشرة ، و «حتشبسوت» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) من الأسرة الثامنة عشرة ، و «تا اوسرت» (١٢٠٢ - ١١٩٤ ق م) من الأسرة التاسعة عشرة .

L. Borchardt, ASAE, 38, 1938, p. 209 F.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 81-82.

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, 1971, p. 178.

H. Junker, op. cit., p. 126, 131, 143.

P. Grdseloff, Deux Inscriptions Juridiques de L'Ancien

Empire; ASAE, 42, 1943, p. 25 F.

(٣)

وكذا

وكذا

وكذا

(٤)

— وهى من فرع رئيسى من عائلة خوفو — عن طريق الزواج بها ، فى تأسيس الاسرة الخامسة<sup>(٥)</sup> .

وهكذا جمعت الاسرة الخامسة بين فرعى الاسرة الرابعة المتنافسين — فرع خفرع الذى مثلته «خنث كاو اس» ، وفرع جد فرع الذى مثله وسر كاف — غير أن أنصار الاسرة الجديدة لم يقنعوا لفراعينهم بحق الحكم ، عن طريق زواج أبيهم بسليلة البيت الحاكم فى الاسرة الرابعة وحدها ، واتبعوا أن يردوا شرعية حقهم الى ارادة ربانية قديمة ، وأصل مقدس ، فخرجوا على الناس بأسطورة تجعل ملوكها أبناء لاله رع من صلبه ، وتركوها لنا فيما عرف باسم «بردية وستكار» ، ثم نسبوها الى عهد الملك «خوفو» وضمنوها أسماء يكن لها الشعب عميق الاحترام ، من أمثال «زوسر» و «سنفرو» و «خوفو» .

وتلخص «بردية وستكار» أو «قصة خوفو والسحرة» فى أن «خوفو» جمع أولاده وطلب من كل منهم أن يقص قصة عن قدرة السحرة ، فقص الاول قصة عن عهد «زوسر» ، وقص الثانى قصة عن عهد «نب كا» من الاسرة الثالثة وكانت قصة الثالث عن عهد «سنفرو» ، وعندما يأتى دور الامير «احور — ددف» يقول لابييه : أنه يوجد فى بلده «دد — سنفرو» ساحر يدعى «ددى» ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا ، وأنه يأتى بالمعجزات ، وترسل الرسل الى الساحر ، وحين يأتى ببعض الخوارق من الامور أمام الفرعون ، يقص عليه هذه القصة ، وخلصتها :

أنه يوجد فى مدينة «ساخبو» — وتقع على الضفة الغربية للنيل ، قريبا من منطقة هليوبوليس — كاهن يدعى «وسر رع» وأن زوجته «رددت» سوف ترزق بأولاد ثلاثة من صلب الاله «رع» نفسه ، وأن الاله رع قد بشرها بأن أولادها الثلاثة سوف يحكمون البلاد ، الواحد تلو الآخر ، وأن أكبرهم سوف يكون كبير الكهان فى هليوبوليس (أون)

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, p. 178.  
B. Grdseloff, ASAE, 42, 1943, p. 53, 64.

(٥)  
وكذا



فحزن قلب خوفو لتلك الانباء ، ولكن الساحر طمأنه بأنه باق على عرشه ،  
بل وسيخلفه من بعده ابنه ثم حفيده ، ثم يأتى من بعد ذلك أبناء  
(«رددت» من رع •

وتستمر الاسطورة فى وصف أيام الحمل ، وما اقترن بهما من  
معجزات ، حتى تأتى ساعة الوضع ، وتحضره آلهات الولادة متنكرات  
فى زى راقصات وموسيقيات ، بغية تقديم العون للسيدة الحامل ، ابان  
وضعها لحملها المبارك ، وتنتهى الولادة ، وقد خرج الاطفال الثلاثة  
(وسر كاف — ساحورع — كاكاي) الى الدنيا ، وعليهم جميعا شارات  
الملك ، ويقدم والدهم المكافآت ، مكاييل من القمح ، الذى تضعه  
الآلهات فى مخازنه ، ثم ينصرفن سرا ، وسرعان ما تصدر من الغرف  
أصوات موسيقية خفية ، ويقال أن التيجان الملكية وجدت مخبأة فى  
القمح<sup>(٦)</sup> •

وبدهى أن القصة على هذه الصورة ، انما تتناولها هواتف المربية  
من كل جانب ولكنها ، على أية حال ، تمثل الناحية الشعبية من قصة  
استيلاء كهنة رع على الملك فى نهاية الأسرة الرابعة ، كما أنها فى الوقت  
نفسه تبين الوسائل التى يلجأ اليها الفراعين لتثبيت عروشهم فى نظر  
الشعب ، حين أعوزهم الحق الشرعى فيه ، وسنرى فى عصور تالية  
فراعين يفعلون مثل ذلك ، حين ينتسبون لآله آمون ، كما يبدو ذلك  
واضحا فى نصى الولادة الشهيرين ، الواحد بمعبد الدير البحرى ،  
ويحدث عن ولادة الملكة «ختشبسوت» ، من الآله آمون ، ومن  
(«أحمس» زوج «تحتومس الاول» ، والثانى فى معبد الاقصر، ويحدث  
عن ولادة الملك «أمنحتب الثالث» من الآله آمون ، ومن «موت ام ويا»

A. H. Gardiner, in Rec. Tr., XXVI, p. 80 F.

A. M. Blackman, JEA, 22, 1936, p. 42 F.

G. Lefebvre, op. cit., p. 81 F.

R. O. Faulkner, JEA, 37, 1951; p. 114.

A. Erman, LAE, 1927, p. 43.

(٦) انظر :

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

زوج «تحتومس الرابع» ، وفي كلا النصين انما ترى الاله آهون ، يتخذ شخصية «الزوج الاب» ثم يتصل بالملكة الام «أحمس» أو «موت ام ويا» اتصال الرجل بزوجته ، فتحمل الملكة وتنجب الفرعون .

وأيا ما كان الامر ، فلسنا ندري مدى قبول الناس لما روته الاسطورة ، ان كانوا قد تقبلوها عن ايمان وتصديق ، أم اعتبروها مجرد دعاية من الكهان وأهل البلاط لصالح ملوكهم ، ولكننا ندري أن هلك الاسرة ظلوا أوفياء للاله رع ، صاحب الفضل في ارتقائهم العرش ، وظلوا أوفياء لكهنوته الذين آزرهم في حكمهم ، وان كنا ندري كذلك أن «مانيتو» الذي كتب تاريخه بعد ذلك بجوالى ألفى سنة ، يذهب الى أن الاسرة الخامسة انما قد نشأت في «اليفانتين» (جزيرة أسوان) ، وربما كان ذلك لاهتمام ملوك الاسرة بأول أقاليم الصعيد .

أما بردية تورين فلا تبين انفصالا بين الاسرتين الرابعة والخامسة ، وتقدر مدة الحكم بمائة وأربعين عاما ، كما أن أسماء الموظفين الذين عاصروا الاسرتين ، مثل «بتاح — شبس» تدل على أنهم استمروا يتقلدون وظائفهم خلال حكم الاسرتين ، مما يوحي بعدم قيام ثورات أو قلاقل .

وتكاد قوائم الملوك والآثار المحاصرة تتفق على أسماء ملوك هذه الاسرة ، وهم على التوالى : ١ — وسركاف ٢ — ساحورع ٣ — نفر ايركارع (نكارى) ٤ — شبسنسكارع ٥ — رع نفر اف (نفر اف رع) ٦ — نى أوسر رع ٧ — من كاو حور ٨ — جد كارع (ايزوزى) ٩ — وناس (٧) .

وقد تميز عهد الاسرة الخامسة بانتساب ملوكها للاله «رع» وهو — فى نظر القوم — أعظم الالهة طرا وسيدهم ، فزعموا أنهم من صلبه ،

---

(٧) J Vercutter, in The Near East, The Early Civilizations, London, 1967, p. 293.

وأشاعوا ذلك بين القوم — فيما تروى بردية وستكر — وكان من المنتظر أن يزيد ذلك من قدسيتهم ، ولكن الذى حدث غير ذلك ، ولعل السبب انما يرجع الى أن هذه الاسرة قامت أصلا بدافع من كهانة عين شمس ونذوذها ، وهن هنا كان فراعين الاسرة يدينون بالولاء للاله رع نفسه ، صاحب الفضل فى ارتقائهم عرش الكنيانة ثم لكهنته الذين ساندوهم وعضدوهم فى حكمهم ، وقد كان لذلك أبعد الأثر فى قدسية الملوك ، ونجاح رع فى تحدى السلطة الفعلية المطلقة التى كان يتمتع بها الفراعين<sup>(٨)</sup> .

ولقد أدرك ملوك الاسرة الخامسة منذ أول أمرهم ، أن أول واجب عليهم هو إقامة المعابد الكبيرة المكشوفة لعبادة الشمس ، بجانب مقر انقامتهم ، وهى تختلف كثيرا عن سائر المعابد المصرية ، ولقد كشف «لودفيج بورخاردت» (١٨٦٢ — ١٩٣٨) فى الفترة ما بين عامى ١٨٩٨ — ١٩٠١م ، فى منطقة أبو غراب — على مبعده ميل تقريبا ، الى الشمال من أبو صير — عن معبد كبير للشمس ، يفترض عقلا أنه صورة من معبد «رع أتوم» فى هليوبوليس ، والمنظر الخارجى العام يشبه منظر المجموعة الهرمية العادية ، وله مبنى كمدخل عند الوادى ، ثم ممر صاعد يؤدى الى مستوى أعلى ، وعند القمة ما يماثل الهرم ومعبد الجنازى ، وأما الفارق الرئيسى ففى استبدال هذين الأخيرين بمسلة مقامه فوق قاعدة مربعة ، مثل الهرم المبتور القمة ، وتذكرنا المسلة بحجر قديم جدا فى هليوبوليس يعرف باسم «بن بن» ، ربما كان اشتقاقه من «الواحد المشع» والذى كان يرمز — دون شك — الى شعاع أو أشعة الشمس .

ومن المعروف أن ستة من ملوك الاسرة الخامسة قاموا ببناء معابد للشمس من هذا النوع ، لكل منهما اسمه ، مثل «متعة رع» و «أفق رع»

---

(٨) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعنة (رسالة ماجستير) — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٣٨ .



و «حقل رع» ، وقد أمكن تحديد مكان اثنين منهما فقط ، الواحد ينسب الى «وسر كاف» وقد كشف عنه «ريكه» وهو معبد يبدو متواضعا ، والاخر قام ببناؤه «نى وسر رع» وقد كشف عنه «بور خاردت» •

وكان اله الشمس يعبد هنا تحت قبة السماء ، وتوجد عند قاعدة المسلة ، شرفة فى وسطها مذبح كبير من المرمر ، والى شمال المذبح مسافة شاسعة كانت تقاد اليها الثيران حيث تذبح ، وهناك الى شمال هذه الساحة صف من المخازن ، وأما المرتفع الذى تقوم فوقه المسلة فكان يوصل اليه ممر طويل مغطى ، تزيينه مناظر منحوتة ومنقوشة بصورة رائعة ، بعضهما تمثل فصول السنة بنباتها وحيوانتها التى خلقها اله الشمس ، بينما تصف الاخرى «عيد سد» الذى كان تجديدا دوريا للملكية ، حين كان يجتمع آلهة نصفى الدولة ليمجدوا الملك ، ولا بد أنها كانت لحظة مثيرة للعواطف ، حين كان يبرز الكهنة فى خلال الاحتفالات من الممر المظلم نسبيا الى ضوء الشمس الساطع الذى ينشره المههم فى الخارج •

ولقد أثرت بسبب هذه المجموعة من الآثار مشاكل خطيرة ، على أية حال ، ذلك أنه من المفهوم أن يطمح كل ملك لتشييد ضريح فخم له ، وان كان تفكيرنا العصرى لا يستطيع أن يمنع نفسه من العجب من الفخامة التى تفوق الحد التى يمثلها بناء الاهرام ، ولكن مما يدعو الى الحيرة أن نجد كل ملك يتلو صاحبه ، يضيف معبد شمس منفصل بنسب متشابهة ، لكى يؤكد صلة بنوته بالمعبود ، ولا بد أن استنزاف موارده كان ضخما ، كما لا بد أن ذلك الامر قد ترايد كثيرا ، مادام هناك ما ينهض دليلا على أن منشآت أسلافه لم تهجر بموتهم ، وليس عجيبا أن المسئولية المتراكمة بعضها فوق بعض أصبحت أكثر مما يطيق «جد كارع» (ايوزى) الذى توقفت فى عهده مثل هذه المشروعات<sup>(٩)</sup> •

---

(٩) Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 85-86.

هذا ورغم أن معابد الوادى والمعابد الجنازية فى الاسرتين الخامسة والسادسة تجمع بين صفات عامة مشتركة ، الا انها انما تختلف فيما بينها فى كثير من التفاصيل وقد ظل مكان معبد الوادى والمعبد الجنازى فى الشرق من الهرم تجاه الوادى ، الذى يفد منه حملة القرابين ، وذلك فيما عدا الجزء الامامى من المعبد الجنازى للملك «وسر كاف» اذ يقع أكثره فى جنوب الهرم لارتفاع الصخر كثيرا فى شرقه<sup>(١٠)</sup> ، ولنتحدث الان عن ملوك الاسرة الخامسة :

## (٢) وسر كاف

حمل «وسر كاف» لقب «اير ماعت» أى «واضع النظام» أو «محق الحق» وهو لقب يتناسب مع صاحبه كمؤسس أسرة جديدة ، وقد جاء بحجر بالمرمر ما يفيد تشييده للمعابد فى جهات مختلفة من البلاد ، كما حدث فى «بوتو» لعبادة الآلهة «حاتحور» وما أوقفه من أرض على معبد الآلهة رع ، وطبقا لما جاء فى بردية تورين ، وتاريخ مانيتو ، فقد حكم «وسر كاف» سنوات ثمان ، وقد عثر على اسمه منقوشا على عمود فى طيبة ، فضلا عن آنية من المرمر ، وجدت فى جزيرة «سريجو» على مقربة من الشاطئ الجنوبى لليونان ، مما قد يشير الى وجود علاقات تجارية مع الشاطئ الشمالى للبحر الابيض المتوسط<sup>(١١)</sup> .

وأما هرم «وسر كاف» فقد بنى على مبعدة ٢٠٠ مترا من الركن الشمالى الشرقى لسور هرم زوسر المدرج ، وربما أصبح قبر زوسر له تقديس ، وربما اعتقدوا أن الدفن فى حرمة يضمن عليهم منافع خاصة ، وهذا يفسر لنا اختيار «وسر كاف» لمنطقة تبدو من وجوه عدة غير لائقة لاقامة هرم عليها<sup>(١٢)</sup> .

---

J. P. Lauer, Le Temple Haut de la Pyramide du Roi (١٠)  
Ouserkef a Saqqarah, ASAE, LIII, p. 116 F.

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 181. (١١)

A. Weigall, op. cit., p. 42. وكذا

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 175. (١٢)

هذا ويطلق الآن على هرم «(وسر كاف)» (أوسر كاف) اسم «الهرم المخربش» وقد نهب منذ العصور القديمة ، ومن ثم فقد وجدته «فيرث» مخربا ، عندما عثر عليه عام ١٩٢٨ (١٣) ، ورغم أن القوم قد احتفظوا في بنائه بالتقاليد القديمة ، إلا أنهم بنوا هيكل القرايين في المعبد الجنائزى في الجهة الشرقية من الهرم ، بينما بقيت أجزاء المعبد في الجهة الجنوبية ، ويذهب «فيرث» الى أن هذا التعبير إنما كان بسبب ضرورة حتمها موقع المكان ، حيث لم يجد مهندسوه مكانا كافيا لتشييد المعبد الجنائزى في الجهة الشرقية من الهرم .

ورغم أن «جان فيليب لاور» (١٤) إنما يتفق مع «فيرث» في هذا ، إلا أن «هيرت ريكة» (١٥) إنما يذهب الى أن ترك التقليد القديم ، إنما كان مقصودا ، وأن هذا التغيير مرتبط بعبادة الشمس التي أخذ نفوذها يزداد ازديادا كبيرا في ذلك العهد ، تسير الشمس من المشرق الى الغرب في النصف الجنوبي ، ومن ثم فيجب ألا تغيب الشمس عن أى مذبح يوضع في هذه الجهة ، فهذا يعنى أن يعم ذلك في معابد الأسرة جميعا ، الأمر الذى لم يحدث في تلك المعابد (١٦) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هرم «(وسر كاف)» إنما قد بنى من الحجر الجيري المحلى ، الصغير الحجم ، وأن تصميمات مبانيه وهندسته إنما تشبه أهرامات الأسرة الرابعة ، وأن أصل طول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة ٧٠٣٧ مترا ، وارتفاعه ٤٤٥٣ م ، ولكن عندما فحصه «برنج» و «فيز» في عام ١٨٣٧ م ، كان طول ضلع القاعدة ٦٣٨٤ م ، وارتفاعه ٨٢٨٣ م ومدخله في منتصف الجهة الشمالية ، وهو يؤدى الى ممر ، جدرانه وسقفه من كتل الجرانيت الأحمر والأسود (١٧) .

C. M. Firth, ASAE, XXIX, 1929, p. 64-70. (١٣)

J. P. Lauer, ASAE, 53, 1955, p. 119-1323. (١٤)

H. Ricke, Demerkungen, II, p. 68. (١٥)

(١٦) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٤٤ .

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 175-176. وكذا

(١٧) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .



هذا وقد عثر على بعض أجزاء من تماثيل للملك من الجرانيت والديوريت أهمها رأس الملك ، وهى من الجرانيت ومحفوظة بالمتحف المصرى ، وحجمها ثلاثة أمثال الحجم الطبيعى (١٨) .

### (٣) ساحسورع

حكم ساحسورع (نب خاعو) أربعة عشر عاما ، وكان أول ملوك الاسرة الخامسة الذين اختاروا منطقة أبو صير الجيزة — على مبعدة خمسة كيلو مترات جنوبى أهرام الجيزة — لبناء أهراماتهم ، وإن كان هرمه فقير البناء ، صغير الحجم ، إذ كان ارتفاعه فى الأصل ٤٨ مترا ، وطول ضلع قاعدته ٧٨ مترا ، وأصبح الآن ارتفاعه ٣٦ مترا ، وطول ضلع قاعدته ٦٦ مترا ، وهو من نوع الهرم ذى الطبقات ، ومبنى من الحجر الجيرى المحلى غير المنحوت ، ومع ذلك فقد استخدم فى بنائه أثمن المواد المعمارية ، وعنى بتزيين قاعاته وأبهائه بأعمدة من الجرانيت، تاج كل منها يمثّل حزمة من النخيل .

هذا وقد اعتنى المهندسون بكل ما يؤثر على سلامة البناء ، فهم مثلا لم يسقطوا المطر من حسابهم ، وجعلوه ينساب من مزاريب كل منها على هيئة رأس أسد ، تسقط المياه من أفواهها الى قنوات صغيرة عمقوها قليلا فى الأرض ، ثم تسير المياه منحدره الى الخارج ، أما المياه التى كانت تستخدم داخل حجرات المعبد فى أجزائه المختلفة فكانت تسير فى مواسير تحت أرضية المعبد ، وكانت هذه المواسير مصنوعة من النحاس ، وملحومة الى بعضها البعض بالرصائص ، وتسير الى خارج المعبد حيث تصب فى أحد الأماكن المنخفضة فى مكان بعيد عن الأنظار (١٩) .

---

(١٨) K. Lange and M. Hirmer, Egypt, Architecture, Sculpture and Painting, in Thre Thousand Years, London, 1961, Pls. 50-51. ASAE, XXIX, p. 64 F. وكذا

(١٩) أحمد فخرى : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧١ ص ١٣٢ .  
L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, I, Leipzig, 1910, p. 7-12. وكذا

وكان لهرم «(ساحورع)» هذا ، طريق صاعد طوله حوالى ٢٠٠ مترا ، فى نهايته السفلى معبد الوادى ، والذى صمم مختلفا عن معابد الوادى الأخرى التى قبله ، فقد كان له مدخلان يؤديان الى مرسى مبنى باعتناء ، أحدهما فى شرقه ، والاخر فى جنوبه ، وكان هناك منزلقان متصلان بالمرفأين ، بقناة أو بالنيل الذى كان يمتد أيام الفيضان الى ما وراء مجراه العادى ، وفى داخل الواجهة الشرقية من البناء شرفة مقامة فوق أعمدة ، بلاط أرضيتها من البازلت الأسود المصقول ، وسقفها من الحجر الجيري المدهون بالازرق ليحاكى السماء ، ومزين بنجوم ملونة بلون الذهب ، وكل عمود من الأعمدة الثمانية يتكون من قطعة واحدة من الجرانيت (٢٠) .

وأما موضوعات النقوش التى على الجدران فمتنوعة ، ولو أننا استطعنا العثور عليها كاملة ، لكانت كفيلة بأن تبرز لنا كافة نواحي النشاط والطموح للهالك ورعيته فى حيوية ، أكثر مما تستطيع أن تفعل أية رواية مكتوبة ، ومن بين هذه الصور واحدة تمثل فرعون ، وهو يحظى بلقاء الاله خنوم ، ويرضع من ثدى الربة «(العقاب)» الالهة «(نخن)» (البصيلية) ، وهناك كذلك حملة قرابين وهميون يجسدون مختلف مظاهر الطبيعة مثل البحر والحبوب ، أو أفكارا معنوية مثل الفرع ، ويقابل هذه الأفكار التصويرية البحتة مقابلة شديدة ، منظر فخم الصيد فى الصحراء وبقايا منظر آخر يمثل اللقاء شرك لفرس البحر فى النهر ، وان كان من المستحيل أن نؤكد أن «(ساحورع)» نفسه قد وهب مثل هذا الاستعداد الرياضى (٢١) .

ولعل مما تجدر الإشارة اليه أنه منذ عهد «(ساحورع)» غدا «(قدس الاقداس)» فسيحا ، مما قد يدل على زيادة القرбан وعدد القسائمين بتقديمه من الكهنة ولا يخلو من مغزى أنه فى شمال وجنوب المقسم

---

I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 179. (٢٠)

A. H. Gardner, op. cit., p. 88. (٢١)

الخاص من معبد ساحورع الجنازى ٣٧ مخزنا ، كل مخزن من طابقين  
مما ضاعف عددها ، وقد ظل قدس الاقداس فى نهاية المجد فى اقرب  
مكان للهرم ، وفى جداره الغربى الباب الوهمى (٢٢) .

#### (٤) نفر اير كارع

بدأ الملك «نفر اير كارع» (وسر خاعو) بتشييد هرم له أكبر من  
هرم أخيه ، ولكنه مات قبل أن يتم جميع أجزاء المجموعة الجنزية  
المحيطة به ، اذ لم يتم الا وضع اساسات مبنى الوادى ، فضلا عن  
الطريق الجنازى ، الذى لم يتموا بناء الممر الذى فوقه ، ورغم أن  
العمل كان قد تقدم فى الهرم كثيرا على بقية المجموعة الهرمية ، فإن  
بناءه لم يتم ، ومن ثم فقد أكمله خليفته على العرش بالطوب اللبن .

هذا ويبلغ الارتفاع الاصلى للهرم ٧٠ مترا ، وطول ضلع قاعدته  
١٠٦ مترا ، وهو بذلك يزيد قليلا عن هرم «منكاورع» ، وعلى أى حال ،  
فهو هرم ذو طبقات مت ، مبنية بالحجر الجيرى المحلى غير المنحوت ،  
ولكنهم كسوا جدرانها كلها ، كما كسوا الهرم نفسه بالحجر الجيرى  
الجيد ، وأما مدخل الهرم فهو فى الناحية الشرقية ، ولكنه مسدود الآن ،  
ولحجرة الدفن سقف جمالونى مثلث ، يتكون من خمسة أحجار ضخمة  
من الحجر الجيرى الذى بنى منه الدهليز الموصل الى تلك الحجرة (٢٣) .

#### (٥) شبنس كارع

مات «نفر اير كارع» (كاكاى) بعد حكم دام عشر سنوات ، على  
رأى ، واثنى عشر عاما ، على رأى آخر ، ثم خلفه «شبنس كارع»

(٢٢) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٤٧ .

(٢٣) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٥٣ -

٢٥٥ .

وكذا I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, (Penguin Books), 1965, p. 185-186.



الذى حكم سبع سنوات ، طبقا لما جاء فى بردية تورين وفى تاريخ ماتينو ، وان كنا — على أية حال ، لا نعرف عنه الا القليل •

#### (٦) رع نفر اف

جاء «رع نفر اف» (نفر خاعو) بعد «شبسس كارع» وحكم قرابة سنوات أربع ، وقد ورد ذكر اسمه فى ثبت أبيدوس ، وكذا على بردية تورين التى لم تقدم لنا مدة حكمه ، بسبب ضياع الجزء الخاص بمدة الحكم فى هذه البردية ، وقد بنى «رع نفر اف» لنفسه هرما غرب هرم «نفر اير كارع» لم يتم ، وما بقى منه عبارة عن بناء منخفض مربع الاضلاع ، طول الضلع ٦٠ مترا ، وسطحه العلوى مسطح ، لم يبق منه سوى ثمانية مداميك ، منها خمسة فقط ظاهرة فوق رمال الصحراء المحيطة به ، ويبدو أن معظم أجزائه لم يتم العمل فيها ، كحجرة الدفن ومعابد الهرم وطريقه الصاعد •

#### (٧) نى أوسر رع

حكم «نى أوسر رع» (ست ايب تاوى) قرابة اثنين وثلاثين سنة ، وبنى لنفسه هرما فى أبو صير بين هرمى «ساحو رع» و«نفر اير كارع» واستغل لنفسه معبد الوادى والطريق الصاعد اللذين أنشأهما الملك الأخير ، ومن المحتمل أنه مات قبل أن يتم العمل فيهما ، وكان ارتفاع هرم «نى أوسر رع» عند تشييده ٥٢ مترا ، وطولى ضلع قاعدته ٨٠ متر ، وهو مشيد بأحجار فجة غير منحوتة من الحجر الجيرى المحلى ، مختلطة بالرمل والحصى ، وطبقاته خمس ، وقد اختفت الان أحجار كسائه الخارجى التى كانت من الحجر الجيرى الجيد ، ومدخل الهرم فى الواجهة الشمالية منه ، وكانت جدرانه وسقفه من أحجار الجرانيت، ولكنه مسدود الان ، ولا تيسر زيارته (٢٤) •

هذا ويقع معبد «نى أوسر رع» الجنازى على غير المعتاد على

---

(٢٤) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ٢٥٧ •

محورين ، يمتد أولهما من الشرق إلى الغرب ، تجاه الجزء الجنوبي من واجهة الهرم الشرقية ، ويشتمل على دهليز طويل تكتنفه المخازن ، ومن وراءه الفناء المشرف تحيط به الصفات ذات الاساطين البردية من الجوانب ، وأرضه من البازلت ، ويمتد المحور الثانى فى موازاة الجزء الأوسط من واجهة الهرم الشرقية ، ويشمل مشكاوات التماثيل الخمسة وقدمى الأقداس ، ويضعة مخازن ، ويبدو أن بناء الجزء الأمامى من المعبد قبيل الجزء الجنوبي من واجهة الهرم الشرقية ، إنما يرجع إلى الرغبة فى تقصير المسافة بينه وبين الطريق الصاعد المعتصم . أن لم يكن لقلة المساحة الصالحة للبناء على محور الهرم ، أو لوجود قبر قديم فيها (٢٥) .

ولعل من الجدير بالاشارة أنه قد عثر على مقابر كثيرة هامة من عهد هذا الملك ، ربما كان أهمها جميعا مقبرة «تتى» فى سقارة التى قلما لا يذهب شخص لزيارتها ، حين يزور تلك المنطقة ، وهى تعطى بحق فكرة صادقة عن الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد ، هذا وتتقدم مقبرة «تتى» صفة صغيرة تؤدى إلى فناء كبير محاط بالاعمدة ، يطل عليه سرداب يتصل بالعالم الخارجى بشق قصير ويؤدى دهليز ضيق طويل إلى مقصورة القربان ، التى يعتمد سقفها على عمودين ، وفى جنوبها سرداب ثان ، وفى أرض الفناء درج يؤدى إلى أحدهم ، ثم إلى غرفة الدفن (٢٦) .

#### (٨) من كاو حور

اعتلى «لعن كاو حور» (من خاعو) العرش لمدة ثمانية أعوام تقريبا ، وتشير بعض النقوش فى وادى منارة إلى إرساله حملة إلى سيناء ، كما أقام معبدا لم يبق له أثر ، وربما كان فى منطقة سقارة إلى الجنوب من مكاتب مصلحة الآثار ، وإلى الشرق من هرم تيتى ، وعلى أى حال ،

(٢٥) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢٦) نفس المرجع السابق ص ٢٦٧ .

فلقد عثر منه على قطعة في «السرابيوم»<sup>(٢٧)</sup> محفوظة الآن في متحف اللوفر ببباريس ، وتشير نقوشها الى دقة وجمال بالغين .

( ٩ ) جد كارع - اسيسى

حكم «جد كارع» «جد خاعو» قرابة ثمانية وعشرين عاما ، وقد كشفت مصلحة الآثار عن هرمه المعروف باسم «الهرم الشواف» ، على حافة الهضبة ، خلف منازل بلدة سقارة ، وأما معبد الجنازى فقد تعرض للتخريب منذ عهود الفراعين أنفسهم ، وان كشفت الحفائر عن كثير من الاحجار المنقوشة نقشا بارزا ، كما كشفت عن كثير من العناصر المعمارية في هذا المعبد ، ومن بينها تماثيل للاسرى الاجانب ، وتماثيل أسود وثيران وكباش ، وبعض تماثيل لأسود برؤوس انسانية (تماثيل أبو الهول) .

هذا وقد كشف كذلك الى الشمال من معبد الملك الجنازى عن هرم زوجته ، والذي يعد أكبر هرم لملكة من ملكات الدولة القديمة ، وان كان هرم الملكة ومعبدها الجنازى قد تعرضا لما تعرض له معبد الملك نفسه<sup>(١٨)</sup> .

---

(٢٧) يقع السرابيوم - او مدفن العجل المقدسة - والذي يرجع الى الاسرة السادسة والعشرين ، في أقصى الغرب من منطقة سقارة الشمالية ، وهو عبارة عن ممرات طويلة ، يبلغ طولها قرابة نصف كيلو متر ، منحوتة في باطن الصخر ، وتتفرع منها حجرات جانبية ، يضم أحدها ٢٤ تابوتا ، متوسط وزن الواحد منها ٦٥ طنا . وقد نحت من قطعة واحدة ، وقد كشف عنها « مارييت » في عام ١٩٥٠ م ، ونقلت الى متحف اللوفر ببباريس ، ويحمل اسم « أحمس الثانى » ، ويحمل آخر اسم قمبيز .

هذا وقد كان العجل أبيس بمثابة الرمز الحى للاله بتاج معبود منف ، وكان يحنط بعد موته ، ويدفن في احتفال مهيب ، وتوضع معه الاواني والحلى وغيرها ، هذا وقد كشف أخيرا عن مدفن جماعى آخر منحوت في الصخر على مبعده بضعة كيلومترات من السرابيوم المكتشف قديما ، وهو مخصص للبقر ، أمهات العجل أبيس (الموسوعة المصرية ٢٧٠/١) .

(٢٨) احمد فخرى المرجع السابق ص ٢٦٠ .



## (١٠) وناس

كان «وناس» (واج تاوى) آخر ملوك الاسرة الخامسة ، وان رأى فيه البعض أول ملوك الاسرة السادسة ، لأسباب منها (أولا) أن نفوذ كهنة «أون» انما يقف عند توليته العرش ، وفي الواقع أن هذا النفوذ انما بدأ يضعف منذ عهد الملوك الثلاثة الاواخر من الاسرة الخامسة ، ومن ثم فقد نسب أولهم «منكاو حور» نفسه الى الاله «حور» وليس الى «رع» وبنى هرمه في دهشور ، وليس في أبو صير ، وتسمى ثانيها باسم تداخل فيه اسم «رع» وهو «جد كارع» ، ولكنه لم ينشئ معبدا لرع كآسلافه ، وبنى هرمه في سقارة ، وليس في أبو صير ، وتغافل ثالثهم (وناس) (ونيس) عن تضمين اسم (رع) في اسمه ، ولم يشيد له معبدا ، وبنى هرمه في سقارة .

وأطلق الثلاثة على أهرامهم أسماء لم يتداخل فيها اسم رع ، على عكس أسماء أهرام أسلافهم الاربعة ، وان كانوا في الوقت نفسه ، لم يأبوا أن يضمّنوا ديباجة ألقابهم الرسمية لقب (سارع) أى (ابن رع) (٢٩) .

وهنا (ثانيا) أن كتابة «متون الاهرام» (٣٠) في غرف الاهرام

---

(٢٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٨ .  
H. Gauthier, op. cit., I, p. 130 F. وكذا  
(٣٠) كان «جاستون ماسبرو» أول من اكتشف متون الاهرام في عام ١٨٨٠ م داخل هرم وناس ، ثم عثر بعد ذلك على كثير منها في أهرام ملوك الاسرة السادسة ، بل في أهرام بعض ملكاتها ، وهي مجموعة من التعاويذ السحرية والطقوس الجنائزية ، وأجزاء من بعض الاساطير المصرية القديمة ، يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الاسرة الاولى ، بل فيها اشارات الى الحرب التي قسامت في مصر في أوائل أيامها ، على أنها حروب بين الآلهة التي عبدت في تلك الايام ، وعلى أى حال ، فهي تختلف من هرم الى آخر ، بل ان الكهنة الذين أشرفوا على اختيارها لكل ملك ، كانوا يختارون البعض ، ويتركون البعض الآخر ، وقد قسمها «كورت زيت» الى ٧١٤ فقرة ، وأما الهدف منها فكان ضمان سعادة الملك في العالم الآخر ، حيث تفتح له أبواب السماء التي حرمت على غيره من الناس ، فضلا عن تحوله الى نجم من النجوم التي لا تقنى ، وإلى آله الشمس ، أو على =

الداخلية لم تبدأ إلا بعهدده ، ومنها (ثالثا) أن الملك «نتي» مؤسس  
الاسرة السادسة ، قد أتم ما لم يتمه «وناس» من آثار .

وعلى أى حال ، فمن الصعب تفسير سبب انتهاء الاسرة الخامسة ،  
وقيام الاسرة السادسة ، وان كان «هرمان يونكر» انما يذهب الى أن  
هذا التغيير انما قد حدث على يد ملكة ممن تمتعن بالدم الملكي المقدس ،  
نقلت قدسيته الى زوجها المؤسس للاسرة الجديدة (٣١) .

بل ان هناك من يذهب الى أن «وناس» آخر ملوك الاسرة الخامسة  
لم يكن من صلب حكامها ، وانما كان من نسل ملوك الاسرة الرابعة ،  
وأن أمه كانت من أميرات القبائل الليبية القريبة من حدود الفيوم ،  
وأنه قام بانقلاب — بعون من أهل الفيوم وجيرانهم ، وربما حتى  
أهالى المنطقة الممتدة الى أبيدوس — وأنه وصل الى العرش بعد معارك  
تناول فيها الجانبان ، النصر والهزيمة ، وأنه جدد في العقائد والعادات ،  
ومن ذلك تدوينه لمتون الاهرام داخل هرمه (٣٢) .

على أن القول بوجود فرع لبيى تداخل فى عصب الاسرة الرابعة  
منذ أخريات أيامها ، أصبح غير ذى موضوع ، بعد أن أوضحت بحوث  
حديثة أن السند الذى اعتمد عليه أصحاب هذا الاتجاه ، وهو تصوير  
الاميرة «حتب حرس الثانية» بشعر أصفر وأحمر ، ورداء ذى شرائط  
عريضة يشبه رداء الليبيات ، سند ضعيف ، حيث يبدو شعرها أقرب  
الى الشعر المستعار ، والواقع أن المصريين كثيرا ما صوروا الشعر

---

= الأقل يكون فى ركاب اله الشمس ، وأما أهم الدراسات عن نصوص أو  
متون الاهرام ، فأنظر :

S. A. B. Mercer, The Pyramid Texts in Translation and Commentary,  
4 Vols, New York, Toronto, 1952.

(٣١) الكسندر شارف : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٨ .

وكذا J. Spiegel, Das Werden der alt - Ägyptischen Hoch -  
Kultur, p. 773 F.

المستعار بألوان مختلفة ، منها الأصفر والأخضر للشخص الواحد - كما في تابوت عاثيت من الدولة الوسطى - أما عن ثوبها فقد ظهر له ما يشبهه عند غيرها من المصريات قبل عهدها (٣٣) .

وعلى أى حال ، فمن المرجح جدا أن ملوك الأسرة السادسة كانوا على صلة دم وقرابة بملوك الأسرة الخامسة ، كما اتبع هؤلاء الملوك نفس الأسلوب الذى كان سائدا فى الأسرة الخامسة .

هذا وقد أقام «وناس» هرمه قريبا من الركن الجنوبي الغربى لسور الهرم المدرج ، أى فى الناحية المقابلة للمنطقة التى قام عليها هرم «وسركاف» - رأس الأسرة الخامسة - وهو يقرب من ١٩ مترا ، ولكن ارتفاعه الاصلى كان ٤٤ مترا ، وطول كل ضلع منه ٦٧ مترا ، وهو مهدم الآن ، ومن الواضح أنه كان مبنيا بالأحجار الجيرية المحلية كتلة صماء ، ومازال الكثير من أحجار الكساء باقية فى مكانها ، وبخاصة فى الجهتين الشمالية والشرقية ، وعلى الجهة الجنوبية نرى نقشا مكتوبا بعلامات كبيرة الحجم ، سجل فيه الأمير «خع ام واس» ترميمه لهذا الهرم (٣٤) على عهد أبيه رعمسيس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) .

وقد كشف «الكسند بارازنقى» فى موسم ١٩٠٠/١٩٠١ م عن جزء من معبد وناس الجنازى (٣٥) ، وفى عام ١٩٢٩ م أتم «فيرث» حفر المعبد (٣٦) ، وهو يشبه فى تخطيطه وبنائه معبد «ساحورع» الجنازى نسبها كبيرا ، وأن اختلف عنه فى وضع الممرات والمخازن داخل المعبد ،

---

(٣٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٠ .  
وكذا G. A. Reisner and W. S. Smith, op. cit., p. 7.  
وكذا W. S. Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in The Old Kingdom, p. 143.

(٣٤) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٢٦٤ .  
وكذا I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 188-199.

(٣٥) A. Barasni, ASAE, II, 1901, p. 244-257.

(٣٦) C. M. Firth, ASAE, 30, 1930, p. 186.



كما استخدم وناس في أرضيته أحجار المرمر ، بينما استخدم ساحورع  
أحجار البازلت ، وبينما وصل إلينا عدد كثير من النقوش التي كانت في  
الطريق الجنازى ، لم تحفظ لنا الايام من نقوش المعبد الا قطعا قليلة،  
عليها رسم لبعض الخدم وهم يحملون القرايين<sup>(٣٧)</sup> .

ولعل أهم التجديدات في هرم «وناس» تلك السطور الرأسية من  
الكتابات الهيروغليفية التي تغطي جدران الردهة ، والجزاء المبنية  
بالحجر الجيري من حجرة الدفن ، وملأوا كل حرف هيروغليفى بمعجون  
أزرق اللون ، مما جعلها واضحة فوق الأرضية البيضاء ، وتعرف هذه  
الكتابات «بمتون الأهرام» — والتي وجدت في أهرام أخرى ، كأهرام  
«نتى» و «ببى الاول» و «مرى ان رع» و «بببى الثانى» ، وكذا  
أهرام زوجات «بببى الثانى» الثلاث (ايوت ونيت وأوجبتن) ، فضلا  
عن هرم لىك يدعى «ايببى» لا يعرف تاريخه على وجه اليقين ، فقد  
يكون من الاسرة السابعة أو أخريات الاسرة السادسة — .

وقد أمدتنا نصوص الأهرام هذه بأفضل المعلومات عن الديانة  
الجنازية الملكية منذ أقدم العصور ، وفي بعض الاحيان تعود بنا الى  
عصور ما قبل الاسرات ، وأما الغرض من متون الأهرام — كى عنصر  
آخر فى المجموعة الهرمية — أن تضمن للملك أو الملكة السعادة فى الحياة  
بعد الموت ، وكان سحر الكلمة المكتوبة قويا ، لدرجة أن وجودها وحده  
يكفى ليضمن تحقيق الافكار التى تعبّر عنها<sup>(٣٨)</sup> .

ولقد كشف عن جزء كبير من الطريق الذى كان يصل المعبد الجنازى  
بمعبد الوادى لهرم وناس ، ومنه أمكن أن يستنتج أن هذا الطريق كان  
مسقوفا بالأحجار وينفذ اليه الضوء من خلال كوات بالسقف الذى زين

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 190.

(٣٧)

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 191.

(٣٨)

Jean, Verconter, in The Near East, The Early Civilization,  
London, 1967, p. 297.

وكذا

بحيث كان يبدو في هيئة السماء المرصعة بالنجوم ، أى أنه طلى بلون أزرق ، ومثلث فيه أشكال النجوم بلون أبيض ، وأما الجدران فقد نقشت بمناظر دينية ، ومدنية مختلفة ، فمن المناظر الدينية مناظر تمثل الملك وهو يؤدي بعض الطقوس ، ومن المناظر المدنية سفينة تنقل بعض الأعمدة النخيلية والاعتاب المستعملة في بناء المعبد الجنائزى ، وكلها من الجرانيت جىء به من أسوان .

وهناك مناظر تمثل بعض الصناعات يطرقون الذهب ، ويصبون الأدوات النحاسية ، أو يصقلون الاوانى المصنوعة من الذهب أو الحجر ، وأخرى تبين عمال الضياع الملكية وهم يجنون التين ويحصدون القمح ويجمعون العسل ، وهناك عدد من الخدم يحضرون الاطعمة من مختلف الانواع الى القبر ، هذا وقد اشتملت مناظر الصيد على صورة لكل حيوان ذى قرنين معروف للمصريين ، فضلا عن الزرافة والاسد والفهود والذئاب والضباع واليرابيع والقناغذ ، وربما كان أكثر هذه المناظر تعبيرا عن موضوعه ، ذلك النقش الذى يمثل ضحايا احدى المجاعات ، فقد هزلت أجسامهم حتى بدت جلدا على عظم ، وتدل ملامحهم على أنهم من غير المصريين (٣٩) .

1. E. S. Edwards, op. cit., p. 189.  
Jean Vercoutter, op. cit., p. 297.

(٣٩)  
وكذا

## ٤ - الاسرة السادسة

### (١) تتى

كان «تتى» رأس الاسرة السادسة ، ويتجه البعض الى أنه كان زوجا للأميرة «اييوت» ابنة «وناس» وأنه اكتسب شرعيته للعرش عن طريق الزواج منها ، وأنه تزوج بعدها من أميرة أخرى تدعى «خويت» ، ويعتقد «هانز شتوك» أنها كانت ابنة «اسيسى» الذى حكم قبل «وناس» فاذا كان ذلك كذلك ، ففعل «تتى» انما كان يرغب فى أن يجمع شمل فرعى الاسرة السابقة تحت ظله ، ثم بشر لحكمه الجديد باسمه الحورى «سحتب تاوى» أى «مرضى الوجهين» ، كما اتخذ كذلك لنفسه لقب «المحبوب من بتاخ» اله منف ، تقربا منه الى كهانة منف ، وربما كان السبب فى ذلك أنه اعتمد عليهم فى توليته العرش .

وربما لانه — كان فيما يعتقد البعض — من الدلتا ، وقد حاول «يواقيم شبيجل» أن يستشف من بعض المتون التى سجلها «تتى» فى هرمه — والتى اعتبرته ولدا للمعبودة ايزة ، ربة أتريب فى الدلتا — أنه كان ينتمى الى اقليم فى شمال أتريب ، يرجع سكانه الى بدو الصحراء الشرقية<sup>(١)</sup> .

هذا وقد أقام «تتى» هرمه على بعد قريب من الشمال الشرقى لهرم «وسر كاف» على مقربة من حافة الهضبة فى سقارة ، ولم يعثر حتى الان على معبد الوادى ، أما الطريق الصاعد فلم يبق منه الا

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨١ .  
Urk., I, p. 81, 194. وكذا  
H. Gauthier, op. cit., I, p. 147 F. وكذا  
C. M. Firth and B. Gunn, The Teti Pyramid Cemeteries, وكذا  
I, Cairo, 1926, p. 109-111.



أجزاء بسيطة في نهايته الغربية ، على مقربة من الهرم ، كما لم يبق من المعبد الجنائزى الا القليل ، وكان ممر مدخله ، مثل «( معبد وناس » محفوظا بالمخازن على جانبيه ، ويؤدى الى بهو الاعمدة في وسط المعبد ، وفي آخر البهو بضع درجات تصعد الى النيشات الخمس ، كما توجد مخازن أخرى في الجهتين الشمالية والغربية •

ورغم أن هرم «نتى» كان هرما كبيرا ، الا أنه لم يبق منه الا القليل ، ويبدو أنه لم يشيد بعناية واتقان ، فنواته الداخلية • وجدران طبقاته الرأسية مبنية بكتل صغيرة فجوة من الحجر الجيرى وبعض الحصى ، وكساؤها من الحجر المصلى ، أما الكساء الخارجى للهرم نفسه ، فتعد كان من الحجر الجيرى الجيد ، وقد عثر «(كوييل)» على بعض كتل منه في مكانها الاصلى في الواجهة الشرقية منه ، ولا يزيد ارتفاع الهرم حاليا عن ٢٠ مترا ، وطول ضلع قاعدته ٦٥ مترا<sup>(٢)</sup> •

هذا وقد أقيم «نتى» في مجاورات هرمه ، هرمين آخرين ، الواحد لزوجته الرئيسية «ايوت» ، والاخر لزوجته الثانية «خويت» وكان للملك زوجة ثالثة تدعى «سششت» Sehshet ظهرت لها صورة على قطعة صغيرة من الحجر في أجزاء من معبد نتى الجنائزى ، ويبدو أن هذه الزوجة كانت من نسل عريق ، لأن عددا من زوجات موظفى البلاط نسمين باسمها<sup>(٣)</sup> •

هذا وقد عثر على اسم «نتى» منقوشا على آنية حجرية من «بيلوس»<sup>(٤)</sup> ، كما توضح جرة من المرمر لهذا الملك صفات قوم بونت ، وقد عثر «(رايزنر)» في نجع الدير — بمركز جرجا — على غطاء نقش

---

(٢) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٢٦٩ — ٢٧١ •

(٣)

J. Vandier, Manuel d'Archeologie Egyptienne, II, p. 128. وكذا

M. Dunand, Fouilles de Byblos (1933-1938), II, Paris, (٤)

1954, p. 258.

عليه اسم «وناس» والمقابه<sup>(٥)</sup> ، كما سجل عليه «تتتى» أعماله الدينية في الجنوب ، وهناك في معبد أبيدوس مرسوم أصدره تتتى ، وسجل فيه امتيازات واعفاءات أراضى هذا المعبد<sup>(٦)</sup> ، كما أن هناك في محاجر المرمر في «حتتوب» (حت - نبو) نقش صخري ، سجل عليه تتتى احصاء للماشية بعد العام السادس من الحكم<sup>(٧)</sup> .

ويذهب المؤرخ المصرى «مانيتسو» الى أن «تتتى» لم يمت ميتة طبيعية ، وإنما قتله حراسه ، وربما كان ذلك صحيحا ، لأن مؤسس الحكم الجديد يكونون معرضين دائما للانتقام ممن نهوهم عن السلطان ، وأبعدوهم عن مكان الصدارة ، ويعزز ذلك أن خليفته «وسر كارع»<sup>(٨)</sup> لم يبق في الحكم الا بضع سنوات ، ولم يكد يخلف وراءه آثارا في البلاد ، ولأمر ما أسقطته النقرش التى تلت هذه الفترة . اذ ربما كان من البيت الملك القديم ، استعداد عرش أسرته<sup>(٩)</sup> .

على ان هناك من يذهب الى أن «تتتى» ربما سقط صريع نزاع بين قوتى الكهنة المتنافسين ، بل ربما كان هذا النزاع قد امتد الى ما قبل سقوط الأسرة السابقة بدليل أن «وناس» لم يكن يحمل في ثنايا اسمه كلمة «ارع» وربما لجأ الى كهنة منف ، حتى أنه بنى هرمه هناك ، وظلت الأمور قلقة بعده حتى رجحت كفة «ايون» (هليوبوليس) مرة أخرى . شولى النقرش «وسر كارع» فترة من الزمان<sup>(١٠)</sup> .

W. S. Smith, op. cit., p. 190. (٥)

K. Sethe, Urkunden des Egyptischen Altertums, I, 1932, p. 207. (٦)

R. Anthes, Die Felsinschriften Von Hatnub, (Unters. 9), Berlin, 1928, Pl. 9. (٧)

(٨) ملوك الأسرة السادسة سبعة ، وهم ١ - تتتى ٢ - وسر كارع ٣ - ببي الاول ٤ - مري ان رع الاول ٥ - ببي الثانى ٦ - مري ان رع الثانى ( عنتى ام سا - اف ) ٧ - نيتو كريس .

(٩) احمد فخري : مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(١٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

## (٢) وسر كارع

اعتبرت قائمة سقارة ومانيتو أن «وسر كارع» منقصباً للعرش، ولم يجزؤ الموظفون في عهد خلفه على ذكره ، اذ كان — فيما يعتقدون — منقصباً ، خارجاً على السلطة الشرعية<sup>(١١)</sup> ، وقد ذهب البعض الى أنه كان ابناً للملك «تتي» من زوجته «خويت» ، وأنه لم يستطع أن يلي الحكم غير فترة قصيرة ، ربما لا تتجاوز سنوات أربع ، دب النزاع بعدها بينها وبين أخيه غير الشقيق «ببي» ، والذي انتهى آخر الامر باستيلاء «ببي» على العرش ، ربما لأنه ابن الملكة «اييوت» ابنة «وناس» التي نقلت شرعية الحكم الى أبيه عن أبيها<sup>(١٢)</sup> ، وعلى أى حال ، فلتد بنى «وسر كارع» هرما لنفسه لم يبق أثر منه ، كما ترك كذلك عدة نقوش في وادى الحمامات<sup>(١٣)</sup> .

## (٣) ببي الاول

تولى «ببي الاول» العرش بعد «وسر كارع» ، وسرعان ما اطلق على نفسه لقباً ادعى فيه بنوته للمعبود «حور» وهو «نسر ساحور» ، ثم ادعى لنفسه اسماً آخر ، ادعى فيه بنوته للمعبودة «حاتحور» ، ربة دندرة — على مبعدة ٥ كيلا شمال غرب قنا عبر النيل — وفي نفس الوقت اتخذ اسماً ثالثاً ضمنه اسم «رع» وهو «مرى رع» تقرباً منه لكهانة الشمس ، بل انه ادعى بنوته للمعبود «آتوم» رب أونو القديم، وتلقب بلقب «مرى تاوى» أى «حبيب الارضين»<sup>(١٤)</sup> .

هذا وقد سميت «منف» باسم هرمة (من نفر) ، عندما شيّد «ببي الاول» حيا أطلقوا اسمه عليه ، فأصبح اسم ذلك الحى منذ الاسرة

---

(١١) W. Hayes, The Scepter of Egypt, I, N. Y, 1953, p. 125.

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨١ — ٣٨٢ .

(١٣) K. Sethe, op. cit., p. 148.

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

وكذا H. Gauthier, op. cit., p. 150, F.



السادسة يطلق على المدينية بأكملها ، على رأى (١٥) ، ومنذ الاسرة  
الثامنة ، على رأى آخر (١٦) ، ثم حرفه الاغريق الى «دمفيس» تم  
كتبتها العرب «منف» ، وتقع الآن تحت وبجوار قرية «ميت رهينة»  
بمركز البدرشين ، بمحافظة الجيزة •

ويبدو أن المتاعب التي تعرض لها البيت المالك منذ نهاية الاسرة  
الخامسة ، ظلت مستمرة في عهد «ببى الاول» ، ومع ذلك فقد تمتعت  
مصر خلال الخمسة وعشرين عاما التي حكمها بعصر زاهر ، نعمت فيه  
مصر بالرخاء والاستقرار ، وارتقت الفنون ، ويكفى الانسان أن يرى  
تمثاله الكبير المصنوع من النحاس في المتحف المصرى بالقاهرة (١٧) ، أو  
تماثيله الاخرى في غيره من المتاحف ، وبخاصة تلك المصنوعة من المرمر  
في متحف بروكلين في نيويورك ليدرك المستوى العظيم للفن المصرى ،  
كما قام «ببى الاول» بإرسال البعثات الى «حتنوب» لأحضار  
المرمر (١٨) ، وإصدار المراسيم لاهماية المخصصات الخاصة بهرمى الملك  
«سنفرو» في دهشور (١٩) ، كما كشف للملك عن معبد في «تل بسطة»  
بجوار الزقازيق •

هذا وقد بنى «ببى الاول» هرمه ، على مقربة من هرم «ايزوى»  
في ستارة التبلية ، ولم يقيم أحد حتى الآن بحفر مجموعة «ببى الاول»  
الهرمية حفرا علميا كاملا ، ولا يرى أحد الآن بقايا معبد الوادى ، الذى  
يجب أن يكون عند نهاية الطريق المصاعد ، كما أن أحدا لم يقيم بحفر  
المعبد الجناسى ، وأما الهرم نفسه فخرب تماما ، وارتفاعه الحالى

ZAS, XLIX, p. 129.

(١٥)

A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, II, 1947,  
p. 122-123.

وكذا

(١٦) أحمد بدوى : فى موكب الشمس - الجزء الثانى ص ٦٣٢ •

K. Lange and M. Hirmer, op. cit., Pl. 78.

(١٧)

J. Vandier, Manuel d'Archeologie Egyptienne, III, Paris,  
1958, p. 34.

وكذا

K. Sethe, Urk., I, 1932, p. 214.

(١٨)

Ibid., p. 209.

(١٩)

حوالى ١٢ مترا ، وطول ضلع قاعدته ٧٠ مترا ، وكان هذا الهرم مغطى  
بكساء من الحجر الجيرى الجيد ، وان كنا لا نرى الان سوى كومة من  
الحصى والاحجار الصغيرة (٢٠) .

#### (٤) مري ان رع الاول

خلف «ببى الاول» ولداه اللذان رزق بهما من بنتى «خوى» أمير  
أبيدوس، وقد حملت كل من البننتين نفس الاسم «مري رع عنخ ناس»،  
وأصبحت الاولى أما لخلف «ببى الاول» وهو «مري ان رع الاول»  
(عنتى ام سا اف = عنخ خاعو) ، والذي كان طفلا عند وفاة أبيه ،  
ذلك لانه على الرغم من جلوسه على العرش نحو سنوات عشر — وربما  
الاصح خمسة أو ستة أعوام — فقد كان عند وفاته ، ما يزال يافعا ، لم  
يبلغ الحلم بعد ، اذ كانت تتدلى خصلة من الشعر على جانب موميائه،  
التي عثر عليها في هرمه (٢١) .

وهناك اشارتان أمكننا أن نستدل منهما على أن «ببى الاول» انما قد  
أشرك معه في نهاية عصره ولده «مري ان رع» في شئون الحكم ، جاءت  
الاشارة الاولى عن طريق قلادة ذهبية ، محفوظة بالمتحف المصرى  
بالقاهرة ، تحمل اسم وألقاب الملكين معا (٢٢) ، وكانت الثانية من «نخن»  
(البصيلية) حيث المجموعة النحاسية من التماثيل التي كشف عنها  
هناك ، وتمثل «ببى الاول» مع تمثال صغير بجواره ، ربما كان له «مرن  
ان رع» (٢٣) .

(٢٠) أحمد نخري : المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(٢١) W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 193.

J. Vercoutter, op. cit., p. 63.

(٢٢) E. Drioton, Notes Diverses, 2, Une Coregence de Pepy

Ier et de Merenre, ASAE, 44, 1945, p. 55.

(٢٣) Egypt, Harmonds worth, 1965, p. 80.

G. Posener, op. cit., p. 217.

J. Vandier, op. cit., p. 34.

وهناك نقشان مؤرخان بعصر «مرى ان رع» ، الواحد من محاجر «حتنوب»<sup>(٢٤)</sup> ، ورغم أنه مشوه ، فإنه يؤرخ لاحصاء الماشية الخامس (السنة العاشرة) والآخر من الشلال الاول من الاحصاء الخامس كذلك ، وربما سجل في السنة التاسعة عندما استقبل الملك بعض كبار القوم من النوبيين عند حدوده الجنوبية<sup>(٢٥)</sup> ، وهناك من يتشكك في تأريخ «مرى ان رع» لهذا الاثر الاخير ، رغم أنه كان شريكا لابيه في الحكم ، وربما قد بدأت هذه المشاركة في شئون الدولة في السام الاربعين من حكم أبيه ، وأما ما جاء في بردية تورين من أن «مرى ان رع» قد حكم أربعة عشر عاما ، فلا بد أن يدخل في هذه المدة فترة اشتراكه في الحكم مع أبيه ، وأن أعوام حكمه المنفرد انما كانت قرابة أعوام خمسة

وعلى أى حال ، فإنه من غير المقبول أن نفترض اشتراك الطفل «ببى الثانى» مع أخيه «مرى ان رع الاول» ، ومع ذلك فإن وجود اسميهما الشوريين داخل اطار على خاتم اسطوانى لاجد الموظفين ، انما قد عقد المسألة كثيرا ، ووضع علماء المصريات أمام مشكلة يصعب حلها<sup>(٢٦)</sup> .

هذا وقد بنى «مرى ان رع» هرمه ، على مسافة قصيرة الى الجنوب الغربى من المجموعة الهرمية للملك «جسد كارع» (اسيسى) ولم تجز حفائر حتى الآن في معبد الوادى أو الجنازى أو الطريق الصاعد لهذه المجموعة الهرمية ، أما الهرم نفسه فهو مخرب الآن ، وعلى أى حال ، فقد كان طول ضلعه ٩٥ مترا ، وفي عام ١٨٨١م دخله «مارييت» ، ثم «ماسبرو» عندما كان يقوم بفحص أهرام سقارة بحثا عن «نصوص الاهرام» ، ووجد في حجرة الدفن تابوت جميل الصنع من الجرانيت

CAH, I, Part, 2, 1971, p. 192.

(٢٤)

K. Sethe, Urk., I, 1932, p. 256.

وكذا

K. Sethe, Urk., I, 1932, p. 110.

(٢٥)

J. H. Breasted, ARE, I, Chicago, 1906, p. 145.

وكذا

J. Cledat, Deux Monuments Nouveaux de Tell El-

(٢٦)

Maskhoutah, Rec. Trav. 32, 1910, p. 40.



الاسود وفيه مومياء ، ربما كانت للملك «مرى ان رع» نفسه (٢٧) .

#### ( ٥ ) ببى الثانى

وجاء «ببى الثانى» بعد أخيه «مرى ان رع» ودببقا لرواية مانيتو ، فقد ارتقى العرش المصرى ، وهو فى السادسة من عمره ، وعاش حتى بلغ المائة ، ورغم أن بردية تورين قد أعطتنا رقما غير واضح ، غير أنه يقرب من التسعين سنة ، وعلى أى حال ، فإن المؤرخين يكادون يتفقون على أنه حكم أطول فترة عرفها التاريخ المصرى لملك من الملوك ، وهى ٩٤ عاما .

هذا وقد بدأ «ببى الثانى» حكمه تحت وصاية أمه ، ويسند منصب الوزارة الخطير الى خاله «زعو» ، وبهذا يكون أمر البلاد فى هذه العائلة التى أتت من أبيدوس ، والتى لا تمت الى العائلة المالكة ، ولو بخيط واه ضعيف من صلة الدم ، وهذا يعنى أن الأسرة المالكة التى كانت تؤمن بقدسياتها ، ويؤمن شعبها بألوهيتها ، قد أصبحت بمنأى عن الحكم والسلطان ، وانما الأمر أصبح بيد أصهارها ، ويستمر الأمر كذلك حتى يصبح الملك الطفل فى سن تؤهله لان يجلس على العرش المقدس — كملك حقيقى — ويتولى السلطة لمدة أجيال ثلاثة أو تزيد ، يضعف فى أخرياتها فى سلطاته وفى صحته ، فى الوقت الذى يزداد فيه نفوذ حكام الاقاليم ، وتصبح مناصبهم وراثية — أو تكاد — بل وتزداد ثرواتهم بدرجة تهدد خزائن الملك نفسها (٢٨) .

هذا وقد قام العالم الاثرى «جيكويه» (٢٩) فيما بين عامى ١٩٢٦ ،

( ٢٧ ) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٢٧٧ .

وكذا G. Maspero, Recueil de Travaux, IX, p. 177-191.

( ٢٨ ) محمد بيرومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى — الاسكندرية

١٩٦٦ ص ٤١ — ٤٣ .

K. Sethe, op. cit., p. 117.

وكذا

A. H. Gardiner, Was The Vizier Djau on of Six Brothers, وكذا

ZAS, 79, 1954, p. 95.

G. Jequier Les Monuments Funeraire de Pepi II, 3 Vols. ( ٢٩ )

Cairo, 1936-1940.

١٩٣٦م بالحفر فى المجموعة الهرمية للملك «ببى الثانى» فكشف عن مجموعة هرمية فى حالة لا بأس بها ، وعلى الرغم مما أصابها من تخريب ، فإنها تقدم لنا صورة عما كانت عليه عند بنائها ، فلقد بنى «ببى الثانى» هرمه من أحجار صغيرة فجأة من الحجر الجيرى المحلى ، وما زالت بعض أحجار الكساء الخارجى — وهى من الحجر الجيرى الأبيض الجيد — فى أماكنها فى الجهة الغربية من الهرم ، الذى كان ارتفاعه فى الأصل ٥٢ مترا ، وطول ضلع قاعدته ٧٦ مترا ، ويقع معبد الوادى على مقربة من الاراضى الزراعية ، ويمكن الوصول إليه من طريقين ، يصلان الى رصيف كبير أمام المعبد ، ربما كان يستخدم مرسى للسفن فى أيام الفيضان •

هذا ويسير الطريق الصاعد فى اتجاه جنوبى ، وينحرف على الأقل مرتين مغيرا زاويته الى أن يصل الى أعلى الهضبة ، وعلى مقربة من نهايته الغربية ، نجد مدخلا صغيرا يسمح للكهنة الذين يتصافدون وجودهم فى أعلى الهضبة بدخول المعبد الجنازى ، دون الحاجة الى النزول الى الوادى ، والبدء من معبد الوادى لدخول الطريق الصاعد ، والسير فيه ، وعند هذا المدخل حجرة للحارس الذى يحرس المكان (٣٠) •

ومع أن مبانى طريق «ببى الثانى» الجنازى على أسوأ حال ، إلا أنه يشبه طريق «وناس» فى كثير من الاعتبارات ، فكلتا الطريقين تغير اتجاههما مرتين ، أما لكى يستفيدوا من طبيعة المكان ، وأما لتقليل زاوية انحدارهما ، وكذا فى تقارب الممرين اللذين فوقهما فى مقاييسهما أيضا ، ولكن بينما عثر على كثير من بقايا النقوش فى ممر «وناس» ، لم يعثر الا على بعض قطع قليلة مبعثرة فى ممر «ببى الثانى» •

ويبدو واضحا من هذه القطع أن المناظر التى كانت مرسومة فى الطرف الاسفل من الممر تشبه كثيرا تلك التى كانت فى المكان نفسه فى

---

(٣٠) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٢٧٨ - ٢٨٢ •

ممر «ساحورع» فالملك ممثل على صورة أبو الهول ، أو على صورة أسد برأس طائر ، وهو يطاء تحت أقدامه أعداء مصر التقليديين الذين يأتي بهم الالهة كأسرى ، وكان يصحب هذا المنظر - كما في الأماكن الأخرى - مجموعة من النقوش تبين الالهة «سشات» وهى تسجل أسماء الضحايا ، وتحرر كشوف الجزى المأخوذة •

أما المناظر التى فى الطرف العلوى من الممر ، فكانت تحمل طابعاً جنازياً صرفاً ، فهناك صفوف طويلة من الخدم يحملون منتجات الضياع الملكية الى المتبرة ، وفى المناظر المجاورة نجد مواكب مشابهة ، لكنها تتكون من الالهة والالهات ، وتتقدم نحو الملك الجالس على العرش (٣١) •

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أنه فى خارج سور هرم الملك «ببى الثانى» ، وجدت ثلاث أهرامات صغيرات لثلاث ملكات من زوجاته ، وهى «نيت» و «ايبوت الثانية» (٣٢) و «أوجبتن» (٣٣) ، والهرمان الأولان فى الجهة الشمالية من هرم الملك والثالث فى جنوبه ، وتتشابه هذه الأهرام الثلاثة فى بنائها ، وفى داخل كل منها فصول من «نصوص الأهرام» ، ومن أن لكل هرم منها معبد جنازى ، وهرم ملحق به ، كلها من داخل سور يحيط بها •

ويقع معبد الملكة «نيت» الى الشرق من هرمها ، وكان يتقدم مدخله مسلتان صغيرتان ، ويتكون المعبد من ردهة وفناء مكشوف يحيط به الأعمدة من ثلاثة جوانب ، وكان يخرج من الفناء دهليز ، تقع على يمينه خمسة مخازن ويؤدى الى القسم الثانى من المعبد ، ويتكون من تاعتين ، تشتمل احدهما على ثلاث مشكاوات للتمثاليل ، ومن وراء التاعتين سرداب ويليهما «قدس الاقداس» الذى يقع على محور الهرم

---

(٣١) I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 197-193.

(٣٢) أنظر : G. Jequier, Les Pyramides des Reines Neit et A Pouit, Cairo, 1932.

(٣٣) أنظر : G. Jequier, Le Pyramide d'Oudjebten, Cairo, 1928.



وهكذا كان معبد الملكة «نيت» صورة مصغرة للعناصر المعمارية الرئيسية التي كان يحتوى عليها المعبد الجنائزى للملك \*

ولم يكن هرم الملكة «نيت» — والذي يبلغ طول ضلع قاعدته المربعة ٢١ مترا ، ولكن ارتفاعه الحالى لا يزيد على أربعة أمتار — لم يكن فى كل معالنه الاساسية ، الا صورة مصغرة من هرم الملك ، اذ كانت تقوم أمام مدخله فى الشمال مقصورة قربان صغيرة ، يشغل جدارها الخلفى باب وهمى ، يسد مدخل الهرم ، ومن أمامه مائدة قربان ، ويؤدى مدخل الهرم الى احدور لا يلبث أن يستقيم ، حيث كان يعترضه متراس من كتلة واحدة من الجرانيت ، يسد الطريق الى غرفة الدفن التى تحلى جدرانها «مقون الإهرام» ، وعلى يسار غرفة الدفن دهليز قصير يؤدى الى سرداب (٣٤) \*

وعلى أى حال ، فلو قد كان «ببى الثانى» آخر ملوك الدولة القديمة بنى مجموعة هرمه على نمط كبير ، وقد ترك أحد خلفائه (ويسمى ايبى) هرما لم يتم بناؤه ، ولكن لم يزد حجمه عن هرم الملكة «نيت»، وتنقصه المباني المعتادة الملاحقة به ، ولم يكن هذا التدهور نتيجة تغير مفاجىء فى العقائد الدينية وانما كان مرجعه الى نقص فى الثروة ، وفى نفوذ الملوك، وهى الحالة التى استمرت بعد ذلك قرابة المائتين من الاعوام (٣٥) ، أى حتى نهاية عصر الثورة الاجتماعية الاولى \*

---

(٣٤) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٢٨٣ — ٢٨٥ \*

L. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965. p. 206.

Ibid., p. 208.

(٣٥)

## الفصل الثانى

### قصة السخرة فى بناء الاهرامات

لعل من المفيد ، بعد أن تحدثنا عن «السياسة الداخلية لمصر فى عصر الدولة القديمة» ، ذلك العصر الذى تميز ببناء الاهرامات ، حتى عرف ، كما أشرنا من قبل ، باسم «عصر بناء الاهرام العظام» ، والذى ينطبق على ملوك الاسرة الرابعة ، أكثر مما ينطبق على غيرهم من ملوك الدولة القديمة ، وربما على بناء أهرام الجيزة الثلاثة بصفة خاصة ، لعل من المفيد أن نتحدث عن تلك القرية التى اشتهرت عن «خوفو» صاحب الهرم الأكبر ، وولده «خفرع» بصفة خاصة ، وأعنى بها «السخرة فى بناء الاهرام» .

وفى الواقع فإن مؤرخى الاغريق والرومان كانوا أول من نظر الى بناء الاهرام ، وكأنه سخرة ، ولعل «هيرودوت» إنما كان أول من نادى بهذه القرية ، حين اتهم «خوفو» بأنه قد انغمس فى كل صنوف الشر ، فأغلق المعابد ، وحرّم على المصريين تقديم القرابين للآلهة ، وأجبرهم على العمل فى خدمته لبناء هرمه المشهور (هرم الجيزة الأكبر) ، الذى اشتغل فيه مائة ألف رجل ، يستبدل بهم غيرهم كل ثلاثة شهور ، ثم سخر الشعب عشر سنوات فى عمل طريق مرتفع لنقل الأحجار ، بجانب عشرين سنة فى بناء الهرم نفسه .

ثم يقول «وقد ذكر على الهرم بالحروف المصرية مقدار ما أنفق ثمننا لما استهلكه العمال من الفجل والبصل والنوم واذا وعت ذاكرتى بالضبط ما قاله لى الترجمان ، عندما قرأ على النقش ، فإن النفقات قد بلغت ١٦٠٠٠ تالنت من الفضة» .

ومات خوفو بعد أن حكم خمسين عاما ، فخلفه على عرش مصر ولده «خفرع» (خع اف رع) الذى حكم ستا وخمسين سنة ، وقد تعرض المصريون لمنتهى البؤس خلال هذه السنوات الست والمائة ، اذ لم تفتح أثناءها المعابد التى كانت قد أغلقت ، ولا يرغب المصريون مطلقا فى تسمية هذين الملكين (يعنى خوفو وخفرع) لكرههم ، بل انهم ليسمون الهرمين باسم الراعى «فيليتيوس» الذى كان يرعى غنمه يومئذ بالقرب من تلك المنطقة»<sup>(١)</sup> .

ومن عجب أن يتابع مؤرخنا الوطنى الكبير «مانيتون» السمنودى . كتاب الاغارقة والرومان فى سخفهم هذا ، وأن يتهم خوفو بالعجرفة ، حتى مع الآلهة .

ثم استمرت هذه القصص عن بناء الاهرام منتشرة بين الناس ، حتى أننا الان نجد الكثيرين يرددون هذه الروايات ، دونما وعى أو تحقيق ، ثم يتخذونها مثلا على تجبر الفراعنة وقسوتهم ، مقلدين فى ذلك المؤرخين المسلمين ، ومعتمدين فى الوثقت نفسه على أن القرآن الكريم قد وصف الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام ، بالطغيان والجبروت ، وتجاوز عن ذكر اسمه<sup>(٢)</sup> .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة — بادية ذى بدء — وقبل أن

---

(١) انظر : هيرودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر حناجه ، وقدم له وشرحه أحمد بدوى — القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٤٨ — ٢٥٩ ، محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٠ ص ٣٢١ — ٣٢٢ ، أحمد فخري : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧١ ص ١١٢ — ١١٤ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ١٦٨/١ — ١٦٩ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ٨٤ — ٨٦ ، وهيب كامل : هيرودوت فى مصر : فقرات ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ديودور الصقلى فى مصر : فقرة ٦٤ ، وكذا

G. Rawlinson, The History of Herodotus, London, 1929, II, p. 177-179.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤٨ ، وكذا

W. G. Waddle, Manetho, London. 1940, p. 46-48.



نناقش قصة السخرة هذه ، أن تشير الى عدة أمور : منها (أولاً) أن مصر احدى البلاد التي لم تعرف السخرة والاستعباد قبل عصر الإمبراطورية الوسطى . حين كان الأسرى يدفعون الى العمل ، فيستعبدون عن هذا الطريق<sup>(٣)</sup> ، ومن هنا فاننا نرى أن النصوص تتحدث عن المساواة بين المصريين<sup>(٤)</sup> .

صحيح أن المجتمع المصري عرف نظام الطبقات الاجتماعية ، ولكنه صحيح كذلك ، أنه لم يعرف النظام الذي يقسم المصريين الى أحرار وعبيد ، الأمر الذي ساد في المجتمع العراقي القديم ، حتى رأينا قانون حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) المشهور ينص على أن كل العقوبات والأحكام القضائية تدرج حسب مراكز المذنبين الاجتماعية ، أو مكانة المتخاصمين الاجتماعية<sup>(٥)</sup> ، حتى ذهب البعض الى أن يعتبر أن ماأضافته المدنية البابلية الى ارتنا الخلقى في غربى آسيا قليلا جدا<sup>(٦)</sup> .

وهذا كان عمن الأسرى لا يخالف منطق الظروف ، فقد كانوا أسرى ، وكان عليهم أن يعملوا ليعيشوا ، وإذا صح أن يسمى العمل في مرائق الدولة يومئذ « سخرة » ، وإذا صح أيضا أن الأسرى لم يكونوا وحدهم هم الذين يستخرون ، بل حتى إذا صح أن المواطنين كانوا يشاركونهم هذا العمل ، فتلك أمور لم تجر في عهد آل فرعون وحسب ، بل جرت في سائر العهود قديمها وحديثها ، وليس علينا إلا أن نتذكر كيف شقت «قناة السويس» ، وكيف شقت ترع المحمودية والاسماعيلية والابراهيمية ، وكيف بنيت التناظر الخيرية ، وعلينا أن نتذكر كيف كان يستخدم عساكر الجيش أيام الملكية ، وعلينا أيضا أن

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٤) أنظر : نص المساواة : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٦٧ - ٢٦٩ ، وكذا J. Wilson, ANET, 1966, p. 7-8.

(٥) أنظر : المواد ١٩٦ - ٢٠٥ من قانون حمورابي :

T. J. Meek, in ANET, 1966, p. 175.

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience. New York, (٦) 1939, p. 221-222.

نتذكر أن ذلك لم يجبر في مصر وحدها ، بل جرى في بلاد غير مصر ،  
ويكفى أن نذكر نظام «الخدمة الاجبارية العامة» أيام النازيين في ألمانيا  
قبل الحرب العالمية الثانية<sup>(٧)</sup> ، بل وحتى في أيامنا هذه ، ألا يقضى  
شبابنا فترة ما يسمى «بالخدمة العامة» في مقابل دراهم معدودة .  
لا تشبع من جوع ولا تكسى من عرى •

ومنها (ثانيا) أن الهرم الاكبر بكل المقاييس الهندسية ، ليس هو  
أعظم ما شيده المصريون من نوعه فحسب ، بل هو انما يمتاز أيضا ،  
بذلك الاتقان المعجز في هندسته ، والدقة في تخطيطه وجمال نسبه ، ومن  
ثم فقد كان ، وما يزال ، أهم عجائب الدنيا السبع<sup>(٨)</sup> ، وانطازقا من  
هذا ، فالشيء الذى لاشك فيه هو أن بناء الهرم من المعجزات الانسانية،  
ولست أشك ، كما يقول الدكتور أحمد بدوى<sup>(٩)</sup> ، في أن رجال العمارة  
في العصر الحديث ، بكافة ما أوتوا من أدوات ووسائل ، سوف يشفقون  
على أنفسهم ، أشد الاشفاق ، وقد يترددون ، وربما يحجمون ، ان نحن  
طلبنا اليهم أن يبنوا لنا هـرما مثل هرم خوفو ، بالرغم من افادتهم من  
تجارب عصور قاربت آلافا خمسة من عمر الزمان ، ويقال ان اليابانيين  
فعلوها ، فلم يفلحوا •

ومن ثم فلعل هذا دليل على عدم السخرة ، ذلك لان الفنانين  
والصناع ، لو لم يكونوا موضع تقدير المجتمع وتشجيعه ، لكان من  
المستحيل أن يبلغوا هذه الذروة في الابداع الفنى والهندسى ، ومن  
البدهى أن الشعوب المقهورة لا يمكن أن تنتج فنا على هذا المستوى  
المعجز ، وخاصة بهذا القدر من الضخامة ، فضلا عن الجلال والكمال  
الفنى •

ومنها (ثالثا) أن بناء الهرم الاكبر ، وما يتصل به من معابد

---

(٧) أحمد بدوى : هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٢٤ .  
(٨) أحمد فخرى : الاثرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ - ص ١٤٥ .  
(٩) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٥٢ •

وأهرام ومقابر في عهد خوفو ، وهي — وما أنشأه من معابد في أنحاء البلاد — علم ناهض على قوة شخصيته ، وما أوتى من قوة وسلطان ، وبرهان قائم على ما بلغته مصر في مدة حكمه من تقدم ، وما استقام لها من حضارة وثراء ، وما حظيت به من حكم موطن حازم ، وما كان لها من موظفين أكفاء ، ومهندسين ممتازين ، وعمال مهرة مدربين ، تفانوا جميعا في خدمة مليكهم ، عن ايمان راسخ وعقيدة قوية في ألوهيته وتقديسه (١٠) .

والحقائق وحدها كافية لتجعل هرم خوفو هذا ينال اعجاب الناس على مر العصور ، ذلك لان الهرم الاكبر انما هو أعظم مقبرة في العالم اجمع ، بنيت لتكون قبرا لفرد واحد . كما أنه أشهر بناء أثرى في الدنيا كلها ، ولم يحدث قبل «خوفو» أو بعده أن يبني ملك مثل هذا المستقر الأبدى الضخم ، ويكفي أن نعرف أن طول كل جانب من قاعدته ٢٣٠ مترا ، وأنه كان يسمو في الفضاء مائة وستة وأربعين مترا ونصف المتر ، وأن زاوية ميل جوانبه ٥٢° ، وأن مجموع عدد أحجاره يقدر ، فيما يقال ، بنحو مليونين وثلاثمائة ألف حجر ، ومتوسط وزن الحجر الواحد طنان ونصف ، وإذا علمنا أن أحجار هرم خوفو لم تكن تزن في المحاجر ، أقل من سبعة ملايين من الأطنان ، يحتاج نقلها في الوقت الحاضر الى سبعة آلاف قطار حمولة كل قطار ألف طن ، أدركنا ضخامة الأعمال التي اقتضاها هرم خوفو وحده ، ومدى ما احتاجت اليه من تنظيم دقيق للعمل والعمال (١١) .

ومن ثم فطلما وقف الناس منذ آلاف السنين أمام هذا الهرم تملؤهم الرهبة والاعجاب ، وستقف أجيال من الناس لم يولدوا بعد ،

(١٠) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٢١ .  
(١١) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨١ ، محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٠٧ .



وستملؤهم أيضا الرهبة والاعجاب ، وسيبقى اسم خوفو مذكورا في سجل الايام ما بقى هرمه شامخا بعظمته على حافة الصحراء (١٢) .

ومنها (رابعا) أن الهرم الأكبر كان مثار أوهام وادعاءات في عصور الضعف من تاريخ مصر ، وهو ما يزال مبعث أساليب وأوهام من نوع آخر عند كثير من الناس في العصر الحديث ، تأبى أخيلتهم الا أن ترى أنه بنى ليخلد بمقاييسه وزواياه وأركانه وأجزائه ، أسراراً في الفلك والرياضة والدين ، ويسجل أهم الاحداث للماضي والحاضر والمستقبل .

وهكذا كان الهرم الأكبر ، وما يزال ، مصدر الهمام للكثيرين من المفكرين ، كما تسبب أيضا في وجود كثير من النظريات الباطنية ، ونظريات الاسرار الخفية ، والنظريات الخاصة بمعرفة الغيب والتنبؤ بما سيحدث في المستقبل ، كما كان عبدة النجوم في العصور الوسطى يعتقدون اجتماعاتهم داخله ، وكانوا يعتبرونه مصدر حكمة لهم ، وفي أواخر القرن الماضي كتب «بيازي سميث» كتابا أسماه «ميراثنا في الهرم الأكبر» ومنذ ذلك الوقت كثرت ظهور كتب عن هذا الهرم من النوع الذي نحا فيه كاتبوه الى الخفايا الخفية والتنجيم والعلوم الروحية ، وكلها تدور حول الهرم الأكبر بالذات .

وهرم الجيزة الأكبر وحده دون سائر الاهرام ، هو الذي استرعى أنظار من يطلق عليهم بعض الناس «مجانين أو عشاق الهرم» لانهم يجدون في أبعاد حجراته وممراته أساسا لنظريات كثيرة تفسر أو تتنبأ بحوادث ذات أهمية تاريخية ، الى درجة أن بعضهم ادعى أنه استطاع أن يجد داخل الهرم الأكبر تسجيلا لما ورد في كل من التوراة والانجيل ، بل وصل الامر بأحدهم أنه قال انه توصل من حسابات قام بها الى معرفة تاريخ مولد المسيح عليه السلام ، لان هذا مسجل داخل الهرم ، ويعتقد بعض أولئك المتحمسين أن الهرم لم يبن ليحتوى على تنبوءات

(١٢) أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٨١ .

فحسب ، بل انه بنى ، وكان بناؤه المعجز ، بواسطة أسرار لا نعرفها  
الان ، وانه ان الممكن شفاء بعض الامراض ، بواسطة الاشعاع أو  
الاحوال الجوية الخاصة في أجزاء ممراته .

ومن عجب أن الشيء الوحيد الذى يتفق عليه كل الذين يؤمنون بتلك  
النظريات ، هو أن الهرم الأكبر لم يبن ليكون قبرا للملك خوفو ،  
ويقدمون جميع أنواع التفسيرات للغرض من بنائه ، اللهم الا التفسير  
الصحيح الذى يؤمن به الاثريون ، وبالرغم من أن أكثر من واحد من  
علماء الدراسات المصرية القديمة قد فند بشدة جميع هذه النظريات  
الغريبة ، فان أشخاصا كثيرين ما يزالون يؤمنون بها<sup>(١٣)</sup> .

ومنها (خامسا) أن بناء الاهرامات وغيرها من المباني الدينية ، انما  
كان ، كما سنشير فيها بعد ، نتيجة سطوة المدين على المصريين وأثره  
في حياتهم وتفكيرهم ، فالدين — كان ولا يزال — أكبر قوة تؤثر في حياة  
الانسان ، ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التفسير الذى  
أوحى اليه بفكرة الخلود ، أو الحياة بعد الموت ، تلك الفكرة التى  
اعتنقها القوم ، وكان لها أكبر الاثر في نفوسهم ، بل انه فيما يرى  
— جيمس هنرى برستد —<sup>(١٤)</sup> لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب  
العالم احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت ، المكانة العظيمة التى  
احتلتها في نفس الشعب المصرى القديم ، وكان من نتائج ذلك أن ترك  
لنا المصريون القدماى عددا هائلا من الاهرامات والمقابر والمعابد التى  
لا يمكن حصرها ، بينما لا يوجد الا قلة من المنازل التى كان يعيش فيها  
القوم ، ولعل السبب في ذلك أن الاولى كانت تبنى بالاحجار ، بينما

(١٣) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٧٩ — ١٨٠ ، وكذا أنظر :  
J. P. Lauer, Le Probleme des Pyramides d'Egypte, Paris, 1948, p. 133-  
160.  
J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, (١٤)  
1939, p. 45.



كانت الثانية تبنى باللبن ، ايماناً منهم بأن الاولى أبدية ، وأن الثانية  
وقتية •

ومنها (سادسا) أن مقابر أفراد الاسرة المالكة وعظماء رجال الدولة  
في عهد خوفو ، خلت من الأبواب الوهمية والنقوش والتماثيل ، الا من  
لوحة القربان ، ولم يسمح «خفرع» الا للخاصة من أفراد البيت المالك  
بذلك ، أما بقية الاسرة فقد سمح لهم بما يعرف بالرؤوس البديلة أو  
الاحتياطية ، على أن تقام تحت سطح الارض في مدخل غرفة الدفن ،  
وأما في عهد «منقرع» (من كورع) فقد أتيح لكثير من الافراد أن  
ينتشوا جدران مقابرهم بالمناظر ، وأن يقيموا فيها الأبواب الوهمية  
والتماثيل •

وهكذا يبدو أن خوفو قد حرم على الافراد اقامة تماثيل لهم في  
مقابرهم حتى لا تؤدي لها الطقوس التي كانت تؤدي لتماثيل الآلهة  
والملاك ، والتي كانوا قد بدأوا يؤدونها لتماثيلهم في عهد «سنفر»  
على الأقل ، وذلك ليصون للآلهة قداستها ، ويحول دون ابتذال شعائرها  
وطقوسها ، وليمنع محاكاة الافراد للملك فيما اتخذ من عادات وتقاليده  
كأله ، حتى يظل الفرق بينه وبينهم كبير •

وقد وقف «خفرع» من ذلك موقفاً وسطاً ، فاجاز الابواب الوهمية  
والنقوش والتماثيل لكبار أفراد الاسرة المالكة ، واكتفى بأن يسمح لمن  
لا يمتون اليه بصلة القرابة الوثيقة بما يعرف بالرؤوس البديلة ، على  
ألا يقيّدونها بحيث يمكن أداء الطقوس لها ، وحرّمها على غيرهم ، ثم  
جاء «منقرع» فأباحها لمن يستطيع توفيرها في مقبرته •

ثم جاءت أجيال أساءت فهم ذلك وانحرفت به عن حقيقته ، وساعد  
على ذلك ضخامة هرمى خوفو وخفرع ، فصورت عمسور الضعف  
السياسي والفني ، أن هذين الهرمين لايتأتيان بغير عسف وظلم، فكانت



## • قصة السخرة في بناء الاهرامات (١٥) •

ومنها (سابعاً) أن هيرودوت ، أول من نادى بقصة السخرة ، انما كان ، كما أشرنا من قبل ، لا يعرف من لغة المصريين كثيراً ولا قليلاً ، ومن ثم فقد اعتمد على الترجمة ، أو صغار الكهنة ، وهم لا يزدون في معلوماتهم عن الادلاء الحاليين الذين نراهم حول الهرم ، ان لم يقلوا عنهم في المعرفة ، كما أن الروايات التي سمعها هيرودوت انما سمعها بعد مضي أكثر من ألفى سنة على بناء الهرم (١٦) •

ولنتأقش الان النظريات المختلفة التي دارت حول السخرة في بناء  
الاهرامات ، في ضوء الحقائق التاريخية الآتفة الذكر •

### (١) نظرية السخرة في بناء الاهرامات

لعل أشهر المتأدين بالسخرة في بناء الاهرامات : هيرودوت اليوناني ،  
ومانييتو المصري ، فضلاً عن بعض المؤرخين المسلمين •

#### أولاً : رواية هيرودوت :

لعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن الباحثين انما يلاحظون على  
رواية هيرودوت : أول من نادى بالسخرة ، والتي نقلناها آنفاً ، عدة أمور ،  
بعضها انما كان نتيجة اعتماده على الترجمة ، وبعضها الآخر ، ربما كان  
عن جهل ، وربما عن سوء نية •

ومن ذلك (أولاً) قول هيرودوت : قال الكهنة ..... ارتقى العرش  
بعده «كيوبيس» (خوفو) الذي ساق المصريين الى البؤس ، وأغلق  
المعابد ، ومنع المصريين من التضحية ، والمعروف أن حياة الكهنة انما  
كانت تعتمد على القرابين ، ومن ثم فقد ذعروا حين حرما خوفو ،

(١٥) أنظر : محمد أنور شكرى : الفن المصري القديم - القاهرة ١٩٦٥  
ص ٩٩٦ - ٩٧ ، الحضارة في مصر القديمة ص ٣٢٣ - ٣٢٤ •  
(١٦) أنظر : هيرودوت وقيمة رواياته التاريخية ( محمد بيومي  
مهران : مصر - الكتاب الاول - الاسكندرية ١٩٨٣ ص ٦٢ - ٧٠ •

وقد أعطاهم ببناء الهرم الأكبر الفرصة ليفتقروا عليه وهكذا تظهر الحقيقة في رواية هيرودوت ، إذ منع الكهنة من الاتجار في الدين ، ومن ثم فهم يكتنون له البغض ، وانتهزوا فرصة وجود هيرودوت ليعلنوا بغضهم هذا .

وبمهي أن عصر خوفو ما كان أبدا عصر بؤس ، ولو كان كذلك ، لما قدر خلفاؤه أن ينهضوا بعده بذلك التقدم العمراني الذي نرى آثاره فيما تركوا ، وترك الناس من حولهم من آثار تدل على الرخاء المادي ، وإنما تدل شواهد الأحوال أن «خوفو» كان ملكا قويا نشطا ، ترك البلاد في حالة اقتصادية مستقرة ، ساعدت ولده «خفرع» على بناء الهرم الثاني ، وهو بناء يكاد يماثل هرم أبيه في عظمته .

ومن ثم فأكبر الظن أن يكون ماسمعه هيرودوت — ان كان قد سمعه حقا — بقية من آثار الدعاية التي يقام بها كهان الشمس ، وأثاروها حربا على البيت الملكي أيام الأسرة الرابعة ، وشواهد ذلك باذية واضحة في ذلك القصص الذي نطالعه في القرطاس المعروف باسم «بردية وستكار»<sup>(١٧)</sup> .

ومنها ( ثانيا ) زعم هيرودوت أن خوفو أجبر البعض على جر الأحجار من المحاجر الموجودة بالجبل العربي (أي المحاجر التي تقع شرق النيل) حتى النيل ، وأمر البعض الآخر باستلامها بعد نقلها في السفن عبر النهر ، وجرها إلى الجبل المسمى بالجبل الليبي<sup>(١٨)</sup> ( أي

( ١٧ ) أنظر : عن بردية وستكار :

G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 21 F.

A. Erman, The Literature of Ancient Egyptians, London, وكذا 1927, p. 36-46.

R. D. Faulkner, JEA, 37, 1951, p. 114.

A. M. Blackman, JEA, 22, p. 42 F.

G. Lefevre, Romans et Contes L'Epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-77.

وكذا

وكذا

وكذا

( ١٨ ) هيرودت يتحدث عن مصر ص ٣٤٩ .



الهضبة التي أقيمت فوقها الاهرام) ، وهذا يعنى أن جميع أحجار الهرم قد جئ بها من الضفة الشرقية للنيل ، وأنهم حملوها في سفن عبر النهر ، ولكننا نعلم تماما أن الهرم ذاته مشيد من الحجر الجيري المحلي ، أى المأخوذ من الهضبة نفسها ، ولم يستخدموا في بنائه أحجارا من محاجر الضفة الشرقية ، الا تلك الاحجار الجيرية البيضاء الجيدة النوع التي بنوا بها الكساء الخارجى للهرم (١٩) .

ومنها (ثالثا) زعم هيروودوت أن الترجمان قرأ له من نقش على الهرم : أن النفقات بلغت ١٦٠٠ تالنت من الفضة ، فهو زعم غير صحيح ، ذلك لان حاسبة التكاليف انما هى من عمله هو ، هذا فضلا عن أن الفضة لم تتداول في مصر ، ألا بعد عهد ((خوفو)) بوقت طويل ، وفي ذلك ما يدل على بساطة هيروودوت ، فهو لم يخدع في هذه الحسب ، بل خدع نفسه مرة (٢٠) .

ومنها (رابعا) زعم هيروودوت بأن بناء الطريق المصاعد استغرق عشر سنوات ، وأن بناء الهرم نفسه استغرق عشرين سنة ، أى أنهما استغرقا معا ثلاثين سنة ، وأن مدة حكم خوفو استغرقت خمسين عاما (٢١) ، مع أن النصوص القديمة تذكر أن ((خوفو)) حكم ثلاثة وعشرين عاما فقط (٢٢) .

ومنها (خامسا) زعم هيروودوت أن خفرع تولى الملك بعد أخيه خوفو ، وأن مدة حكمه ستا وخمسين سنة ، وفي هذا الزعم خطأ ، الواحد : أن خفرع لم يكن من اخوة خوفو ، وانما كان من أبنائه ، كما كان ثانيا خلفائه (٢٣) ، وربما كان ثالثهم ، غير أنه من المؤكد أن (جد فرع)

- (١٩) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ص ١٧٧ .
- (٢٠) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .
- (٢١) هيروودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٥ .
- (٢٢) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, p. 434 .
- (٢٣) أحمد بدوى : هيروودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٥ .



هو الذى خلف خوفو على العرش المصرى ، ولمدة سنوات ثمان (٢٤) ،  
والاخر : أن «من كاورع» (منقرع) الذى تولى بعد «خفرع» (خغ  
اف رع) لم يكن ابنا لخوفو (كيوبس) ، كما يزعم هيرودوت ، وانما  
كان من أحفاده •

ومنها (سادسا) زعم هيرودوت أن المصريين ما كانوا يرغبون  
مطلقا فى تسميته «خوفو» و «خفرع» لا لكرههم لهما ، بل انهم ليسمون  
الهرمين باسم الراعى «فيليتيوس» الذى كان يرعى غنمه يوهئذ بالقرب  
من تلك المنطقة (٢٥) •

والواقع أن شواهد التاريخ انما تكذب هذا الادعاء ، ذلك لان اسم  
«خوفو» انما كان تسمية قوية لمن يحملها ، ونرى هذا الاسم مذكورا  
على «جعلان» (جعارين) كثيرة كان يحملها المصريون القدامى كتمايم  
تحميهم مما يخافون شره ، كما ارتبط اسم خوفو أيضا بكثير من  
الاساطير ، وأشهرها تلك التى جاءت على «بردية وستكار» ، هذا فضلا  
عن أن الشعائر الدينية والطقوس الجنازية الخاصة بالملك خوفو ، انما  
ظلت قائمة عند ضريحه على أيام العصر المصاوى (٦٦٤ — ٥٢٥ ق م)  
كما ظلت كذلك على أيام الحكم الفارسى ، كما عثر على تمثال لخوفو  
فى معبد أبيدوس •

أضف الى ذلك أن هناك آثارا من العصر البطلمى (٣٢٣ — ٣٠ ق م)  
تشير الى استمرار عبادته ووجود كهنة له حتى ذلك العصر ، بل ان هرم  
خوفو نفسه ، ظل قرونا عديدة مركزا لأكبر جبانة مصرية تحيط به ،  
وبعد أن مضى على موت خوفو أكثر من أربعة قرون كان المصريون الذين  
ينتمون الى الطبقات الكادحة (وهم المسخزون بطبيعة الحال) يحرصون  
على اقامة مقابرهم على مقربة من هرم خوفو •

(٢٤) أنظر : محمد بيومى مهران : مصر — الكتاب الاول — الاسكندرية  
١٩٩٨ ص ٢٩٨ — ٤٠٠ •

(٢٥) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٧ •

وهكذا يبدو واضحاً ، أن خوفهم أن كان من العتاة المستبدين — كما يزعم هيروودوت ومن تابعه في دعواه — لما ظلت ذكراه عالقة بأفئدة المصريين طوال هذه القرون ، ولما حرصوا على تقديسه بهذا الشكل ، وطوال قرابة ستة وعشرين قرناً (٢٦) .

وأما نسبة هرمي خوfo وخفسرع الى الراعى ((فيليتيوس)) ، فهي موضع شك ، وحتى لو سلمنا بصدق رواية هيروودوت فقد لا يعود سببها في الاغلب الاغم ، سوى ملازمة ذلك الراعى منطقة هذين الهرمين ، كما سمي الناس في العصر الحديث أحد الاهرام باسم «هرم الشواف» ، وذلك لان اللصوص من نباشي القبور قد استخدموه مرقبا ، لرصد حركات الحراس ، ولئلا نستبعد آخر الامر أن يكون اسم «فيليتيوس» Philitis اسما مصرياً مؤغراً (٢٧) .

ومنها (سابعاً) رواية هيروودوت عن «منكورع» الذي لم يرض عن أعمال أبيه (جده لا أبيه) ففتح المعابد وسمح للشعب بأن يمارس أعماله ويقدم الاضحيات ، فكانت الاحكام التي يصدرها عدل من احكام سائر الملوك ، ومن ثم فقد أحبه الشعب دون سائر الملوك السابقين ، كما كان يعطى تعويضاً من ماله الخاص كل من لم ترضه أحكامه ، ويهدى ثورة غضبه ، وفجأة توفيت ابنته الوحيدة ، فأمر بصنع بقرة جوفاء من الخشب وطلاها بالذهب ، ثم دفن ابنته فيها ، وأن هذه البقرة لم تزل حتى عهده (أي عهد هيروودوت ٤٨٤ — ٤٣٠ ق م) في مدينة «سايس» (٢٨) في القصر الملكي ، يحرقون طول النهار

(٢٦) محمد بيومي مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ٨٥ ، أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٥٧ ، الكسندر شارف : تاريخ مصر — ترجمة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ، ١٩٦٠ ص ٦٢ — ٦٣ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٥٠ .

H. Gauthier, Le Livre des Rois d'Egypte, I, Cairo, 1907, p. 78.

(٢٧) أحمد بدوى : هيروودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٧ .  
(٢٨) سايس : كانت عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الدلتا ، ويسمى «نيت محيت» بمعنى اقليم «نيت» الشمالى ، وعاصمة لمصر في العصر النساوى ، وهى فى المصرية «ساو» ، وفى اليونانية «سايس» ، وفى العصر =

## • بجانبها مختلف أنواع البخور (٢٩) •

وفي الواقع أن هذه الرواية تلخص عدة أمور ، منها بقية من آثار  
الدعاية التي أثارها أصحاب مذهب هليوبوليس ، فقد كان منكاورع أول  
من يسمون أنفسهم «ابن الشمس» (ابن رع = سارع) ثم سار على  
منواله من أتى بعده ، وإن أصبحلقبا دائما من القاب ملك مصر ، منذ  
عهد «نفر اير كارع» ثالث ملوك الأسرة الخامسة ، ومنها الخلط بين  
الملك «منكاورع» وبين الملك «بوخريس» ملك سايس في الأسرة الرابعة  
والعشرين •

ومنها أن التابوت الذي على هيئة بقرة ربما مرجعه أن الناس كانوا  
يزرون صوراً ورسوماً على توابيت العصور المتأخرة ، ومن بينها مايمثل  
جثة الميت محمولة على ظهر بقرة ، ومنها أن الجبانة التي كان يجب أن  
تدفن فيها ابنة منكاورع (من كاورع) ، أن صح أن ينظر الى مثل هذه  
القصة ، إنما هي جبانة الجيزة ، حيث مدافن الأسرة ، ولم يكن هناك  
من داع مطلقا الى نقلها الى سايس ، وليس من المقبول أن نتصور أن  
الاجيال قد احتفظت بتابوت ابنة منكاورع حتى أيام هيروودوت ، كما  
أنه ليس من المعقول أن يوضع تابوتها في القصر الملكي ، ليحرق فوقه  
البخور ، وتضاء من حوله المصابيح (٣٠) •

وأخيرا منها (ثامنا) ذلك الافتراء الدنيء من هيروودوت حين صور  
«خوفو» ، وقد بلغ من سوء الخلق أقصى حد ، إذ أنه بعد أن نفذت

= الحديث «صا الحجر» ، على مبعدة ٧ كيلا شمال بسيون بمحافظة  
الغربية ، وقد سميت في العصر الصاوي «حات انب حج» بمعنى قصر  
الحائط الابيض ، وهو اسم المقر الملكي في منف •

أنظر : محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ص ١٧١ •  
وكذا  
J. De Rouge, op. cit., p. 25.

وكذا  
P. Lacau et H. Chevrier, op. cit., p. 233.

(٢٩) هيروودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٧ - ٢٥٩ •

(٣٠) نفس المرجع السابق ص ٢٥٨ •



دخائره واحتاج الى المال ، وضع ابنته في مأخور لتحصل له على قدر من المال ، فحصلت له عليه ، بيد أنها رغبت أيضا في أن يكون لها أثر خاص بها ، فكانت تطالب من كل رجل يزورها أن يهدي اليها حجرا ، وأنها شيدت من هذه الاحجار الهرم الذى يقع وسط الاهرامات الثلاثة ، بجانب الهرم الاكبر (٣١) .

ومن البدهى أن أقل الناس حظا من معرفة أخلاق المصريين وسلوكهم ، وايمانهم بالقيم الانسانية ، واعتبارهم الزنا من كبائر الاثم ، التى يجازى مرتكبها بالموت ، لا يستطيع أن يصدق زعم هيودوت الكذوب هذا ، ثم كيف يتفق هذا مع وصف هيودوت لخوفو بالطغيان والجبروت ؟ أما كان فى استطاعة هذا الطاغية أن يجبر الناس على اكمال هرمه ، الذى يزعم هيودوت أنه سخر الناس فيه عشرين سنة ، فصلا عن سنوات عشر فى طريقه المصاعد ؟ واذا لم يستطع ذلك ، أليست هناك وسيلة غير تلك التى يأبأها أخط الناس ، وهو الملك المؤله ، والذى بلغت الملكية الالهية فى عهده ، قمة سطوتها ، وعنفوان قوتها ، فى تسلطها على شعبها ، وايمانها بنفسها ، وايمان شعبها بها .

وعلى أية حال ، فالرواية لا تستحق ، فيما أظن ، حتى مجرد التعليق عليها ، وان كانت تشير الى مستوى كاتبها ، أو على الاقل الى مستوى مصادره التى نقل عنها ، فضلا عن شعوره نحو الملوك المصريين .

ثانيا : رواية مانيتو :

لعل مؤرخنا المصرى الكبير قد وجد الكثير من الروايات التى تركها كهان «رع» ضد خوفو وأسرته ، كما رأينا من قبل من روايات هيودوت وعلى أية حال ، فان رواية مانيتو عن السخرة وكراهية المصريين لخوفو ،

(٣١) نفس المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

انما كان سببها الكره التقليدى الذى ورثه الكهنة جيلا بعد جيل لخوفهم ،  
ومانيقتو ، كما هو معروف ، انما كان كاهنا قبل أن يكون مؤرخا .

ثالثا : رواية المؤرخين المسلمين :

اعتمد المؤرخون المسلمون على وصف القرآن الكريم لفرعون موسى  
بـ الطغيان والجبروت (٣٢) ، فضلا عن ادعائه الالهوية من دون الله (٣٣) ،  
وربما اعتمدوا كذلك على روايات التوراة ومسلمة أهل الكتاب ، والذين  
نشأوا على كره مصر والمصريين ، حتى أن بنى اسرائيل انما يعتبرون  
يوم خروجهم من مصر عيدا ، بل أكبر أعيادهم ، وأعني به «(عدد الفصح)»  
يحتفلون به كل عام في الرابع عشر من ابريل (نيسان) ، ويسمون مصر  
«(أرض العبودية)» ، حيث أستعبد أسلافهم هناك .

غير أن طغيان الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام ، ( والذى  
جاء بعد «(خوفو)» صاحب الهرم الاكبر ، بأكثر من ألف وخمسمائة عام )  
شئ ، وبناء الاهرامات بالسخره شئ آخر ، ذلك أنه اذا كان الله ،  
سبحانه وتعالى ، قد وصف الفرعون الذى عاصر موسى ، فى القرآن  
الكريم ، بالطغيان والجبروت ، وتجاوز عن ذكر اسمه ، فاننا — والحمد  
لله — نؤمن الايمان ، كل الايمان ، بما جاء فى كتاب الله الكريم ، كما  
نؤمن كذلك عن عقيدة ، لا مترعزعا السنوات الطوال ، ولا الخطوب  
الجسام ، بأنه «(لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من  
حكيم حميد)» (٣٤) .

ولكن ليس من المنطق ، فضلا عن العدل ، أن نعمم صفات الفرعون  
الذى عاصر موسى ، على كل الفراعين المصريين ، والذين حكموا مصر  
قراية آلاف ثلاثة من الاعوام (من الملك مينا حتى الاسكندر المقدونى =

(٣٢) أنظر : سورة يونس : آية ٨٣ ، طه : آية ٢٤ ، ٤٣ ، ٧٩ ،  
الشعراء : آية ١١ ، القصص : آية ٤ ، الذاريات : آية ١٧ .  
(٣٣) أنظر : سورة الشعراء : آية ٢٩ ، سورة القصص : آية ٣٨ ،  
سورة : النازعات : آية ٢٢ - ٢٤ .  
(٣٤) سورة فصلت آية ٤٢ .

٣٢٠٠ - ٣٣٣ ق.م) ، فالحكام في كل زمان ومكان ، وأيا كانت ألقابهم ، يظهر منهم الصالح والطالح ، والعاقل والمظالم ، شأنهم في ذلك شأن بقية جنسهم من بنى الانسان ، ومن ثم فوجود فرعون عاصر نبي الله موسى عليه السلام<sup>(٣٥)</sup> ، ليس معناه أن كل الفرعيين على شاكلته .

ثم ان اصطلاح « فرعون » انما يعنى ، كما أشرنا في أول هذه الدراسة ، « حاكم مصر » ، وبدهى أنه ليس بالضرورة أن يكون كل حاكم لمصر ظلما جبارا ، كما أنه ليس بالضرورة أيضا ، أن يكون كل من يحمل لقب « خليفة » مثلا ، عادلا صالحا ، وكما في عصرنا الحاضر ، فان ألقاب رؤساء الدول قد لا تدل على نوع الحكم الذى يمارسونه مع شعوبهم ، وربما يكون كثير ممن يحملون أكثر الألقاب بريقا ، وأشدّها قربا من الشعب ، أكثرهم جبروتا وطغيانا ، وقد يكون العكس صحيحا .

وفي الواقع ، فان المؤرخين المسلمين ، ومن تابعهم في العصر الحديث من مرتزقة التاريخ ، أولى الناس بمعرفة تلك الحقيقة والا لحكموا على الخلفاء الراشدين ، الهداة المهديين ، رضوان الله عليهم ، بل وحتى معاوية بن أبى سفيان ، مؤسس دولة بنى أمية ، بما حكموا به على ولده الطاغية الفاجر «يزيد بن معاوية بن أبى سفيان»<sup>(٣٦)</sup> ، وهو الذى

(٣٥) انظر : عن اسم الفرعون الذى عاصر موسى ، والآراء التى دارت حوله ، وما يرجح من أنه (مرنبتاح) (محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب الاول - التاريخ - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٣٥٧ - ٤٣٩) .  
(٣٦) لن ينسئ التاريخ لهذا اليزيد ، الذى ابتلى به الاسلام والمسلمون ، انه قاتل آل النبى ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى رأسهم مولانا الامام الحسين ، سبط النبى ، فى كربلاء ، وأنه الذى استباح مدينة سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ثلاثة أيام ، تجرى فيها دماء الصحابة والتابعين ، بيد السفلة من جيوش يزيد ، وأنه هو الذى استباح مكة المكرمة والمسجد الحرام ، ثم أن يزيد هذا ظل ، كما كان أبوه ، وكما سيكون خلفاؤه من الامويين ( غير عمر بن عبد العزيز ) يأمرون الناس بلعن سادة أهل بيت النبى الكرام ، وعلى رأسهم الامام على والامام الحسين ، على منابر المسلمين فى جميع أرجاء الدولة الاسلامية ، والعياذ بالله ، ثم يستفتون من يفتيهم من مرتزقة السلطان ، بأهدار دمائهم ، وصواب عقابهم بما أصابهم .



خلفهم في حكم المسلمين ، والعكس صحيح ، أغنى ، والا لحكموا على  
خلفاء بنى أمية بالورع والتقوى ، والعدل والاستقامة ، لان منهم  
الخليفة الراشد ((عمر بن عبد العزيز)) •

وهكذا تبدو رواية السخرة هذه ، ليست فوق مستوى الشبهات ،  
بل هي نفسها شبهة ، ألصقها هيرودوت ، بخوفو العظيم ثم عمت على  
كل الفراعين في سياستهم البنائية الدينية ، دون أن يكون لها نصيب  
من صواب •

### ( ٢ ) نظرية القضاء على البطالة

هناك وجه آخر للنظر ، يذهب أصحابه من المؤرخين المحدثين الى أن  
ذلك العمل الهائل الذي كان يستلزمه بناء الاهرامات الضخمة ، نوع من  
الاحسان الاستبدادي يقوم به الفراعين نحو رعاياهم ، ذلك أن بناء  
الهرم انما كان يتم في وقت الفيضان ، حين لم يكن هناك عمل زراعى  
يقوم به الفلاحون ، لان المياه كانت تغمر الاراضى ، وكانت الاماكن  
التي يعيشون فيها تشبه الجزر ، وكان أجرهم اطعامهم وكساءهم، وكان  
العمال العاطلون يقطون الاحجار من منطقة الهرم نفسها ، وأحجار  
الكسوة من طره ، ويأخذون لقاء ذلك خبزهم وكساءهم ، وليس في هذا  
لون من ألوان السخرة والاستبداد (٣٧) •

وهكذا كان الملك يتوسع في اقامة منشآت عامة ، أهمها هرمه ، في  
زمن بطالة الفلاحين أيام الفيضان ، فيهيىء بذلك عملا لآلاف الفلاحين،  
في مقابل أن تقوم الدولة بايوائهم وتغذيتهم وكسوتهم على نفقتها •

غير أن هناك من يعارض هذا الرأي القائل بأن تشييد الاهرام ،  
ليس الا مشروعا لانقاذ آلاف الناس من البطالة ، ويرى أنه رأى غير

== أنظر : محمد بيومى مهران : الامام الحسين - سبط النبی وسيد  
شباب أهل الجنة •

(٣٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٨ - ١٦٩ •

معقول أو مقبول ، لأنه رأى حديث جدا (٣٨) .

والرأى عندي أنه ليس هناك ما يمنع قبوله ، وإن كنا لا نملك أدلة  
تؤيده ، فضلا عن أننا إنما نحكم على أحداث مضت عليها قرابة آلاف  
خمس من السنين ، بمقاييس عصرنا الحاضر ، على أننا في الوقت نفسه ،  
إنما نهرم الفرعون ، بمعارضتنا لهذا الاتجاه ، من العمل لصالح شعبه ،  
وهو أهم واجبات الفرعون ، لا بحكم رياسته للدولة ومسئوليته عن  
رفاهية شعبه فحسب ، بل بحكم كونه ملكا مؤلها أيضا ، فقد كان الملك  
يتقيد في سياسته بتعاليم «الماعت» وهي النية رمز المصير بها إلى كل  
المثل العليا التي يجب على الحاكم أن يراعها في تنفيذ سياسته في  
الحكم ، وهي العدل المطلق والصدق الكامل والرحمة ، والقسوة مع  
الذنب ، وكانت هذه المعاني هي الرائد لكل ملك ، وهي الاطار الذي  
بتحرك فيه كاله عاش بين الناس يحكمهم ، ويوجههم إلى الخير ،  
ويمنعهم عن الشر (٣٩) .

بل إن ألوهية الملك إنما كانت مرتبطة إلى حد كبير بتقدم البلاد  
وازدهارها ، وليس بالعوامل الجغرافية فيها ، وأنه في أية فترة من  
الفترات التي كان يضعف فيها الحكم كان القطران (الصعيد والدلتا)  
ينفصلان بعضهما عن البعض الآخر ، ولم يمسك عليهما وحدتهما ، إلا  
اعتمادهما المشترك على مياه النيل (٤٠) .

وبدهى أنه ليس هناك ما يمنع الفرعون من العمل على رفاهية  
شعبه ، وإيجاد عمل لآلاف الشباب العاطلين في أيام الفيضان ، وخاصة  
في عصر كانت الزراعة فيه هي الحرفة الأساسية ، إن لم تكن الوحيدة ،

(٣٨) J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1954, p. 84.

(٣٩) الموسوعة المصرية ١١٧/١ .

(٤٠) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1962, p. 45-46.

في القرية المصرية \* وفي نسي الوقت ، فان الفرعون يستفيد بوقت فراغ القادرين على العمل في بناء هرم له .

وحتى يثبت ذلك ، فمرأى عندي أن استمرار بناء الاهرام حتى نهاية الدولة القديمة انما يجعل الباحث المنجف يتردد كثيرا في قبول وجهة النظر هذه ، حتى أننا نرى في الاسرة السادسة ، كما سنفصل فيما بعد ، أن الملوك ، رغم ضعفهم ونقص موارد الدولة على أيامهم ، يسيرون على سنة الدولة القديمة من أسلافهم من الفراعين العظام في بناء أهرامات يدفنون فيها ، بل أن الملك «ببى الثانى» ، والذي وصلت البلاد في عهده الى مرحلة تنذر بالخطر ، لم يكتف ببناء هرم له ، وانما بنى - الى جانب مجموعته الهرمية - أهراما ثلاثة لثلاث ملكات من زوجته وهن : «نيت» و «ايبوت» و «أوجبتن» ، مما كلف الدولة ما لا تطيق ، وكان ذلك واحدا من أسباب الثورة الاجتماعية الاولى ، وإن كان عهد خوفو وخفرع ، يختلف كثيرا عن عهد «ببى الثانى» ، مما يجعل بناء الاهرامات في عهديهما يختلف عنه في عهد خلفائهم الضعاف ، من حيث قوة الملوك ، وموارد الدولة ، على الاقل .

ومع ذلك تبقى هذه النظرية مجرد فرض ، حتى تمدنا الوثائق بما يؤيدها ، أو يقف حائلا دون قبولنا لها .

### (٣) النظرية الدينية

هناك وجه ثالث للنظر ، يذهب أصحابه الى أن الملك المصرى انما كان الها في نظر شعبه (٤١) ، كان الها كغيره من الآلهة الذين في السماء ، ولكنه رضى أن يعيش على الارض ليحكمها ، ويسعد الناس بوجوده بينهم ، فإذا تذكرنا ذلك ، وتذكرنا أن المصرى كان شديد التدين ، لأدركنا أنه كان يسر الكثير من الناس ، وبخاصة أولئك الذين كانوا

(٤١) انظر : عن «نظريه الوهية الملك في مصر» (محمد بيومى  
مهران - الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٩٩ - ١١٥) .



يعيشون في القرى النائية بعيدا عن المدن ، أن تتاح لهم فرصة على أيام الفيضان ، وفي أيام الضيق المادي ، وفي الوقت ذاته ، ليزوروا العاصمة التي طالما سمعوا عن عجائبها ، ويمتعوا الطرف بالنظر الى معابد الآلهة وقصور العظماء ، وكان يسرهم دون شك أن يساهموا في عمل شيء لالههم الملك عسى أن يكون فيه قربى ورحمة بهم ، وكان يسر الفقراء من عامة الشعب أن يضمنوا عدم الحاجة طيلة أيام اقامتهم في العاصمة (٤٢) .

وقد آمن المصريون بأن الملك اله كغيره ، أقام في مصر ليحكمها ، ويسعد المحكومين فيها ، كما آمنوا بأنه يستحق قربانا عظيما يقدمونه اليه بجهودهم ، فاذا أضيف الى ذلك أن المصري كان ولا يزال انسانا متدينا بطبعه ، فيجب علينا أن نعيد النظر في موضوع السخرة هذا ، وعلينا أن ننحوا نحو آخر في تفسير بناء الاهرامات .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى حقيقة هامة ، دينية وتاريخية، قبل أن نقدم التفسير الديني لبناء الاهرام ، تلك الحقيقة أن القرآن الكريم انما حدثنا في قصة موسى مع فرعون عن «الملكية الالهية في مصر الفرعونية» ، وأوضح أن الوهية الفرعون انما كانت موضع جدل شديد بين النبي الكريم والملك الفرعون ، بل ان تلك الالهية المزعومة انما كانت الصخرة التي تحطمت عليها كل أوجه التقارب بينهما ، بل ان الفرعون انما يهدد النبي نفسه «لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين» (٤٣) ، ثم يعلن للناس عامة «ما علمت لكم من اله غيري» (٤٤) وعندما يتقدم له موسى بأيته الكبرى ، ما كان منه الا أن رفض الدعوة كلها «ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الاعلى» (٤٥) .

(٤٢) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ص ١١٣ .  
وكذا J. A. Wilson, op. cit., p. 73.

(٤٣) سورة الشعراء : آية ٢٩ .

(٤٤) سورة القصص آية ٣٨ .

(٤٥) سورة النازعات : آية ٢٢ - ٢٤ .

ثم هناك أمر آخر ، يتصل بواجبات الملك نحو شعبه في الحياة  
الآخري ، ذلك أن المصريين انما كانوا يعتقدون أن الملك المؤله لا يمكن  
أن يموت ، وانما يبدأ حياة خارقة للطبيعة ، حياة يكون فيها الوسيط  
بين الأموات من الناس وبين الآلهة ، فيظل الأمامى والشفيع الذى يرعى  
الموتى ، كما كان يرعى الأحياء .

ومن هنا جاءت لهفة القوم على تشييد مقابر ضخمة للمحافظة على  
جثة الملك من كل أذى ، ولتهيء له وسائل خاصة ملائمة وخالدة ، وأن  
مقابر ملوك عصر التأسيس في سقارة وأبيدوس ، انما تشهد على أن  
المصريين منذ عهد الأسرة الأولى كانوا يعلقون أهمية كبرى على شفاعته  
الملك الميت لهم عند الآلهة (٤٦) .

وانطلاقاً من كل هذا فعلينا ، حين نناقش النظرية الدينية أو التفسير  
الدينى لبناء الأهرام ، أن نتذكر أن المفيضان انما كان يغمر الاراضى  
ويجعل الفلاحين بدون عمل ، فاذا صح من أن أهل القرى النسائية ،  
يأتون ابانه لزيارة معابد الآلهة للتبرك ، أو ربما كان ذلك من شعائر  
دينهم (٤٧) ، أن صح ذلك ، وليس هناك ما يمنع صحته ، فان القادمين  
وقد أدوا واجبهم نحو الآلهة ، انما بقى أمامهم واجب يؤدونه نحو  
الاله الجالس على العرش ، وكان هذا الواجب هو المشاركة في بناء  
مقبرة الاله الملك .

(٤٦) عبد المنعم عبد الحليم : حضارة مصر الفرعونية - الاسكندرية  
١٩٧٧ ص ٤٠ - ٤١ .

(٤٧) حاول بعض الباحثين في علوم اللاهوت والاجتماع والاثار :  
أن يحصروا الدين في نطاق الأديان المستندة الى الوحي السماوى ، والتي  
تتخذ معبوداً واحداً ، هو الخالق المهيمن على كل شيء ، ومن ثم فالديانات  
الطبيعية المستندة الى محض العقل ، والديانات الخرافية التى هى وليدة  
الخيالات والاهوام ، وكل ديانة تقوم هى أو جانب منها على عبادة التماثيل  
أو عبادة الحيوان أو النبات أو الكواكب أو الجن أو الملائكة ... الخ ،  
تخرج بمقتضى اتجاهات هؤلاء الباحثين عن أن تكون ديناً ، مع أن القرآن  
الكريم قد سماها ديناً ، وذلك حين يقول سبحانه وتعالى «وهن يبتغ غير  
الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين» بل أن =



وربما يبدو ذلك خيالا بالنسبة للمغربيين ، وربما كان كذلك بالنسبة لسكان المدن عندنا ، وربما لأولئك الذين لا يؤمنون بتفسير التاريخ تفسيراً للروحانيات شأن فيه ، ولكن الامر يختلف كثيراً بالنسبة لسكان القرى ، والذين شيد أسلافهم هذا الطود الشامخ وغيره من آثارنا ، فلا يزال أبناء القرى يتسابقون حتى الآن ، ان دعى المداعى الى بناء بيت من بيوت الله ، يتساوى في ذلك العالم والجاهل ، الغنى والفقر ، الحاكم والمحكوم ، الشيوخ والشباب ، ثم هناك مثل آخر ، نأخذ من تحمل المشاق في زيارة الأماكن المقدسة — في مكة المكرمة والمدينة المنورة — وانفاق المال عن رغبة ، وان كان صاحبه على غير ميسرة .

ومن المدهى أن كل ذلك وغيره كثير ، ان دل على شيء ، انما يدل على رسوخ العقيدة الدينية في النفوس ، والايمان الكامل بأن في ذلك فربى الى الله سبحانه وتعالى ، واذا كنا نفعل ذلك في القرن العشرين بعد الميلاد ، هذا القرن الذى طغت فيه على أذهاننا فلسفة المادية ومنطقها ، فلماذا نرفض الشيء نفسه ، ان أتى من المصريين القدماء ؟ مع الفارق بالطبع بين عقيدتنا وعقيدتهم ، أعنى أننا — والحمد لله — نؤمن بالله الواحد الاحد ، وهم يؤمنون بالوهية فرعونهم ، الاله العظيم أو الاله الطيب ، ابن رع ، كما يسمونه ، أو كما يسمى هو نفسه ، كما تقول النصوص المصرية القديمة .

بل ان هناك مثالا نقدمه من خارج مصر ، من بلاد العرب ، لهؤلاء الذين يكرهون مصر ، ولا يرون في كل تاريخها — وخاصة القديم منه — الا الكفر والبهتان ، والا الظلم والطغيان ، وكأن العالم وقت ذاك كان كله ، غير مصر ، يدين بعقيدة التوحيد ، ويحكم بشريعة الاسلام ،

---

= القرآن الكريم انما يسمى معتقدات الآخرين ديناً ، حتى أن كان هذا الدين هو الكفر ذاته ، وذلك حيث يقول : «لكم دينكم ولى دين»  
انظر : سورة آل عمران : آية ٨٥ ، سورة الكافرون : آية ٦ ، محمد عبد الله دراز : الدين — القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٥ — ٣٥ ، محمد بيومى مهران : الديانة العربية القديمة — الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٦ — ٩ .



ويعيش الناس فيه جميعا ، سواسية كأسنان المشط ، كلهم لآدم ، وآدم  
من قراب \*

وأما المثال ، فهو إعادة بناء الكعبة المشرفة في عام ٦٠٥م أو ٦٠٦م ،  
وقبل البعثة النبوية الشريفة بخمس سنوات ، بعد أن جرف مكة سيل  
عزم ، انحدر إلى البيت الحرام ، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار ،  
فلم تر قريش بدا من أن تجدد بناءها حرصا على مكانتها ، وتذهب  
لروايات إلى أن القرشيين إنما كانوا يصرون على أن يبنوا البيت  
الحرام من كل طيب ، حتى قال قائلهم : «يا معشر قريش لا تدخلوا في  
بنيانها من كسبكم إلا طيبا ، ولا تدخلوا فيها مهر بنى ، ولا بيع ربا ،  
ولا مظلمة أحد من الناس» كما أصر القوم على ألا يشترك في البناء  
غير سادة قريش ورجالها الكبار ، ذلك لأن بناء رفع إبراهيم وإسماعيل  
عليهما السلام من قواعده قبل قرون سحيقة ، لا يوكل أمره إلى صغار  
الفعلة ، ولا الثرباء ، ومن ثم فلا غرو أن أقبل على البناء الشيوخ وأهل  
النسب والصدارة ، وعلى رأسهم السادة من بنى هاشم ، رهط النبي ،  
صلى الله عليه وسلم ، وقد اشترك سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه  
وآله وسلم ، بنفسه وأعمامه في البناء (٤٨) \*

ولعل سائلا يتساءل : ما علاقة بناء الكعبة ببناء المهرم ؟

والجواب : أن العلاقة دينية ، فالكعبة (٤٩) عند قريش بيت الله بناه  
أبيهم إبراهيم عليه السلام ، فهي مقدسة عندهم ، غير أن الكعبة وقت

(٤٨) أنظر : تاريخ الطبري ٣/٣٨٧ - ٢٩٠ ، تاريخ ابن الأثير  
٢/٤٤ - ٤٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٩٩ - ٣٠٤ ، سيرة ابن هشام  
١/١٩٥ - ١٩٩ ، طبقات ابن سعد ١/٩٣ - ٩٥ ، تاريخ الخميس ص  
١٢٦ - ١٣١ ، أخبار مكة للأزرقي ١/١٥٧ - ١٦٤ ، المقدسي : كتاب البدء  
والتاريخ ١/١٣٩ - ١٤٠ ، ياقوت الحموي ٤/٤٦٦ ، مروج الذهب  
للسعدي ٢/٢٧١ - ٢٧٢ \*

(٤٩) قدم المؤلف دراسة متصلة عن الكعبة .

أنظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم -  
الجزء الأول - الرياض ١٩٨٠ ص ١٨١ - ٢٣٥ \*

ذاك انما كانت ملجأ للاصنام ، حتى أن سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، انما وجد بها يوم فتح مكة عام ٨ هـ ( ٦٣٠ م ) ٣٦٠ صنما ، ذلك أن قريشا رغبة منها في اجتذاب القبائل العربية ، أجازت للقبائل أن تنصب أصنامها عند الكعبة ، فكان لكل قبيلة أوثنائها تأتي في الموسم لزيارتها وتقديم القرابين لها (٥٠) .

فالامر اذن أمر عقيدة يفسرها الناس في كل عصر حسب ايمانهم بها ، وعلى قدر تمسكهم بشعائرها ، فلا غرابة اذن أن يبني المصريون القدامى للملك هرما ، حتى ولو كان هذا الهرم هو «هرم الجيزة الاكبر» ، ذلك لأن الملك كان يعتبر الهما على قدم المساواة والآلهة الاخرى ، وانه يمثلهم على سطح الارض ، وانه في مماته يحكم الآلهة والبشر ، وأن جسده مقدس ، وانه روح الدولة وقوامها .

هذا فضلا عن أن خوفه وخشوعه كان لهما فوق ذلك ، من قوة الشخصية وحسن الإدارة ، ما رفع من شأنهما لدى الشعب وزاد في تقديسهما ، وكانت خزائن الدولة مليئة مما كان يسمح بالصرف ، كساء وغذاء ، على أعداد جمّة من الفنانين والعمال في وقت ساد فيه الامن والسلام في البلاد ، وقد توفر آنذاك من البنائين والفنانين والعمال المدربين عدد وافر اكتسبوا خبرة ممتازة فيما أنشأوا من قبل من منشآت ، وكان النيل يعمر الحقول ثلاثة أشهر طوال كل عام ، ولم يكن للفلاحين والعمال خلالها من عمل يذكر .

وقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة خوفه وخشوعه في أن ينشأ هرميهما ، وقد تفانى العمال والفنانون عن عقيدة وايمان في بناء كل منهما ، باعتباره عملا دينيا وسياسيا معا ، فيه ما يحفظ على الدولة

(٥٠) انظر : تاريخ اليعقوبى ٢٥٤/١ - ٢٥٥ ، الروض الانف للسهيلى ٢٧٦/٢ ، أخبار مكة للأزرقي ١٣٠/١ - ١٣١ ، ابن الكلبي كتاب الاصنام ص ٢٧ - ٢٨ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - الرياض ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

نظامها وقوامها (٥١) .

وانطلاقاً من كل هذا ، فاننى أميل الى أن بناء الأهرام ، انما كان  
عن عقيدة ، ولم يكن عن سخرة ، وهذا لا يمنع من أن الملوك قد انتفعوا  
بالقوى المعطلة على أيام الفيضان ، فاختاروه وقتاً لبناء أهراماتهم ،  
على أن يؤدوا للماملين فيها طعامهم وكساءهم ، وأما القول بأنه كان من  
الأفضل استغلال هذه الجهود — البشرية والمادية والفنية — في عمل  
عام ينتفع به المصريون جميعاً فهذا ما كنا نأمله ، وليس كل ما يتمنى  
المرء يدركه ، ثم انه من الخطأ الحكم بمقاييس عصرنا ، على عصور  
مضت منذ خمسة آلاف عام .

---

(٥١) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .



## الفصل الثالث

### التنظيم الإداري

كان الأساس الاجتماعي والسياسي الذي قامت عليه الحضارة المصرية القديمة هو التأكيد ، كل التأكيد ، بأن مصر يحكمها «اله» وأن هذا الاله الجالس على العرش ، غير محدود المعرفة والمقدرة ، وأنه عليم بكل ما يدور في البلاد ، وأن مصر — بمن فيها وما فيها ملك يمينه، ومن هنا كانت السلطات في الدولة القديمة — أو على الأقل حتى النصف الثاني منها — تتركز بشكل واضح في يده ، وقد باشر الملوك — وبخاصة الاوائل منهم — سلطاتهم بصورة تكاد تكون فعلية .

ومع ذلك فهذا الوضع غير معقول من الناحية العملية ، ذلك لأن الملك لن يستطيع وحده أن يتحمل مسئوليات الحكم الإدارية والقضائية والمدينية في جميع البلاد ، ومن ثم فقد استعان بجمهرة من الموظفين لينوبوا عنه في تلك الاعمال ، وليؤدوا ما فرض عليهم من واجبات .

ويشبه «جون ويلسون» الدولة والمجتمع حينئذ بالهرم ، فيضع في أعلى الهرم هرم صغير مستقل ، ويرى هذا الهرم الحجري ممثلاً للملك الذي يحكم فوق وزرائه،الذين كانوا بدورهم فوق حكام الاقاليم،الذين كانوا فوق عمد البلاد والقرى ، ومن الناحية الاجتماعية كان فرعون فوق النبلاء ، الذين كانوا بدورهم فوق خدام الاراضى ، أما عن التنظيم الدينى للدولة ، فكان فرعون هو حلقة الاتصال الوحيدة مع الالهة ، وكان فوق الكهنة الذين كانوا بدورهم فوق الشعب .

وهذه التشبيهات الهرمية ليست في الحقيقة الا شيئاً واحداً ، لأن

خبار الموظفين والنبلاء وكبار الملاك والكهنة كانوا في درجته واحدة .  
لأنهم إنما كانوا يكونون الطبقة التي تلى فرعون مباشرة ، وكان ينبغيهم  
عنه في تأدية المهام الخاصة به على وجه التحديد (١) .

وهكذا كان — بجانب الملك — عدد من الموظفين لإدارة الوظائف  
المدنية والحربية والقضائية والدينية ، وكانوا ينالون — بادئ ذي  
بدء — غذاءهم وكساءهم ، في مقابل ما يؤدون للملك الآله من خدمات ،  
ثم تطور هذا الاجراء بمنحهم بعض الاراضى بما فيها ومن فيها من  
الفلاحين ، وحين بدأوا يحسون بقوتهم تطلع كبارهم الى توريث  
مناصبهم وأملاكهم لابنائهم من بعدهم ، وقد كان لهم ذلك ، حين بدأت  
الملكية تضعف ، وأصبح لا مناص لها من الالتجاء اليهم لحمايتها من  
الانهيار ، ولكن الذى حدث غير ذلك ، اذ أن هذه الوسيلة إنما كانت  
احدى عوامل الانهيار التام .

ركان الهيكل الاداري العام في مصر يتكون من :

١ - الوزير : كان منصب الوزارة هو أعلى المناصب وأسمىها ، وكان  
منتهى كبار الموظفين طوال العصور الفرعونية ، كما أن الوزير إنما كان  
أكثر موظفي الدولة محبة في نفوس الشعب ، اذ كان — فيما يعتقد  
القوم — هو الشخص الوحيد الذى يقيم الحق ، ويمحق الباطل ، وقد  
اتفق المؤرخون على أن هذا المنصب إنما قد وجد بصورة فعلية في مصر  
القديمة ، فيما بين العهد الثينى والأسرة الرابعة ، وان اختلفوا في الأسرة  
التي بدأ فيها ، فبينما يرجعه البعض الى العهد الثينى ، ذهب آخرون  
الى أنه قد بدأ منذ عهد الأسرة الثالثة ، حين اختار «زوسر» «أيمحوتب»  
وزيرا له ، على أن هناك فريقا ثالثا إنما يرجعه الى الأسرة الرابعة (٢) .

وكان الوزير واحدا من أبناء الملك في الأسرة الرابعة ، وكان من

J. A. Wilson, op. cit., p. 73.

(١)

(٢) أنظر ايتين دريوتون وباك فاندييه : المرجع السابق ص  
١٩٨ — ١٩٩ ، أدولف ارمان وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية في  
العصور القديمة — ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال — القاهرة  
١٩٥٣ ص ٧٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣١ .

بين ألقابه الهامة / «كاهن تحوت» ، ومن أشهر وزراء ذلك العهد ابنى سنفرو (كانفر ونفر ماعت) ثم ابن «نفر ماعت» ويدعى «حميون» ، وكذا «نيكاورع» بن «خفرع»<sup>(٣)</sup> ، ويذهب «جورج رايزنر» الى أن الملوك انما جعلوها في أكبر أبناء الملكات الثانويات، تعويضا لهم عن وراثة العرش ، وارضاء لأهليتهم<sup>(٤)</sup> .

وتسير الأوضاع الاجتماعية والسياسية في سبيل التطور المحتوم خلال عصر الاسرة الخامسة ، ويرى ملوكها أنهم يعملون في ظروف تختلف بعض الشيء عن الظروف التي عمل فيها أسلافهم من الملوك الأقوياء ، أو الآلهة العظام ، فيزيدون — مكرهين لا راغبين — من التزاماتهم المادية نحو أفراد الطبقة العليا ، ويسمحون لكبار أفرادها بتولى منصب الوزارة ، أكثر مناصب الدولة ، بل تكاد تكون مقصورة على هذه الطبقة ، اذا استثنينا الأميرين «سخم كارع» و «نفر سشم — سشات» اللذين توليا هذا المنصب من الأمراء ، ولعل أشهر من لم من وزراء الشعب في عهد الاسرة الخامسة ، انما كان الوزير «بتاح حوتب»<sup>(٥)</sup> ، صاحب التعاليم المشهورة<sup>(٦)</sup> .

هذا وقد كان من ألمع وزراء الاسرة السادسة الحكيم المشهور

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٩ ٢

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣١ .

وكذا G. A. Reisner and W. S. Smith, A History of The Giza Necropolis, II, The Tomb of Hetep-Heres, Cambridge, 1955, p. 9.

(٥) اختلف المؤرخون في وظيفة «بتاح حوتب» ، فذهب البعض الى أنه كان مربيا للملك «جد كارع» (اسيس) ورائدا له . وعما له ، أما وزيره فهو «سنزم ايپ» ، وذهب آخرون الى أنه وزيره ، بينما ذهب فريق ثالث انما كان وزيراً للملك وناس ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٤ ، عبد المنعم أبو بكر . تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعوني ص ١١٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ .

وكذا James Henry Breasted, A History of Egypt, New York, 1946, p. 129.

A. Weigall, op. cit., p. 17-48.

(٦) أنظر :

Z. Zaba, Les Maximes de Pathotep. Paris, 1965.

وكذا



**«كاجمني» (٧)** ، هذا فضلا عن الوزير «زعو» (٨) ، والذي كان في فترة وزارته : يكاد يكون صاحب النفوذ الاول في البلاد ، خاصة في الفترة التي كان فيها ابن اخته الملك «ببي الثاني» طفلا ، وكانت أمه وصية عليه ، وعندئذ خلا الجو للوزير «زعو» ليفعل ما يريد ، وليمارس سلطة كانت من حق الفرعون ، دون سواه ، وذلك لان الجالس على العرش في منف انما كان طفلا ، وكانت الوصية عليه شقيقة الوزير نفسه .

كان الوزير رأس الادارة المركزية ، والثاني بعد الملك ، كما أنه كان حلقة الاتصال بين الملك وموظفيه ، وكانت ترسل اليه تقارير الادارة المحلية ثلاث مرات في العام ، كما أصبح الوزير محاسنًا للعاصمة ، ورئيسا للبلاط وللديوان الملكي ، ويتولى الاشراف الاعلى على الخزائن ، وشؤون الغلال ، وعلى المنشآت العامة ، والاشغال المعمارية الكبرى ، ويتولى الاشراف الاعلى على دور القضاء ، ودور المحفوظات ، ودور السلاح .

وكان منذ الاسرة الرابعة — يحمل لقبًا قضائيا يجعله «كبير خمسة دار تحوت» ، وربما بمعنى كبير الرؤساء القضائيين الذين ينسبون عدالتهم الى «تحوت» رب العدالة والحساب والكتابة ، ثم تلقب في عهد الاسرة الخامسة بلقب «خادم العدالة» وهو لقب عبزوا عنه من الوجهة الدينية بعبارة «حتم ماعت» أى «كاهن ماعت» ربة العدالة . ولقب «رئيس الدور الست» أو «رئيس الدواوين الكبيرة» (٩) .

(٧) A. H. Gardiner, The Instructions Addressed to Kagemni and his Baethien, JEA. 32, 1946, p. 71-4.

وكذا B. Guun, The Instructions of Ptah-Hotep and The Instructions of Kagemni, London; 1918.

(٨) A. H. Gardiner, Was The Vizier Djau on of Six Brothers, ZAS, 79, 1954, p. 95-96.

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ .  
وكذا PSBA. XIII, p. 121 F.  
وكذا A. Weil, op. cit., p. 10-12.

ولم يكن بين وظائف الدولة العالية في جميع عصور التاريخ المصري القديم ، ما هو أعز عند الشعب ، وأحب الى قلبه من وظيفة الوزير ، وكان الشاعر اذا وصف قصر الملك لم ينس أن يضيف الى وصفه أن فيه «وزيراً يتولى الحكم عطوفاً على مصر» فإذا تكلم عن الاله آمون ، لم يجد ما يذكره عنه خيراً من أن يقول انه «عطوف على المتعساء ، كوزير طيب القلب» (١٠) .

٢ -حكام الاقاليم : وكان الملك يعين على رأس كل اقليم حاكماً ، يقوم بكل النشاط الحكومي في اقليمه ، هذا وترجع نشأة وظيفة حاكم الاقليم الى أن مصر ، انما كانت مقسمة الى مقاطعات حتى قبل ذلك البعد ، وكان المصريون يعتمدون على الزراعة ، وعلى فيضان النيل الذي كان يتوقف عليه نظام الري ، ومن ثم فمن الطبيعي أن تبلغ طريقة الري درجة الكمال بسرعة فائقة ، ما دامت موضع عنايتهم من قديم فحفروا الترع والقنوات وأقاموا الجسور ، وقد استدعى ذلك وجود موظف يشرف على هذه الاعمال ، ليقوم بالتفتيش على هذه القنوات ، والمحافظة عليها وعلى تطورها .

ولعل أصل وظيفة حاكم المقاطعة انما قد بدأت منذ العهد الثيني ، حيث نرى منذ هذا العهد ظهور لقب «عديج مر» ومعناه المشرف على حفر القنوات ، وهو اللقب الرسمي لحكام المقاطعات عند ابتداء الدولة القديمة (١١) ، ويظهر أن أصحاب هذا اللقب انما كانوا أيضاً حكاماً للأقاليم ، وترجع نشأته - فيما يرى أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، طيب الله ثراه - الى أن بعد هذه الاقاليم عن العاصمة يحتاج الى رئيس مقيم فيها لتصريف الامور في مدنها والاراضي التي تجاورها ،

(١٠) أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٧٩ .  
وكذا A. Weil, op. cit., p. 182.

(١١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٠ .  
وكذا A. H. Gardiner, Egyptian Grammar, 1960, p. 559.



ومن ثم فقد كان الملك يعين عليها حكاماً من قبله ، يكونون مسئولين أمامه (١٢) .

وكانت ألقاب حكام الاقليم كثيرة ، منها اللقب القديم «عديج مر» بمعنى المشرف على حفر القنوات ، ومنها لقب «زاب» بمعنى القاضي أو المحترم ، ولقب «سشم تا» بمعنى موجه الارض أو مديرها ، ولقب «حقا حت» بمعنى حاكم القصر ، أو متولى زمامه ، أو بمعنى رئيس القرية ، ومن ثم فالقصر هنا ، هو قصر الحكم والادارة في الاقاليم وليس القصر الملكي (حقا حت عا) ، وهناك كذلك لقب «كاهن ماعت» ، وماعت هي الالهة الحق والعدالة ، ولما كان القضاء في الاقاليم يخضع للحكام ، فهم رؤساء المحاكم وما يتصل بها من ادارات قضائية محلية ، ومن هنا فقد اعتبروا كهنة لها ، كما حمل بعضهم لقب «كاهن حقت» .

هذا وقد عرفت الدولة القديمة — الى جانب حكام الاقاليم — عدداً من كبار الشخصيات ، حملوا لقب «ور ميج شمعو» ، وهو لقب هازال بعد غامض القراءة والمداول ، فهو قد يترجم بمعنى «كبير عشرة الصعيد» أو «أحد كبار عشرة الصعيد» ، وربما يدل على عشرة يكونون المجلس الاستشاري للوزير ، فيما يختص بشئون الصعيد وقضاياه ، ولعل مما يؤيد وجهة النظر هذه ، أن الوزراء انما كانوا يحملون ألقاباً تدل على رياستهم لهذا المجلس ، كما حمل بعضهم لقب «مفتش عشرة الصعيد الكبار» ، وحمل آخرون لقب «المشرف على بيوت عشرة الصعيد» ، أو هو يدل على عشرات (مجو) ، وليس عشرة فقط ، ولعل مما يدفعنا الى هذا القول ظهور لقب «كبير عشرة القصر» ، و «كبير عشرة عين شمس» (١٣) .

(١٢) عبث المنعم ابو بكر : المرجع السابق ص ١١٧ .

(١٣) عبث العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

Urk., I, 1932, p. 281.

A. Weil, op. cit., p. 19.

وكذا

وكذا



وأيا ما كان الأمر ، فلتقد كان حكام الأقاليم يشرفون على كل النشاط الحكومي الإداري في أقاليمهم ، فكانوا يشرفون على جمع الضرائب فضلا عن شئون الزراعة ، إذ كان عليهم أن يحصلوا من الأرض بالوسائل المناسبة على أحسن غلة ممكنة ، وهذا يقتضى حفر الترع وإقامة الجسور ، وغير ذلك من وسائل تنمية الزراعة والمحصول ، وبذا يمكنهم أن يساهموا في الثراء العام للبلاد ، وعلى الأخص ثراء الخزانة الملكية ، كما كان عليهم كذلك أن يدونوا ارتفاع فيضان النيل •

وكان حكام الأقاليم مسئولين عن الأمن ، وتنظيم جمع الأفراد لتجنيدهم وإرسالهم في حملات لصد ما قد يتهدد الحدود ، كما كانوا يقومون بدور الوسيط بين الحكومة المركزية وبين رعاياهم ، فكانوا يتلقون أوامر الملك ومراسيمه ، ثم يذيعونها بين الناس من سكان أقاليمهم ، ومن ثم فقد لقبوا أنفسهم «بالمستشار للأوامر الملكية» كما كانوا يرأسون محاكم الأقاليم ، وما يتصل بها من إدارات ، فقد كانت هناك في الأقاليم محاكم محلية ، تقوم بمحاسبة الزراع ، ومحاكمة الموظفين — حتى حكام الأقاليم أنفسهم — إذا قاضاهم أحد من أفراد الشعب أصابه ضرر من تصرفاتهم الإدارية ، أما من الناحية الدينية فقد جرت العادة على أن يكون أمراء الأقاليم في الوقت نفسه ، كبارا لكهنة الإله الرئيسي فيها (١٤) •

كانت الحكومة الفرعونية في عهد الثيني ، وفي النصف الأول من الدولة القديمة ، تسير على نظام المركزية المطلقة ، فجعل منها ذلك إدارة رخوة غير متماسكة ، بمعنى أنه كلما كان الجالس على العرش في منف قوى البأس ، كان حكام الأقاليم موظفين لديه يعملون بوحى منه ، ويبقون في وظائفهم ماداموا حائزين على رضائه الإلهي ، فإذا ما حدث

---

(١٤) أدولف أرمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٧٨ ، سليم حسن : مصر القديمة : الجزء الثانى ص ٦ ، محمد أنور شكرى : حضارة مصر والشرق القديم — حضارة مصر ص ١١٣ •

العكس ، وتراخت سلطته ، انتهز حكام الاقاليم الفرصة وتصرفوا بوحى من أنفسهم ، واعتبروا اقاليمهم دويلة صغيرة للحاكم فيها ما للفرعون من سلطات وحقوق ، الامر الذى رأيناه فى النصف الثانى من الدولة القديمة ، والذى أدى آخر الامر — بجانب عوامل أخرى — الى اضعاف تلك الحكومة القوية التركيز ، ثم انهيار الدولة القديمة نفسها ، وقيام الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة (١٥) .

كان حكام الاقاليم حتى منتصف الدولة القديمة موظفين لدى الملك الاله ، يعملون بوحى منه ، ويتصرفون فيما أوكل اليهم من أمور، حسب رغبته ، يتساوى فى ذلك من كانت اقاليمهم على مقربة من العاصمة ، ومن كانت فى اقصا الصعيد أو الدلتا ، وينالون فى مقابل ذلك غذاءهم وكساءهم ، وكان الواحد معهم يعمل جاهدا — ما استطاع الى ذلك سبيلا — على آداء واجباته ، حتى ينال رضى مولاه الملك ، لانه ان قصر فى ذلك فان مصيره الى العزل من منصبه ، وربما ما هو أقسى من العزل ، هذا فضلا عن أن الواحد منهم انما كان يخضع لنظام النقل من اقليم الى آخر ، وربما من وظيفة الى أخرى ، ومن ثم فان واحدا منهم لم يذكر اسم الاقليم الذى كان يحكمه .

وكانوا حين يتوفون أجلهم فى هذه الدنيا ، يدفنون فى جبانة العاصمة ، على مقربة من مقبرة الملك الاله ، الذى قضوا حياتهم فى خدمته ، لعل وعسى أن ينالوا ذلك الشرف العظيم فى الحياة الثانية ، هذا فضلا عن أن الواحد منهم انما كان يأمل أن ينتهى به المطاف فى آخر حياته الوظيفية الى احدى وظائف الحكومة المركزية فى العاصمة ، كمدير لحدى المصالح الحكومية ، ثم قد تمتد آماله ، فيرنوا الى أن يصبح عضوا فى محكمة الستة العليا ، أو مستشارا سرى ، أو نائبا للفرعون فى نخن أو «مخن» (البصيلية) ، وربما يصبح وزيرا .

(١٥) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر  
الفراعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤٦ — ٤٨ .



هذا وقد كان القوم يعتقدون في الحياة الآخرة ، ومن هنا فقد كانوا يرغبون في قبر جميل واسع ، حتى يحفظوا فيه جسد المتوفى ، ولعل هذا هو الذي دفعهم إلى تحنيط أجسامهم ، الأمر الذي توصلوا إليه منذ فترة مبكرة ، ترجع إلى أوائل أيام الأسرة الثالثة ، وربما كان ذلك سببا في أن يذهب البعض إلى أن المصريين القدماء ، إنما كانوا يهتمون بالموت ، أكثر من اهتمامهم بالحياة ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذا كانت أغلب الجبانات في الصعيد ، إنما تقع على حواف الصحراء ، ومن ثم فقد احتفظت الأرض الجافة بكثير من المقابر ، هذا في الوقت الذي كانت المنازل والقصور تقام عادة على مقربة من الأراضي الزراعية ، وبالطوب اللبن في معظمها ، ومن ثم فقد اختفت بسرعة (١٦) .

وعلى أي حال ، فإن القوم لم يقتصروا في اهتمامهم بالحياة الثانية على القبور وتحنيط الأجساد ، وإنما كانوا يعتقدون في ضرورة تقديم القرابين وإقامة الصلوات في هيكل يشيّدونه ، إلى غير ذلك من مطالب الخدمة الجنائزية ، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقوم بذلك كله ، لأن الملك الإله إنما كان هو المالك الفعلي لكل شيء في مصر — الأرض والمهاجر ، ومن عليها وما عليها — ومن هنا فإن المقبرة ومطالبها الجنائزية إنما كانت جميعها هبة من الملك ، يقدمها لمن يشاء من رعاياه المخلصين ، وقد نال ذلك العطف الملكي كثيرون ، إذ تفضل الملك فوهبهم من الأراضي ما يكفي لذلك كله .

ومن هنا بدأت أول خطوة في الطريق إلى انهيار الملكية المطلقة للسلطة ، إذ بدأ يظهر ملاك جدد ، يقابله في الناحية الأخرى ، نقص في أملاك التاج الخاصة ، هذا فضلا عن أن هذه الأراضي الممنوحة للملاك

F. Daumas, La Vie dans L'Egypte Ancienne Paris, 1968, (١٦)  
p. 120.

J. Vandier, La Religion Egyptienne, Paris, 1944, p. 111. وكذا

R. Engelbach, Introduction to Egyptian Archaeology, وكذا  
p. 190-200.



الجدد انما كانت معفاة من الضرائب ثم سرعان ما بدأ يحكم الاقاليم  
خطوة أخرى نحو اللامركزية ، والبعد عن رقابة الفراعين ، فبدأوا  
يبتعدون بمقابرهم عن مقبرة الملك ، اذ فضلت أسرات أمراء الاقاليم  
في الصعيد الأوسط والأعلى ، الدفن في أراضي أقاليمهم ، ففي الشيخ  
سعيد ودشاشة (محافظة بنى سويف) وفي زاوية الميتين (بمحافظة  
المنيا) وفي دير الجيراوى (بمحافظة أسيوط) وقصر الصياد (بمحافظة  
قنا) وفي أسوان (١٧) ، وفي أماكن أخرى عديدة (١٨) ، حفر حكام هذه  
الاقاليم مقابر فخمة منقورة في صخور بلادهم ، كما لو كانت جبانة  
العاصمة قد أصبحت غير صالحة ، لتكون مأوى لجثثهم (١٩) .

بل ان الامر انما كان أعمق من هذا بكثير ، فهناك المقاصير التي  
كُشف عنها في جزيرة «اليفانقين» (مقابل أسوان عبر النهر) لاسرتى  
«سارنبوت» و «حقا ايب» (٢٠) تقدم لأصحابها من أمراء الاقاليم هناك  
فروض العبادة ، كما كانت تقدم للملوك من قبل ، والامر كذلك بالنسبة  
الى «ايسى» والى ادفو في بداية عصر الاسرة السادسة (٢١) .

وليت الامر يقتصر على ذلك ، فان الاراضى الممنوحة أصبحت  
خاضعة للتوريث ، وأخذت تشتغل عن طريق الزيجات الى أسرات أخرى ،  
ثم خضعت لعمليات البيع والشراء ، وهكذا تكونت عند بعض الشخصيات  
البارزة اقطاعات واسعة ، وتمكن آخر الامر بعض الحكام من أن  
يجعلوا وظائفهم هذه خاضعة للوراثة ، وبخاصة في الصعيد ، كما يبدو  
واضحا من نقوش بعض هؤلاء الحكام .

(١٧) J. de Morgan, Catalogue des Monuments et Inscriptions  
de L'Egypte Antique, I, 1894, p. 141 F.

(١٨) أنظر : A. M. Blackman, The Rocks Tombs of Meir,  
7 Vols, London, 1914-1953.

(١٩) أدولف ارمان وهرمان رانكة : المرجع السابق ص ٨٦ .

(٢٠) H. G. Polot.ky, JEA, 16, 1930, p. 194-199.

(٢١) Alliot. BIFAO, XXXVII, p. 93.

وهكذا أصبحت تلك الوظائف التى كان الملك يختار من يتقلدها ، وقفا على أفراد أسرة واحدة ، استقروا فى إقليم بعينه وهيمنوا عليه ، وأبقوا على علاقتهم الطيبة بالعاصمة ، مادام الملك الجالس على عرش البلاد ، يستطيع أن يقبض بيد قوية على شئون البلاد ، إلا أن كلا منهم إنما كان فى حل من هذا الخضوع إذا اختلفت الظروف (٢٢) ، الأمر الذى حدث فى أخريات أيام الدولة القديمة .

وهكذا أصبح الملك لم يعد بقادر على أن يكبح جماح المتمردين من حكام الأقاليم ، وقد باعدت الظروف بينه وبين الوسائل التى كان يملكها أسلافه ، من أمثال سنفرو وخوفو وخفرع ، من ملوك الأسرة الرابعة ، أبان سيطرة الملكية الإلهية وعنفوانها فألهيته المقدسة لم تعد كما كانت وأصبح لكهانة رع بعض النفوذ فى سلطانه المطلق ، وتغير لقبه من «(الإله العظيم)» إلى «(الإله الطيب)» ، وبعد أن كانت أملاكه تشمل البلاد كلها . أصبح يشاركه فيها الكهنة وحكام الأقاليم بنصيب غير قليل ، وبعد أن كان حكام الأقاليم موظفين لديه يفعلون ما يأمر به ، وينتھون عما نهى عنه ، وينقلون من وظائفهم فى أى وقت شاء ، وإلى أى مكان شاء ، أصبحوا أمراء بالوراثة — وراثة المنصب والثروة — ويدينون فى ذلك أول ما يدينون بالفضل لأبائهم ، لا إلى مليكهم (٢٣) .

ويفكر الثراء فى أية وسيلة ينتدنون بها عرشهم من الانهيار ، وينتدنون آخر الأمر ، أو ينتدنون المشفقون على العرش ، والمواوون له ، فى أخريات أيام الأسرة الخامسة ، إلى اختيار واحد من أهل الثقة . ليكون واليا من قبل الفرعون على الصعيد ، اختاروه من موظفى الحكومة المركزية ، أعنى به «(رع شبسس)» الذى ارتقى إلى منصب الوزارة فيما بعد ، كما كان خلفاؤه من بعد ، من أمثال آخ حتب بتاح حتب ، ثم

---

(٢٢) الكسندر شارف : المرجع السابق ص ٦٥ .

(٢٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤٨ - ٥١ .

كاجمنى ، وزراء كذلك (٢٤) ، وعهدوا اليه بالرقابة على ضرائب الصعيد،  
وشئون حكامه •

غير أن هذا الحل لم يأت بالنتيجة المرجوة ، اذ انتحل لقب حاكم  
الصعيد أكثر من واحد فى وقت واحد ، بل أن بعض حكام الاقاليم -ما  
قد اتخذ لنفسه لقب «حاكم الصعيد» ، فضلا عن لقب الوزير ، دون  
أن يقوم بما كان يفرضه عليه اللقبان من واجبات ، وانما لكيلا يتميز  
عليه أحد من موظفى الحكومة المركزية •

وهكذا وصلت الملكية الى مرحلة خطيرة نتيجة سياستها نحو الكهانة  
وحكام الاقاليم ، والتي كانت تبغى من ورائها ضمهم الى صفوفها ،  
تاركة الشعب دونما أى اعتبار ، ومن ثم فعندما ثار عليها هؤلاء الذين  
أغدقت عليهم المنح والهدايا ، لم تحرك جماهير الشعب ساكنا ، ولم  
تقم بأى جهد لحماية الاله الجالس على العرش ، بل ان هذه الجماهير  
انما قد انتهزت تأزم الموقف ، فقامت بثورة عاتية ضد الجميع ، ضد  
الملك ، وضد الكهانة ، وضد حكام الاقاليم ، هذه الثورة هى التى عرفت  
فى التاريخ الفرعونى باسم «الثورة الاجتماعية الاولى» (٢٥) •

---

(٢٤) ايتين دريوتون وجاك فاندييه : المرجع السابق ص ٣٣٧ •  
(٢٥) أنظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر  
الفراعنة - الاسكندرية ١٩٦٦ (رسالة ماجستير) •



## الفصل الرابع

### السياسة الخارجية

#### (١) في الشمال والشمال الشرقي

تابع «زوسر» — ثاني ملوك الأسرة الثالثة — سياسة الاسلاف ، ومن ثم فقد أرسل حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة سيناء ، الذين ربما تعرضوا للبعثات التي كان يرسلها الفراعين لاحتضار النحاس من قبل المغارة ، فضلا عن انشاء الحصن المعروف ببوابة ايمحوتب •

هذا وقد وجد اسم «سانخت» — والذي يرى البعض فيه أبا أكبر لزوسر ، وسابقا له على العرش المصري — مكتوبا الى جوار اسم «زوسر» في شبه جزيرة سيناء ، كما يشير الى ذلك نقشين من رادي مغارة ، الواحد في المتحف المصري في القاهرة ، والاخر في المتحف البريطاني في لندن •

هذا وقد بقيت من عهد «سخم خت» — خليفة زوسر — نقوش على بعض صخور شبه جزيرة سيناء ، صورته ثلاث مرات ، مرتين بتاج الصعيد ، ومرة بتاج الدلتا ، وأظهرته في هيئة فارعة يهوى بمقمعة على أحد كبار أعدائه ، وصورت أمامه أميرا يحمل لقب «قائد الجيش» ، وهو من أقدم الالقاب الحربية الكبيرة المعروفة حتى الان من الدولة القديمة (١) •

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣١٧ •

وكذا E. Drioton and J. Vandier, l'Egypte, Paris, 1952, p. 197.

وكذا R. Weill, les Ile et IIIe Dynastie Egyptiennes, Paris, 1908, p. 128.

وكذا A . H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, The Inscriptions of Sinai, I, London, 1952, Plé, I, 4, II, 1955, p. 52.

وكانت السياسة الخارجية في عهد الاسرات ، الرابعة والخامسة والسادسة ، تنحصر في سلسلة من الحملات والغزوات والبعثات الاقتصادية ، التي كانت تنطلق من العاصمة أو من قواعد على الحدود، لتعود مرة ثانية الى نقطة الانطلاق محملة بالثروات ، وهى كذلك لم تكن تتضمن دورات من الكر والفر ، الامر الذى تتسم به سياسة التوسع الاستعماري ، وهكذا ، ففي الاسرة الرابعة — وعلى أيام مؤسسها سنفرو — يزداد الاهتمام بسيناء — ذات الاهمية الاقتصادية الكبرى لمصر — ففيها موارد البلاد الرئيسية من الفيروز والذهب والنحاس ، وعلى صحراواتها كانت تسير القوافل التجارية من مصر الى فلسطين ، ومن فلسطين الى مصر •

ومن هنا نرى «سنفرو» يقوم بحملة أو بضع حملات الى سيناء ، اذ تمثله النقوش في المنارة (وتسمى خطأً وادى مغارة أو جبل المغارة)<sup>(٢)</sup> ، وهو يقضى على أحد البدو ، ورغم أن سنفرو لم يكن أول الفراعنة الذين استغلوا مناجم المغارة أو أرسلوا حملات لتأديب الخارجين على القانون من البدو ، فان الاجيال القادمة قد اعتبرتة الها حاميا للمنطقة ، الى جانب المعبودين «حاتحور» و «سويد» لان أعماله في تأمين حدود مصر الشرقية ، وما قام به من تحصينات هناك ، أصبحت المثل الذى يحتذى به ، بل وظلت بعض نقط الحراسة تعرف باسمه «ساق حور — نب ماعت» حتى أيام الدولة الوسطى ، وحتى رأينا أحد النصوص التى كتبت في مناجم سيناء بعد وفاته بحوالى ألف سنة ،

---

(٢) من أسف أنه في عام ١٩٠١ م ذهبت إحدى الشركات البريطانية لاستغلال مناجم الفيروز ، واستخدمت الديناميت في تحطيم الطبقات التى يوجد فيها الفيروز ، فحطمت أكثر النقوش التاريخية التى كانت على مقربة من فتحات المناجم القديمة ، وقد نقل «بتري» في عام ١٩٠٥ م ما بقى من النقوش الى المتحف المصرى بالقاهرة ، انقاذاً لها من الدمار ، ولم يترك غير نقش «سخم خت» لانه كان على ارتفاع كبير .  
أنظر : الموسوعة المصرية ٣٧٢/١ •

وكذا W. M. F. Petrie, Researches in Sinai, London, 1906.

يفخر صاحبها بأنه فعل ما لم يفعل الاوائل منذ عهد «سنفرو»<sup>(٣)</sup> .

هذا وقد جاء في «حجر بالرمو» بأن سنفرو قد أرسل أسطولاً بحرياً مكوناً من أربعين سفينة لاحتصار كتل من أخشاب الارز من لبنان<sup>(٤)</sup> ، ويذهب «سير ألن جاردنر»<sup>(٥)</sup> (١٨٧٩ - ١٩٦٣م) بأن التثديد بترجمة الكلمة الاصلية «عاش» الى «أرز» أصبح شائعاً ، وأنه يجب أن تستبدل بكلمة «صنوبر» ، ويمكننا الاعتماد على نطق المختصين المتأخرين ، وهو غير غامض تماماً ، ومن ثم نستطيع أن نقنع أنفسنا بالألا نكون أكثر خطأ من «بلينى» وأن نتثبت باستخدامه لكلمة «سدروس» لتشمل العرعر وغيره من الصنوبريات .

وعلى أى حال ، فهناك ما يدل على احتصار «سنفرو» للخشب من لبنان ، وأن كثيراً من تلك الاخشاب قد عثر عليها في هرمه القبلى في دهشور ، وما زالت تلك الاخشاب في حالة جيدة حتى الان ، وما زالت تؤدي مهمتها التى أقيمت من أجلها مثل تثبيت بعض الاحجار أو سندها فى أماكنها ، رغم مضى أكثر من أربعة آلاف وستمئة سنة عليها<sup>(٦)</sup> .

وهكذا يبدو واضحاً أن «سنفرو» قد أدى واجبه نحو حدوده الشمالية والشرقية بجانب حدوده الجنوبية والغربية — مما جعله حاكماً مرهوب الجانب ، يخشاه جيرانه ، ويعملون له ألف حساب ، وفى عهد

---

(٣) جان يويوت : مصر الفرعونية — ترجمة سعد زهران — القاهرة ١٩٦٦ ص ٥١ .

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag. 168. وكذا

A. H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, op. cit., pl. 4, وكذا

Urk, I, p. 7. وكذا

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, I, Chicago, (٤)

1906, Parag, 146.

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٥)

1964, p. 42.

A. Fakhry, The Bent Pyramid at Dahshur, Cairo, 1954, (٦)

Pl. 38, p. 559.



ولده «خوفو» تزداد أهمية الميناء الاسيوى «جبيل» ذلك الميناء الذى كانت تقيم فيه جالية مصرية ، منذ أيام الاسرة الثانية على الأقل ، والذى أصبح أكبر ميناء للتبادل التجارى بين مصر وغربى آسيا ، كما أصبحت السفن التى تتعامل مع «جبيل» أو المصنوعة من أخشابها تسمى «الجبيلية» ، أحياناً<sup>(٧)</sup> ، بل وزاد بعض الباحثين فرأى أن ميناء جبيل ، انما كان يقوم كذلك بدور الوسيط بين تجارة مصر وكريت<sup>(٨)</sup> .

ورغم أن الامر بهذه الصورة غير مؤكد ، إلا أن الاتصال بكريت انما كان قائماً منذ زمن بعيد ، ذلك لان الثقافة المينووية انما تقدم دلائل قوية على التأثير المصرى<sup>(٩)</sup> ، هذا فضلاً عن أن هناك من يذهب الى أن المصريين انما قد وصلوا الى كريت رأساً بوسائلهم الخاصة<sup>(١٠)</sup> .

وأياً ما كان الامر ، ففى عهد «خوفو» قام وسط «جبيل»<sup>(١١)</sup> معبد مصرى ، أضاف اليه من جاء بعده ، كما تشهد بذلك أحجار من هذا المعبد ، تحمل اسم «خوفو» بل وأسماء من سبقوه على عرش الكنانة ، ومن لاحقوا به على هذا العرش من فراعين الدولة القديمة ، وليس هناك ما يعرف حتى الآن عن الصورة الاولى التى نشأ عليها هذا المعبد ، فقد يكون معبداً آمورى الاصل ، أراد الملوك المصريون أن يجاءلوا أصحابه ، وأهدوهم هدايا ثمينة تحمل أسماءهم ، ولم يمنعهم تمسكهم

---

(٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ٨٩ .

(٨) رشيد الناضورى : اقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان - الاسكندرية ١٩٦٨ ص ٢ .

وكذا W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of The First Dynasty, II, London, 1901, p. 46.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 36. (٩)

(١٠) الكسندر شارف : تاريخ مصر - القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٨ .

(١١) كانت تكتب فى الدولة القديمة «كبن» ، وفى الدولة الوسطى «كبنى» وفى الدولة الحديثة «كبنا» ، وذكرها الاشوريون باسم «جوبلا» والاغريق «ببيلوس» ، والعرب «جبيل» ، وتقع على مبعدة حوالى ٤٠ كيلاً شمال بيروت .

(A. H. Gardiner, Onom, I, 257).

بدينهم المصرى من أن يتسامجوا مع معبودات جيرانهم ، ويعملوا على  
اثراء معابدها .

وقد يكون معبداً مصرى الاصل شادته جالية مصرية تجارية ،  
أقامت فى جبيل ، وعكفت على عبادة أربابها المصريين ، وسجلت أسماء  
ملوكها على مقتنياته ، وقد يكون معبداً مصرياً ، أقامه أهراء جبيل  
أنفسهم ، مجاملة للمصريين ، وتقبلوا فيه بعض العقائد المصرية ، كما  
تقبلوا له هدايا الفراعنة المصريين (١٢) .

هذا وقد أسفرت الحفائر عن اكتشاف معبد للالهة المصرية «ايزة»،  
بجانب معبد «بعلة» جبيل ، وان الالهتين قد أصبحتا بهرور الزمن الهة  
واحدة (١٣) ، وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى ازدهار التجارة بين  
مصر وفينيقيها على أيام خوفو ، كما أن هناك ما يشير الى قيامه بنشاط  
حربى فى سيناء ، اذ أرسل عدة حملات الى المنسارة للحصول على  
الفيروز ، وربما النحاس كذلك (١٤) .

ولم يكن ملوك الاسرة الخامسة أقل نشاطاً من أسلافهم ملوك  
الاسرة الرابعة ، فاقد عثر على اسم الملك «وسر كاف» منقوشاً على  
آنية من المرمر فى جزيرة «سريجو» ، على مقربة من الشاطئ الجنوبى

- 
- (١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٠٦ .  
وكذا W. A. Ward, Egypt and The Mediterranean from  
Predynastic Times to The End of The Old Lingdom, JES HO, VI,  
Part, I, 1963, p. 24.  
وكذا P. Montet, Byblos et l'Egypte, Paris, 1928, p. 29 F.  
وكذا H. H. Nelson, in Beyruts, 1934, p. 19 F.  
(١٣) فيليب حتى : تاريخ لبنان - ترجمة أنيس فريحة ونقولا  
زيادة - بيروت ١٩٧٢ ص ٧٨ (يذهب جاردنر الى أن الالهة المصرية هنا  
«حاتحور» وليست ايزة ، وأنها قد اقترنت بالالهة عشتار ) .  
(١٤) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم -  
الجزء الثالث - حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ ص  
٢٧ - ٤٤ .

للبونان ، مما يشير الى علاقات تجارية مع الشاطئ الشمالى للبحر  
الابيض المتوسط (١٥) .

وهناك فى المعبد الجنازى للملك «ساحورع» ما يدل على نشاط  
خارجى عظيم ، خرجت فيه مصر من عزلتها ، واحتكت بجيرانها ، بدرجة  
أكثر من عصور سبقت ، فهناك منظر رائع للسفن العائدة من سورية  
بالتجارة ، والاسيويون ، على ظهورها وأسلحتهم مرفوعة ولواء لفرعون ،  
وربما كان ذلك بمناسبة حملة الى لبنان للبحث عن الخشب القديم .  
جدا من غاباتها (١٦) .

وقد اختلفت الآراء حول هذه الحملة ، فذهب رأى الى أن مناظر  
الاسطول وعودته لا تدل على أنها حملة حربية ، وان كنا لا نستطيع  
أن نتبين الغرض منها على وجه اليقين ، وذهب فريق آخر الى أن  
المناظر انما تدل على شيء أكثر من اقلاع الاسطول وعودته ، ثم  
استقبال الملك ، وقد حف به كبار موظفيه ، ومن ثم فهى حملة ودية ،  
وربما عادت بأميرة من هناك لتصبح احدى زوجات الفرعون ، بينما  
ذهب فريق ثالث الى أن جبيل انما كانت مستعمرة مصرية ، وان رأى  
«جاردنر» أن فى ذلك مبالغة الى حد ما ، ولكننا ندرك على الاقل أن  
الرسل المصريين انما كانوا يقابلون هناك دائما بكل الترحاب (١٧) .

وهناك فى «دشاشة» (١٨) حيث تقع مقبرة «أنتى» — ولعله أحد

A. Weigall, op. cit., p. 42. (١٥)

Urk., I, 1932, p. 169. (١٦)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 88. وكذا

CAH, I, Part, 2, 1971, p. 182. وكذا

(١٧) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ص ١٠٤ ، أحمد  
فخرى : مصر الفرعونية ١٣٣ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص  
٤٤ .

A. H. Gardiner, op. cit., p. 89. وكذا

A. Weigall, op. cit., p. 43. وكذا

(١٨) تقع دشاشة على الشاطئ الغربى لبحر يوسف ، جنوبى  
اهناسيا المدينة ، والى الشمال الغربى من ببا بمحافظة بنى سويف وتمتد =



أشراف عهد ساحورع — منظر يمثل الاستيلاء على قلعة اسيوية ، وأهميته تقع في تصوير أطوار القتال في صور ساذجة ، حين يغزو المصريون مكانا في آسيا يدعى «(نديا)» — وموقعه غير معروف — ونرى المصريين في المنظر يلتحمون مع الاسيويين رجلا ضد رجل في أرض خلاء ، وما يكاد الاسيويون يحسون وطأة المصريين حتى يعمدوا الى الفرار ، والتحصن في قلعتهم ، غير أن المصريين سرعان ما يحاصرونهم في دقة تسترعى الاعجاب ، ثم ينقبون أسوارها بخوابير مدببة من الخشب ، ويقيمون السلالم لاعتلائها لاتمام عملية الاستيلاء على القلعة ، وعندما يسمع المحاصرون أصوات أدوات المصريين التي تستعمل في نقب الجدران ، يصيبهم فزع وهلع ، ومن ثم يسرع بعضهم الى زعيمهم لاعلامه بذلك ، فيأخذ الرجل في شد شعر رأسه يأسا ، بينما تأخذ النساء في نقل الجرحى واسعافهم ، ثم ما يلبث النصر أن يعتقد لواءه للمصريين ، فيأسرون عددا كبيرا من الرجال والنساء والاطفال .

على أننا وان كنا لا نعرف اسم الملك صاحب هذه الغزوة على وجه اليقين ، فمن المرجح أن يكون «(ساحورع)» ، الذي مثلت على جدران معبد الجنائز صورة حملة تشبه تلك الحملة من مصر وعودتها محملة بالغنائم والاسلاب ، وان كان هناك من يذهب الى أنها انما ترجع الى عهد «(ببى الاول)» من الاسرة السادسة (١٩) .

وأيا ما كان الامر ، فان مصر — على أيام الاسرة الخامسة — قد بدأت صفحة جديدة في حياتها ، فأخذت ترنو بناظرها نحو الجنوب ونحو الشرق، ومن ثم فان الجهود الحربية المعتادة انما تستمر لاستغلال

---

= خلفها حافة الصحراء الغربية التي تضم جبانة، ترجع أهم مقابرها — مقبرة أنتى — الى الدولة القديمة ، وكذا مقبرة «شدو» .  
(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٣٤ ، ايتين دريوتون وجاك فاندييه : مصر ص ١٩٦ .  
وكذا  
W. M. F. Petrie, Deshasheh, London, 1898, Pl. IV

مناجم سيناء وتأمينها من شعب البدو، كما تروى نصوص «(ساحورع)»<sup>(٢٠)</sup>  
و «(نى وسر رع)»<sup>(٢١)</sup> و «(من كاو حور)»<sup>(٢٢)</sup> و «(شدد كارع)»  
(اسيسى)<sup>(٢٣)</sup> فى وادى مغارة .

وتروى النصوص أن «(نى وسر رع)» قد قام بعدة حروب فى سورية،  
كما يبدو ذلك من المناظر التى كانت فى معبده ، كما نجح «(وناس)» فى  
الحفاظ على جبيل ، بواسطة أسطوليه ، وربما كانت المدينة وقت ذاك  
من مستعمرات التاج المصرى ، فقد عثر هناك على آنية تحمل اسمه فى  
البقايا الاثرية التى كشف عنها فى بيبيلوس<sup>(٢٤)</sup> .

وهناك ما يشير الى أن الامر قد تغير كثيراً على أيام الاسرة  
السادسة ، حيث يشهد عهد «(ببى الاول)» نشاطاً واسعاً من العناصر  
المجاورة لمصر من ناحية الشمال ، ويحدثنا «(ونى)» ، ذلك الرجل الذى  
نشأ نشأة متواضعة ، ولكنه استطاع بقدراته الشخصية أن يصبح قائداً  
لاحدى الحملات الجريئة التى أرسلها الملك الى آسيا — والتى اشترك

- 
- A. H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, The Inscriptions (٢٠)  
of Sinai, I, London, 1952, Pls, V, VII.  
J. H. Breasted; op. cit., p. 236. وكذا  
J. H. Breasted, op. cit., p. 350. (٢١)  
A. H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, op. cit., Pl. وكذا  
IV, VI.  
A. H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, op. cit., Pl. VII. (٢٢)  
J. H. Breasted, ARE, I, Chicago, 1906, p. 263. وكذا  
K. Sethe, op. cit., p. 54. وكذا  
A. H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, op. cit., Pls. (٢٣)  
IV, VI-VII.  
K. Sethe, op. cit., p. 55. وكذا  
J. H. Breasted, op. cit., p. 264-7. وكذا  
(٢٤) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين — الجزء الاول ..  
بيروت ١٩٥٨ ص ١٣٧ .  
P. Montet, Byblos et l'Egypte, Paris, 1928, p. 69. وكذا  
P. Montet, in Syria, 19, 1929, p. 14. وكذا  
M. Dunand, Fouilles des Byblos, II, Paris, 1958, p. 267. وكذا

ففيها الجيش والاسطول معا لأول مرة في التاريخ المصري — يحددنا  
«(ونى)» في لوحته المشهورة عن هذه الحملة فيقول :

«(وحين أراد جلالته أن يوقع العقوبة على الاسيويين والساكنين على  
الرمال ، جمع جلالته جيشا من عشرات الآلاف الكثيرة من كل أرض  
مصر العليا (الصعيد) من اليفانتين (جزيرة أسوان) في الجندوب ، حتى  
«(مزينية)» (المقاطعة رقم ٢٢ في شمال الصعيد) في الشدال ، من مصر  
السفلى (الدلتا) في تمامها ، من سدجر ، ومن خن سجر ، من نوبى  
أرشى ، ومن نوبى مدجا ، ومن نوبى يام ، ومن نوبى واواى ، ومن  
نوبى كا ، ومن أرض التمدو)» •

«(وأرسلنى جلالته على رأس هذا الجيش ، وقد كان به أمراء ،  
وحاملوا أختام ملك الوجه البحرى ، وسمراء وحيدون من القصر ،  
وقواد ورؤساء مدن الوجهين (الصعيد والدلتا) ، ورؤساء تراجمة ،  
ورؤساء متنبئين لمصر العليا والسفلى ، ورؤساء ملحقات المعبد ...  
على رأس جيوش مصر العليا والسفلى والمدن والقرى التى يحكمونها،  
والنوبيين من هذه البلاد الاجنبية ... كنت أنا قائدهم ، رغم أن  
وظيفتى لم تكن سوى وظيفة المشرف على مستأجرى القصر ، لأننى  
كنت أستطيع أن أمنع الواحد من أن يتشاجر مع أخيه ، وأن أمنع أى  
واحدا من أن يأخذ خبزا أو نعلا من المارة أو أن يختصب نettle من أية  
قرية ، وأن أمنع أيا منهم من أن يختلس نettle من الناس ، وقد خرجت  
بهم سريعا من الجزيرة الشمالية (بوابة ايمحوتب) ، و «(ساق حور  
نب ماعت)» ، ورغم أننى كنت فى هذه الوظيفة ، فقد كشف لى الملك عن  
عدد هذه الجيوش ، وهو أمر لم يكشف عنه من قبل لأى خادم •

وعند هذه المرحلة ينتقل النص الى رواية شعرية ، تمثل مظهرا  
مفردا فى النص ، حيث تقول :

«عاد هذا الجيش فى سلام : بعد أن خرب أرض ساكنى الرمال •



- عاد هذا الجيش في سلام : بعد أن اجتاحت أرض ساكني الرمال
- عاد هذا الجيش في سلام : بعد أن دمر محلاتها المسورة
- عاد هذا الجيش في سلام : بعد أن قطع تينها وكرومها
- عاد هذا الجيش في سلام : بعد أن أشعل النار في كل بيوتها
- الفأخرة
- عاد هذا الجيش في سلام : بعد أن ذبح عشرات الآلاف من رجال جيوشهم
- عاد هذا الجيش في سلام : بعد أن حمل معه جيوشا كثيرة العدد
- كأسرى
- وقد نالني من مديح جلالته من أجل ذلك أكثر من أي شيء (٢٥)
- غير أننا نلاحظ أن «(ونى)» رغم أنه يشير الى انتصاره الساحق ، والى ذبحه لعشرات الآلاف من رجال عدوه ، ثم عودة جيشه منتصرا ، ومعه الكثير من الجيوش أسرى ، الا أنه سرعان ما يضطر الى القيام بأربع حملات — منها واحدة كانت برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين فكى الكماشة — وقد كتب له فيها نجحا بعيد المدى في تأديب العصاة من سكان الرمال

هذا ويحدثنا «(ونى)» كذلك عن تمرد عند «(أنف الرئم)» — وهو اقليم يظن أنه جبل الكرمل — وقد عاد بجيوشه الى ماوراء منطقة التلال ،

---

( ٢٥ ) Francois Daumas, La Civilisation de l'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 292.

وكذا Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 95-96.

وكذا M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, California, 1973, p. 18.

حتى شمال أرض سكان الرمال ، بينما كان نصف الجيش يقترب على الطريق الصحراوي، وقد عول «ونى» على القضاء على كل المتمردين (٢٦) •

وبدهى أن تقرير «ونى» لم يبرأ من المبالغة في تصوير كثافة جيوشه ، وحين ادعى أن جنوده لم يحيدوا عن جادة الصواب في كل كبيرة وصغيرة ، ولكنه لم يخل من دلالات تاريخية صريحة ، منها (أولا) أن القوم قد تعودوا على أيامه أن يجندوا قطاعا واسعا من امكانات البلاد ، لاغراض الدفاع والهجوم كلما آن أوانها ، ومنها (ثانيا) أنهم اطمأنوا الى اخلاص بعض النوبيين والليبيين ، واستعانوا بهم في جيوشهم ، ومنها (ثالثا) أن رجال الدين كان لهم دور في الحروب ، وربما كانوا يثيرون حماس الجنود ، ويذكرونهم بالارباب ، والولاء للحكام والرؤساء ، والحرص على تقاليد الدين •

ومنها (رابعا) أن المتراجمة انما كانوا يعاونون القادة على التفاهم مع أهل المدن المفتوحة ، ومنها (خامسا) أن رؤساء عهد «ونى» — ممثلين في شخصه — انما كانوا يقدرون من تبعات القيادة واجبات أربع هي : محاولة تغليب روح الطاعة في الجيش ، وتقليل دواعي الشقاق بين الجنود ، وتغليب روح التراحم بينهم وبين مواطنيهم المدنيين ، والعمل على تزويد الجيش بمؤنة مناسبة ، تصرف رجاله عن الدنية ، وعن محاولات النهب والعدوان (٢٧) •

هذا ويبدو أن مصر ، انما كان عليها أن تجابه صعوبات من ناحية الشمال الشرقى ، أكثر من تلك التى تأتيتها من ناحية الجنوب ، ولكن من هو ذلك العدو ، الذى سبب المتاعب لمصر من ناحية الحدود الشرقية؟ والذى أشير اليه باصطلاح «حر يوشع» أو «عامو حر يوشع» •

---

(٢٦) A. H. Gardiner, op. cit., p. 96.

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٣٠ •

ان «سير آلن هندرسون جاردنر»<sup>(٢٨)</sup> (١٨٧٩ — ١٩٦٣) يرى أن ذلك العدو ، الذي أشير اليه باصطلاح «حر يوشع» ومعناه الحرفي «أولئك الذين فوق الرمال» ، لا يمكن أن يعنى فقط أولئك الذين أضر بهم شطف العيش في شبه جزيرة سيناء ، فرد مثل هؤلاء لا يتطلب جيشا من الآلاف ، وما لم نغفل أمر التين والعنب ، ونعتبرهما كمجرد خيال ، فان جزءا معيننا من جنوب فلسطين ، كان من غير شك داخلا في نطاق العملية ، وربما كانت أكثر التخمينات قابلية للتصديق ، وهى أن ما وصف بعبارة لطيفة كأنما هو عصيان وتمرد ، كان يتضمن فى الواقع أول موجة من الضغط الاسيوى ، الذى أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة عام ، وكان تهديدا دائما لها طوال تاريخها .

ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح الى أن هؤلاء الذين أطاق عليهم اسم «عامو حر يوشع» بمعنى بدو الرمال ، أو القبائل التى كانت تعيش على الرمال ، ربما كانوا بداية للهجرة الامورية القديمة ، هددت سبل التجارة بين مصر وجيرانها ، وحاولت أن تثير الاضطرابات ، وأن تعبر حدود مصر الشمالية الشرقية<sup>(٢٩)</sup> .

وهناك رأى غريب ، بعيد عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخى ، وقد اعتمد على ماسجله الملك الاكدي «نارام — سن» (حوالى ٢٢٩١ — ٢٢٥٥ ق.م) عن أحداث عصره ، وروى فيه أنه قبض بنفسه على «مانو — دانوا» ملك «ماجان» أو «مجان» ، ومن ثم فقد ذهب فريق من المؤرخين المحدثين الى أن «مجان» انما هى «مصر» وأن «مانو» انما هو تحريف لاسم «منى» (ميناء) أول ملوك الاسرة الاولى المصرية<sup>(٣٠)</sup> حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م .

(٢٨) Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford 1964, p. 97.

(٢٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٣٠) A. H. Sayce, Menes and Naram-Sin, JEA, 6, 1820, p. 296.

S. Langdon, JEA; 7, 1927, p. 121 F. وكذا

W. F. Albright, JEA; 6, 1920, p. 89 F. وكذا



ويذهب أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر — طيب الله ثراه — (١٩٠٧ — ١٩٧٦م) الى أنه من الغريب أن هذا الاسم ذاته انما كان يطلق على مصر في جميع النصوص البابلية المتأخرة ، غير أن هذا الغزو انما يفتقر الى أسانيد تثبته من جانب المصريين أنفسهم (٣١) .

هذا فضلا عن أن «فريتز هومل» انما يذهب الى أن كلمة «مجان» التي جاءت في نقش «نارام — سن» ، والذي يقول فيه أنه «أخضع بلاد مجان ، أخذ مانو دانوا» (مانيوم) أمير مجان أسيرا (٣٢) انما هو تحريف لاسم اقليم «معين» في اليمن (٣٣) .

ويذهب الدكتور حسن ظاظا الى أنه من المحتمل أن يكون لفظ «مجان» هو الاصل في «معان» في أقصى الشمال من الحجاز شرقى خليج العقبة ، وليس قرب هذا المكان من العراق هو الذي يدعو الى ترجيح هذه الفكرة ، ولكن اسم هذا الامير الذي كان يحكم هذا الاقليم «مانيوم» الذي يبدو أنه نطق آشوري للاسم العربي «معين» (بالمضم والتثوين) ، وهو شائع في أسماء عرب الشمال ، نادر في أسماء عرب الجنوب ، لا نجده — فيما نعلم — في النقوش اليمنية ، بينما يقابلنا بكثرة جدا في الشعر العربي الجاهلي ، وفي النقوش العربية الشمالية ، كالنقوش الصفوية مثلا (٣٤) .

على أن «هوجو فنكلر» انما يذهب الى أن «مجان» انما تقع في الاقسام الشرقية من شبه الجزيرة العربية (٣٥) ، بينما يذهب «أو ليري»

- 
- (٣١) عبد المنعم أبو بكر : كفاحنا ضد الغزاة ص ٢٠ — ٢١ .  
 (٣٢) A. Grohman, Arabien, Munchen, 1963, p. 21.  
 J. Vercoutter, op. cit., p. 126. وكذا  
 L. W. King, Studies in Eastern History, I, p. 15. وكذا  
 H. Fleisch, Introduction a l'Etude des Langues (٣٣)  
 Semitiques, Paris, 1947, p. 90.  
 (٣٤) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١٢٦ .  
 (٣٥) E. Schrader, Die Keilschriften und des Alte Testament, p. 15 F.

الى أنها «جزها» (جرعاء) على ساحل الاحساء<sup>(٣٦)</sup> ، وأما «تشيومان» فالرأى عنده أنها تقع على مقربة من الخليج العربي في موضع «مجيمنة» جنوب «بيرين»<sup>(٣٧)</sup> ، بينما رأى «جون فلبى»<sup>(٣٨)</sup> أنها على مقربة من الساحل ، عند وادي شهبه ، وهي البقعة التي نشأت فيها مملكة مجان القديمة •

هذا ويذهب «كيتانى» الى أنها «مدين» والتي كانت حوالى الالف الخامسة قبل الميلاد كثيفة الاشجار ، وكان البابليون يأخذون منها الذهب والنحاس والاشباب ، ويعارض «الويس موسل» هذا الاتجاه، محددا موقع مجان على ساحل الخليج العربى<sup>(٣٩)</sup> ، على أن هناك من يذهب الى أنها منطقة «عمان» أى الطرف الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة العربية<sup>(٤٠)</sup> •

وأخيرا فلقد حاول بعض المؤرخين أن يحدد موقعها بخط طول ٥٥ شرقا ، وخط عرض ٢٤ شمالا ، وبحوالى ٤٥٠ ميلا الى الشمال الغربى من مسقط ، وأن كلمة «مجان» انما تتكون من الكلمة السومرية Ma بمعنى ميناء أو أرض السفن ، وذلك لشهرة أهلها في ركوب السفن ، فضلا عن أن هناك نصا يرجع الى أيام الملك «دونجى» (أحد ملوك أور حوالى عام ٢٤٥٠ ق.م) يحدثنا عن صناع السفن من «مجان» وأن النصوص السومرية قد وصفتها بأن «جبل النحاس» ، تدفعنا الى أن ندخل فى دائرتها منطقة الجبل الاخضر بعمان ، حيث يوجد النحاس ،

---

De Lacy D. D. O'Leary, Arabia before Muhammad, (٣٦)  
London, 1927, p. 47.

Major R. E. Cheeman, In Unknown Arabia, London, (٣٧)  
1925, p. 266.

J. B. Philly, The Empty Quarter, N. Y. 1933 p. 119 F. (٣٨)

وأنظر : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ ص - ٢١٨ •

A. Musil, The Northern Nejd, N. Y. 1928, p. 307. (٣٩)

W. F. Leemans, Foreign Trade in The Old Babylonian (٤٠)

Period. Leiden, 1960, p. 12.

بمكثا يبدو واضحا أن لدينا من القرائن القوية التي تقربنا من وضع  
«مجان» كمرادف لـ «سمن» ، لأن كل ما ذكر آنفا إنما هو موجود في عمان (٤١) .

وأيا ما كان الأمر بالنسبة الى موقع «مجان» ، فالرأى — كما أشرنا  
من قبل — غريب ، وبعيد عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخى ، وعلى  
اى حال ، فلتد استمر «ببى الثانى» على سياسة أسلافه بالنسبة الى  
التجارة الخارجية ، فهناك ما يدل على اتصال تجارى بين مصر وبلاد  
بونت وسواحل فينيقيا ، من ذلك ما سجله الملاح المصرى «خنوم حتب»  
من أنه قد زار جبيل وبونت احدى عشرة مرة ، كان تحت رياسة «نشى»  
في زيارته الاولى ، وتحت رياسة «خوى» عند زيارته الثانية (٤٢) .

هذا وقد استمرت البعثات الى مناجم سيناء كذلك ، ومن ثم فهناك  
ما يثبت قيام حملة في السنة الاولى من حكمه ، ويبدو أنه كان تحت  
وصاية أمه ، مادامت تذكر معه في سجل هذه الحملة (٤٣) ، هذا فضلا عن  
أن هناك ما يشير كذلك الى ازدياد الاضطرابات في الخارج وقت ذاك،  
اذ يبدو أن العناصر الاجنبية انما كانت تحس بما ينتاب مصر من  
ضعف ، وأنها كانت في انتظار الفرصة التي تسنح لها بالانغارة على  
الدلتا وقد كانت بعد وفاة «ببى الثانى» بسنوات لا تتجاوز أصابع اليد  
الواحدة ، حيث اندلعت نيران الثورة الاجتماعية الاولى ، وقضت على  
الدولة القديمة .

## (٢) فى الجنوب

تسجل حوليات «سنفرو» على حجر بالرمو — وكذا القطعة الكبيرة  
بمتحف القاهرة — قيام مؤسس الاسرة الرابعة بحملة ضد «أرض

---

(٤١) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد — القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٢ —  
١٣٣ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢١٦ — ٢١٨ .  
Urk, I, 1932, 140-141. (٤٢)  
P. M. VII, 1951, p. 342. (٤٣)  
A. H. Gardiner, op. cit., p. 101. وكذا



النوبيين» يؤكد فيها احضاره سبعة آلاف أسير، ومائتى ألف ماشية<sup>(٤٤)</sup>، ويعزو الكثيرون من الباحثين الى هذا النص تفسير الاختفاء الفجائى للمجموعة «(أ)» التى عاشت فى النوبة السفلى معاصرة لبداية الاسرات، والنصف الاول من الدولة القديمة<sup>(٤٥)</sup>، وربما كان اختفاء المجموعة «(أ)» بسبب تسرب مجموعة أخرى، وحلولها مكانها، وهى المجموعة «(ب)» أكثر منه بسبب حملات كانت تأديبية فى معظم الاحوال<sup>(٤٦)</sup>.

وأيا ما كان الامر، فليس من الواضح الى أى مدى وصلت حملة «(سنفرو)» هذه فى اخضاع النوبة، الا أن ابنه وخليفته «(خوفو)» قد استعمل محاجر الديوريت التى تقع الى الشمال الغربى من «(توشكى)»<sup>(٤٧)</sup>، وأن «(جد فرع)» (رع - جدف) خليفة «(خوفو)» قد ترك اسمه هناك، وأن «(خفرع)» قد حصل على الديوريت الذى صنع منه تماثيله المشهورة من محاجر تلك المنطقة<sup>(٤٨)</sup>.

وفى الاسرة الخامسة سجل «(ساحورع)» و «(جد كارع)» (اسيسى) اسميهما عند «(توماس)» فى منتصف الطريق بين أسوان ووادى حلفا، وربما كان لذلك صلة بمحاجر الديوريت هناك، ويبدو أن المصريين انما كانوا يسيطرون تماما على المنطقة التى تقع الى الجنوب من أسوان، ومن ثم فقد استطاعت البعثات أن تقوم بعملها فى المحاجر، وهى آمنة، حيث لا توجد مياه، وحيث يفصلها عن النيل قرابة خمسين ميلا<sup>(٤٩)</sup>.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 97. (٤٤)

J. Vercoutter. Ancient Egyptian Influence in Sudan, SNR. (٤٥)  
XI. p. 20.

A. J. Aikell. A History of The Sudan from Earliest Times وكذا  
to 1821. London. 1961. p. 41.

(٤٦) فوزى فهم جاد الله : ليبيا فى التاريخ - مسائل فى مصادر  
التاريخ الليبى قبل هيرودوت ص ٦٢ .

PM. 7. 1951, p. 275. (٤٧)

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 183. (٤٨)

Ibid., p. 183. (٤٩)

وتصبح العلاقات مع النوبة أكثر سلاسا ، فالمزايا التي يمكن الحصول عليها من علاقات ودية كانت مزايا مشتركة ، ذلك أن النوبة كانت مصدر سلع للترف قيمة ، ولا يمكن الحصول عليها من مكان آخر ، وكان النوبيون بدورهم يعتمدون كثيرا على جيرانهم الأكثر ثراء وحضارة ، وكانت الحبوب من أهم ما يسعون وراءه وإن لم يكن لها ذكر في المستند الوحيد الذى يشير الى ما جاء به المصريون معهم بقصد التبادل التجارى ، وحيث ذكرت الانواع المختلفة من زيت وعسل وملابس وقيشانى وكل الاشياء (٥٠) .

وأخذ اهتمام مصر بالنوبة السفلى يزداد ، وبدأ المصريون ينظرون اليها كجزء متمم لحدودهم الجنوبية ، ومن ثم فقد بدأوا يعملون على تأمين المواصلات اليها ، وعلى الحد من شغب قبائلها القلقة — والفقيرة كذلك — ومنع اعتداءاتها على مراكز الحدود ، وقوافل التجار ، فضلا عن تأمين استغلال محاجرها ، وفتح أسواق التجارة مع مناطقها المسكونة ، ولاتخاذها وسيطا تجاريا بين مصر ومناطق السودان الغنية بمنتجاتها الطبيعية ونباتاتها وحيواناتها (٥١) ، الا أن فكرة استعمار النوبة لم تطرأ — فيما يرى ألن جاردنر — فى أذهان المصريين الا متأخرة ، وقد تقبلوا فى تعقل «اليفانتين» كحد جنوبى لهم مدركين أن المنطقة وراء الجندل الاول ليس مرغوبا فيها كملكيات ، وأن حاجاتهم يمكن أن تسد عن طريق رحلات خاصة (٥٢) .

وفى مرسوم الملك «ببى الاول» — الآنف الذكر — والذى يعفى أتباع هرمى سنفرو من خدمات معينة ، كان رعايا فرعون الاقل حظا يكلثون بها ، وقد عثر على اللوحة التى تحمل هذا المرسوم ، وفيها نلتقى بفقرات متعددة تحرم التدخل معهم بواسطة «النوبيين المسلمين» وهو

---

A. H. Gardiner, op cit., p. 117.

(٥٠)

(٥١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٣٧ .

A. H. Gardiner, op. cit., p. 98.

(٥٢)

اصطلاح يظن أنه رجال الشرطة من « المدجايو » في العصور المتأخرة ،  
ونستطيع أن نستنتج من قول « وني » أنه استطاع أن يجند متطوعين  
لحملاته الاسيوية من بين مختلف القبائل النوبية ، كيف رحب هؤلاء  
بفرصة وجود عمل في أرض كانوا يعدونها أنسب من أرضهم ، وكيف  
نجح « وني » في توطيد علاقاته بزعماء النوبة (٥٣) .

وقد زار « مر ان رع » بشخصه منطقة اليفانتين (جزيرة أسوان)  
ليقبل ولأه رؤساء مدجا وارثت وواواي (٥٤) ، وانتهاز الرؤساء النوبيون  
الفرصة لإعلان خضوعهم ، ولتقبيل الأرض بين يدي الفرعون (٥٥) ،  
وربما لا يقدر لنا أن نعرف سوى القليل — إلى جانب الحقائق الآنف  
الذكر — عن علاقة مصر بالنوبة ، لولا النقوش التي أمر أمراء أسوان  
الكثيرون أن تنقش على جدران مقابرهم التي جفروها في التلال  
الحجرية عند أسوان ، وربما كان هؤلاء الأمراء نصف نوبيين .

وعلى أي حال ، فإنهم انما كانوا يعرفون لغة أو لغات القبائل التي  
كان يبالغ إليها زيارتها ، كما يبدو كذلك أنهم كانوا أكثر صلاحية للسفر  
للخارج من معظم النبلاء المصريين ، مادامت بونت وببيلوس تذكرا  
كأماكن تروجد عليهما أحدهم (٥٦) ، وحملوا ألقاب المترجمين « أمير اعو » ،  
كان الواحد منهم يلقب بلقب يدل على رئاسة فرقة من المرتقة ، حيث  
أن عددا من هؤلاء أو من الجنود النظاميين ، كانوا يرافقون تلك  
البعثات لحمايتها (٥٧) ، ومن أشهر رجال البعثات في الأسرة السادسة  
« أري » و « حر خوف » و « ببى نخت » و « ميخو » و « سابنى » وكان  
أكثرهم شهرة « حر خوف » و « ببى نخت » .

ZAS, XLII, p. IF.

(٥٣)

Urk., I, 1932, p. 101.

(٥٤)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 99.

وكذا

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, I, Chicago, 1906. p. 317.

(٥٥)

A. H. Gardiner, op cit., p. 99.

(٥٦)

H. Goedicke, JEA, 46, 1960, p. 60-64.

(٥٧)



قام «(حر خوف)» محافظ أسوان (آبو = اليفانتين) بأربع رحلات الى الجنوب ، وكانت الثلاثة الاولى — كما تحدثنا نقوش قبره بأسوان —<sup>(٥٨)</sup> في عهد الملك «(مرى ان رع)» ، وأما رحلته الرابعة فقد كانت على أيام «(ببى الثانى)» ، وتبدأ النقوش بالطريقة المعتادة، باللقاب والنعوت للامير ، رئيس التراجمة «(حر خوف)» : «(أرسلنى جلاله مولاي مري ان رع ، مع أبى الصديق الوحيد ، والكاهن المرتل «(ارى)» الى «(يام)» لأعبد الطريق الى هذه البلاد ، وقد أتممت الرحلة فى سبعة شهور ، وعدت من هناك بكل الهدايا العظيمة النادرة ، ونالنى المديح من وراء ذلك»<sup>(٥٩)</sup> .

ويقوم «(حر خوف)» برحلته الثانية ، فيحدثنا عنها قائلا : «(أرسلنى جلالته مرة ثانية بمفردى ، فخرجت على طريق اليفانتين وعدت من ارتى وخر ، وتررس وارتنى فى مدى ثمانية شهور . وعدت وحملت معى هدايا من هذه البلاد فى كميات ضخمة جدا ، لم يحدث أن جىء بمثلها من قبل ، وقد رجعت عن طريق مجاورات بيت رئيس زاتو وايرتى ، وفتحت بهذا طريقا الى هذه البلاد ، ولم يحدث أن تم هذا بالنسبة لأى سميرو أو رئيس تراجمة ممن توجهوا الى يام من قبل»<sup>(٦٠)</sup> .

ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح الى أن الرحلة الثانية هذه، انما بدأت من أبيدوس ، وسلك فيها طريقا سماه «(طريق العاج)» وقطع — فيما يظن «(ايدل)» و «(ديكسون)»<sup>(٦١)</sup> — نحو من ١٧٢٥ كيلا ، على ظهور الحمير ، بلغ فيها دنقلة الاوردى ، على مقربة من الشلال الثالث، وعاد بعد ثمانية شهور قضاها فى ذهابه وايابه<sup>(٦٢)</sup> .

J. de Morgan, Catalogue des Monuments et Inscriptions (٥٨)

de l'Egypte Antique, I, p. 163 F.

J. H. Breasted, ARE, I, 333-336.

K. Sethe, Urk, I, 1932, p. 120-131.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 99.

Ibid., p. 119.

D Dixon, JEA, 44, 1958, p. 54-55.

(٦٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٣٨ .

ويتحدث «(حر خوف)» عن رحلته الثالثة فيقول : «أرسلنى جلالته الى يام مرة ثانية ، فخرجت من المقاطعة الثينية ، من أبيدوس — أو من بلدة «هو» الحالية (على مقربة من نجع حمادى) ، فيما يرى هرمان كيس<sup>(٦٣)</sup> على طريق المواحات ، ووجدت رئيس «ايام» قد ذهب الى أرض التمحو ، ليضرب التمح فى ركن السماء الغربى ، فذهبت وراءه الى أرض التمحو وأرضيته حتى مدح الآلهة من أجل الملك»<sup>(٦٤)</sup> .

وهكذا يحدثنا «(حر خوف)» هنا عن حروب استعر أوارها بين زعيم يام وبين قبائل التمحو ، الذين كانوا يعيشون غربى مصر ، ونجح فى عقد مصالحة بينهما رغبة منه فى تهدئة الاحوال على طريق التوافق ، حتى يستطيع تأمين سبل التجارة التى أوكل اليه «(مرى ان رع)» أمرها، وعاد من رحلته هذه ، ومعه ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والابنوس وزيت حنكووسات وجلود فهود وأنياب فيلة وبذر سمسم وبوميرانج ( عصى رماية ) وكل المنتجات العظيمة ، فضلا عن مرافقيه الذين دلوهم على الطريق .

وأما رحلته الرابعة ، فقد قام بها فى العام الثانى من حكم «ببى الثانى» وقد غطت أخبار حصوله على قزم من أسواق السودان على كل شىء آخر فى الرحلة ، وذلك حين كتب الى مولاه «ببى» يخبره بأمر هذا القزم ، فاهتم الملك الطفل بهذه الدمية ، أكثر من اهتمامه بـ «(حر خوف)» نفسه ورحلته .

ثم كتب اليه : «تعال الى الشمال ، تعال سريعا الى القصر ، وأحضر معك هذا القزم الذى جئت به من أرض الارواح حيا سالما ، وفى صحة جيدة ، ليرقص للاله ، ويدخل السرور آلاف المرات على قلب ملك مصر العليا والسفلى ، الملك «(نفر كارع)» (ببى الثانى) عاش الى الابد،

H. Kees, Ancient Egypt, London, 1961, p. 177.

(٦٣)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 100.

(٦٤)

ثم يطلب منه بعد ذلك تشديد الحراسة على القزم ، حتى لا يقسع في الماء ، وأن يسهر على راحته رجال أذكاء ، «لان جلالتي يجب أن يرى هذا القزم ، أكثر من هدايا المناجم ، وهدايا بلاد بونت» ، ثم يعهد بهداياه — بعد أن وصل القزم حيا ، وفي صحة جيدة — أكثر من تلك التي أعطيت لقائد السفينة «باور — دد» على أيام الملك «جد كارع» (اسيى) (٦٥) .

بقيت مشكلة التعريف بالاماكن التي أشار اليها «حر خوف» ، فأتين تقع — بصفة خاصة — بلاد «يام» و«واواى» و«ارتى» و«مدجا» ؟ .

لقد قام جدل طويل حول موقع «يام» والتي كانت نقطة النهاية في رحلات «حر خوف» ، فذهب «ديكسون» (٦٦) الى أنها جنوب بطن الحجر ، وأنها لا تتعدى جنوب خط ٢٢ ، بينما ذهب «جان بويوت» الى أنها في واحة دنقلة (٦٧) ، وأما الدكتور عبد العزيز صالح فالرأى عنده أنها انما تقع على مقربة من مجرى النيل ، حول الجندل الثانى (٦٨) ، على أن «جاردنر» انما يذهب بها الى ما وراء المشلال الثانى ، ولكنها ليست «كرما» التي تقع فيما وراء المشلال الثالث ، ومن ثم فهي بين المشلالين الثانى والثالث (٦٩) .

وهناك من يرجح أن رحلات «حر خوف» التي استغرقت من الزمن شهورا ستة ، واعتمدت على الحمير في تنقلاتها ، انما استخدمت درب الاربعين ، ولم تتم عن طريق النيل — كما يظن البعض — والا فقد كان

- 
- (٦٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٥٥ — ١٥٦ .  
 Urk., I, 1932, p. 129 F. وكذا  
 J. H. Breasted, ARE, I, 351 F. وكذا  
 D. M. Dixon, JEA, 44, 1958, p. 40 F. 53-54. (٦٦)  
 (٦٧) جان بويوت : مصر الفرعونية ص ٥٢ .  
 J. Yoyotte, BIFAO, LII, 1953, p. 176 F. وكذا  
 (٦٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٣٨ .  
 A. H. Gardiner, op. cit., p. 101. (٦٩)



أيسر لحر خوف أن يسافر بالنيل الى الشلال الثانى على الاقل ، حتى يتحاشى الصخور والرمال على جانبى النيل<sup>(٧٠)</sup> .

وهكذا يرجح «أركل» أن «حرخوف» انما قد استخدم «درب أسـيوط ( ) ، وأن «يام» فى رأيه انما تقع فى دارفور<sup>(٧١)</sup> ، وأما «هرمان كيس» فالرأى عنده أن «يام» انما تقع عند جزيرة «ساي» شمال الجندل الثالث<sup>(٧٢)</sup> ، ويذهب أستاذنا الدكتور أحمد فخرى — طيب الله ثراه — أن «يام» انما تقع فى المنطقة الواقعة جنوب وادى حلفا<sup>(٧٣)</sup> .

والرأى عند أستاذنا الدكتور نجيب ميخائيل أن «يام» انما تعنى من الناحية الجغرافية اقليم بحر الغزال الحالى ، وأن الوصول اليها كان عن أحد طريقين : أولهما وادى الملك بالقرب من الجندل الثالث حتى جبال النوبة (جنوب كردفان) ، ثم منطقة بحر الغزال التى يقع فيها خط تقسيم المياه بين النيل والكنغو . وثانيهما : سكة وادى الاربعين عن طريق الناشر أو شرقها بقليل مارا بالواحة الخارجة ، ومن الناشر الى بحر الغزال ، عن طريق بلاد النوبة .

ويعضد أستاذنا رأيه بأمور ، منها طول مدة الرحلات ، ومنها النص على أنها رحلات تستهدف الكشف عن بلاد مجهولة ، ومنها نوع المحصولات التى يؤتى بها من هذه البلاد وهى محاصيل استوائية ، ومنها احضار القزم الذى ربما انتقل من الكونغو مع التجار ، ومنح الاسم الذى يطلق على المنطقة التى يعيش فيها (دنج أو دنجى)<sup>(٧٤)</sup> .

- 
- (٧٠) فوزى فهميم جاد الله : المرجع السابق ص ٦٤ .  
(٧١) A. J. Arkell, A History of The Sudan from Earliest Times to 1820, London, 1961, p. 42 F.  
(٧٢) H. Kese, Ancient Egypt, A Cultural Topography, London, 1961, p. 128 F.  
(٧٣) أحمد فخرى : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧١ ص ١٥٤ .  
(٧٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢١٦ — ٢١٨ .

وأما الأماكن الأخرى ، فقد حددت «واواي» بأنها تمتد جنوبا من الجندل الأول الى مسافة كبيرة ، وأما «ارتى» فقد حددت على مقربة من «توماس» عند منتصف الطريق بين أسوان ووادي حلفا ، وأما «مدجا» فتقع على مقربة من الجندل الثاني (٧٤) .

وجاء بعد «حرخوف» محافظ آخر لاسوان ، عرف بشدة البأس ، ويدعى «ببى نخت» (٧٦) ، ويكنى «حقا - ايب» بمعنى (المتحكم فى نفسه أو صاحب القلب المسيطر) ، ونعرف من نقوش فى مقبرته بأسوان أنه كان رجلا حكيما ، يستعمل الشدة حين يحتاجها ، واللين حين يكون مناسبا (٧٧) ، فتابع سياسة سلفه فى أعمال الكشف ، وتأمين التجارة فى النوبة ، وان كنا لاندري على وجه اليقين ، ماذا حدث فى «واواي» و «ارتى» ؟ مما دفع «ببى الثانى» الى أن يرسل «ببى نخت» على رأس حملة تأديبية الى هناك ، وان كان يبدو أن الصعاب بدأت منذ رحلة «حرخوف» بسبب تلك القبائل القوية الشكيمة ، والتي بدأت تزحف من جنوب النوبة الى شمالها ، فى اتجاه الحدود المصرية ، حتى أن الرجل لم ينج هذه المرة ، إلا بجهود بعض الزعماء الذين كان يرتبط بهم بصلات الود، فضلا عن الحماية التي هيأتها له حاميته العسكرية (٧٨) .

وأيا ماكان الامر ، فان «ببى نخت» يحدثنا عن مهمته هذه ، فيقول : «أرسلنى جلالة مولاي لاسارع الى بلاد واواي وارتى ، وقد تصرفت بما أرى مولاي ، وذهبت عددا كبيرا منهم ، من أبناء الرؤساء وضباط الجيش الشجعان ، وأحضرت الى العاصمة من هناك عددا كبيرا من

---

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٧٥)  
1964, p. 101.

Urk., I, 1932, p. 131 F. (٧٦)

J. H. Breasted, ARE, I, p. 355-360. وكذا

J. de Morgan, op. cit., I, p. 175 F. وكذا

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag. 358-359. (٧٧)

(٧٨) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ص ٣٠ .

الاسرى ، وكانت على رأس مجموعة من الجنود الاقوياء المشجعان»<sup>(٧٩)</sup>

ويتحدث «ببى نخت» فى موضع آخر من قصته ، أنه ذهب مرة أخرى الى تلك البلاد لتهديئة الاحوال ، وأنه أحضر معه قائد التمرد ، مقبوضا عليه ، ومعه الكثير من الهدايا من الثيران والابقار ، ولعل هذه الحملة ، انما كانت لتهديئة النفوس ، ولإزالة آثار الحملة الاولى التى صاحبها العنف فى كثير من مراحلها ، وربما كان من نتيجة هذه السياسة — الشدة حيناً ، واللين حيناً آخر — استمرار تجارة مصر فى النوبة ، وربما وصلت هذه التجارة الى «كرما» جنوب الجندل الثالث<sup>(٨٠)</sup> .

هذا ويقص علينا «ببى نخت» (حقاً ايب) كذلك ، أن الملك قد أرسله الى «بلاد الاسيويين»<sup>(٨١)</sup> — وربما كانت تقع فى مكان ما على شاطئ البحر الاحمر — لاستعادة جثة موظف ذبحه البدو ، مع كل رفاقه — هناك ، وهو يبنى سفينة لرحلة الى بونت<sup>(٨٢)</sup> .

ولعل هذا كله انما يشير الى أنه رغم العلاقات الطيبة المعتادة ، فقد كان من الممكن أن تقوم بعض المتاعب الخطيرة فى النوبة — وكذا على شاطئ البحر الاحمر — وأن سلطة الفرعون انما كانت فى حاجة الى من يعضدها من أمراء الاقاليم ، وأن «ببى الثانى» انما قد وجد فى أمراء أسوان ذلك السند الذى يعضد هذه السلطة<sup>(٨٣)</sup> .

وجاء بعد ذلك «ميخو» وولده «ساببى» ونعرف من نقوش

---

A. H. Gardiner, op. cit., p. 89. (٧٩)

G. A. Reisner, ZAS LII, 1917, p. 43 F. (٨٠)

G. A. Reisner, Exavations at Kerma, Cambridge, 1923, p. 16. وكذا

J. H. Breasted, ARE, I, Chicago, 1906, p. 360. (٨١)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 101. (٨٢)

W. S. Smith, CAH, I Part, 2, 1971, p. 194. وكذا

K. Sethe, Urk., I, 1932, p. 131-135. وكذا

(٨٣) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص

٥٨ — ٦٤ .



مقبرتيهما في أسوان<sup>(٨٤)</sup> أن «ميخو» قد دفع حياته ثمنا لتفانيه في خدمة فرعون ، حيث قنله أحد رجال القبائل النوبية ، أبان عودته من إحدى رحلاته •

ويحدثنا «سابنى» أنه خلف أباه في إمارة أسوان ، وأنه قد أسرع لاحتضار جسد أبيه من بلاد «واواى» و «ارتى» وليهدىء الأحوال في تلك البلاد ، وهناك في منطقة نائية نجح في الحصول على بغيته ، وفي أن يعود بها الى «واواى» ثم يرسل الى فرعون يخبره بما حدث ، فيأمر بارسال المحنطين الملكيين من العاصمة منف لتحنيط الجثة ، ثم دفنها بما يتفق ومكانة رجل ضحى بحياته من أجل مولاة الفرعون • وأخيرا يصدر الملك أوامره بأن يتولى «سابنى» وظائف أبيه ، ثم يكتب اليه قائلا : لقد فعلت كل هذه الاشياء العظيمة مكافأة لك على عملك الكبير ، لانك أحضرت جثة أبيك<sup>(٨٥)</sup> •

وأخيرا فهناك في مقابر قادة المبعثات في أسوان ، ما يشير الى رحلات بحرية الى بيلوس وبلاد بونت ، الامر الذى ظهر ربما بصورة منتظمة في الاسرة السادسة<sup>(٨٦)</sup> •

### (٣) في الغرب

هناك في حجر بالرمو ما يشير الى أن «سنفرو» — مؤسس الاسرة الرابعة — انما قد قام بحملة ضد «تيحزو اللبيين» وأنه قد حصل على غنائم كثيرة منها ، فقد أسر من «التحنو» ١٩٠٠ أسيرا ، واستولى على ١٣١٠٠ رأسا من الماشية والاعنام<sup>(٨٧)</sup> ، وليس هذا مجال الدخول

---

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, p. 362-374. (٨٤)

(٨٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٥٧ — ١٥٨ •

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 194. وكذا

W. S. Smith, op. cit., p. 194. (٨٦)

K. Sethe, Urk., I, 1932, p. 140. وكذا

E. Drioton et J. Vendier, Les Peuples de L'Orient (٨٧)

Mediterraneen, II, l'Egypte, Paris, p. 170.

في مناقشة جدلية حول القيمة التاريخية لهذه الأرقام ، طالما أنها المصدر الوحيد لدينا ، وهي تشير — على أى حال — الى وجود اضطرابات على الحدود الغربية في ذلك العهد ، مما أدى الى القيام بعمليات عسكرية كبيرة هناك (٨٨) .

وفي الاسرة الخامسة ، يبدو أن الاضطرابات قد تجددت على الحدود الغربية ويقدم لنا معبد «(ساحورع)» الجنازى في «(أبو صير)» مناظر توضح نشاطه العسكرى ضد فريق من عصاة القبائل الليبية في الصحراء الغربية ، مسجلة أعداد الاغنام والماعز والماشية التى تم الاستيلاء عليها ، وهى من الكثرة بحيث تدل على أن واحاتهم ومناطقهم الساحلية كانت وغيرة العشب والمرعى ، كما تصور المناظر اخضاع أمراء أجانب وعائلاتهم ، حيث تقدم لنا زوجة الامير الليبى الاسير وولديه ، وقد كتبت اسمائهم فوق مناظرهم (٨٩) .

ومن عجب أن نلتقى بالمنظر نفسه في معبد الملك «(ببى الثانى)» من الاسرة السادسة ، حيث يحمل الامراء الليبيون الاسماء نفسها (٩٠) ، ولعل هذا هو الذى دفع «(أركل)» الى القول بأن الكثير من هذه المناظر التى تمثل الحروب والانتصارات لا تخرج عن كونها مناظر تقليدية (٩١) ، والامر كذلك بالنسبة الى «(ايتين دويوتون)» و «(جاك فاندييه)» ، اللذين ذهبوا الى أن هذه المناظر والنقوش ، يجب ألا تأخذ كوثائق تاريخية ، دون أن نضعها تحت منظار البحث العلمى (٩٢) .

ومع ذلك ، فليس هناك من ريب، في أن مناظر معبد الملك «(ساحورع)»

---

(٨٨) فوزى فهميم جاد الله : المرجع السابق ص ٦٢ .

A. Weigall, op. cit., p. 43. (٨٩)

G. Jequier, le Monument Funeraire de Pepi II, Vol, II, (٩٠)  
Cairo, 1963, p. 8-11.

A. J. Arkell, op. cit., p. 95. (٩١)

E. Drioton et J. Vandier, op. cit., p. 100. (٩٢)

مناظر أصيلة<sup>(٩٣)</sup> ، فضلا عن أن فائدة هذه المناظر والنقوش جد كبيرة، حتى وان كانت مناظر تقليدية ، ذلك لانها انما تقدم لنا الكثير من مميزات الازياء والملابس والاسلحة وغيرها من المميزات والخصائص ، مما أفاد المعرفة التاريخية كثيرا<sup>(٩٤)</sup> .

وفي الاسرة السادسة ، يحدثنا «ونى» أنه ضم الى جيشه الذى قاده الى غربى آسيا ، ليقضى على الاضطرابات هناك ، جنودا من «أرض التمحو»<sup>(٩٥)</sup> ، كما أن رئيس القوافل «حر خوف» يحدثنا فى مقبرته بأسوان ، أنه تقدم الى «أرض التمحو» أثناء رحلته الى بلاد «يام»<sup>(٩٦)</sup> — الامر الذى ناقشناه من قبل .

---

(٩٣) H. Kess, Ancient Egypt, 1961, p. 170 F.

(٩٤) فوزى فهميم جاد الله : المرجع السابق ص ٦٣ .

(٩٥) J. A. Wilson, Asiatic Campaigns under Pepi I, ANEI, 1966, p. 228.

(٩٦) Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 100.





## الباب الثالث

### عصر الثورة الاجتماعية الاولى

ويتكون من :

- ١ - الفصل الاول : أسباب قيام الثورة الاجتماعية الاولى .
- ٢ - الفصل الثاني : الحياة السياسية في عصر الثورة الاجتماعية الاولى .
- ٣ - الفصل الثالث : نتائج الثورة الاجتماعية الاولى .





# الفصل الأول

## أسباب قيام الثورة الاجتماعية الاولى

يختلف المؤرخون في الوقت الذي قامت فيه الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية ، فبينما يرى فريق منهم انها انما تقع في عهد «ببى الثانى» ، يرى فريق آخر انها انما تقع في عهد خليفته الضعيفين ، وانى لأعتقد أن عهد « ببى الثانى » قد مهد لقيام الثورة ، وأعطاه مبرراتها ، ولكنها لم تنجح في عهده ، وانما في عهد آخر خط الملوك المدغيين ، فربما قامت في عهد «مرى ان رع» (عنتى ام سا اف) وأنه دفع حياته ثمنا لها ، وطبقا لرواية «هيروودوت» عن الملكة «نيتو كريس»<sup>(١)</sup> فان «مرى ان رع» قد قتل بيد رعاياه<sup>(٢)</sup> .

وربما قامت الثورة<sup>(٣)</sup> في عهد «نيتو كريس» نفسها ، وربما كان انتقامها لأخيها ، حين احتالت على قتلته حين حبستهم في قصرها ، ثم أطلقت عليهم ماء النهر فجأة ، عن طريق سد سرى ضخم ، ثم انتحرت

---

(١) اختلفت المؤرخون في الملكة «نيتو كريس» ، فاعتبرها بعضهم أم الملك «ببى الثانى» واعتبرها آخرون زوجته وأخته ، وربما عاشت بعده ، واعتبرها فريق رابع امرأة انتهت اليها وراثة العرش في آخر الاسرة السادسة ، وأنها انفردت بالعرش لمدة عامين . غير أن أيامها انتهت بانهاير الاسرة بعدها ( عبد العزيز : المرجع السابق ص ٤٠٠ ) .

وكذا P. E. Newberry, Queen Nitocris or The Six Dynasty, JEA, 29, 1943, p. 51-54.

(٢) هيروودوت يتحدث عن مصر - ترجمة محمد صقر خفاجة ص

٢١٣ - ٢١٦ .

Herodotus, II, Parag, 100.

وكذا

(٣) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن «الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية» فقد كانت موضوع رسالته التي حصل بها عام ١٩٦٦ على درجة الماجستير من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية .

بعد ذلك ، حين ألقت بنفسها في أتون متأجج من النار ، وقضت على نفسها بنفسها •

وربما أدى ذلك الى أن ينتهز الشعب فرصة خلو العرش من شأغليه ، وانتقاما لكثيرين قتلوا من المصريين ، فكان ذلك سببا مباشرا للقيام بالثورة — بجانب أنه بابها الاخرى الاصلية ، والتي سنوجز الحديث عنها حالا — ومع ذلك فهذه كلها افتراضات<sup>(٤)</sup> ، اذ أنه من المستحيل أن نقرر في أية لحظة حدث الاضطراب الخطير ، وأما حدوثه فأمر ليس فيه شك ، وهناك ما يدعو الى الظن بأن الفوضى قد ظلت بصفة مستمرة أو متقطعة ، حتى الاسرة الحادية عشرة<sup>(٥)</sup> •

ان المؤرخ لتاريخ مصر الفراعنة ، حين يصل الى عهد الثورة الاجتماعية الاولى ، فان عدة مشاكل تظهر أمامه وتحتاج الى حل ، وأول ما يخطر بباليه دوافع تلك الثورة التي قام بها المصريون ضد مليكهم ، وهم يعتقدون في ألوهيته ، وفي الحقيقة ان الثورة لم تكن ضد الفرعون وحده ، وانما كانت كذلك ضد الكهانة — بل وضد الآلهة نفسها — فضلا عن أمراء الاثالييم ، وأن ذلك كله انما حدث في أخريات أيام الأسرة السادسة ، عندما وصلت حالة البلاد الى درجة كبيرة من السوء ، نتيجة عوامل اقتصادية وسياسية ، فضلا عن عوامل نفسية ، وأخرى خارجية ، وكان الوعي الشعبى وقت ذلك قد وصل الى درجة ، دفعت الثائرين الى القيام بثورتهم •

#### ١ - الاسباب الاقتصادية :

قامت الثورة الاجتماعية الاولى لاسباب اقتصادية كثيرة ، منها (أولا) تشييد مبان تهدد الاقتصاد القومى ، وتشييد أهرام لكل ملك

---

(٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ١١٨ - ١١٩ •  
(٥) A. H. Gardiner, op. cit., p. 190.

جديده، أهرام كان المفروض في كل منها أن يظل على الدهر ، وكانت تبني واحدا بعد آخر في كل جيل .

ولقد كان بناء الأهرامات وغيرها من المباني الدينية ، نتيجة سطوة الدين على المصريين ، وأثره في حياتهم وتفكيرهم ، فالدين — كان ولا يزال وسيظل — أكبر قوة تؤثر في حياة الإنسان ، كما أنه كان منفذا للخيالات ، ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التفسير الذي أوحى اليه بفكرة الخلود ، أو الحياة بعد الموت ، هذه الفكرة قد اعتنقها القوم وكان لها أكبر الأثر في نفوسهم ، بل إنه — فيما يرى برستد — لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التي احتلتها في نفس الشعب المصري القديم (٦) .

وكان من نتائج ذلك أن ترك لنا المصريون القدامى عددا هائلا من المقابر والأهرامات والمعابد التي لا يمكن حصرها ، بينما لا نجد الا قليلا من المنازل التي كان يعيش فيها القوم ، بل أن العواصم الكبرى — كمنف وطيبة — قد اختفت ولم تكد تترك أثرا ، ولعل السبب في ذلك أن الأولى إنما كانت تبني بالأحجار ، بينما كانت الثانية تبني بالطين ، ايمانا منهم بأن الأولى أبدية ، وأن الأخرى وقتية .

غير أن هذه العقيدة ، وما نتج عنها من مبان ضخمة هائلة أرهقت الاقتصاد القومي ، وألقت عبأ ثقيلا على خزائن الدولة ، وإذا صدقنا رواية هيروdot من أن بناء الهرم الأكبر استغرق عشرين عاما ، عمل فيه مائة ألف رجل ، كان يستبدل بهم غيرهم كل ثلاثة شهور ، وأن بناء طريق مرتفع (الطريق الصاعد) لنقل الأحجار التي استخدمت في بناء

---

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, London, 1939, p. 45.

(٦)



الهرم انما استغرق عشر سنوات ، وأن هذا العمل لا يقل مشقة عن بناء الهرم نفسه (٧) .

إذا صدقنا ذلك ، وأضيف اليه أن سنة ملوك الدولة القديمة ، انما كانت بناء الاهرامات ، حتى بلغ مجموع ما في مصر من أهرام أكثر من سبعين هرما نعرف أماكنها ، ويصعب على أى انسان أن يذكر تقديراً صحيحاً لما عساه أن يكون ما يزال مدفوناً منها تحت رمال الصحراء (٨) ، لظهر لنا أى عبء ألقى على خزانة الدولة .

ومع ذلك فقد ظلت هذه العادة متسلطة على عقول التوهم وعقائدهم ، حتى أننا نرى فى الاسرة السادسة — رغم ضعف ملوكها ، ونقص موارد خزانها — فقد سار ملوكها على سنة أسلافهم من الفراعين العظام فى بناء أهرامات يدفنون فيها ، بل ان «ببى الثانى» — الذى وصلت البلاد فى عهده الى مرحلة تنذر بالخطر — لم يكتف ببناء هرم له ، وانما بنى — الى جانب مجموعته الهرمية — (٩) أهرامات ثلاث لثلاث ملكات من زوجاته ، وهن «نيت» و «ايوت» (١٠) و «أوجبتن» (١١) .

وهكذا اهتم الفراعين فى عهد الدولة القديمة ببناء الاهرام اهتماماً كبيراً ، وقد كلف ذلك خزانة الدولة ما لا تطيق ، خاصة فى أخريات عهد الدولة القديمة ، عندما وصلت مواردها الى حد أن أصبحت حكومتها شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها ، وممارسة حقوقها ، وتحمل تبعاتها ، ومع ذلك لم ينس الفراعين أن يقيموا لانفسهم أهراما يدفنون فيها ،

---

(٧) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٤٧ — ٢٥٥ .  
وكذا G. Rawlinson, The History of Herodotus, II, London, 1929, p. 177-179.

(٨) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٦ .  
(٩) G. Jequier, Les Monuments Funeraires de Pepi, II, 3 Vols, Cairo, 1936-1940.

(١٠) G. Jequier, Les Pyramides des Reines Neit et Apouit, Cairo, 1933.

(١١) G. Jequier, Pyramide d'Neupjeptin, Cairo, 1928.

مما أرهاق الشعب أيما إرهاق ، وجعل بؤادر السخط تتجمع ضدهم ، وهكذا يمكن أن يقال أن ما أنفق من أموال على هذه الجبانات الضخمة إنما كان واحدا من عوامل الثورة ، وإن كان هذا لا يعنى أن العاملين فى بنائها كانوا مكرهين ، لا راضين ، فذلك أمر آخر •

وكان السبب الاقتصادى الثانى : ذلك العبء الناتج من تخصيص هبات دائمة للصرف منها الى أبد الابدین على العناية بمقابر الملوك والمكآت ، فضلا عن الامراء والنبلاء ، ومن ثم فقد كان الملوك يبعدون جزءا من الاراضى عن حظيرة الاقتصاد الطبيعى ، والقاء تبعات ثقيلة على الاراضى الاخرى<sup>(١٢)</sup> ، وكانت تلك الأوقاف تبلغ أحيانا مقداراً كبيراً من المال ، ففي القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد ، أوقف على قبر الأمير «نكاو رع» بن «خفرع» ما لا يقل عن اثنى عشرة بلدة من ممتلكاته الخاصة ، وأوقف كل دخلها على صيانة قبره<sup>(١٣)</sup> •

وفى الأسرة السادسة أصدر «ببى الأول» أمرا ملكيا نيابة عن سلفه «سنفرو» لصالح هدينتى هرميه ، جاء فيه «أمر جلالتي بأن تعفى هاتان المدينتان الى الابد من آداء أى عمل للقصر الملكى ، ومن أى عمل بالقوة لاجل المقر الملكى الى الابد ، ومن أية سخرة يأمر بها أى انسان الى الابد»<sup>(١٤)</sup> •

وفى عهد «ببى الثانى» صدر مرسوم ملكى باعفاء جميع العاملين بمعبد الاله «مين» فى مدينة «قفط» من أية التزامات نحو الدولة ، ويصب اللعنات على أى حاكم للصعيد يكلفهم بأى عمل أو يأخذ منهم حبوبا أو مائثية ، بل انه يتجاوز كل حد عندما ينظر الى من يفعل ذلك ، على أنه خائن<sup>(١٥)</sup> •

---

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, (١٢)  
1963, p. 98.

J. H. Breasted, A History of Egypt, London, 1946, p. 60. (١٣)

J. A. Wilson, op. cit., p. 99. (١٤)

W. C. Hayes, JEA, 32, 1946, p. 3-23. (١٥)

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, p. 99-100 وكذا

وليت الأمر يقتصر على ذلك ، بل ان أمراء الأقاليم قد فتحوا قبورهم في حفور أقاليمهم ... وخاصة في مصر العليا والوسطى ... وكان ذلك عباً جديداً على الخزينة ، كلف الكثير من المال ، حتى رأينا مدير قصر الملك «وسر كاف» يعين ثمانية من الكهنة الجنازيين لخدمة قبره ، ويكافئ الملك «ساحورع» أحد رجاله المقربين ، ويدعى «برسن» بأن يحول اليه دخلاً من الخبز والزيت كان يصرف من قبل على الملكة «نفر حتبه»<sup>(١٦)</sup> ، ولعل الذي دفعه الى ذلك انما هو الرغبة في التخلص من تلك الالتزامات الثقيلة التي نشأت من تضاعف عدد المقررات الموقوفة على القبور ، وذلك بتحويل القرابين التي كانت مخصصة من قبل لقبور قديمة الى قبور حديثة العهد<sup>(١٧)</sup> .

وأما ثالث الاسباب الاقتصادية ، فهو عبء مشتري الولاء من حكام الأقاليم المصرية البعيدة عن العاصمة ، وذلك حين بدأ هؤلاء الحكام يتباعدون عن الملوك ، وينشدون خلودهم في أقاليمهم ، وبذا تولدت لديهم نزعة فردية دفعتهم على أن يتباهوا بما فعلوه ، وبما رفع من شأنهم في خدمة الملوك ، وكلما مر الزمن ، وضعف الملوك ، زاد حكام الأقاليم في تباهيهم بما نجحوا فيه ، مما اضطر الملوك الى أن يعدلوا على اكتساب رضاهم ، واقطاعهم الاراضى لربط دخلها على مقابرهم ، التي كان يقومون ببنائها من خزانة الدولة .

وتحدثنا الوثائق التاريخية أن «ونى» قد التمس من فرعون أن يعطيه تابوتا من الحجر الجيري من طره ، فأعطاه الملك التابوت ، فضلا عن غطاءه ، الى جانب الباب الوهمى ومائدة القرابين<sup>(١٨)</sup> ، ومن المعروف أنه قد تمتع بهذا العطف الملكى أحد أمراء الصعيد (زعو) ، عندما التمس من الملك أن يهدى أباه من بيت المال تابوتا وكتانا وعطرا ، فأمر

J. H. Breasted, op. cit., p. 61.

(١٦)

Ibid., p. 62.

(١٧)

(١٨) جيمس هنرى برستد : فجر الضمير - ترجمة سليم حسن -

القاهرة ١٩٥٩ ص ٦٩ .



الفرعون باحضار تابوت من خشب ، فضلا عن عطور وزيت ومائتي  
قطعة من أجود الكتان (١٩) .

ويسمح الملوك بأن يرث الابناء آباءهم في اقطاعياتهم ، وتتوزع  
ثروة البلاد بين الاسر القوية ، في الوقت الذي تتناقص فيه ثروة الملك  
تدريجيا ، ويلجأ الفراعين الى وسائل عدة لاسترداد سلطنتهم ،  
فيتعهدون تربية أبناء الحكام في قصورهم ، لعلهم يصبحون أوفياء  
للعرش ، حين تصبح الامور بأيديهم في أقاليمهم (٢٠) ثم يعيدون وظيفة  
«حاكم الصعيد» ، الذي يعهدون اليه بالاشراف على ضرائب الصعيد ،  
وشئون حكامه (٢١) ، الا أن ذلك كله لم يغير من الوضع شيئا ، ولم  
ينجح الملوك في كسب ولاء الحكام ، الذين أخذوا يستقلون عن الفراعين  
بأقاليمهم ، مما أدى آخر الامر الى قيام حكومة متنافسة أحيانا ،  
ومتعادية أحيانا أخرى ، وحين تخرج الموقف للغاية ، عمت الفوضى في  
البلاد ، وبالتالي قامت الثورة الاجتماعية الاولى .

وأما رابع الاسباب الاقتصادية : فهو انقطاع أو احتمال انقطاع  
الموارد التي كانت تأتي من التجارة الخارجية ، والتي كانت احتكرا  
ملكيا ، فقد كانت مصر على علاقات تجارية مع بلاد غربى آسيا ، ومع  
جزر البحر المتوسط ، ومع النوبة وليبيا وبلاد بونت ، وتدلنا نصوص  
أواخر الدولة القديمة على وجود اضطرابات في تلك البلاد الاجنبية  
التي كانت تتجر معها مصر ، مما استدعى بعض اجراءات حربية في  
النوبة والسودان (٢٢) ، ومنها تلك الحملات التي أرسلت لتأديب النوبيين  
تحت قيادة «ببى نخت» (٢٣) ، وتلك التي أرسلت الى غربى آسيا تحت

A. H. Gardiner, ZAS, 79, 1954, p. 95-96.

(١٩)

Urk, I, p. 251 F.

(٢٠) أنظر :

H. Kees, ZAS, LXIV, p. 93.

وكذا

(٢١) ايتين دريوتون وجاك فاندييه : المرجع السابق ص ٢٦٣ .

J. A. Wilson, op. cit., p. 100.

(٢٢)

J. H. Breasted ARE, I, 1906, Parag. 360, p. 163.

(٢٣)

قيادة «نفي» للأقضاء على التمرد عند أنف المرثم (٢٤) .

٢ ... الأسباب الاجتماعية :

كان الفرعون يتمتع بوضع خاص بين رعاياه ، ربما يبعده عن وضع الطبقات إذ كان القوم يعتقدون أنه ليس واحدا من البشر وإنما هو إله ، ورغم ذلك فهناك نصوص — وإن كانت نادرة — تكشف في ومضات قصيرة عما كانت تنحوي عليه نفس هذا الإله من مشاعر نبيلة ، ولمسات إنسانية نحو رعاياه ، تبدو في بعض المناسبات فتومض كالبرق الخاطف وسط تكاليف الحياة الرسمية الصارمة ، فهناك «نبوءة نفرتي» ، والتي تتحدث عن «سنفرو» على أنه كان ملكا محسنا ، وأنه كان حين يخاطب أحد رعاياه ، إنما يقول له : «يا صاحبي» ، وحين يوجه حديثه إلى رجال بلاطه إنما يخاطبهم بقوله : «يا اخوتي» ، ثم حين ينزل من عليائه الإلهية ليقوم بعمل «كاتب» فيهد يده إلى صندوق مواد الكتابة ، ويأخذ قسطا وقلمًا ومدادًا ، ثم يدون حديث الكاهن المرتل «نفرتي» ، حكيم الشرق التابع للإلهة «باست» (٢٥) .

وهناك ما يروى عن الفرعون «نفر اير كارع» — ثالث ملوك الأسرة الخامسة — من أنه لم يترفع عن أن يترضى أحد رجاله ، ويدعى «رع ور» عندما لحظت عصا الفرعون ساقه عن غير قصد ، بل أنه إنما يأمر بأن ينقش ذلك على لوحة وضعت في مقبرة هذا الموظف (٢٦) ، وهناك قصة أخرى تبين مدى حزن نفس الفرعون على ما أصاب وزيره «واش بتاح» ، الذي وافته منيته فجأة ، عندما كان «نفر اير كارع» يتفقد إحدى المنشآت الملكية ، وأنه حاول اسعافه ولكنه فشل ، ثم عاد

A. H. Gardiner, op. cit., p. 96. (٢٤)

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 112. (٢٥)

S. Hassan, Excavations at Giza, (Season 1929-1930), I, Oxford Cairo, 1932, p. 18-19. (٢٦)

A. Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, Paris, 1968, p. 45. وكذا

الى حجرته يدعوه ربه «رع» من أجل وزيره ، ثم يأمر ولده بأن يسجل الحادث على قبره الذى منحه اياه<sup>(٢٧)</sup> .

هذا وقد كانت الطبقة الحاكمة ترتبط بالملك بروابط كثيرة ، ففي النصف الاول فى الدولة القديمة كان أمراء الاسرة المالكة يعينون فى منصب الوزارة ، كما كانت هناك مصاهرات بين أفراد من البيت الملكى ، وآخرين من الشعب ، — كما حدث فى زواج الامير «رع حوتب» من «نوفرة الجميلة» التى لم تحمل غير لقب يصلها بحاشية الملك أو معارفه (رخت نيسو)<sup>(٢٨)</sup> ، وزواج «بتاح ثبس» من ابنة «ثبسسكاف» — بل ان «ببى الاول» قد أصهر الى احدى الأسر القوية فى الصعيد ، حين تزوج من ابنتى أمير أبيدوس ، الواحدة تلو الاخرى<sup>(٢٩)</sup> .

وهكذا فان وجود أبناء الملك وأقاربه انما يجعل الخط الفاصل بين الملك والطبقات الاخرى غير واضح المعالم<sup>(٣٠)</sup> ، ولكن من ناحية أخرى، فان هذه الطبقة انما كانت بمثابة همزة الوصل بين الملك ورعيته ، وأنها تمتعت بالمناصب الكبيرة ، ثم الحصول على امتيازات كانت من قبل وقفها على الملوك دون سواهم .

وأما طبقة العامة ، فكانت تشمل التجار والصناع والعمال والفنانين والفلاحين ، وأما التجار فهم أصحاب التجارة الداخلية ، والتى كانت محدودة لدرجة كبيرة ، ومن ثم فان النصوص لا تتحدث عن التجار ، مما يدل على أن التجارة الداخلية ابان تلك الفترة لم تلعب دورا هاما، اذ أنها لا تعدو المعاملات المحدودة ، والتى تجرى فى الاسواق المحلية ، وقوم هذه صناعتهم لا ينتظر أن يكون لهم دور كبير فى تاريخ البلد

---

J. H. Breasted, ARE, J, Parag. 257 F. (٢٧)

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٣ . (٢٨)

A. Mariette, Catalogue General des Mouvments d'Abydos, (٢٩)  
No. 253.

J. A. Wilson, op. cit., p. 76. (٣٠)



الذى يعيشون فيه ، ومن ثم فانهم لم يقوموا بدور هام في الثورة أو في هوانها ، اللهم إلا اذا كانوا قد شاركوا في الأحداث المؤلمة ، أبان الثورة ، حين اختلط الحابل بالنابل ، وانتشر الغرغاء من القوم يبعثرون أشلاء الموتى ، ويحرقون قصور الاغنياء ، وينهبون مخازن الحكومة ، ويبعثرون محتويات مكاتبها ، وينشرون الرعب بين الناس (٣١) .

أما الصناع والفنانون فكانوا أكثر عددا ، وأشد خطرا من التجار ، وذلك يرجع الى حرفتهم نفسها وأهميتها بالنسبة الى الحضارة المصرية القديمة ، والتي كانت في أخص صفاتها حضارة فنية راقية ، وفنونها وصناعاتها هو أجل ما امتازت به ، حتى لا يعادلها شيء من عقائدها وآدابها وعلومها ، ولو لم يكن الفنانون والصناع موضع تقدير المجتمع وتشجيعه ، لكان من المستحيل أن يبلغا ذروة الابداع مع كثرة في الانتاج لا يدانيها انتاج أية أمة أخرى (٣٢)

وليس أدل على قيمة الفن والفنان من أن رئيس كهنة منف ، انما كان يعد في الدولة القديمة ، رئيسا أعلى للفنانين ، ويحمل لقب «المشرف العام على الفنانين» ، وربما كان يزاول المهنة ، وربما لان الاله بتاح كان بمثابة الفنان بين الالهة المصرية ، ومن ثم فقد أصبح كبير كهنة أكبر فنان في مصر ، كما تحتم على كهنة اله الحق والعدل أن يكونوا المشرفين على القضاء ، ولقد استمر اشراف كبير كهنة بتاح على أهل الفن في مصر طوال العصور التي بقى فيها بتاح رب منف (٣٣) .

كان المرجو أن تكون حياة الصناع والفنانين ميسرة ، جزءا وفاقا لما أنتجوا من فن رائع ، ولكن ليس هناك من دليل على أنهم كانوا من أهل الميسرة ، وان لم يكونوا فقراء ، كبقية الطبقة العاملة ، وقد وضعهم

---

(٣١) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر  
الفرعنة - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٧٦ - ٧٩ .

(٣٢) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٣٣) أدولف ارمان وهرمان رانكة : المرجع السابق ص ٤٨٥ .

«برستيد» الذي قسم المجتمع الى أمراء وعبيد ، (وان كنا لا نوافق على هذا التقسيم) بين هاتين الطبقتين ، ودعاهم بالطبقة الوسطى ، التي احتكرت الصناعات والفنون الجميلة ، وبرعت فيها كثيرا (٣٤) .

وانطلاقا من هذا ، فالرأى عندي أن هذه الطبقة التي تمثل الوسط في المجتمع المصري القديم ، انما قد قامت بدور ليس بالهين اليسير ، ذلك لان هذه الطبقة الوسطى هي التي تشمل في الغالب الثورات بين الشعوب حين تنور ، لانها بحكم وضعها المحك بين الطبقتين العليا والدنيا ، كما أنها في الغالب الاعم ، لم تفسد عن متع وانغماس في الشهوات ، ولم تذلل عن فقر واملاق ، ومن ثم فهي غالبة — في كل الشعوب — تحمل سمات المجتمع بما فيه من نقائص وعيوب ، وكذا بما فيه من حسنات وأفضال .

وأما طبقة العمال ، وهم الذين كانوا يعملون في المناجم والمحاجر ، وفي بناء الاهرامات وفي المقابر والمعابد ، وكانت الدولة هي التي تحتكر استغلال المناجم والمحاجر ، وهي التي تشرف على العمال ، بطريقة تضمن العناية بهم والسهر على مصالحتهم ، فكانت تجند طوائف من العمال المختصين تحت اشراف رؤساء للعمال يقسمون الى فرق ، ثم الى زمر ، وكانت كل فرقة تحمل اسما معيناً ، وكان هناك كاتب يسجل أسماء كل فرقة ، كما كان يسجل عملها وتاريخ انجازه ، هذا الى جانب مفتشون يمرون يوميا أو أسبوعيا ، وقد عثر في منطقة الاهرام على مساكن للعمال ، على هيئة قاعات ضيقة طويلة ، يبلغ عددها قرابة المائة ، ويتسع كل منها لنحو خمسين عاملا .

وقد أسهمت طبقة العمال هذه بنصيب وافر في بناء هذه الشوامخ ، من الاهرامات الخالدة ، والمعابد الضخمة ، والمقابر البديعة ، مما يثبت

---

James Henry Breasted, A History of Egypt., New York, (٣٤)  
1946, p. 85.

تلك الانتصارات المادية التي لم يسبق لها مثيل ، اذ لم يوجد شعب آخر في بقاع العالم القديم ، نال من السيطرة على عالم المادة — بحالة واضحة للعيان تنطق بها آثاره للآن — مثل ما ناله المصريون القدماء في وادي النيل ، فلقد بنى المصريون الاقدمون بنشاطهم الجم صرحا من المدنية المادية ، يبدو أن الزمن يعجز عن محوه محوا تاما (٣٥) .

ومع ذلك فيبدو أن هذه الطبقة لم تعيش حياة ، تتفق والمجد الذي حققته للحضارة المصرية ، ربما كان النظام الدقيق الذي اتبع مع العمال ، قد أعطاهم بعض حقهم ، وضمن لهم مأكلا وملبسا ، وربما كانوا أحسن حالا من الفلاحين ، حتى أن الحكيم المصري «ايبو — ور» عندما أراد أن يبين أن الصناعة قد تعطلت وأن الفنون قد أفسدها أعداء البلاد ، يقول دليلا على ذلك «حقا لقد أصبح بناء الاهرام فلاحين» مما يشير الى أن العاملين في بناء الاهرام أفضل حالا من العاملين في الزراعة ، وأما دور هذه الطبقة في الثورة ، فربما كان أكثر أهمية من دور الفلاحين ، وأقل خطرا من دور الصناع والفنانين .

وكانت طبقة الفلاحين — كما هي الآن — تؤلف الغالبية العظمى من الشعب ، وربما كانت تتكون من فريقين الواحد : يملك أرضه وحقله ، والآخر : أجير عند الفرعون — باديء ذي بدء — ثم عند النبيل أو حاكم الاقليم ، حين شارك هؤلاء سيدهم الغنيمة ، وكان هذا الفريق مرتبطا بالأرض ، لا ينفك عنها بحيث اذا انتقلت ملكية الأرض ، انتقلت معها تبعيتهم من المالك القديم الى المالك الجديد ، وكان عليهم بجانب العمل في الزراعة أن يعملوا كذلك في حفر الترع والقنوات واقامة السدود ، أما دور هذه الطبقة في الثورة ، فيبدو أنه أقل من غيرها .

وعلى أى حال ، فلم يكن هناك نظام صريح ، يظل فيه النبلاء

---

James Henry Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 115-116. (٣٥)



والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلا بعد جيل ، ذلك لان قودما عمالين متمسحين ... كالمصريين ... لا يمكنهم اجبار شخص لكى يظل دائما فى طبقتة التى توارثها ، ان واثتة فرصة أو ضرورة للتغيير ، ففى العصور التى نمت فيها البلاد أيام الدولة القديمة كانت تحتاج الى خدمات الاكفاء من الرجال ، وفى مثل تلك الظروف يمكن أن يوجد الصناع من بين الفلاحين ، ويكون خدم المنازل عمالا مهرة ، ثم يكافأون بالممتلكات والوظائف والمميزات ، ومن ثم يصبحون ضمن الارستقراطيين (٣٦) .

وهناك أمثلة كثيرة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين الى موظفين كبار فى الدولة ، فمثلا هناك «ونى» الذى يفهم من نصه المشهور (٣٧) ، أنه رجل من أسرة بسيطة جدا ، استطاع أن يرتفع الى كثير من الوظائف المرموقة فى البلاد ، ذلك أنه بعد أن خدم كموظف صغير فى عهد الملك «تتى الاول» ، أصبح فى عهد «ببى الاول» واحدا من رجال البلاط المقربين ، ثم عين بعد ذلك فى مركز كهنوتى ، ثم سرعان ما اكتسب ثقة سيده الذى عينه قاضيا لمساعدة الوزير فى مؤامرة أفرخت فى الحريم الملكى ، والبيوت الستة الكبرى (٣٨) ، وحين أنهى هذا الواجب الهام ، أصبح القائد العام لاحدى الحملات الحربية التى أرسلها الملك الى آسيا ، ثم سرعان ما أصبح «حاكم الصعيد» وأخيرا فلقد أنهى حياته بأن أصبح مؤدبا لابناء الملك ، ورقيبا له فى مخدعه (٣٩) .

وهناك المهندس المعماري «نخبو» الذى بدأ حياته بناء عاديا ثم

---

J. A. Wilson, op. cit., p. 75. (٣٦)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 227-228. (٣٧) أنظر :

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag., 291-294, 306-313, وكذا  
319-324, p. 134-135, 140-150.

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٣٨)  
1964, p. 94-95.

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, (٣٩)  
1963, p. 89.

مفتش بنائين ، ثم رئيس بنائين ، ثم مشرفا على طائفته ، ثم سرعان  
ما أصبح الرفيق الوحيد ومصمم المباني الملكية في البيتين القبلي  
والبحري (٤٠) .

وعلى أى حال ، فالرأى عندى أن الوظائف العليا انما كانت متاحة  
لكل من تتوافر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف ، إلا أن ذلك  
لم يكن الا من الناحية النظرية ، اذ ارتفع من الطبقات الدنيا الى  
الطبقات العليا الاقلون ، غير أن الاكثريه انما قد بقيت فى قاع المجتمع ،  
يذيقها من هو أعلى منها سوء العذاب .

وهكذا كانت هناك أسباب اجتماعية للثورة ، ربما نتيجة تسلطة طبقة  
خاصة على كل الوظائف الهامة فى البلاد ، وربما نتيجة استغلال هذه  
الوظائف الهامة استغلالا سيئا ، صحيح أن مصر قد نادت بالمساواة  
النظرية ، لكن ضعف الملوك أمام قوة حكام الاقاليم وأبناء الاسر الكبيرة ،  
واتجاههم نحو النزعة الفردية ، قد جعل هذه المساواة النظرية غير ذى  
موضوع ، ومن ثم فقد بقى نظام الطبقات المنفصلة معترفا به حتى  
قيام الثورة .

وهكذا يمكننا القول أن الثورة ربما أرادت فى هذا المجال أن تقضى  
على نظام الطبقات المنفصلة ، وأن تضربها فى قوتها التى تستند اليها ،  
وقد نجحت الى حد ما فى ذلك ، حتى رأينا الملك — بعد الثورة — انسانا  
أكثر منه الها ، بعد أن كان الها أكثر منه انسانا ، وان كانت لم تستطع  
القضاء على نظام الطبقات ، وان زلزلته حتى قضى عليه فى الاسرة  
الثانية عشرة ، وهكذا كانت العوامل الاجتماعية احدى عوامل الثورة  
للقضاء على الفوارق الاجتماعية لحد ما بين المواطنين ، وقد كتب لها  
بعض النجاح آخر الامر .

---

D. Dunham, The Biographical Incriptions of Nekkebu, (٤٠)  
JEA, 24, 1938, p. 4-5.

### ٣ - الاسباب السياسية :

ترجع أسباب الثورة السياسية الى ضعف الملكية وتخاذلها أمام حكام الأقاليم ، وقد بدأ هذا الضعف منذ منتصف الأسرة الخامسة — كما أشرنا من قبل — ثم اشتد في الأسرة السادسة ، وخاصة على أيام «ببى الثانى» الطويلة ، مما دفعه الى أن يعين وزيرين ، الواحد للصعيد ، والآخر للدلتا<sup>(٤١)</sup> ، أملا في أن يساعداه على حماية عرشه ، ورغم ذلك فقد استمر الحكام في فرض الضرائب المفادحة ، وامتنعوا عن توريدها الى بيت المال ، حتى أصبحت الحكومة في منفي شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها ، وممارسة حقوقها ، والقيام بمسئولياتها ، فتوقف ارسال البعثات الى المناجم ، وتجدد خطر الهجرات الاسيوية فيما وراء الحدود الشرقية ، مما أدى آخر الامر — بجانب عوامل أخرى — الى قيام الثورة .

### ٤ - الاسباب النفسية :

في أخريات الأسرة السادسة ، بدأ الشعب يفقد ثقته في حاكميه ، فلقد أصبحت الملكية ضعيفة ، والكهانة مستغلة ، والاقطاع ينافس الجميع في استغلاله ، وهنا يحس الشعب أن عليه أن يتحرك ، هذا التحرك هو ما يعن للباحث أن يسميه الاحساس بالظلم ، فالثورات تقوم عادة حين يحس الناس بالظلم ، وهذا ما حدث في ثورتنا هذه ، عندما أحس الشعب بالدور الذى يجب أن يقوم به ليخلص عن رقابه ظلم الملكية ، وفساد الكهنة ، وسوء استغلال الحكام .

وكان ذلك نتيجة وعى شعبى دفع التأثيرين للقيام بثورتهم ، فالشعب يثور عادة لانه يحس بالغبن ، وهو لا يصل الى هذه المرحلة الا حين يرتفع لديه الوعى والادراك ، فالشعوب الجاهلة لا تثور ، وانما تقوم الثورات بين قوم يستطيعون أن يقدرُوا مدى ما يحيط بهم ، ويدركوا

---

(٤١) انظر : H. Stock, Die Erste Zwischenzeit Agyptens, Rome, 1949.



من الأمور خيرا وشرا ، وليس من شك أن الشعب المصرى كان قد بلغ اذ ذاك هذه المرحلة ، فأحس بوجوب تغير الأوضاع التى درج عليها لأنها لم تعد تتفق ومطالبه الجديدة فى الحرية والحياة ، ولم تعد تتفق وما ينشده من عزة وكرامة ، يرى أنها جميعا أصبحت عناصر لازمة لمقومات كيانه (٤٢) .

#### ٥ - الاسباب الخارجية

كان للثورة أسباب خارجية — بجانب الاسباب الداخلية — والتى ربما كانت نتيجة للانهيال الداخلى ، مما أدى الى التسلل الاجنبى الى البلاد ، والذى سيطر على جزء منها فترة من الزمن ، الا أن هذا الدافع من دوافع الثورة انما كان أقصى دوافعها ، حتى أن المصريين المعاصرين ، انما كانوا يعزون حالة الانهيال التى أصابت البلاد ، انما كانت بسبب وجود أسيويين جامحين فى الدلتا المصرية .

وقد قام جدل طويل بين المؤرخين حول هؤلاء الاسيويين الذين هبطوا مصر فى غفلة من الزمن ، فذهب فريق من المؤرخين الى أنهم غزاة أتوا الى مصر عن طريق غزو مسلح ، نتج عنه احتلال أجنبى للدلتا ، بينما ذهب فريق آخر الى أن الامر لا يعدو أن يكون تسلسلا لقبائل أسيوية من تلك القبائل المظاعنة أو المرتحلة حول الحدود المصرية .

كان ((سيرفند رزيتري)) أول من نادى بأن قوما من شمال سورية قد غزوا مصر فى نهاية الأسرة السادسة ، ثم تسللوا الى داخل البلاد حتى مصر العليا ، وأنهم قد حكموا على أيام الاسرتين السابعة والثامنة ، وأن الاسرتين التاسعة والعاشرة قد وضعتا حدا لسلطانهم (٤٣) ، ويذهب

---

(٤٢) نجيب ميخائل : المرجع السابق ص ٣٥٩ .

(٤٣) W. M. F. Petrie, A History of Egypt, I, London, 1924, p. 120.

وكذا H. Frankfort, Egypt and Syrie in The First Intermediate Period, JEA, 12, 1926, p. 88.

الدكتور الناضوري<sup>(٤٤)</sup> الى أن هناك تحركات سامية كانت من الاسباب التي أنهت الأسرة السومرية الثالثة في مدينة «أور» ، بل انها لم تقتصر في اتجاهها نحو جنوب العراق ، وانما ظهرت شعبة سامية أخرى اتخذت طريقها نحو شبه جزيرة سيناء ، واستقرت في شرق الدلتا في عصر الانتقال الاول .

ويتابع «جيمس بيكي» (١٨٦٦ - ١٩٣١) مواطنه (فلنדרز بترى) في دعواه ، فضلا عن غزو آخر أتى من الجنوب في أوائل هذه الفترة ، وأدى الى أن يستوطن طيبة ، ذلك الجنس الذي أعطى مصر فيما بعد سلسلة الملوك الذين نعرفهم في الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وأن الصفات النوبية في دم الملوك «منتو حتب» و «أمنمحات» و «سنوسرت» من هاتين الأسرتين ، انما يبدو واضحا في وجوه هؤلاء الحكام .

كما أن هناك عنصرا ثالثا قد نجح في أن يؤسس لفترة قصيرة مملكة محدودة مزعومة في منطقة تمتد من الفيوم وحتى ثنى وأبيدوس ، واستمر القادمون الجدد مسيطرين على هذه الأماكن المقدسة عند القوم ، لفترة قصيرة<sup>(٤٥)</sup> .

وهناك فريق ثان من المؤرخين يذهب الى ذلك لم يكن غزوا ، وانما كان تسلا ، وأن الامر انما كان محصورا على حدود الدلتا الشرقية ، فالدكتور «جون ويلسون»<sup>(٤٦)</sup> يرى أنه لا يوجد شك في أن الاسيويين

---

(٤٤) رشيد الناضوري : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا - للكتاب الاول - بيروت ١٩٦٨ ص ٢٨٠ .

W. M. F. Petrie, op. cit., p. 126-128. (٤٥)

J. Baikie, A History of Egypt, I, London, 1929, p. 221 وكذا

J. A. Wilson, op. cit., p. 110. وكذا (٤٦)

قد اقاموا بالدلتا ، وأن الرقائق الانبسية - وكذا الادلة الانثوية (٤٧) -  
انما تثبت دخول عناصر اسيوية الاصل الى مصر في تلك الفترة ، وهناك  
فقرات في تحذيرات ((ايو - ور)) تثبت الدور الذي لعبه الاجانب بحيث  
أختزلت مصر الحقيقية الى الصعيد فقط (٤٨) .

غير أن هذا كله ، لا يعني أن الدولة القديمة قد سقطت بغزو  
أجنبي اسيوى ، أو أن هذا الغزو كان سببا في ظهور العناصر الجديدة  
التي عمت في عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، إذ أن ذلك خلط بين  
السبب والنتيجة ، فليس هناك من ريب في وجود اضطرابات وتغيرات  
في الحالة في آسيا ، ولكن لم يعبر جيش محارب صحراء سيناء، ويغزو  
مصر ، ويقضى على الدولة فيها ، وانما الصحيح أن الدولة قد انهارت  
من الاجهاد الداخلى فتركت الحدود مفتوحة بدون حماية ، فتدفق  
الاسيويون المهاجرون بصفة مستمرة ، واستقروا في الدلتا ، ولم تمض  
غير قرون قليلة حتي أصبح عددهم كافيا ليستقلوا بأنفسهم ، مما جعل  
ملوك امناسية يقومون باجراء حربى ضدهم (٤٩) .

ولعل ((وليم هيز)) انما يرى نفس الرأى ، ذلك أن الانهيار الذى  
أصاب البلاد في تلك الفترة ، انما كان من أسبابه - فيما يرى -  
الحروب الاهلية ، وتسلسل البدو من سيناء وجنوب فلسطين ، فضلا عن  
انفصال اقاليم مصر عن الحكومة المركزية ، وانتشار النهب والتمرد  
العام والفقر الشديد (٥٠) .

والرأى عند ((هنرى فرانكفورت)) أن الدليل الاثرى يثبت بالتأكيد  
أن نمو التهديد الاسيوى الذى نستطيع أن نقتفي أثره منذ الاسرة

---

H. Frankfort, JEA, 12, 1926, p. 88, 92. (٤٧)

W. M. P. Petrie, Scarabs and Cylinders With Names,  
London, 1917, Pl. 10, p. 7-10. وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 107. (٤٨)

J. A. Wilson, op. cit., p. 110-111. (٤٩)

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, p. 135-136. (٥٠)



السادسة قد ظهر في التدفق الآسيوي ، بينما كانت البلاد قد وهنت بسبب بداية الاضطرابات التي قضت على الدولة القديمة ، أما الى أى مدى عجل هذا التدفق الأجنبي بهذا السقوط ؟ فذلك أمر من الصعب أن يقال ، فمن الطبيعي أنه ليس هناك احتلال أجنبي قد حل بالبلاد ، فان هذا شيئاً لا يمكن تصوّره قبل أيام الآشوريين ، في القرن السابع قبل الميلاد ، وبعد ذلك بحوالى ستة عشر قرناً ، ونظن أن زيادة التسلل الأجنبي بسبب الضغط في آسيا ، كان سبباً في دخول الدلتا أول الأمر ، ثم تسربوا منها الى داخل البلاد في مجموعات صغيرة أو كبيرة ، وبدهى أن التسلل لا يقاوم حين تكون في البلاد حكومة مركزية معطلة ، وكانت هذه هى الحال وقت ذاك<sup>(٥١)</sup> .

وتقدم لنا تحذيرات ((ايو — ور)) صورة لهذا التسلل ، حيث يقول : «ما الذى جعل الأرض الحمراء (الصحراء) تنتشر في طول البلاد وعرضها ، خرجت الأقاليم وجاء المهاج الأجنب الى مصر ... لا يوجد في الحقيقة اناس في أى مكان ... ويمشى ذو الأخلاق الكريمة وهم محزونون لما أصاب البلاد ، أصبح الأجنب اناساً في كل مكان ، لماذا لم تصبح أرض المراعى في الدلتا مكاناً مرهوباً ، ان سر الاراضى الشمالية أصبحت معروفاً ، أنظر : انها أصبحت في أيدي أولئك الذين لم يعرفونها ، وصار الأجنب مهرة في أشغال الدلتا<sup>(٥٢)</sup> .

وهكذا تثبت هذه الكلمات التدرج من تطفل الدخلاء ، الى حدوث الاضطراب ، ثم أخيراً الاندماج ، واستيعاب البلاد لهم ، فلقد أصبح الآسيويون مع مضي الزمن مصريين \* وأخذوا يزاولون أعمال سكان الدلتا<sup>(٥٣)</sup> .

H. Frankfort, op. cit., p. 95.

(٥١)

A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909, p. 37-38.

(٥٢)

J. A. Wilson, ANET, p. 442.

(٥٣)

أما عن الغزو الجنوبي : والذي يقدمون له من أدلتهم ، مجموعة من تماثيل أبو الهول وجدت في تانيس بالدلتا ، كما أن دماء ملوك الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بها دماء نوبية<sup>(٥٤)</sup> ، فربما كانت هذه التماثيل ترجع الى فترة أخرى من فترات التاريخ المصرى القديم وحتى لو كانت ترجع الى هذه الفترة التى نحن بصدددها ، وأنها وجدت فى مدينة «الكاب» ، وأن دماء ملوك الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بها دماء نوبية ، وأن هذه التماثيل لهؤلاء الملوك •

فالرد على ذلك أن منطقة الكاب منطقة مصرية ، وهى المحافظة الثالثة من محافظات الصعيد ، من ناحية الجنوب ، وكانت عاصمتها «نخن» (البصيلية) — والتى تقع عبر النهر تقريبا ، وهى فى نفس الوقت كانت عاصمة مصر العليا فيما قبل التوحيد — ثم ان «نبوة نفرتى» تروى عن «أمنمحات الاول» ، مؤسس الاسرة الثانية عشرة ، أنه ملك من الجنوب ، يدعى «أمينى» ابن امرأة من «تاستى» ، طفل من «نخن» و «تاستى» اسم أول محافظات الصعيد من الجنوب ، وكانت عاصمتها «اليفانتين» (جزيرة أسوان) ، وكان معظم سكانها من المعنصر النوبى<sup>(٥٥)</sup> •

فاذا أضفنا الى ذلك أن «أمنمحات» ولد فى «نخن» على الاغلب<sup>(٥٦)</sup> ، فربما أمكن القول انه مصرى من مدينة «نخن» (البصيلية) ، وأمه من اليفانتين (أسوان) ومن ثم فهو مصرى من أم نوبية ، ورث الدم المصرى عن أبيه ، كما ورث الدم النوبى عن أمه ، هذا اذا سلمنا بأن أمه من النوبيات القاطنات فى مقاطعة «تاستى» (اليفانتين) ، أضف الى ذلك أن المنطقة شمال أسوان ، وحتى نهاية المحافظة ، بحكم أنها تجاور بلاد النوبة ، كانت — وظلت حتى بناء السد العالى — على اتصال بشرى ببلاد النوبة •

---

W. M. F. Petrie, A History of Egypt, I, 1924, p. 126. (٥٤)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 126. (٥٥)

(٥٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٠ •

وهكذا فإن الدليلين يكادان يتركزان في منطقة «نخن - الكاب»  
(أى البصيلية ومجاوراتها عبر النهر) ، مما جعلنى أتردد كثيرا في قبول  
هذه الغزوة ، ومن ثم فالرأى عندى أن ملوك الاسرتين الحادية عشرة  
والثانية عشرة ، انما هم من هذه المنطقة ، وأن سحتهم القريية الشبه  
بسحنة النوبيين طبيعية فيهم - بخاصة اذا سلمنا بأن أم «أمنمحات  
الاول» نوبية ، هذا فضلا عن أن الدماء العربية في أهل المنطقة الحاليين،  
ربما أبعدتهم كثيرا عن هذه السحنة .

وأما الغزوة الليبية ، فربما كان اعتماد «بتري» فيها ، على أن  
الغزة كانوا ملتحين بلحى وشوارب قصيرة كما يبدو من الخراطيش<sup>(٥٧)</sup> ،  
الا أنه لا توجد أدلة تؤكد انتساب ملوك اهناسية الى الاصل الليبى ،  
فليس في أسماء أولئك الحكام ولا في أسلوب حكمهم ومظاهره ، مما  
يشير الى بعد أصلهم عن مصر ، وقد يكون لموقع المدينة أثره في زعم  
المرواة والمؤرخين ، فهي انما تقع في مكان كانت القرائل تفضل النزول  
فيه عند الوادى ، أو الخروج الى الواحات ، وهى بذلك كانت أول  
حاضرة تطالع الوافد من صحراء الغرب ، وفيها نزلت تلك القبيلة الليبية  
التي خرج منها «شيشنق الاول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ،  
ولعل تلك الواقعة قد أثرت في أصحاب الرأى القائل بالرجوع بأصل  
حكام اهناسية الى واحات الصحراء الغربية<sup>(٥٨)</sup> ، وهكذا لا يوجد دليل  
مادى أو أدبى قاطع يؤكد تلك الغزوة .

---

W. M. P. Petrie, A History of Egypt, I, London, 1924, p. 129. (٥٧)

(٥٨) أحمد بدوى: في موكب الشمس - الجزء الثانى - القاهرة ص





## الفصل الثانى

### الحياة السياسية فى عصر الثورة الاجتماعية

#### ١ - الاسرة السابعة :

يجمع المؤرخون - أو يكادون - على أن عصر الثورة الاجتماعية الأولى - أو عصر الانتقال الأول - إنما يشمل الإسرآت : السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، وأنه ينتهى فى أيام «منتو حتب الأول» (نبت حتب زع) ، الذى يكتب له نجحاً بعيد المدى فى القضاء على الفوضى ، وإعادة توحيد أرض الكنانة من جديد - كما فعل سلفه البعيد مينا من قبل - .

ويذهب (سير آلن جاردنر) الى أن العقدة الحقيقية فى الامر عقدة تاريخية ، فهناك خلاف كبير بين المؤرخين على طول هذه الفترة ، ولئن اتفقت معظم الآراء الحديثة على تقدير الفترة من عهد الملكة «نيتو-كريس» الى نهاية حكم الملك «منتو حتب الأول» بمائتين الى مائتين وخمسين عاماً ، فهذا لا يعدو أن يكون مجرد تخمين<sup>(١)</sup> .

ويذهب «مانيتو» الى أن ملوك الاسرة السابعة ، إنما هم سبعة ملوك ، حكموا سبعين يوماً فى منف ، ويرجح «وليم هيز» أن هذا إنما هو حكم طارئ اتخذ من منف مقراً له ليحل محل الملكية المنهارة فى أخريات أيام الدولة القديمة ، ولعله حكومة خاصة شكلت من مجلس شورى ، أعضاؤه من الصفوة الممتازة من الحكام الذين عاشوا من سلالة ملوك الاسرة السادسة ، أو من كبار الموظفين وحكام الأقاليم ،

---

A. H. Gardiner, op. cit., p. 102.

(١)

الذين كونوا من أنفسهم هيئة حاكمة يطلق على كل واحد من أولئك السبعين لقب ملك أو حاكم ، غير أن هذا النوع من الحكم الذى لم يعهده القوم ، لم يجد منهم قبولا ، فلم يعيش أكثر من سبعين يوما<sup>(٢)</sup> .

وعلى أى حال ، فسواء أصبح هذا ، أم أن حكم الاسرة السابعة فى منف لم يزد عن عدة شهور<sup>(٣)</sup> أو أنها حكمت سنوات سبع<sup>(٤)</sup> ، أو حتى خمسا وسبعين سنة<sup>(٥)</sup> فإن كل هذا إنما يشير الى الفوضى التى عمت البلاد ، والى أن القائمين بالامر فيها لم يكونوا على قوة تمكنهم من تدعيم حكمهم واستقراره ، اللهم الا اذا كانت فترة حكمها خمسة وسبعين عاما ، حكمها خمسة ملوك ، ففى هذه الحالة تكون فترة الحكم مناسبة ، وأيا ما كان الامر فإن هذه الاسرة ذهبت — سواء بعد حكم طويل أو قصير — دون أن تخلف من ورائها شيئا يذكرها ، أو يذكر الناس بها .

### ٣ - الاسرة الثامنة :

قامت الاسرة الثامنة فى منف — فيما تروى بردية تورين — وقد دفن أكثر ملوكها فى سقارة الجنوبية ، على مقربة من هرم « بى الثانى »<sup>(٦)</sup> ، غير أن هناك من يذهب الى أنها قايت فى الصعيد ، وكان

(٢) أحمد فخري : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧١ ص ١٦٣ .

(٣) أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٤٦ .

وكذا William C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 136.

(٤) J. Vercoutter, L'Egypte Ancienne, Paris, 1963, p. 66.

وكذا W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, p. 197.

(٥) يرى «سمث» أن الاسرة السابعة حكمت فى الفترة (٢١٨١ -

٢١٧٢ ق م) وأن ملوكها هم : نفر كارع الصخبر ٢ - نفر كارع نبى

٣ - جد كارع شماى ٤ - نفر كارع خندو ٥ - مري ان حور ٦ - نفر

كامين ٧ - نى كارع ٨ - نفر كارع تيريرو ٩ - نفر كاحور (انظر :

J. Vercoutter, op. cit., p. 66.

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, p. 197.

وكذا Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٦)

1964, p. 108.



من جانب الملك ، بغية استرضاء عظيم معين من عظماء الصعيد  
الاقوياء (٢٤) .

ولعل من الالهية بـمكان أن بعضا من الباحثين انما يرى في وجود  
أسماء ذات طابع سوري من أمثال «خندي» على خاتم اسطوانى ، أو  
«تريب» على جبل ، في نص متأخر ، أن الاسرة الثامنة أسرة غير مصرية،  
وأن ملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة المصريين هم الذين أراحوا هؤلاء  
الحكام السوريين الذين كونوا الاسرة الثامنة ، وأن هناك مقسومة  
حدثت ، وأنهم تحصنوا في «أتريب» (بنها الحالية) كعاصمة مؤقتة لهم،  
وأنهم استقدموا عن طريق وادى طميلات عددا من القبائل الجواله في  
الصحراء ، والذين هم أنفسهم على علاقة نسب وثيقة بهم (٢٥) .

على أن «وايم هيز» انما يذهب الى أنه على الرغم من أن بعض  
الاسماء من طراز اسيوى ، فإن الاسرة الثامنة ليست من أصل اسيوى،  
أو على الأقل فمن المحتمل ألا تكون كذلك (٢٦) .

وعلى أى حال ، فإن أمور البلاد على أيام الاسرة الثامنة انما هى  
جد قلقة ، ففي الدلتا كانت عصابات البدو ، وقطاع الطرق ، الذين  
تسللوا الى البلاد منذ أخريات أيام «ببى الثانى» قد أصبحوا يتجولون  
في كل الدلتا ، وقد انقطعت أخبارها المباشر عنا ، أما البعثات الى سيناء  
لاستخراج الفيروز ، فقد توقفت ولم تستأنف حتى قبيل أيام الاسرة  
الثانية عشرة (٢٧) .

وأما في الصعيد الاقصى فقد كانت الامور غير مستقرة ، ذلك لأن  
سلطان «قفط» لم يجد قبولا حسنا من حكام الاقاليم الجنوبية الثلاثة،  
والتي تكون الان محافظة أسوان تقريبا (البصيلية وادفو وأسوان)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 100.

(٢٤)

H. Frankfort, JEA, 12, 1926, p. 98.

(٢٥)

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, p. 136.

(٢٦)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 110.

(٢٧)

فقامت الحرب هناك ، وان انتهت بانتصار «طيبة» و «قفط» وغلبتها على «عنخ - تيفى» أمير نخن الذى ناصبهما العدا (٢٨) .

وانتهت الاسرة الثامنة ، دون أن ندرى كيف انتهت على وجه اليقين ، وتصبح البلاد أقساما ثلاثة ، خفى الشمال كانت جحافل الاسيويين ، وفى الجنوب التفت البلاد حول أمراء «طيبة» ، وليس «قفط» ، وان كنا لا نعرف كيف اختفى حكام قفط ، وهم الذين كانوا أصحاب الجاه والسلطان فى المقاطعات الجنوبية ، وربما كان ذلك بعد هزيمتها لأمير نخن «عنخ - تيفى» .

أما فى مصر الوسطى ، فلقد انتهز حكام اهناسية فرصة ضعف الملك «دمج اييب تاوى» - آخر ملوك الاسرة الثامنة - وأقاموا بيتا جديدا للحكم فى اهناسية ، قدر له أن يحكم البلاد فى الاسرتين التاسعة والعاشره ، وعرف فى التاريخ باسم «العصر الاهناسى» (٢٩) .

### ٣ - العصر الاهناسى (الاسرتان التاسعة والعاشره) :

كان مؤسس الاسرة التاسعة ، هو «خيتى الاول» «مرى اييب رع» (٣٠) ، ويبدو أنه بدأ حكمه بنوع من الشدة التى قصد بها تأييد ملكه . والذود عنه ، ورددت الاجيال شدته وضخمت فيها ، حتى أننا نرى «مانيتو» يصغه بأنه من بين التسعة عشر ملكا اهناسيا ، والذين

J. Vandier, Moalla, Cairo, 1950. (٢٨)

W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, 1971, p. 198. (٢٩)

(٣٠) اختلف المؤرخون فى ترتيب ملوك الاسرة التاسعة ، فذهب فريق الى أنهم (واح كارع - مرى اييب رع - نب كارع - مرى كارع) وذهب آخرون الى أنهم (مرى اييب تووى - واح كارع - نب كاو رع) ، وذهب فريق رابع الى أنهم مرى اييب رع - (خيتى الاول) - اسم ملك مهشم - نفر كارع الاول - نب كاو رع (خيتى الثانى) - ستوب - خيتى (ربما خيتى الثالث) - ثم أسماء مهشمة لا يمكن قراءتها) .

A. H. Gardiner, op. cit., p. 112. انظر :

E. Drioton et J. Vandier, L'Egypt, p. 629. وكذا

H. Gauthier, Le Livre des Rois d'Egypte, I, Cairo, 1907. وكذا

p. 184-210.

حكموا ٤٠٩ عاما ، كان خيتى الأول أبعث للرعب من كل من سبقوه ، وأنه كان يفعل الشر في مصر كلها ، ولكنه وقع بعد ذلك فريسة الجنون ، وافترسه تمساح<sup>(٣١)</sup> ، وربما كان «مانيتو» صادقا فيما رواه عن قسوة (اختوى) ، فظروف البلاد ربما هى التى دفعتة الى ذلك ، فالبدو يتحكمون فى الدلتا ، وحكام الصعيد يتنافسون فيما بينهم على السلطان ، وهو نفسه محاط بمنافسين حاقدين ، وربما كان ذلك هو السبب ، وربما لان شهرته بالقسوة أتت لان الذين نافسوه كثيرين ، ولانه وصل حيث تخلف الزعماء جميعا •

وعلى أى حال ، فان «مرى ايب رع» (المحبوب من قلب الارضين) لم يتردد — تأكيدا لدعواه — فى أن يظهر نفسه بالقباب فرعونية كاملة ، ولا بد أنه كانت له صفات شخصية غير عادية ، استطاعت أن ترتفع به الى هذا المستوى العالى ، وليس لدينا مما يؤكد وجوده سوى موقد نحاسى فى اللوفر ، وعصا للتوكو من الأبنوس ، عثر عليها فى «مير» (مركز التوصية ، بمخاضة أسيوط) ، ثم أشياء أخرى قليلة الأهمية<sup>(٣٢)</sup> ، منها قطعة فى صندوق عاجى ، مع نقوش طعمت بأحجار نصف كريمة ، اكتشفتها بعثة متحف المتروبوليتان فى «الاشت»<sup>(٣٣)</sup> ( ايثت تاوى = على بعد ١٨ كيلا الى الجنوب من منف ) ، هذا وقد عثر للملك «مرى ايب رع» على مجموعة من النصائح ، منها قوله : (على من يريد أن يعيش آمنا أن يكون مستعدا للحرب) •

وهناك شك فى أن حكمه قد امتد الى الدلتا ، التى بقيت فى قبضة

F. Daumas, Le Civilisation De L'Egypte Pharaonique, (٣١)  
Paris, 1965, p. 575.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, وكذا  
p. 575.

ASAE, 10, 1910, p. 185. (٣٢)

W. C. Hayes, op. cit., p. 143. وكذا

H. Gauthier, op cit., I, p. 204. وكذا

W. M. F. Petrie, A History of Egypt, I, London, (٣٣)  
1924, p. 131-132.



الاسيويين ، أما في الجنوب فقد امتد نفوذه حتى «ثني» ( أبيدوس ) ،  
وأن وجد اسمه في نقوش عند الشلال الاول (٣٤) ، ورغم أن هناك من  
يرى في ذلك دليلا على امتداد نفوذه حتى أسوان ، فإن أمراء طيبة إنما  
قد تزعموا الاقاليم الجنوبية ضده ، حتى نجحوا آخر الامر في القضاء  
على البيت الاهناسي كله ، مؤسسين الاسرة الحادية عشرة •

وهناك اختوى آخر ، لقب نفسه «نب كاورع» نعرفه عن طريق ثقل  
ميزان ، عثر عليه «فلنדרز بترى» في «بيثوم» (تل المرطابة) (٣٥) ، فضلا  
عن ورود اسمه في الاعمال القصصية المصرية القليلة التي بقيت لنا  
كاملة ، وهي «قصة الفلاح الفصيح» ، والتي تروى قصة فلاح من  
الواحة المتاخمة لوادي النطرون ، كان قد اغتصب حماره ، وكذا بضائعه  
وهو في الطريق الى اهناسية ، ولكنه قذف بشكواه الى مولى السارق  
في فصاحة دفعت الى احتجازه ، حتى تتم كتابة توسلاته وعثبه ولومه  
وسبابه ، كي يدخل السرور الى نفس الملك (نب كاورع) (٣٦) •

وكان البيت الاهناسي يزداد ضغطا على أيام الاسرة التاسعة ، وفي  
نفس الوقت كان حكام الاقاليم يزدادون قوة ، حتى جاء اليوم الذي

---

A. H. Sayce, Letter from Egypt, in The Academy, (٣٤)  
41, 1892, p. 333.

W. C. Hayes, op. cit., p. 143. وكذا

W. M. F. Petrie, Rec. Trav, XL, p. 186. (٣٥)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 112. وكذا

(٣٦) يجمع المؤرخون على أن قصة الفلاح الفصيح قد حدثت في  
عهد الملك «نب كاورع» ، ولكنهم يختلفون في مكانه من العهد الاهناسي ،  
فالبعض يرى أنه من ملوك الاسرة التاسعة ، بينما يرى فريق آخر أنه من  
ملوك الاسرة العاشرة ، بل ان هناك من يراه آخر ملوك العهد الاهناسي  
كله ، وأنها كتبت في عهد الاسرة الحادية عشرة على الأقل (أحمد فخري:  
مصر الفرعونية ص ١٧١ ، الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٧) •

A. H. Gardiner, op. cit., p. 112. وكذا

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, N. Y, 1953, p. 145. وكذا

زال فيه حكم هذه الاسرة وتلتها أسرة أخرى، هي «الاسرة العاشرة» (٣٧) أظهرت شيئاً من النشاط ، وبدأ الظلام المخيم على تاريخ مصر ينقشع رويداً ، فخرى خلاله بعض أشباح تتحرك، ثم نرى هذه الأشباح تتحول إلى قوى تتطاحن فيما بينها ، وتدخل مصر مرة أخرى في فترة الاحتياط (٣٨) .

كان «مرى حاتور» هو مؤسس الاسرة العاشرة ، وقد عرفناه من نص مشوه عثر عليه في محاجر «حتنوب» (٣٩) ، وأما خليفته «نفر كارع» فقد ورد اسمه في بردية تورين ، وأما ثالث ملوك الاسرة فهو «واح كارع» (اختوى الثالث — أو الرابع فيما يرى البعض) ، وهو صاحب الارشادات التي وجهت إلى الملك «مرى كارع» ، والتي تحدثت عن «الحرب الأهلية» بين طيبة ، واهناسية ، والتي دارت رحاها — فيما يرى القوم — على الأرض المقدسة في «ثنى» (أبيدوس) بسبب النزاع على ملك الصعيد ، وليس على أبيدوس فحسب ، وانتهت بانتصار طيبة مؤقتاً ، وخروج الأرض المقدسة من يد فرعون اهناسية .

وهناك ما يشير إلى أن أيام «خيتى الثالث» (واح كارع) إنما كانت أيام حروب ، فهناك النزاع بينه وبين البدو الاسيويين والذي حاول فيه أن يطهر الدلتا من الأجنب المقتصبين ، ويذهب البعض إلى أن الرجل قد كتب له نجاة بعيد المدى في تطهير الدلتا منهم (٤٠) ، وإن

---

(٣٧) رتب البعض ملوك الاسرة العاشرة كالنالى (مرى حاتور ، نفر كارع ، واح كارع ، مرى كارع ، خيتى الخامس) وهناك بعض الملوك الذين حكموا في عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، ولم يستطع المؤرخون تحديد مكانهم في هذا العصر ، وهم : ايمحوتب ، انى ، سخم كارع ، وأخيراً جسر — نوب .

(٣٨) أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٣٩) انظر : R. Antlles, Die Felseninschriften Von Hatnub,

Leipzig, 1928, Pl. 7, p. 14.

وتقع «حتنوب» في الصحراء الشرقية على مبعدة ٢٧ كيلا ، خلف منطقة آثار تل العمارنة بمحافظة المنيا .

(٤٠) الكسندر شارف : المرجع السابق ص ٧٤ ، ايتين دريوتون

وجاك فاندييه ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

ذهب فريق آخر الى أن ذلك لم يتم الا بعد توحيد مصر ، وبناء حائط  
الامير (٤١) .

وعلى أى حال ، فإن خيتى إنما يوجه النصيح لولده بأن يكون  
مستعدا لكل احتمال ، وأن يهتم بتحصين «منف» ، ولتسهيل المواصلات  
بينها وبين مقر الملك فى اهناسية ، فعليه أن يقوم بحفر قناة ( وربما  
جسر ) طولها ٥٥ ميلا ، لتربط المدينتين الواحدة بالأخرى ، ولعل ذلك  
قد يشير الى أن «منف» — رغم اقامة الملك فى اهناسية — إنما قد ظلت  
مركزا للإدارة ، ومستقرا للمقابر الملكية (٤٢) .

وجاء بعد «واح كارع» (مرى كارع) واستتبعاته مصر الوسطى بثورة  
ضده ، وطبقا لنص مولاه «خيتى» — محافظ أسيوط — فقد قضى مؤقتا على  
هذا التمرد ، وأنه أراد أن يعبر عن شكره من أجل هذا التوفيق الكبير ،  
فأمر بأجراء اصلاحات ضخمة فى معبد الاله «وب واوة» الاله « ابن  
آوى» معبود أسيوط (٤٣) ، ويبدو أن «مرى كارع» لم يعيش بعد ذلك  
طويلا ، فودع الدنيا بعد أعوام قليلة ، ثم دفن فى منف ، على مقربة  
من مقبرة الملك «تتى» من الأسرة السادسة فى هرم يسمى «أشراق  
مرى رع الدائم» ، وفى هذا ما فيه من تحريف ضخيم للحقيقة (٤٤) ولا  
يزال المتحف المصرى بالقاهرة يملك له تمثالا .

ويبدو أنه لم يترك خلفا يرث العرش من بعده ، فانتهت به الأسرة  
العاشرة ، وإن كان هناك من يرى أن «اختوى» (خيتى الخامس) قد  
خلفه على عرش اهناسية ، وأنه لم يعيش على العرش طويلا ، إذ عادت  
جيوش طيبة هجومها ففقت على عائلة اهناسية ، واخضعت مصر كلها ،

H. Franfort, Egypt and Syria in The First Intermediate Period, JEA, 12, 1926, p. 99. (٤١)

W. G. Hayes, op. cit., p. 144. (٤٢)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 114. (٤٣)

W. C. Hayes, op. cit., p. 144. (٤٤)



وبدأت الاسرة الحادية عشرة عهدا جديدا وعادت مصر الى وحدتها القديمة ، يحكمها ملك واحد ، كما بدأت أيضا الدولة الوسطى (٤٥) .

### ٣ - الفوضى السياسية في عصر الثورة الاجتماعية :

قدمت لنا الوثائق الادبية أن الشعب المصري قد قام بثورة عاتية ضد الاوضاع السياسية والاجتماعية التي اشتد فسادها ، ويفهم من الوثائق أن الثورة قامت في العاصمة «منف» في بادئ أمرها ، ثم سرعان ما انتشرت فيما وراءها من الاقاليم ، وان رأى البعض أن العمل الثوري انما قد اقتصر على منطقة منف ، وجزء من مصر الوسطى ، وأن مصر العليا لم يصبها من الثورة سوء (٤٦) .

هذا وقد صاحب الثورة في بدايتها كثير من العنف والرغبة في التفتيت والانتقام فنزع الثوار عن الملكية ما بقى لها من قداسة ، وأباحوا لأنفسهم نهب خزائنها ، واقتحام دواوينها ، وأضاعوا حرمة محاكمها ، وألقيت قرابينها في العراء ، ومزقتها الممامة في الشوارع ، وانتشرت الفتن الداخلية ، وفقد الناس الأمن والامان ، حتى خيل للقوم أن شعار الثورة ومنطقها قد أصبح «اهدم ما استطعت أن تخرب بمعولك» ، واقتل من تستطيع أن تقتله ، وخذ كل ما تصل اليه يدك (٤٧) .

وهكذا بدأت الثورة عنيفة عاتية ، ويبدو أنه قد أعوزتها القيادة الرشيدة ، ومن ثم فقد استغلها بعض الغوغاء ، وأهل السوء ، ويقدم لنا الحكيم المصري (اييو - ور) وصفا لبدايتها جاء فيه : « يقول حراس الابواب : فلننطلق ولننهب ، وتنتهى الغسال عن حمله ، وأعد صيادو الطيور أنفسهم للمعركة ، وحمل آخرون من الدلتا الدروع » (٤٨) ، وهكذا احتل الغوغاء مكانا في الثورة منذ قيامها ، ومن هنا فقد غلب

(٤٥) أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٤٦) ايتين دريوتون وجاك فاندبييه ، المرجع السابق ص ٢٤٠ .

(٤٧) أحمد بدوى ، المرجع السابق ص ٢٢٢ .

A. Erman, op. cit., p. 94.

(٤٨)

عليها التدمير والنهب وسفك الدماء ، حتى أنها لم تترك أحدا دون أن  
تصيبه بشرها .

ويصف «ايو — ور» تلك المرحلة العصبية من تاريخ الكنانة في  
قولته : «تدور البلاد كما تدور رحي الفخار ، حقا ان البلاد قد امتلأت  
باللعابلات ، لقد شحبت الوجوه ، وأصبح الرماة متحفزين في كل مكان ،  
لقد انعدم رجل الامن ، ولكن اللصوص في كل مكان» (٤٩) .

وهكذا عمت الفوضى البلاد ، حتى شملت مخازن الحكومة ، ودواوين  
الدولة ، فمزقت القوانين وديس عليها بالاقدام ولم ينج من تلك الفتنة  
الجهلاء موظفي الدولة ومحاكمها ، يقول «ايو — ور» : «وفي الحق ،  
لقد سلبت قاعة المحاكمة الفاخرة ، وأصبح المكان السرى مكشوبا ، لقد  
فتحت الادارات العامة ، ونهبت قوانينها ، لقد سلب الموظفون ونهبت  
قوائمهم ، لقد دمرت سجلات كتبة المحاصيل ، وأصبحت غلال مصر  
متاعا مشاعا ، لقد ألقيت قوانين دار القضاء في البهو ، وديست في  
الشوارع ، ومزقها الرعاع في الأزقة ، لقد أصبحت قاعة العدل العظمى  
مكتظة ، وأخذ القوم يروحون ويجيئون في دور القضاء العظيمة (٥٠) ،  
وضاعت هيبة الحكومة ، وتجراً الناس على مواطنيها فقتلوهم ، وعلى  
قضاتها فنفوهم في الارض ، يقول «ايو — ور» : «وذبح الموظفون ،  
وألقيت أوراقهم في العراء ، وطرد قضاة البلاد» (٥١) .

ويصور «نفرتي» البلاد ، وقد عز فيها الامن ، وسادتها الحرب  
الاهلية ، فيقول : «ان البلاد في كرب وعويل ، لقد حدث ما لم يحدث  
من قبل ، سيحمل الناس أسلحة الحرب ، حتى تعيش الارض في قلق

J. A. Wilson, The Admonitions of I Pu-Wer, ANET, (٤٩)  
p. 441.

Ibid., p. 442. (٥٠) .

A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, (٥١)  
Leipzig, 1909, p. 10.

واضطراب ، وسيصنع الناس أسلحة من النحاس حتى يلتمسوا الخبز بالدم ، ويضحكوا ضحكة الموت ، لن يبكي الناس من الموت ، لقد أصبح الأب خصما ، والاخ عدوا ، وأخذ الرجل يقتل أباه ، واختفى كل شيء طيب ، وخربت البلاد ، وأصبحت أملاك الرجل تغتصب وتعطى للغريب ، وغدا المالك في حرمان ، والاجنبي في شبع ورفاهية<sup>(٥٢)</sup> • ويضيف «اييو - ور» : «لقد أصبح الرجل يذبح أخاه من أمه ، أنظر ، ان الرجل يذبح بجوار أرضه ، وأخاه يتركه دون عون لينجو بنفسه ، لقد أصبح الرجل ينظر الى ولده نظرتة الى عدوه ، ويذهب الى حقله ، وهو مسلح بدرعه»<sup>(٥٣)</sup> •

وقد انتهت هذه الاحداث الدامية آخر الامر الى انهيار الحكومة المركزية ، التي كان القوم يعترفون فيها بأن «الملك - الاله» انما كان هو الاعلى والاقوى ، ورخص السر الغامض ، سر الطبيعة الالهية للملك من جراء التنافس على الحكم ، يقول «اييو - ور» : انظر : لقد وصل بنا الامر الى الحد الذي جعل الناس يشورون ضد حية التاج ... التي كانت تهدى الارضين ، انظر : لقد عرف سر البلاد التي لا يعرف أحد حدودها ، ان القصر الملكي يمكن أن يهدم في ساعة ، وتصبح أسرار ملك مصر معروفة»<sup>(٥٤)</sup> •

هذا وقد امتدت الاضطرابات من منف الى الاقاليم ، حيث هاجم العامة هناك المسيطرين عليهم ، وفعلوا ما فعله سكان العاصمة من تخريب وتدمير ، وسلب ونهب ، بل نادى كل مدينة «فلنطرد الاقوياء من بيننا»<sup>(٥٥)</sup> ، كما امتنعت بعض الاقاليم عن دفع الضرائب الى

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, (٥٢)  
London, 1927, p. 113-114.

A. Erman, op. cit., p. 99. (٥٣)

J. A. Wilson, op. cit., p. 442. وكذا

J. A. Wilson, The Admonitions of Ipu-Wer, ANET, (٥٤)  
1966, p. 441.

Sir Alan H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian (٥٥)  
Sage, Leipzig, 1909, p. 10.



الخزائن الملكية ، كما فعلت ثنى واليفانتين (٥٦) .

ويزداد الامر سوءا ، وينحرف الثوار ، ويسيروا في طريق العنف والقسوة ويسيتئون الى المواطنين ، حتى الابرياء منهم ، بل لم تقف ثورتهم عند حد في أذاها ، حتى الأطفال الرضع نالهم منها عذاب أليم ، يقول (أييو - ور) : «حقا لماذا يقذفون الجدران بأبناء النبلاء ، فالأطفال الذين كان أهلهم يدعون ربهم من أجلهم ، أصبحوا يلقون فوق الأكوام» (٥٧) .

وتتقلب الأوضاع الاجتماعية في البلاد رأسا على عقب « فيعز الاذلاء ، ويذل الاعزاء ، وتكتب الحاجة على الاغنياء ، ويغتنى الفقراء ، ويصور ، (أييو - ور) هذه الحالة ، وانقلاب أوضاع الطبقات ، ويقارن بين ما كان في الماضي ، وما يحدث في ذلك الوقت ، وربما كان الحكيم المصري من طبقة أرسقراطية ، ولم يكن من الهين عليه أن تزول النعمة منها الى غيرها أقل منها منزلة ، فهو يقول : «انظر : لقد حدث هذا بين الناس ، فمن لم يكن في قدرته أن يقيم حجرة أصبح الآن يملك فناء مسورا ، ان الفضيلات الشريفات يرقدن على الفراش الخشن ، والامراء ينامون في المخزن ، ومن لم يكن في امكانه أن ينام على الجدران أصبح صاحب سرير ، انظر : ان الرجل الغنى أصبح يمضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدي منه الحثالة أصبح يمتلك الجعة القوية» (٥٨) .

وبلغ الاسى بالحكيم المصري نهايته أسفا على ما أصاب البلاد من اضطراب ، لا يعرف له علاجا ، فيفقد الامل في انقاذ شيء ، ويزداد تأثره بالكارثة التي لحقت بالبلاد ، حتى أنه يطلب من الالهة أن تجعل نهاية الامر ، نهاية الحياة نفسها ، فيقول : «ألا ليت ذلك يكون نهاية

Ibid., p. 34.

(٥٦)

Ibid., p. 10.

(٥٧)

Ibid., p. 10.

(٥٨)

الناس ، فلا يحدث حمل ولا ولادة ، ليت العالم يتخلص من الغوغاء ،  
وتتقضى المشاحنات» (٥٩) .

ويتجه بعد ذلك نحو نفسه ، فيوجه اللوم اليها ، ويحملها جزءا من  
الوزر ، الذى ارتكبه حين سكت على الشر ، وامتنع عن أن يقول الحق ،  
وتمنى أنه قال ذلك فنصح وانتصح ، وأنقذ نفسه وأنقذ أمته مما تعانيه  
من الآلام ، وذلك بقوله : «ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت ، حتى  
كنت أنقذ نفسى من الألم الذى أنا فيه الآن» (٦٠) .

ولم يقتصر «ايبو - ور» فى توجيه اللوم على نفسه ، بل وجهه  
اللوم كذلك الى الجالس على العرش حينئذ فى تقريرات قاسية ، ونقد  
لاذع ، فيتهمه بأنه سبب الفوضى والاضطرابات التى سادت البلاد ،  
ذلك لأنه ، وان كان قد أعطى السلطة والحكمة ، الا أنه قد بقى فى  
قصره يحيط نفسه بمجموعة من رجاله ، لا تنقل اليه الا صورة غير  
حقيقية للامور ، حتى ساءت الحال ، وفقد الناس الطمأنينة والامن ،  
حتى أنه اذا سار ثلاثة فى الطريق فلا يعود منهم الا اثنان ، فالعدد  
الاكبر يقتل منهم أقل (٦١) عددا ، ثم يقص عليه بلايا الناس ، وأخيرا  
يبلغ به العنف أشده ، حتى أنه يتمنى للفرعون نفسه أن يتذوق هذا  
البؤس بنفسه ، وذلك حين يقول له «ليتك تتذوق هذا البؤس  
بنفسك» (٦٢) .

#### ٤ - الانهيار الاقتصادى فى عصر الثورة الاجتماعية :

كانت الاحداث الدامية التى مرت بها البلاد ، سببا فى الازمة  
الاقتصادية الطاحنة التى صاحبت أيام الثورة الاجتماعية الاولى ،

J. A. Wilson, op. cit., p. 442.

(٥٩)

Ibid., p. 442.

(٦٠)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 84-85.

(٦١)

J. A. Wilson, The Admonitions of Ipu-Wer, ANET,  
1966, p. 415.

(٦٢)

ويفهم من الوثائق أن أسباب الأزمة الاقتصادية إنما يرجع الى عدم استتباب الأمن ، والامتناع عن زراعة الاراضى ، فضلا عن امتناع بعض الاقالييم عن دفع الضرائب ، وتعطيل الصناعة ، وعدم القيام بالبعثات الى سيناء ، هذا الى جانب انقطاع التجارة الخارجية ، وضياع ثروات الدلتا التى أصبحت تحت أيدي الاسيويين •

كان اضطراب الامن فى البلاد من أسباب الأزمة الاقتصادية ، فالناس لا يستطيعون أن يعملوا إلا اذا كانوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وقد فقدوا ذلك كله ابان الثورة ، مما أدى الى أن تعطلت الزراعة ، حين امتنع الفلاحون عن زراعة الارض ، يقول «ايبو — ور» : «ان النيل يفيض ومع ذلك لا يقوم أحد من الفلاحين بحرث الارض ، لان كل انسان إنما يقول اننا لا نعلم ما سوف يحل بالبلاد» (٦٣) •

ويؤيد المتنبىء «نفرتى» وجهة النظر التى ذهب اليها «ايبو — ور» وان كان يعطل امتناع الفلاحين عن زراعة الارض — بجانب اضطراب الامن — الى عدم غيضان النيل ، حيث يقول «لقد جف نيل مصر ، حتى ليخوضه الناس بالقدم ، وسوف يبحث الناس عن الماء ، لتمخر عبابه السفن ، فإذا بهم يجدون أن الطريق قد صار شاطئاً ، وأن الشاطئ صار ماء» (٦٤) •

وربما كان «نفرتى» إنما يعنى أن اضطراب الامن إنما قد أدى الى عدم تطهير الترعى ، وحفر ترعى جديدة ، فضلا عن اصلاح الارض البور التى كثرت نتيجة اهمال العناية بأمر الزراعة ، وتحويل كثير من الاراضى الزراعية ، الى أرض بور ، نتيجة هجرة أصحابها ، أو تركها بدون زراعة لسبب من الأسباب ، وربما حدث انخفاض فى النيل فى تلك السنين القاسية ، فساعد ذلك — بجانب غيره — على حدوث المجاعة التى تحدث عنها النبيئان «نفرتى» و «ايبور — ور» •

A. H. Gardiner, op. cit., p. 10.

(٦٣)

A. Erman, op. cit., p. 113.

(٦٤)



وينتھز حکام الاقاليم فرصة الاضطرابات ، فيستأثر أغلبهم بثروات اقاليمهم ، كما فعل أمراء ثنى واليفانتين ، يقول «ايو - و» : «لماذا لم تدفع اليفانتين وثنى الضرائب ، وهناك حاجة الى الفاكهة والقمح ، وكل أنواع التجارة ، وكل ما تنتجه الضياع ، فما فائدة الخزانة بدون دخل» (٦٥) ، وزاد الطين بلة ، أن القليل من الضرائب الذي كان يصل الى الخزائن الملكية ، انما كان ملكا مشاعا لكل قادر على النهب «حيث دمرت سجلات كتبة المحاصيل ، وأصبحت غلال مصر ملكا مشاعا» (٦٦) ، كما زاد عدد الموظفين المشرفين على جمع الضرائب ، بحيث أصبحت موارد الدولة لا تطيق مرتباتهم ، هذا فضلا عن قلة الانتاج ، ومغالة في تقدير الضرائب ، وتطفيف الكيل ، يقول «نفرتي» : «لقد نقصت الارض ، وتضاعف حكامها ، وأصبحت الحقول عارية ، ومع ذلك فضرائبها كثيرة ، وغلتها قليلة ، كما صار المكيال كبيرا» (٦٧) .

وكان تعطيل الصناعة من أسباب الازمة الاقتصادية الطاحنة ، فقد تسببت أحداث الثورة ، وما أدت اليه من اضطراب في الامن ، التي تعطيل العاملين في الصناعة ، وساهم الاجانب في الازمة الاقتصادية ، والقضاء على صناعة البلاد ، «لا صانع يعمل ، والعدو يحرم البلاد حرفها» (٦٨) .

وأدت أحداث الثورة الدامية الى حرمان البلاد من دخل التجارة الخارجية التي كانت تجنى منها دخلا كبيرا ، يقول «ايو - و» : «ما عاد أحد ييحر الى جبيل ، فما الذي سوف نفعله بشأن أخشاب الارز ، التي اعتدنا أن نصنع منها توابيتنا ، والزيت التي يحنط بها

A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909. (٦٥)

J. A. Wilson, The Admonitions of I Pu - Wer, ANET, 1966, p. 442. (٦٦)

A. Erman, op. cit., p. 114. (٦٧)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 10. (٦٨)

الامراء ، والتي كانت ترد اليها من هناك ، ومن كفتيو (كريت)» (٦٩) ، كما أن استيلاء الاسيويين على الدلتا ، انما قد حرم البلاد من ثروتها ، يقول «ايو — ور» : «ما الذي جعل الارض الحمراء ( الصحراء ) تنتشر في طول البلاد وعرضها ، خربت الاقاليم ، وجاء قوم اجانب الى مصر» (٧٠) ، كما تسبب الاجانب كذلك في عدم استغلال مناجم سيناء، ومن ثم فاننا لا نرى سوى اشارات عن بعثات أرسلت لاستغلال بعض محاجر الصحراء الشرقية ، أما استغلال المعادن — كما كان قبل عهد الثورة — فلم يعد الا على أيام الاسرة الثانية عشرة (٧١) .

ويصور الحكيم المصري «ايو — ور» أحوال البلاد الاقتصادية ، وانتشار المجاعات بين الناس ، فيقول : «لقد أصبح الناس يأكلون الحشائش ، ويشربون الماء ، ولا توجد فاكهة ، كما لا يوجد عشباً يأكل منه الطير ، وقد أصبحت القاذورات تختطف من أفواه الخنازير ، ولم يعد أحد يقول : هذا لك فخذ به بدلاً مني ، لان القوم صاروا جوعاً» (٧٢) ، ويقول : «لقد ضاع محصول القمح ، وأصبح القوم لا يجدون لباساً أو عطوراً أو زيوتاً ، وكل انسان يقول : لم يبق شيء ، وأصبحت مخازن الحكومة خاوية ، وقد ألقى حراسها على الارض» (٧٣) .

ويصور أمراء الاقاليم هذه الازمة الاقتصادية في نقوش مقابرهم ، مشيرين الى جهودهم في محاولة حلها ، والقضاء على أسبابها ، وهكذا رأينا الواحد منهم يحدثنا عن جهوده في استتباب الامن ، وتطهير الترع ، ومد المعونة للمعوزين ، ولكن يجب علينا أن نأخذ ذلك بحذر ، فهم كثيراً ما كانوا يبالغون في نقوشهم هذه ، فهاهو «غخ — تيفي» أمير «نخن» (البصيلية) يتحدث عن سني المجاعة في مقبرته في «المعلا»

Ibid., p. 32.

(٦٩)

Ibid., p. 36.

(٧٠)

A. H. Gradiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 110.

(٧١)

J. A. Wilson, op. cit., p. 442.

(٧٢)

A. Erman, op. cit., p. 99.

(٧٣)

(فيما بين اسنا وأرمنت) ، فيقول انه أمد خلالها مدنا أخرى — الى جانب مدينته — بالهبات والقمح ، وقد امتدت دائرة نشاطه حتى مدينة «دندرة» — على مبعده ٥ كيلا شمال غرب قنا عبر النهر — وبذا أنقذ الصعيد الجنوبي الذي كاد يموت جوعا ، وكل رجل فيه كان يغتال أطفاله (٧٤) .

وهناك «(مرى)» أمير دندرة على أيام الاسرة الثامنة ، حيث تقدم لنا نقوش مقبرته سيرة عطرة لصاحبها ، مملوءة بتقارير عن حكمته وعدله وعطفه على الفقراء والمضطهدين (٧٥) ، وهناك مقبرة لرجل يدعى «نفريو» من نفس المنطقة ، يزعم فيها أنه قد أعطى الخبز للجوعان ، والملابس للعريان ، وأنه أغاث الرجل العظيم حتى انتهت سنة المذابح (٧٦) .

ونقرأ في نقوش مقبرة «(خيتي الثاني)» أمير أسيوط ، على أيام الالهاسيين ، عن جهوده في القضاء على الازمة الاقتصادية بأن قدم هدية لمدينته ، وذلك بأن حفر ترعة ليروي الفلاحون منها أرضهم ، ويسقوا زرعهم ، ثم يقول : «اننى غنى بقمح الشمال ، حيث كانت الارض في جفاف ، وعندما شحت أقوات البلاد أمددت المدينة بالحبوب والخبز ، وسمحت لكل مواطن بأن يأخذ نصيبه ونصيب زوجته ، وقد أعطيت الارملة وولدها ، وتجاوزت عن الضرائب التى فرضها أبى ، وملأت المراعى بالماشية» (٧٧) .

ويتحدث «(أمينى)» أمير بنى حسن ، عن دوره في القضاء على هذه

---

A. H. Gardiner, op. cit., p. 111. (٧٤)

J. Vandier, La Tombe d'Ankhtifi a moaila, Le Cairo, 1950 وكذا

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٧٥)  
1964, p. 111.

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, (٧٦)  
1953, p. 138.

ARE, I, 1906, p. 181. (٧٧)

J. Vandier, La Famine dans L'Egypte Ancienne, Cairo وكذا  
1936, p. 101 F.



المجاعة ، فيقول : «وعندما حلت سنوات المجاعة حرثت جميع أراضي الاقليم ، من حده الجنوبي الى حده الشمالى ، وأبقيت الاهالى أحياء ، وأعطيتهم طعاما ، حتى لم يوجد بينهم جائع واحد ، وقد أعطيت الارملة ، كما أعطيت المتزوجة» (٧٨) ، وعلى نفس طريقة «أمينى» يقص علينا جيرانه أمراء «حتتوب» من أن الواحد منهم انما كان قد «أنقذ الارملة ، وواسى المتألم ، وأطعم الطفل ، وعال مدينته فى زمن القحط ، وأطعمها أيام المجاعة ، وهو الذى زودها بسخاء بلا تفرقة ، فكان عظماء مدينته كغيرهم فى ذلك» (٧٩) .

#### ه - الحرب الاهلية بين اهناسية وطيبة :

كانت طيبة قد بدأت تأخذ زمام القيادة على أقاليم الجنوب منذ أيام الامير بالوراثه «أنتف الاول» (أنيو تفت) ، المولود من «ايكو» ، مؤسس سلسلة الملوك المعروفين باسم الاسرة الحادية عشرة ، وهو نفس الامير بالوراثه «أنيو تفت» الذى نلتقى به فى المحصر المضطرب للملوك الذين يحملون هذا اللقب ، والمذكورين فى جدول الكرنك ، وهناك ثلاث لوحات يمكن أن تعد وثائق معاصرة لهذا الامير ، يوصف فى اثنين منها - وربما آخر يحمل نفس اللقب - بأنه «الرئيس الاعلى لمصر العليا» ، ويوصف فى الثالثة بأنه «الرئيس الاعلى لمقاطعة طيبة» وربما كان أكثر قبولا أن نفترض وجود سلف واحد فقط يحمل نفس اللقب ، وأن «أنيو تفت» هذا انما هو «أنيو تفت عا» (انيوتف العظيم) الذى استطاع أن يخضع نواحي الجنوب من وراء حدود اقليمه ، وان لم يجروا على انتحال الملكية (٨٠) .

أما أول «أنيو تفت» ملكى ، فقد كان «سهر تاوى» ( مهدى الارضين ) ، ويظن «هربرت ونلوك» ( ١٨٨٤ - ١٩٥٠ ) أنه صاحب

J. Vandier, op. cit., p. 111.

(٧٨)

P. E. Newbery, Beni Hassan, I, London, 1883, Pl. 8, p. 27.

وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, p. 214 .

(٧٩)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 117-118.

(٨٠)

المقبرة الشمالية من مجموعة المقابر الثلاثة الكبرى ذات الطراز الخاص  
التي كُتِفَ عنها في السهل على خط وهمي بين معبد «مونت» في الكرنك،  
والفتحة المؤدية إلى مقابر الملوك ، وتسمى «الصف» لأنها ذات مداخن  
تجعلها تبدو كأنها هي محاطة بأروقة من ثلاث نواح ، وربما كانت مقابر  
لهؤلاء الثلاثة الأوائل الذين يحملون لقب «أنبيوتف» مادام من المؤكد  
أن أحداها — وربما كانت الوسطى — تخص «واح عنخ أنبيوتف  
الثاني» (٨١) .

وعلى أي حال ، فلقد كان «سهر تاوي» أول حاكم طيبى أحس في  
نفسه القوة على أن يغتصب نوعا من الملكية في الجنوب ، وإن لم  
يستطيع هو — أو أحد خلفائه الثلاثة — أن يلبس التاج المزدوج ، وإن  
أسبغوا على أنفسهم لقب «نسوت بيتي» الذي يمكن ترجمته إلى ملك  
مصر العليا والسفلى ، وقد حفظ لنا اسمه «حور سهر تاوي ، مهديء  
الأرضين ، ابن رع ، أنبيوتف» ، وهو — على أي حال — أول حكام  
الأسرة الحادية عشرة ، الذين حكموا نصف البلاد ، حوالي عام  
٢١٣٤ ق م ، أي قبل قيام الأسرة الثانية عشرة في عام ١٩٩١ ق م ،  
بحوالي ١٤٣ سنة ، كما أنه كان أول حاكم طيبى يكتب اسمه داخل  
خانة ملكية (خرطوش) ، كما أنه ظهر ككائن ومناهض لخصمه القوى  
فرعون اهناسية ، إلا أن الاحتكاك الحربي بين طيبة واهناسية لم يبدأ  
إلا في عهد خلفه «واح عنخ أنتف» (٢١٣٠ — ٢٠٨١ ق م) (٨٢) .

وكانت اهناسية تحس أن سلطانها على مصر لن يتم ، مادام هناك  
أسيوى في الشمال ، وطيبى في الجنوب ، وكل منهما يحتل جزءا من

H. Winlock, The Rise and Fall of Middle Kingdom in Thebes, N. Y, 1947, p. 11. (٨١)

W. C. Hayes, CAH, I, Part, 2, 1971, p. 476. (٨٢)

H. Winlock, op. cit., p. 10. وكذا

R. O. Faulkner, The Rebellion in The Hare Nome, JEA, 30, 1944, p. 61-63. وكذا

البلاد ، وكانت طيبة بدورها تحس أن استقلالها لن يمكنها من زعامة الصعيد والتحكم في شئونهم ، مادامت تدين بالولاء لاهناسية ، وتدفع الجزية ، وكان كل من الفريقين يتربص بالآخر الدوائر ، ويعمل على تجميع أنصار له .

وهكذا عمل الاهناسيون على ربط حكام الاقاليم بهم برباط الود ، واتبعوا في ذلك سياسة بعض ملوك الدولة القديمة في تربية أبناء الحكام الاقرباء في قصورهم ليصبحوا أوفياء لهم ، ويحدثنا « خيتي » أمير أسيوط عن ذلك بقوله : « لقد كنت محبوبا من الملك ، وثقة من أمرائه ، وممجدًا في مصر الوسطى ، وقد أدى ذلك الى أن أحكم وأنا طفل طوله ذراع ، ورفع منزلتي في شبابي ، وتعلمت السباحة مع أطفال الملك ، وكنت شخصا جادا في حديثه ، مبرأ مما يسيء سيده ، الذي رباه طفلا ، وسعدت أسيوط بحكمي ، وشكرت اهناسية الاله بسببي ، وقالت مصر الوسطى والدلتا : تربية ملك » (٨٢) .

وحاولت طيبة بدورها أن تجمع الاحلاف من حولها ، وربما نجحت في ذلك بعض الشيء ، ولكنها اعتمدت أكثر ما اعتمدت على حصانتها ، وعلى صلابة رجالها الصاعدة ، وعلى اذكاء روح الامل فيهم .

وبدأ التنافس بين اهناسية وطيبة في صورة خفية أول الامر ، ثم سرعان ما اتخذ صورته المكشوفة بعد ذلك ، اذ قامت بين الفريقين المتنافسين معارك دارت رحاها على صفحة الماء مرة ، وفي البر مرة أخرى ، ولعل السبب أن كلا من « خيتي » و « أنيوتف » انما كان يتطلع الى « أبيدوس » كأنما هي من أملاكه الخاصة ، فهي بالنسبة لملك اهناسية — أو بالنسبة الى مولاها « تف ايبي » صاحب أسيوط — قلعة باب الجنوب ، وهي بالنسبة الى « أنيوتف » بوابة الشمال .

---

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, I, Chicago, (٨٢)  
1906, Parag, 413, p. 190.



ومنطقة أبيدوس منطقة حساسة ، هي مركز القداسة لدى الجميع ، واثارة الحرب على أرضها تدنيس يحمل وزره من يسعى اليها ، ولعل هذا ما دعا «خيتي» الى اظهار ندمه ، وخاصة بعد نهب المقابر ، وانتهاك حرمتها (٨٤) .

بدأت اهناسية الحرب على طيبة ، ويصف لنا «قف ايوب» الذي كان قد خلف أباه «خيتي» في امارة أسيوط ، أول معركة بين جنود الصعيد الاقصى وبين قوات اهناسية . والتي يبدو أنه انتصر فيها ، وذلك حين يقول : «لقد أتيت الى المدينة وهزمت أعداء الفرعون ، واقتفيت أثرهم الى حصن رأس مصر العليا ، وأعطاني الملك أرضا كمكافأة» (٨٥) ، وقد تابع «قف ايوب» الحرب ضد أهل طيبة وحلفائهم حتى فروا الى شرق البلاد ، بينما اصطادهم آخرون في الجنوب ، مثل كلب الصيد الذي يقنر في خطوات واسعة خلف غزال مذعور (٨٦) .

وهكذا هزم أمراء طيبة ، وان لم تكن هزيمتهم حاسمة ، اذ احتاج الاهناسيون الى عمليات حربية أخرى ، مما اضطر «قف ايوب» الى منزلة ثوار طيبة مرة أخرى فهو يقول : «قد جاء آخر كابن آوى . مع جيش آخر من حلفائه ، فخرجت لملاقاته ، ولم أتوقف عن القتال حتى النهاية ، واستخدمت المريح الشمالية ، كما استخدمت المريح الجنوبية» . وسقط في الماء ، وغرقت سفن أسطوله ، وكان جيشه كثيران تهاجم بحيوانات مقدسة فتجـرى ، وذيولها الى الامام (٨٧) . وفي نهاية النص نقراً : «وكانت البلاد في فرح من جنودى ، ولم تعد هناك بلاد

---

(٨٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٩١ .

R. O. Faulkner, JEA, 30, 1944, p. 61-63. وكذا

H. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom (٨٥) in Thebes, N. Y, p. 14.

H. Winlock, op. cit., p. 14. (٨٦)

J. H. Breasted, op. cit., Parag, 396, p. 182-183. وكذا

J. H. Breasted, op. cit., Parag, 396, p. 183. (٨٧)

أجنبية لا تخاف اهناسية ، بعد ما رأت الدخان يتصاعد من المقاطعات الجنوبية<sup>(٨٨)</sup> ولعل من الجدير بالإشارة هنا الى أن هذه الواقعة انما كانت الاولى من نوعها في التاريخ المصرى ، ذلك لاننا لا نعرف معركة من قبل دارت رحاها على صفحة الماء .

وهناك اشارة بقيت لنا عن هذا الصدام فى أيام «واح عنخ» يفهم منها أن الجانب الطيبى انما قد استطاع أن يسترجع أبيدوس ، وأن يمد حدوده حتى الاقليم العاشر ، أى حتى مدينة «واجت» (افروديتو بوليس) ، وهى «كوم أشقاو» الحالية ، على مبعده خمسة كيلو مترات شرقى «مشطا» — بمركز طهطا — محافظة سوهاج .

وعلى أى حال ، فلقد كان من المنتظر أن يعود «واح عنخ — أنتف» الى طيبة ، وأن ينتظر ما تقرره اهناسية بعد هزائمه السابقة ، غير أن قائدا مثله — فيه عناد أهل الصعيد ، وفيه صلابتهم ، وفيه صبرهم على الكفاح — لن يقنع من الغنيمة بالاياب ، ولن يستسلم عن استكاثه وضعف وخنوع ، ومن ثم فقد أعاد الكرة من جديد ، حيث كتب له من النجاح ما لم يكتب له من قبل .

ونقرأ قصة نصر «واح عنخ» هذه فى لوحته التى عثر عليها «أوجست فريناند فرانسوا مارييت» (١٨٢١ — ١٨٨١م) فى عام ١٨٦٠م ، ولكنه تركها فى مكانها ، حتى عثر عليها «جاستون ماسبرو» (١٨٤٦ — ١٩١٦) فى عام ١٨٨٢م ، ثم جمع «دارسى» ما تبقى منها ، حيث حفظت بالمتحف المصرى بالقاهرة ، وهى ذات شقين ، الواحد دينى ، والاخر سياسى ، وفى الشق السياسى يخبرنا «حور واح عنخ» ، ملك مصر العليا والسفلى ، ابن رع ، «أنيو توف الكبير» ، كيف سقطت «ثنى» وكيف دمر تخومها الشمالية حتى اقليم افروديتوبوليس ، حيث يقول : «لقد نزلت بالوادى المقدس ، واستوليت على اقليم ثنى ،

H. Winlock, op. cit., p. 15.

وفتحت كل حصونه ، لقد جعلت ثنى بوابة الشمال ، كما أن الليفانتين  
بوابة الجنوب» (٨٩) .

وهكذا استطاع «واح عنخ» أن يضيف الى أملاكه مقاطعة «ثنى» ،  
وأن يوطد حدوده الشمالية عند «افروديتوبوليس» (كوم أشقاو) في  
غربي النيل ، وعند «بانوبوليس» (أخميم) في شرقي النيل ، الا أن  
الغنيمة الكبرى إنما كانت أبيدوس ، ومعبد «أوزير» الذي يرجع الى  
أيام الدولة القديمة ، فضلا عن مقابر الملوك الاوائل من الاسرتين  
الاولى والثانية في الصحراء ، فيما وراء أبيدوس (٩٠) عند «أم القعاب»  
على مبعده كيلو مترين جنوب غرب معبد رعمسيس الثانى هناك .

ولعل مما يؤكد اتساع الرقعة التى كان يحكمها «واح عنخ» ما تسجله  
الاثار التى خلفها عدد من الموظفين في اقليمه ، ولعل أجملها ما تحمل  
اسم حامل الختم المدعو «نيتى» الذى يفخر أكثر ما يفخر بأنه عهد  
اليه ادارة الثروة الواسعة التى جىء بها لمولاه من مصر العليا والسفلى ،  
فضلا عما جىء به من رؤساء بلاد الصحراء (٩١) .

وهكذا تنتهى المرحلة الاولى من النزاع بين طيبة واهناسية بغلبة  
طيبة ، وينتقل «واح عنخ» الى جوار ربه ، ويخلفه في زعامة طيبة ابنه  
«نخت نب تب نفرة — اينوتف» ، ومعنى لقبه «قوى سيد البداية  
الجميلة» ، ولم يمكث في الحكم سوى سنوات ثلاث ، ثم جاء من بعده  
«سعنخ ايب تورى» (منتوحتب الاول) ، ولقبه يعنى «آمون راض»  
وكان المؤرخون يعتبرونه الملك السابق للفرعون «نب حبت رع» الذى  
كتب له نجحاً بعيد المدى في النصر على الاهناسيين ، والقضاء على

W. C. Hayes, CAH, I, Part, 2, 1971, p. 477.

(٨٩)

W. M. F. Petrie, A History of Egypt, I, p. 126.

وكذا

H. Winlock, op. cit., p. 15-16.

(٩٠)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 119.

(٩١)

JEA, XVII, p. 55 F.

وكذا



ملكهم ، واعادة توحيد البلاد كلها ، وقد حدثت ثورة في العام الرابع عشر من حكم «ايب تورى» في «ثنى» أدت الى معارك جديدة ، أودت بالملكية الاهناسية وقضت عليها ، وان كان النصر النهائى انما كان من نصيب «نبت حبت رع» (٩٢) .

هذا وقد توصل «هانز شتوك» (٩٣) الى ثلاثة ألقاب منفصلة ، كانت تنسب من قبل الى ثلاثة ملوك مختلفين ، يحملون جميعا لقب «منتو حتب» ، تخص في الواقع ملكا واحدا فقط ، ويعكس كل لقب منها مرحلة مختلفة من حياته العملية ، والواقع أن مثل هذا التغير الاساسى في الألقاب ، انما هو غريب من نوعه تقريبا في الحوليات الفرعونية ، ولكن يحمل على تصديقه الاحداث الخطيرة الشأن التى يعكسها .

ففى بداية حكم «منتو حتب الاول» — شأنه فى ذلك شأن الاحكام الاوائل فى أسرته — اكتفى باسمه ورضى أن يطلق على نفسه «الاحور سعنخ ايب تورى» (الذى يجعل قلب الارضين يعيش) ، وقد يعنى «ذلك الذى يحيى آمالهم» ، وهناك لوحة فى المتحف البريطانى تعد واحدة من الآثار القليلة التى تسجل هذا المظهر ، وهى تشير الى أنه فى السنة الرابعة عشرة من حكمه ثارت «ثنى» وربما أرادت أن تعطى الإشارة للملك للتقدم شمالا .

وفى المظهر التالى ، أردف «منتو حتب» اسم «نبت حبت رع» الى كنيته (لقبه الحائلى) ، وربما كان المراد من ذلك الإشارة الى سيطرته التامة على مصر العليا ، ولم يصلنا أى شىء مؤرخ من هذه الفترة ، ولكن اللقب الاحورى هنا يروى قصته ، ومنذ العام التاسع والثلاثين — وربما قبل ذلك — استبدل اللقب الحورى الى «سام نووى» (موحد الارضين) ، بينما ظل الاسم يقرأ «نبت حبت رع» وان كتب بعلامة

J. Vercoutter, op. cit., p. 348.

(٩٢)

H. Stock, Mitt. Kairo, XIV, p. 42 F.

(٩٣)

المجداف ، بدل أن يكتب بعلامة غير معروفة تماما ، وقد أدت هذه الحقيقة إلى الاسم النهائي الذي قرئ «خطأ» «نب خورع» ، ونسبنا إلى منتو حتب آخر ، يختلف عن الاثنين اللذين حملتا اللقب السالف الذكر .

وإذا تبذنا هذا الخطأ ، فأنه بيد الامين : الانسباء الشخصية التي تحمل اسم «منتو حتب» والذين يعدهم معظم المؤرخين في الأسرة الحادية عشرة ، سوف نعترف هنا بثلاثة فقط ، ومن ثم فإننا سوف نتعامل مع أحداث الصدام في عهد «سعنخ ايب توووي» و «نب حبت رع» على أنها قد حدثت في عهد ملك واحد (٩٤) .

كان «مرى كارع» رقتا على عرش طهناسية بعد ولحاق أبيه «خيتي» الذي ترك له بتعاليفه المشهورة ما كما كانت المرأة أسيوطة قد رالت إلى «خيتي الثاني» بعد وفاة أبيه «نف نايب» . أما في طهنية فقد كان الحاكم فيها «سعنخ ايب توووي» من ويبدو أن ثلوثا عاتية قد استقبلت عهد «مرى كارع» ، ومن ثم نجد «خيتي الثاني» والى أسيوطة والذين ربما كان يشغل منصب القائد الجرمي لملكية طهناسية بنافخه بأنه قد أديب مصر الواسطي وأخضع الثوار ، وأعاد النظام ، وجفي بهما من مصر من الغيوم ، وذلك حين يقول : تقيتما في نفسنا في ثلاثا .

«أضاعت السماء ، وأصبحت الأرض كلها معة ، وجاء أمراء مصر الوسطى وأقطاب أهناسية — أقليم سيده الأرض — ليدفعوا العدوان ، ارتعدت الأرض ، وأيقول الخوف على مصر الوسطى ، وأضيق كل الناس في رعب ، وكانت القرى مذبذبة ، ودخل الرعب كل تقين ، ووقع موظف الفرعون في أزمة الخوف ، وأضيق المقيلون في أهناسية ضحية للذعر ، واحتلقت البلاد بتلعينها ، ولم يكن هناك شيء إلا ملام

J. Vercouter, op cit., p. 348-349  
A. H. Gardiner op cit., p. 120-121

(٩٤) .  
وكذا .

الاسطول الذى وصلت مقدمته الى «شاس حوتب» (الشطب الحالية) ،  
على مبعده ٢١ كيلا جنوبى أسيوط) ، بينما كانت مؤخرته فى .....  
«ولقد عادوا بالماء ، ورسوا بأرض اهناسية ، وجاءت المدينة فرحة  
بسيدها ، وابن سيدها ، واختلط الرجال بالنساء والشيوخ بالاطفال ،  
«ووصل ابن السيد الى المدينة ، ودخل بلاط أبيه ، وأعاد هؤلاء الذين  
«تركوا بيوتهم ، ودفن هؤلاء الذين لا أولاد لهم ، سيد الارضين ، الملك  
«مرى كارع» (٩٥) .

«وهكذا يبدو أن هنا كثورة استقبلت عهد «مرى كارع» ، ربما كانت  
الثورة التى حدثت فى السنة الرابعة عشرة من حكم «سعنخ ايپ تووى»  
فى اهناسية ، وربما كانت ثورة أخرى ، ولكن ليس فى الدلتا التى كان  
أبوه يخشى ثورتها ، وانما فى قلب مملكته فى اهناسية — فيما يرى جيمس  
بيكى — وربما فى الاقاليم التى تمردت عليه ، وبدأت تعلن العصيان ،  
وربما كان هذا أو ذاك ، وربما كان قد نجح فى أن يهدى الاحوال  
مؤقتا» (٩٦) .

لم تقدم لنا نقوش «خيتى» والى أسيوط صورة حقيقية عن الحالة  
فى اهناسية وبين حلفائها ، فليس صحيحا كل ما ذكره ، ولعله أراد بهذه  
الكلمات الحماسية أن يخفى الحقيقة المرة التى كانت تواجهه ، وتنذره  
بأن حربا شعواء سوف تندلع فى عهد سيده «مرى كارع» وليس  
صحيحا كذلك أن كل زعماء مصر الوسطى كانوا فى صف سيده .

فهنالك ما يشير الى أن ولاء حكام أقاليم مصر الوسطى لقضية حكام  
اهناسية ليس فوق مستوى الشبهات ، ففى مقابر «حتنوب» كتابات  
لا تهيل النعوت المليئة بالزلفى على الحكام الاقليميين فحسب ، بل  
نجدها تصحب أسماءهم بصيغ التمنيات مثل «ألا فليعيش الى الابد»

(٩٥) J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag., 401, p. 185-188.

(٩٦) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر

الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ١٣٨ — ١٤٦ .



أو «الحماية الحياة تحيط به مثل رع الى الابد» ، وهى صيغ عرفناها — من قبل ومن بعد فى أماكن أخرى — مقصورة على الفراعين دون سواهم ، ولعل أعجب من هذا أن هذه الكتابات مؤرخة بسنى الحكم لامراء الاقليم ، وليس للملوك المعاصرين ، وهناك كتابتان من أقدمها تسجل العامين الثلاثين والعشرين للحكم على التوالى (٩٧) .

وهناك ما يثبت أن «(الاشمونين)» قد ثارت على الاهناسيين منذ عهد واليها «(نحرى)» . ففى نقش ربما كان من السنة السابعة ، يتحدث فيه «(كاي بن نحرى)» عن الجنود الذين حلوا محل آخرين شتتوا بسبب العصيان ، «(لقد جندت جنودها من الشباب لكى تكون قوتها كثيرة العدد ، بدل الجنود الذين أصبحوا موظفين واستقروا فى دورهم ولم يخرجوا للقتال فى وقت الفزع من القصر ولقد أنقذت مدينتى فى يوم الشدة من رعب القصر ، وكنت قد حصنتها فى يوم المعركة ، وملجأها فى «(شديت شا)» ويقول «(دحوت نخت)» أخو «(كاي)» ، والمشرف على الامور الدينية فى الاقليم ، فى نفس السنة السابعة ، «(لقد كنت مواطنا شجاعا ، ضرب قوات الملك فى يوم المعركة)» (٩٨) .

وهكذا يعلن أمير مقاطعة الارنب الحرب على الفرعون ، ويفخر بأنه حمى مدينته من الفرعون نفسه ، وان كان عاد ثانية الى حظيرة مولاه اسميا ، وهكذا أفلت الزمام من أيدي ملوك اهناسية ، ولم تعد سياستهم تجاه الامراء ذات فائدة للحفاظ على عرشهم ، وأصبح القضاء عليهم أمر وقت ، وكان ذلك على يد «(منتوحتب الاول)» .

وليس هناك شئ محدد تماما عن الحملات التى استطاع بها «(منتوحتب الاول)» استعادة التاج المزدوج ، وتوحيد البلاد ، والقضاء على الفوضى الداخلية التى بدأت فيها منذ نهاية الاسرة السادسة والتى فصلت البلاد الى شمال وجنوب ، ولكن مما لا شك فيه أن «(منتوحتب

A. H. Gardiner, op. cit., p. 114.

(٩٧)

R. O. Faulkner, JEA, 30, 1944, p. 61-63.

(٩٨)

الاول» قد بذل كثيرا من الجهد لاختضاع كل معارضة قامت في طريقه ، حتى انتهى الامر باستيلائه على اهناسية ، وبذلك استطاع أن يخضع الصعيد لسلطانه ، وأن يستخدّم اللقب الحورى «نب حدج» الذى يعنى «سيد التاج الابيض» .

ثم تابع جهاده فى سبيل السيطرة على الوادى كله ، فطوى الدلتا تحت رايته ، وبذا بدأ منذ العام التاسع والثلاثين — وربما قبله — فغير لقبه الحورى الى «سام تاووى» (موحد الارضين) ، ثم اتجه بعد ذلك الى تأمين حدوده ، فحارب العدو فى الشرق والغرب ، كما أخضع المنطقة جنوبى أسوان ، ولم يحاول أن يصطدم بالامراء الاقوياء فتركهم يحكمون اقاليمهم واكتفى منهم بالطاعة والجزية وحسن الولاء .

أما الادلة الاثرية على ذلك كله فكثيرة ، منها تلك المقبرة التى عثر عثر عليها «هربرت ونلوك» تضم جثث قرابة ستين جنديا ، على مقربة من معبده فى طيبة الغربية ، رأى فيهم «ونلوك» جنودا وقعوا فى معارك ضد الشمال ، وتدل أجسادهم على أنهم قتلوا عندما كانوا يهاجمون حصنا ، وأن فريقا منهم انما قتل فى ساحة الوغى ، بينما جرح الفريق الاخر من المهاجمين الذين كانوا فوق الاسوار ، وحين هرب رفاقهم نزل رجال الحامية والتقطوهم من شعرهم الكثيف ، ثم ضربوهم بالمصى حتى قتلوهم ثم تركوهم فى ميدان القتال حتى نهشتهم جوارخ الطير ، وأخيرا تمكن «منتو حتب الاول» فى هجومه الثانى من جمع موتاهم وحملهم الى قبر على مقربة من مدفنه الذى كان يجهزه لنفسه (٩٩) .

ورأى الدكتور أحمد بدوى أنهم قتلوا أثناء مهاجمة القلاع الواقعة

---

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thebes, N. Y., 1947, p. 29. (٩٩)  
H. E. Winlock, The Slain Soldiers of Neb-Hepet-Re, وكذا  
Mentu-Hotpe, N. Y., 1945.

في تخوم أبيدوس<sup>(١٠٠)</sup> ، ورأى «سير ألن جاردنر» أنهم ذبحوا دون شك في معركة على مسافة لا تبعد كثيراً عن العاصمة<sup>(١٠١)</sup> ، ورأى الدكتور عبد العزيز صالح أنهم استشهدوا في معركة انفصالية ضد «منتو حتب» على مقربة من عاصمته طيبة ، فوسدهم اخوانهم في قبر كبير نحتوه في الصخر على هيئة المغارة قرب القبر الذي أعده ملكهم لنفسه<sup>(١٠٢)</sup> .

كان «منتو حتب الاول» «نب حبت رع» أول ملوك الاسرة الحادية عشرة ، الذي أصبح ملكاً حقيقياً على مصر كلها ، ومن هنا فان المصادر انما تجمع على ذكر اسمه ، فعلت ذلك بردية تورين وقائمة أبيدوس — ولعل ذلك هو الذي دفع البعض الى اعتبار قيام الاسرة الحادية عشرة انما كان في عام ٢٠٥٢ ق.م ، أى منذ توحيد القطرين تحت زعامة «منتو حتب الاول» .

هذا وقد احتل «منتو حتب الاول» مكانة عظيمة بين أقرانه من عظماء الفراعين ، بوصفه واحداً من مؤسسي الدول ، فلقد اعترف كاتب قائمة الكرنك بالمركز الهام الذي ناله هذا الفرعون ، بوصفه ملكاً على مصر كلها ، ومن ثم فلم يكتف بوضع اسمه في جزء آخر من قائمة الاجداد الصغيرة ، غير الذي كان فيه أجداده الذين سبقوه مباشرة ، بل انما يصفه كذلك بأنه «الاله الطيب ، رب الارضين ، ملك مصر العليا والسفلى ، سيد القربان ، نب حبت رع ، المبرأ» ، كما نجد اسمه كذلك في قائمة الملوك بمقبرة «نقري» بسقارة ، وقد ذكره «ترني» في قائمة أبيدوس .

وتظهر مكانته بصورة بارزة في الرمسيوم ، فهناك نجد الملك «ميناء»

---

(١٠٠) أحمد بدوى . في موكب الشمس — الجزء الثانى — القاهرة ١٩٥٠ ص ٥٠ .

(١٠١) A. H. Gardiner, op. cit., p. 121.

(١٠٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٤ .



والملك «نب حبت رع» (منتو حتب الاول) والملك «نب بحتى رع»  
(أحمس الاول) يظهرون بوصفهم المؤسسين للدولة القديمة والدولة  
الوسطى والدولة الحديثة (١٠٣) .

هذا وقد اتخذ «منتو حتب الاول» اللقب الذى تدل على أنه ملك  
مصر الحقيقى ، فسمى نفسه «الحور، سماتاوى (موحد الارضين)  
وصاحب الالهتين سام تاوى ، حور الذهبى ، قا — شوتى ، ملك مصر  
العليا والسفلى ، نب حبت رع ، ابن رع ، منتو حتب الاول» ، وهذه  
هى اللقب الفرعونية الخمسة (١٠٤) .

---

H. E. Winlock, op. cit., p. 31.

(١٠٣)

W. C. Hayes, op. cit., p. 181.

وكذا

M. Cassirer, An Egyptian Funerary Stele with a Rare  
Title, ASAE, 52, 1954, p. 42-43.

وكذا

H. E. Winlock. op. cit., p. 30.

(١٠٤)

## الفصل الثالث

### نتائج الثورة الاجتماعية الاولى

#### ١ - في المجال السياسى :

قامت الملكية الفرعونية منذ العهد الثينى على أساس دينى ، فالملك فيها اله تكرم فأقام فى أرض مصر ليحكمها وليسعد المحكومين من أبنائها، ومن هنا سيطر الفراعين على رعاياهم فى دنياهم وآخرتهم ، ثم ماتلبث الامور أن تتغير ، وتقوم الثورة الاجتماعية الاولى ، ويتغير مركز الفراعين المؤلهين •

وتصور تحذيرات ((ايبو - ور)) كيف هان شأن الفراعين ، وكيف أصبحوا مجالا للنقد والتجريح المرير ، بعد أن كانوا مجالا للتأليه والتقديس ، حتى أن ((ايبو - ور)) يتهم الملك بأنه سبب البلىا التى حاقت بالبلاد ، ويتمنى له أن يتذوق منها<sup>(١)</sup> ، بعد أن كان أى فرد فى البلاد - مهما علت مكانته - يفخر ، ان كتب له هذا الفخر ، بأنه قد سمح له أن يقبل قدم الملك ، بدل أن يقبل الارض بين يديه •

وفى العصر الاهناسى ، نرى الفرعون نفسه يتطرق اليه الشعور بضياع الهالة التى كانت تسبغ على الملكية ، فيعترف بخطئه وأر القصاص قد حل به ، فعوقب بمثل جريمته ، ((ان مصر تحارب حتى فى الجبانة ، انى فعلت ذلك ، وحدث لى ما يحدث لمن يخالف أوامر الاله ، انظر : لقد حدثت كارثة فى عهدى ، غزى اقليم ثنى بسبب ما فعلت ، غير أنى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما

---

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 242.

(١)

جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى»<sup>(٢)</sup> ، مما يدل على أن الهالة التي كان الفراعين يحيطون بها أنفسهم — أو يحيطهم بها شعبهم — قد ضاعت ، وأن ذلك الحجاب الفاصل بين الفرعون الاله وبين العامة من شعبه ، قد انهار •

هذا وقد دعا عصر الثورة الى تطبيق العدالة الاجتماعية بين الناس جميعا ، وكان على الحكام أن يفعلوا ذلك ، ومن هنا فقد رأينا بعض الفراعين انما يتخذ عند جلوسه على العرش أسماء رسمية ، تعبر عن رغبتهم في أن يكون العدل الاجتماعي هدفهم ، وأن تكون «ماعت» — الهة الحق والعدل — رائدهم ، فان ألقينا نظرة على أسماء ملوك الاسرة الثانية عشرة نرى «ماعت» تتكرر باستمرار فيذكرون «ماعت» التي تعنى الحق أو العدل ، أو «ماعت» بمعنى الصادق أو العادل ، وقد اتخذ «أمنمحات الثانى» اسمى «الذى يسره العدل» و «ذو الصوت الصادق» ، أما «سنوسرت الثانى» فقد سمي نفسه «الذى يرفع شأن العدل» ، وكان «أمنمحات الثالث» ، «المنتمى الى عدل رع» ، وكان أمنمحات الرابع «رع هو الصوت الصادق» وفي هذه الاسماء نرى شيئا من مميزات ذلك العصر<sup>(٣)</sup> •

وهكذا نرى أن الثورة الاجتماعية ، رغم أنها أبقت على الملكية الالهية ، لم تترك الفرعون بكل ما كان له ميزات ، بل شاركه فيها الكثيرون ، ولم يعد حكام الاقاليم ينظرون الى الفرعون ، كما كانوا ينظرون اليه من قبل ، اذ عملت أحداث الثورة وعواملها على التقليل من قدسية الفرعون ، كما رفعت شأن النبلاء ، وأصبح كل منهم يفخر بنفسه ، ويثق في قدراته ، فمن ذلك «عما نخت» الذى يقول فى نقش على مقبرته فى البرشا ( جبانة الاشمونين ) «كنت انسانا أدى الحق ، ذرب اللسان بين الخصوم ، تكلم بلسانه (أى بدون وحى من أحد) ،

---

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 415.

(٢)

J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1954, p. 133.

(٣)



وعمل بسايعديه هتبقظا لخطوات الامراء ، والذى يدخل أولا ، ويخرج  
أخيرا ، وكنت صاحب المشورة فى استشارة الموظفين ، المخلص «عجا  
نخت» «المبرأ»<sup>(٤)</sup> ، ويفخر «أمينى» أمير بنى حسن ، بأن كل ما يأمر  
الملك بعمله انما يتم عن طريقه : «لقد كنت كحاكم لاقليم الوعل ، كل  
أعمال بيت الملك تمر من بين يدي»<sup>(٥)</sup> •

وهكذا لم يعد الملك بعد الثورة ، ذلك الاله المترفع الجبار ، الحاكم  
فوق البشر ، وانما غدا انسانا له ما للانسان من ضعف ونزوات ،  
وحاكما يعمل لخير شعبه ، ويعمل جهد طاقته على أن يكون دائم اليقظة  
والانتباه ، حتى لا يؤخذ على غرة بيد آثمة ، شأنه مع شعبه ، وشأن  
شعبه معه ، شأن أى انسان من كافة البشر ، قد يفعل الخير فيجد خيرا ،  
وقد لا يجد سوى الشر •

وخلاصة القول ، أن الملك الذى كان قبيل الثورة الها أكثر منه  
انسانا ، أصبح ، فيما بعد الثورة ، انسانا أكثر منه الها ، ذلك لان  
ضعف الملكية فى العهد الاقطاعى وضياح قدسيته ، قد هبط بها كثيرا  
من عليائها ، كما أن الدعوة الى العدالة الاجتماعية أدت الى ارتفاع  
شأن الشعب ، ومن ثم فإن الفروق بين الملكية والرعية قد قلت كثيرا ،  
أو لم تعد لها تلك الهالة القديمة التى كانت لها قبل الثورة •

كانت نظرية تولى العرش فى مصر تجعل العرش وقفا على من  
تكون أمه من نسل ملكى ، وكذا يجب أن يكون أبوه ، ولعل هذا هو  
السبب فى زواج الاخ بأخته ، التى لجأ اليها بعض الفراعين ، بغرض  
تأكيد صفاء الالهية ، ولغرض آخر ، هو التقليل من عدد المتطلعين  
الى العرش<sup>(٦)</sup> ، أما الان فنجد أن «نفرتى» يصرح فى نبوءته بأن

P. E. Newberry and F. L. Griffith, El Bersheh, London, (٤)  
1893, Tomb, 5, p. 32.

P. E. Newberry, Beni Hassan, I, London, 1890, p. 26. (٥)

J. A. Wilson, op. cit., p. 96-97. (٦)

مليكه الجديد ، ليس من سلالة البيت الملك القديم ، فهو اذن ليس  
بإله — كغيره ممن سبقه من الفراعين الالهة — وانما هو ابن امرأة من  
تاسقى ، طفل من «خن نخن»<sup>(٧)</sup> .

هذا وقد رسم عصر الثورة صفات للحاكم الذى يجلس على  
العرش ، فان القوم — بعد أن سمعوا بأحوال الملكية المتسيطرة القديمة،  
وبعد أن لمسوا أحوال الملكية المهلهلة الضعيفة ، وبعد أن جربوا سيطرة  
العوام — رأوا أن يكون الجالس على العرش رجلا يخدم مصالح  
الدولة ، ويرعى شئونها ، ويعمل على وحدتها ، رجلا يمتلىء قلبه بحب  
رعاياه ، والرغبة فى العمل من أجل مصلحتهم ، ومن ثم فقد اقتربت  
الملكية من الشعب ، وأصبحت تحس باحساسه ، وتهتم به وتتفانى فى  
خدمته ، يقول الملك الاهناسى : «اكسب الى جانبك الجماهير ، وابعد  
عنها اللهب ، فالشعب الغنى لا يثور ، فلا تفقره حتى لا تدفعه الى  
الثورة ، لان الفقير هو الذى يخلق المتاعب .. اعمل على غنى الفلاح  
وأهل المدينة»<sup>(٨)</sup> .

وطالبت الثورة الملوك بالمتزام العدل بين رعاياهم وحذرتهم من  
العقاب ، وان اضطروا الى ذلك فالضرب والحبس ، وليس القتل ، هو  
الطريق الذى يجب أن يسلكوه فى تقويم المعوجين من رعاياهم ، اللهم  
الا الخونة المتآمرين ، فان دمهم مباح لان جرمهم أشنع من أن تكون  
الرحمة سبيل الحاكمين فيه ، ولهذا يقول الملك الاهناسى لولده «مرى  
كارع» ، الزم العدل تخاذ فى الارض ، واحذر أن تعاقب خطأ ، فالقتل  
لن يفيدك ، بل عاقب بالحبس والضرب ، وبذلك تزدهر أحوال البلاد ،  
أما المتآمر فالله يقدر خبثه ، ويطلب دمه جزاء جرمه»<sup>(٩)</sup> .

---

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 126. (٧)

Francois Dumas, La Civilisation de l'Egypte  
Pharaonique, Paris, 1965, p. 394-395. (٨)

J. A. Wilson, The Instruction for King Meri-Ra-Re,  
ANTE, Princeton, 1966, p. 415. (٩)

ونادت الثورة بأن صلاح الأمور في البلاد إنما يأتي عن طريق حكومة سالحة ، وإن انقسم مفكروها الى فريقين ، الواحد يرى أن ذلك يأتي على يد جيل جديد من الموظفين الأكفاء الأمناء العدول ، والآخر يرى أن ذلك يتأتى على يد ملك حازم مخلص عادل مجدد ، ينقذ البلاد من الهوة التي تردت فيها •

وفي تعاليم «(خيتي)» معالم واضحة لفكرة الفريق الأول ، الذي ينادى بتكوين جيل جديد من الموظفين الأكفاء الأمناء العدول ، فالملك ينصح ولده بمبدأ يعتبر من أنبل المبادئ التي تمخضت عنها الثورة الاجتماعية ، إذ يحثه على أن يقدر الفرد لذاته ، وذلك بأن يبحث عن الكفايات الممتازة في الأوساط الدنيا ، وتكوين جيل جديد من هؤلاء ، ويحذره من أن يتخذ من الحسب والنسب أساساً للاختيار ، وإنما الاختيار يجب أن يعتمد على الكفاية الشخصية فحسب ، ولعل هذا ما نسميه الآن بمبدأ تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين<sup>(١٠)</sup> ، ثم ينصح به بعد ذلك أن يجعل لموظفيه مرتبات موفورة ، لأن العفة والكرامة وطهارة اليد واللسان ، والنزاهة في الحكم ، والقدرة على تنفيذ الأمور ، لن تكون لرجل جائع ، يفنى نفسه تفكيراً في الحصول على قوته وقوت عياله<sup>(١١)</sup> •

غير أن ذلك وحده لا يكفي ، وإنما يجب أن يسانده حاكم عادل ، ففي «(قصة الفلاح الفصيح)» ما يدل على أن ذلك العلاج وحده غير ناجح ، فلقد وقع على مقربة من قصر فرعون في مجاورات اهناسية ، اضطهاد غاشم أقدم عليه موظف سىء الخلق في ضيعة المدير العظيم لبیت الملك ، مما يدل على أن الوظيفة ذات المرتب الضخم لا تغرس في نفس صاحبها العدالة ، ولن تغنى الفقير شيئاً من اضطهاد رجال

---

A. H. Gardiner, The Instruction for King Merykare,  
JEA, I, 1914, p. 27.

(١٠)

Ibid., p. 26.

(١١)



الحكومة له (١٢) ، وانما يجب أن يصاحب ذلك حاكم قوى حازم يحمى  
الضعيف من عسف القوى ، ويمنع تلك الطبقة من الموظفين التى تتخذ  
من صلتها بالحاكمين وسيلة لظلم الناس ، وهكذا تدل قصة الفلاح  
الفصيح على مدى حاجة الدولة الى حاكم قوى ، عادل حازم .

وهكذا يذهب «اييو - ور» و «نفرتى» الى أن اصلاح الامور  
سوف يأتى على يد ملك عادل ، وأن ذلك الحاكم انما قد حكم فى يوم  
من الايام باسم اله الشمس «رع» ، ولما كان «اييو - ور» يرى فى  
سلطته المقدسة العصر الذهبى ، فانه يوازن بينه وبين الحاكم الغاشم،  
الذى ترزح البلاد تحت عبئه على أيامه ، وهكذا فانه يصف ذلك المنقذ،  
الذى يأمل الخير على يديه : «انه يجلب البرودة الى اللهب ، انه راعى  
الانسانية ، لا يحمل فى قلبه شرا ، يقضى يومه فى لم شمل رعيته» (١٣) .

وأما «نفرتى» الذى كتب نبوءته بعد الثورة ، كدعاية للملك  
«امنمحات الاول» ، مؤسس الاسرة الثانية عشرة ، والمذى كان مجيئه  
هو الامل الذى ينشده الحكيم «اييو - ور» ، وقد سماه «نفرتى»  
(امينى) ، وهو اختصار مؤكد لاسم الملك امنمحات الاول ، اذ يقول  
«سيأتى ملك من الجنوب ، يدعى امينى ، ابن امرأة من تاستى ، طفل  
من خن نخن ، سيستقبل التاج الابيض ، وسيلبس التاج الاحمر ،  
وبيسعد من يعيئون فى عصره ، وهو ابن واحد منهم ، اسمه خالد الى  
الابد (١٤) ، «وأما الذين كانوا قد تآمروا على الشر ودبروا الفتنة ،  
فسيطبقون أفواههم خوفا منه ، وسيسقط الاسيويون بسيفه ، والليبيون  
أمام لهيبه ، وسيستسلم الثوار أمام غضبه ، والعصاة أمام جلالته،  
وسيخضع المتمردون للصل الذى على جبينه ، وسوف يبنى حائط الامير  
حتى لا يدع الاسيويين يهبطون مصر ، أملا فى الحصول على الماء

J. H. Breasted, ARE, I, p. 183.

(١٢)

A. Erman, op. cit., p. 105-106.

(١٣)

J. H. Breasted, op. cit., p. 199.

وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 126.

(١٤)

لشرب ماشيتهم ، وستعود العدالة الى مكانها ، ويقضى على الظلم ،  
وسيفرح من سيري ، ومن سيكون في خدمة الملك» (١٥) .

هذان هما الرأيان اللذان نادى بهما المفكرون الاجتماعيون لاصلاح  
الامور ، والدخول في عهد جديد ، على يد جيل من الموظفين الامناء  
والاكفاء العدول ، أو على يد ملك حازم عادل مخلص ينقذ المجتمع مما  
هو فيه •

والرأى عندى أن كلا الرأيين في حاجة الى الآخر حتى ينجح  
الاصلاح ، ذلك أن حكم الملك الحازم العادل لن يأتى بثماره المرجوة ،  
ما لم يعتمد على طائفة من الموظفين الاكفاء الامناء العدول ليقوموا  
بتنفيذ الاوامر الملكية العادلة ، والعكس صحيح ، فان الموظفين الامناء  
لن يتأتى اصلاح على أيديهم ، ان كان على رأس الدولة ملك فاسد  
خانع ، وهكذا لن يتم الاصلاح الا على يد ملك حازم عادل ، تسنده  
جمهرة من الموظفين الامناء الاكفاء العدول (١٦) •

## ٢ - في المجال الاجتماعى :

دعت الثورة الاجتماعية الى مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين جميعا،  
ومن ثم فيجب أن يختار الحاكم أعوانه على أساس من كفاءتهم  
الشخصية ، وليس على أساس من حسب أو نسب ، يقول الملك الاهنسى  
لوراده «لا تفرق بين ابن النبيل ، وبين ابن الفقير ، وتخير الفرد بكفاءته  
الشخصية» (١٧) ولعل مما يزيد أهمية هذا المبدأ ، أن قائله ملك ، وأن  
الموجه اليه ملك ، وهذا يعنى أن سياسة الدولة على أعلى مستوى فيها  
انما تنادى «بمبدأ تكافؤ الفرص» •

وقد أدى هذا المبدأ الى ظهور طبقة جديدة من الموظفين ، لا تعتر

---

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105.

(١٥)

(١٦) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى، الاسكندرية

١٩٦٦ ص ١٧٦ - ١٨٦ •

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 415.

(١٧)

بالحسب والنسب ، وانما تمجد العصامية ، يفخر الواحد منها بأنه  
حر في رأيه ، ويعمل بساعده ، ويحرث بمواشييه ، وينتقل بقاربه ،  
يقول «ابن وجا»<sup>(١٨)</sup> ، «كنت مواطنا نشطا ، ذا سمعة طيبة ، عاش  
في أملاكه ، وحرث بثيرانه ، وسافر بسفينته ولم يكن ذلك وجدته في  
حيازة أبى المجل «وجا» ، ويقول «حقا ايب» : «كنت مواطنا صالحا ،  
يتكلم بفمه ، ويعمل بساعده ، وقد جعلت مدينتى قريبة منى ، لقد كنت  
نبيلاً في طيبة ، والمساعد العظيم في «خنثى وبت» ، وقال الناس لقد  
أحرز الممتلكات بساعده»<sup>(١٩)</sup> .

هذا وقد نادت الثورة بالمساواة التامة بين المواطنين في الحقوق  
والواجبات ، وفي تعاليم الملك الاهناسى ما يدل على أن الناس سواسية  
أمام خالقهم ، وأن الملكية واجبات توازى حقوقها ، وأن كل راع مسئول  
عن رعيته ، وأن نعم الله التى أسبغها على خلقه انما هى لهم جميعا ،  
وأن رحمته انما قد تداركتهم وهم مايزالون أجنة في بطون أمهاتهم<sup>(٢٠)</sup> .

ولعل من أهم دواعى المساواة بين الناس ، أن الله خلق كل انسان  
مثل أخيه الانسان ، وأنه لم يأمرهم بالشر ، وانما نفوسهم هى التى  
وسوست لهم به ، ولعل الجمع هنا بين المساواة وبين فعل الشر ، انما  
ليشير الى أن الفوارق الاجتماعية ليست من أمر الله ، وانما هى من  
شر بنى الانسان ، وأن المجتمع المثالى مجتمع يتساوى فيه جميع  
مواطنيه في الحقوق والواجبات .

وهناك نص عشر عليه فى «متون التوابيت» جاء فيه : «ان الله خلق  
أشياء أربعة لمنفعة الناس ، وسأوى بينهم فيها ، صنع الرياح ليتنفس  
منها كل انسان مثل أخيه ابان حياته ، وهذا أول الافعال ، وصنع مياه

---

D. Dunham, Nega, ed Der Stela of The First Intermediate ( ١٨ )  
Period. 1947, pl. XXXII, p. 104.

H. G. Poltsky, The Stela of Heka-Yeb, JEA, XVI, ( ١٩ )  
1930, p. 144.

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 34. ( ٢٠ )



الفيضان العظيمة ، وجعل فيها للفقر ما للعظيم من حق ، وذلك ثاني  
الافعال ، وخلق كل انسان مثل أخيه ، ولم يأمرهم بفعل الشر ، الا أن  
قلوبهم قد انتهكت حرمة ما فعل ، وذلك ثالث الافعال ، وخلق قلوبهم  
بحيث تفكر في الغرب (الآخرة) لكي تقدم القرابين المقدسة لالهة  
الاقاليم ، وذلك رابع الافعال» (٢١) .

وهكذا نادت مصر ، قبل ظهور المسيح عليه السلام ، ودعوته  
السمحاء ، بأكثر من ألفين من السنين ، بالقضاء التام المطلق على  
الفوارق الاجتماعية بين بنى البشر جميعا ، ومن هنا كان هذا العصر من  
أهم العصور التاريخية في مصر الفراغة لانه نادى بالقضاء على  
الفوارق بين الناس .

ومن أسف أن مصر لم تسر في هذا الشوط حتى نهايته ، ربما لان  
الزمن كان مبكرا جدا في تاريخ العالم ، ليصل أى شعب الى تحقيق هذا  
الحلم تحقيقا تاما ، وربما لان الظروف التى أحاطت بذلك العصر هى  
التي ألهمت مفكره تلك المبادئ الخالدة ، أما حين تتغير الاحوال ،  
وتقوم الدولة الوسطى ، وتؤدى رسالتها خير أداء ، فيسود الامن ،  
ويعم الرخاء فان هذا المذهب القائل بمساواة كل رجل بأخيه ، واصرار  
الفلاح الفصيح على أنه يجب أن يكون لا فقر الناس حقوقا طبيعية ،  
فقد أصبحت أشياء باهتة ونسيها الناس في غمرة الرخاء الذى عم  
البلاد ، ولم يعد فرعون فى حاجة الى أن يقضى الليل ساهرا يحرس  
قطيعه ، فلقد أصبح القطيع سمينا الى الحد الذى تمنعه سمته من  
أن يتحرك فيضل طريقه بعيدا عن العرش (٢٢) .

هذا وقد نجح عصر الثورة الاجتماعية فى تحقيق العدالة الاجتماعية،

---

J. A. Wilson, Creation and Myths of Origins, All Men (٢١)  
Created Equal in Opportunity, ANET, 1966, p. 7-8.

J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1954, p. (٢٢)  
143-144.

فقصة الفلاح الفصيح تلح وبشدة في ذلك العدالة الاجتماعية ، واعطاء  
المفقر حقه ، ومن حسن الحظ أن مصير العدالة الاجتماعية لم يكن  
كمصير المساواة في العصور التالية ، فلقد استمر المصريون في عهد  
الدولة الوسطى يؤمنون بالعدل الاجتماعى ، وحقوق الفرد ، وجهد  
الفرايين على رفاهية شعبهم ، ونشر العدالة بين أفرادهم ، فهناك نسخ  
من خطاب اعتاد الملك أن يوجهه مشافهة الى وزيره الاعظم ابان تعيينه،  
ويرجع الى الدولة الحديثة ، ويقدم الدليل على أن أحلام ((اييو - ور))  
و ((نفرتي)) في ظهور مخلص عادل ، انما قد تحققت فيما يتصل بالاخلاق  
الملكية ، أو بعبارة أخرى أن روح العدالة التى كان يشعر بها المتنبئان  
قد وصلت الى صاحب العرش ، ثم سرت في كيان حكومته .

وقد جاء في الخطاب الذى وجهه الفرعون الى وزيره : «ان الوزارة  
ليست حلوة بل انها مرة ، انها لا تعنى اظهار احترام أشخاص الامراء  
والمستشارين ، وليس الغرض منها أن يتخذ الوزير من الشعب عبيدا  
له ، اعلم انه عندما يأتى اليك صاحب مظلمة أو حاجة من الضعيف أو  
الدلتا ، أو من أية بقعة من البلاد ، فعليك أن تراعى أن يسير الامر  
وفقا للقانون ، وأن يعطى كل ذى حق حقه » .

ثم يقول : «احترس من الذى يقال عن الوزير خيتى ، اذ يحكى  
أنه جار فى حكمه على بعض ذوى قرباه ، منحازا الى غرباء ، حتى  
لا يقال عنه : انه حابى ذوى قرباه خيانة منه ، وعندما أستأنف أحدهم  
الحكم الذى أصدره خيتى ضده ، أصر على اجحافه لهم ، ان ذلك أكثر  
من عدالة ، فلا تنس أن تحكم بالعدل ، لان التحيز يعد طغيانا على  
الاله نفسه» (٢٣) .

ثم يقول له «عامل من تعرفه معاملة من لا تعرفه ، والمقرب من

---

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York,  
1939, p. 209.

(٢٣) :

الملك كالبعيد عنه ، ولا تغضبني على رجل لم تتحر الصواب في أمره ، بل أغضب على من يجب الغضب عليه » ، ثم يقول له : « لا تتوان قط في إقامة العدل ، وهو القانون الذي تعرفه ، واعلم أنه جدير بالملك ألا يميل الى المستكبر أكثر من المستضعف » (٢٤) .

وهكذا نجد أن سياسة الدولة أصبحت تسير على مبدأ العدالة الاجتماعية ، فالوزارة — أسمى المناصب وأرفعها شأنًا — ليس الغرض منها تفضيل الامراء والمستشارين على العامة من القوم ، كما أنها ليست وسيلة لاستعباد الناس ، وانما هي وسيلة لنشر العدالة ، وتنفيذ القانون على الناس جميعا ، دونما تفرقة بين قريب أو بعيد ، فليس من العدل أن يظلم من له صلة بولى الامر ، كما أنه ليس من العدل كذلك أن يظلم الاقربون ، وانما العدل أن ينال كل ذى حق حقه ، كما يجب أن يكبح ولى الامر غضبه ، حتى يستطيع أن يقوم بالعدل بين الناس بالقسطاس المستقيم .

وهكذا نجد أن هذه الوثيقة الرسمية انما تضغط بشدة وبالحاح على تطبيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين جميعا ، وهكذا تتحقق أحلام «ايبو — ور» اذ أن هذا الخطاب يعد بمثابة تصريح رسمى من رئيس الدولة الى أكبر موظفيها يحوى المبادئ الرئيسية للعدالة الاجتماعية .

وهكذا تتصدر مصر مكانا ممتازا في هذا المجال ، فعندما نفحص قوانين حمورابى ، والتي ترجع الى عصر تال (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق م) ، نجد أن اجراء العدالة انما يشترط فيه الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية ، انه عن نفس المجرم انما تختلف العقوبة والاضرار ، طبقا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد الذى وقع منه المجرم (٢٥) ، وفي خطاب

Ibid., p. 210.

Theophile J. Meek, The Code of Hammurabi, ANET, 1966, p. 163-177.

(٢٤)

(٢٥) انظر :



تفصيص الوزير المصري تسمى مثل هذه الفيتق والجميع يعلن على  
تقدم المساواة ، وعندما قال «(افلاطون)» في مقالاته عن السياسة «(الدولة  
تجسيم العدالة المنظم)» ، ربما لم يكن يعلم الا قليلا ، أن مصر كانت  
قد اتخذت منذ ألف وخمسمائة سنة خلت ، هذا المثل الاعلى ، وحاولت  
أن تجعله حقيقة واقعة ، أو أن هذا دليلا آخر على أن افلاطون كان في  
مصر ، وأن ذلك رأيا استحوز عليه هناك (٢٦) .

### ٣ - في المجال الدينى :

دفعت أحداث الثورة المصريين القدامى الى أن يبدو آراءهم في  
العقائد التي كان يعتنقها السلف بالنقد تارة ، والمديح تارة أخرى ،  
وبالرغبة في التعديل — في بعض الاحايين — مرة ثالثة .

كان المصريون أول من فكر في معنى الحياة ، فحوار «(المتعب من  
الحياة مع روحه)» (٢٧) نموذجا لذلك ، اذ نرى صاحب الحوار (نسو)  
يفكر في الخلاص من الحياة ، لأنها أصبحت — في نظره — لا تطاق ،  
لما فيها من آلام ونكبات أحاطت به وبقومه .

ويتناول «(نسو)» التساؤل عن معنى الحياة من ناحيتين ، الواحدة  
تتعلق بمعنى الحياة ، اذا اختفى منها كل ما كان من شأنه أن يجعلها  
سعيدة ، والاخرى أكثر عمقا ، وأوسع مدى ، فلم يكتف الكاتب فيها  
باستمرار ذلك العراك بين الافكار والرغبات ، وانما عمد الى الموازنة  
بين وجهتي النظر المختلفتين اللتين سادت الحياة في ذلك العصر ، بينما  
نجد روح «(نسو)» تلتزم الدفاع عن متع الحياة الرخيصة ، وتدعوه الا  
يفكر كثيرا في الآخرة ، وأن يتقبل برضى كل ما تقدمه الحياة ، ويمثل  
الكاتب ذلك الفريق من المصريين الذين احتفظوا بجأشهم ، والذين

---

(٢٦) جيمس هنرى برستد : تطور الفكر والدين في مصر القديمة ،  
ترجمة زكى سوسن — القاهرة ١٩٦١ ص ٣٣٨ .  
(٢٧) انظر : J. H. Breasted, op. cit., p. 168-181.  
وكذا A. Erman, op. cit., p. 86-92.

محصلتهم الآلام والنكبات وطهرتهم من أدرانها ، فأكسبتهم بصيرة ، وزادتهم ايماناً بالآخرة ، وبقيمة أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا •

ومن ذلك يتضح أن ما حدث يتكرر في الانسانية ، وأن فرط النكبات والمساوىء الاجتماعية المنتشرة ، وازدياد البلاء ، يحدث أثراً مزدوجاً ، ففريق ممن تصيبهم النكبات — وهم الاكثرية — يجرفهم تيار الاحداث ، بينما يفترض أن تدعو تلك الاحداث الى التبصر ، وأحياناً الى التشكك (٢٨) •

هذا وقد نادى ((اييو — ور)) كذلك ، بفكرة التخلص من الحياة ، وأن يكون ذلك نهاية الناس من الدنيا ، ((ألا ليت ذلك يكون نهاية الناس ، فلا حمل ، ولا ولادة ، ليت العالم يتخلص من الغوغاء ، وتنقضى المشاحنات (٢٩) •

ولم يقتصر الامر على التفكير في معنى الحياة ، وتمنى الخلاص منها ، بل ان الثورة انما دعت فريقاً من الناس الى الشك في الآخرة نفسها ، ودعوة المترفين الى التمتع بمباهج الحياة الدنيا ، ما وسعهم الى ذلك سبيل ، دونما قلق على الآخرة ، وما يصيبهم فيها ، لأنهم لا يعلمون عنها شيئاً ، ذلك أن واحداً من الراحلين لم يعد اليهم لينبئهم بخبر الحياة الاخرى وما فيها ، كما أن واحداً من الراحلين لم يأخذ معه شيئاً مما اقتناه في الدنيا ، حين ذهب الى الآخرة (٣٠) •

هذا وقد ظل المصريون — كما كانوا قبل الثورة — يؤمنون بأهمية الوسائل المادية ، كطريق للسعادة في الآخرة ، فالقبر الفخم والهبات المسخية ، من الامور الهامة في ذلك ، ولكن الثورة أضافت الى ذلك أن السعادة في الآخرة ، لن تكون بقبر يبنى ، أو قرابين تقدم بانتظام •

---

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٧٦ •

J. A. Wilson, op. cit., p. 442.

(٢٩)

Ibid., p. 467.

(٣٠)

أو يعطف من الملك الاله ورضاه ، وإنما السعادة في الآخرة بشيء أفضل من ذلك وأهم ، بالعمل الصالح ، فهو طريق النجاة من أخطار الصالم الثاني •

ويقدم لنا الملك الاهناسي في نصائحه أمثلة كثيرة على ذلك ، عندما يحث ولده على نبذ المادية في ثلاث فقرات : «لا تكن شريرا ، فالصبر خير ، اجعل بيت ذكراك خالدا بحب الناس لك»<sup>(٣١)</sup> ، وذلك عندما أراد أن يقارن ذلك العمل الاخلاقي ببناء بيت الذكرى من الحجر «اجعل الناس يحبونك في الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للانسان»<sup>(٣٢)</sup> •

وهكذا تأتي لنا الثورة بما يعد من أنبل ما جاء به التفكير الخلقى أو الديني في مصر القديمة ، ويؤكد الملك الاهناسي ذلك المبدأ حين ينصح ولده بأن فضيلة الرجل المستقيم أحب الى الله من أوصاحي الرجل الظالم ، «ان فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير»<sup>(٣٣)</sup> (أى الثور الذى يقدمه كقربان) ، وهكذا تنادى الثورة ، وتؤكد مبادئها بأن الآخرة انما هى نتاج عمل الدنيا •

ويقدم صاحب قصة الفلاح الفصيح مثلا آخر ، فهو يحذر كبير الحجاب في جملة مقتضبة تحمل كل معانى التحذير من يوم الحساب حيث يقول «احذر أن الأبدية تقترب»<sup>(٣٤)</sup> ، ونرى كذلك أمراء العهد الاقطاعي يفخرون بمراعاة العدالة ، وحبهم للفقراء وعنايتهم بهم ، فكل منهم يفخر بأنه أنقذ الارملة ، وواسى المتألم والحزين ، وأطعم الطفل ، ولم يفرق بين رجل فقير وآخر عظيم<sup>(٣٥)</sup> •

Ibid., p. 417.

(٣١)

Ibid., p. 417.

(٣٢)

Ibid., p. 417.

(٣٣)

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 123.

(٣٤)

P. E. Newberry Beni Hassan. I. London. 1833. Pl. 8, p. 27.

(٣٥)



وهكذا نادت الثورة، منذ ذلك العهد البعيد ، بأن القيم الخلقية، يجب أن تحل محل القيم المادية ، وأن المرء أن أراد خلودا في آخرته، وسعادة في حياته الثانية فليسلك الى ذلك سبيل الخير ، وبذا تكون مصر أول أمة عرفت القيم التي في الانسان العادي ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان هذه المعرفة انما كانت تهدف في محاولاتها الى أن يتمتع عدد كبير من الناس بحياة أفضل (٣٦) .

وكان من نتائج الثورة كذلك ، أننا نقراً — ولأول مرة في التاريخ المصري — عن وجود محكمة بعد الموت ، يقف الناس أمامها جميعاً يؤدون امتحاناً عسيراً عما قدموه في دنياهم — خيراً كان أم شراً — ولن ينجح في هذا الامتحان الا لهي أصحاب الثروة والجاه والاهرامات الشاهقة والقبور الضخمة ، وما يقدم لاصحابها من قرابين وأدعيات ، وما يقام فيها من طقوس وصلوات ، وانما سيكتب النجاح فيها لاصحاب العمل الصالح ، وذوى النفوس الطيبة ، لان أعمال كل انسان سوف توضع مكسدة بجواره ، وستقرر المحكمة مصير الموتى أجمعين .

ونقرأ في تعاليم الملك الاهناسي : «انك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب ، لا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسوء العقوبة ان كان الذي سوف يحاسب انما هو الواحد العاقل (ربما تحوت رب المحكمة ، الذي يدير المحاكمة يوم القيامة) ، ولا تضع ثقتك في طول السنين ، فهم ينظرون الى الحياة كساعة ، ثم يبعث المرء ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه كأكوام ، لان الخلود مثواه هناك ، غبي من لا يهتم بذلك ، أما من يأتي دون ذنوب قلته سيمشي هناك سعيداً مرحاً ، مثل سادة الابدية (اسم للابرار المتوفين) (٣٧) .

وهكذا استطاع المصريون القدامى أن يقتربوا الى حد ما ، من

---

J. A. Wilson. The Burden of Egypt, Chicago. 1954, p. 114. (٣٦)

A. Erman; The Literature of Ancient Egyptians, London, (٣٧)  
1927, p. 77.

المبدأ الذى قررته الكتب السماوية ، وهو أن الآخرة إنما هي نتيجة عمل الدنيا ، «من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد» (٣٨) .

غير أن هناك أمورا أودت بذلك المبدأ النبيل ، أو على الأقل ، أوجدت ثغرة فيه، منها أن القوم قد استمروا في اعتقادهم القديم من أن إقامة المقابر الفخمة ، والانفاق عليها ، إنما يضمن سعادة المتوفى في العالم الآخر ، ومنها انتشار السحر ، وزيادة الاعتماد عليه في عالم الآخرة ، ومن ثم فقد لجأوا إلى التعاويذ التى رأوا فيها حماية للمتوفى من الأخطار التى تحف به في الآخرة ، وانتهاز الكهنة تلك الفرصة لا ابتزاز أموال الناس ، فضاغفوا أخطار الآخرة بدرجة كبيرة ، وأدعوا أنهم قادرون على انقاذ المتوفى من كل خطر ، عن طريق تعويذة خاصة، تنجيه من ذلك الخطر المحتوم ، وبذلك يضمن المتوفى قبوله خلقيا عند المحاكمة في عالم الآخرة (٣٩) .

ومنها امتزج القوم بعد موتهم بالاله «أوزير» وكان ذلك من شأنه أن يقضى على الهدف من المحاكمة ، إذ أصبح مجرد هذا الامتزاج كفيلا بأن يحقق براءة الميت ، وأصبح كل ميت يلقب بالمبرأ ، ولم يكن هناك مجال للاعتراف بأى ذنب اقترفه في حياته ، إذ كان عليه أن يعلن براءته من كل ذنب وخطيئة ، وأن يزعم لنفسه سلسلة من الفضائل والاعمال الطيبة ، وهكذا أدت مساواة كل ميت بأوزير ، وامتزاجه به ، إلى براءة صورية ، ضيعت الغرض من المحاكمة ، وأصبح الاهتمام بالشكليات والسحر شائعا (٤٠) .

---

(٣٨) سورة فصلت : آية ٤٦ .

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, (٣٩)  
p. 268.

(٤٠) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء  
الاول - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٣٨١ .

# الباب الرابع

## الدولة الوسطى

٢٠٥٢ - ١٧٨٦ ق م

ويتكون من :

الفصل الاول : السياسة الداخلية

الفصل الثانى : السياسة الخارجية

الفصل الثالث : ابراهيم عليه السلام فى مصر .





# الفصل الأول

## السياسة الداخلية

### ١ - الاسرة الحادية عشرة

( ٢٠٥٢ - ١٩٩١ ق م )

#### (١) منتوحتب الاول

أشرنا من قبل الى الامراء الطيبين ، الذين كتب لهم آخر الامر نجحا بعيد المدى في القضاء على الاهناسيين في عهد « منتوحتب الاول » والذي اعتبرناه المؤسس الحقيقي للأسرة الحادية عشرة ، ومن هنا فان المصادر انما تجمع على ذكر اسمه ، فعلت ذلك بردية تورين وقائمة أبيدوس ، ولعل ذلك هو الذي دفع البعض الى اعتبار قيام الاسرة الحادية عشرة ، انما كان في عام ٢٠٥٢ ق م ، أى منذ توحيد القطرين تحت زعامة «منتوحتب الاول»<sup>(١)</sup> .

وهناك نقش صخرى هام في الوادى الصغير المعروف باسم «شط الرجال» على مبعدة ثلاثة كيلومترات من وراء جبل السلسلة — على مبعدة ٤ كيلا الى الجنوب من مدينة كوم امبو — بمحافظة أسوان ، يظهر فيه «منتوحتب الاول» مصحوبا بخازنه «اختوى» — وكذا أمه « قمر » (ايحج = يوعح) ، وأبيه « انيوتف الثالث » — وقد سجل اسمه في

---

(١) بدأت طيبة تكون أسرة حاكمة على أيام الاهناسيين ، وقد أخذت زمام القيادة على أقاليم الجنوب منذ أيام «أنتف الاول» غير أن أول أنتف ملكى انما كان «سهر تاوى» ثم خلفه «واح عنخ أنتف» ثم «نخت نب تب نفرة» ، ثم «سعنخ ايب تورى» (منتوحتب الاول) والذي حمل ثلاثة القاب سعنخ ايب تووى ، نب حبت رع ، سام تاوى) تعكس كل منها مرحلة مختلفة من حياته العملية ، كما أشرنا من قبل .

خرطوش ، على عادة الملوك ، وقد لقب «الاب الالهى ، حبيب الرب ، ابن الشمس» ، ثم دعا له بقوله «عاش أبدا» ، ثم أضاف الكاتب الى هذه الاسماء ، أسماء جماعة من كبار رجال الدولة الذين يحتمل أنهم قد خفوا الى استقبال فرعونهم ، أو أنهم كانوا فى بعثة جنوبية ، ورأى فرعون أن يستقبلهم بعد عودتهم منها ، وعلى أى حال ، فربما كانت هذه الزيارة التى أرخت بالعام التاسع والثلاثين ، مجرد حدث فى تقدم ملكى يزمع أن يمارس فيه سلطانه<sup>(٢)</sup> .

هذا وقد عثر للرجل على آثار أخرى كتب عليها اسمه ، وبها تماثيل له ، كما فى معبد الالهة «سنت» فى اليفانتين ، وفى أساسات معبد الالهة «نخابة» فى الكاب<sup>(٣)</sup> — على مبعدة ١٩ كيلا شمال ادفو — وفى بلدة «الجبلين» — على مبعدة ١٨ كيلا شمالى اسنا — كما أعاد بناء معبد الاله «مونتو» فى «طود»<sup>(٤)</sup> على مبعدة ثلاث كيلو مترات شمال محطة أرمنت — هذا وقد عثر على اسمه فى معبد «مونتو» بأرمنت<sup>(٥)</sup> ، كما أقام عدة مقاصير فى «دندرة»<sup>(٦)</sup> وفى أبيدوس<sup>(٧)</sup> .

وأما أهم آثار «منتو حتب الاول» فهو معبد الهرمى فى منطقة

H. E. Winlock, The Court of Neb. Hepet-Re, Mentu-Hotpe, AJSL, 1940, p. 137 F. (٢)

Fouilles d'El-Kab, Executees Par la Fondation Egyptologique Reine Elisabeth, 1940, Pl. 30. (٣)

P. E. Newberry, Extracts from my Notebook. VII, in PSBA, 25, 1903, p. 362, Pl. 1. (٤)

J. Vandier, in Syria, 18, 1937, p. 174-182. وكذا

Bisson de la Roque, Tod (1934-1936), p. 1, 10, 14. وكذا

R. Mond and O. H. Myers, Temples of Arment, A preliminary Survey, I, London, 1940, p. 166. (٥)

W. M. F. Petrie, Denderah, 1898, London, 1900, Pl. 12, p. 53. (٦)

W. M. F. Petrie, Abydos, Part, II, London, 1903, Pls. 24, 54, p. 14, 33, 43. (٧)



الدير البحرى فى طيبة الغربية — والذى كشف عنه «ادوارد نافيل» (١٨٧٥ — ١٩٢٤) ، فيما بين عامى ١٩٠٣ ، ١٩٠٧<sup>(١)</sup> — والذى يعد طرازاً فريداً فى تصميمه ، فقد اعتاد مهندسو الدولة القديمة على أن يجاوروا بين أهرام الفراعين ومعابدهم ، ولكن الجديد هنا الجمع بينهما فى وحدة معمارية واحدة ، فلقد جمع المهندس هنا — ولأول مرة — بين هرم الفرعون ومعبده فى بناء واحد قائم متصل ، وتخـير لمشروعه حـضن جبل ناهض من جبال طيبة الغربية ، وأراد أن يطاول هرم فرعون ارتفاع الجبل فصمم تحته مسطحين واسعين عظيمين يعلوا الواحد منهما فوق الآخر ، ويؤدى اليهما طريق طويل عريض ، يبدأ بمدخل متسع عند حافة الوادى المنزرع أضيف اليه مساحة جديدة ، تتمثل فى وجود حرش من أشجار الطرفاء والجميز ، تمتد حتى تصل الى جانبى الطرف الداخلى للبهو الكبير •

وكان هناك منحدر يقطع صفاً أدنى من أعمدة مربعة الشكل ، يذكرنا بصف المقابر ، ويؤدى الى شرفة لها أعمدة مماثلة فى الواجهة والجانبين ، وكانت هناك بوابة تؤدى الى بهو مغطى فى نهايته قاعدة متينة تحمل هرماً متناسق النسب ، وهناك الى الغرب ، محفورا فى الجبل ، يوجد حوش أضيق ، ينتهى بصالة أخرى ، وممراب دقيق ، وأما حجرة الدفن فيمكن الوصول اليها عن طريق حجرة بين الهرم والجبل •

هذا وتزخر جنبات معبد «منتوحتب الاول» الجنازى بمقابر حاشيته ، وقد تابع الحفر فيها «هربرت ونلوك» (١٨٨٤ — ١٩٥٠) ، فهناك مثلاً دفن الوزير «اييى» وأمين بيت المال «اختوى» ، وربما كان الأكثر اهتماماً أمر الكشف فى إحدى المقابر عن نماذج غريبة تمثل ما يمارسه الناس من نشاط الحياة اليومية من نسج وصناعة جعة

---

(٨) E. Naville, The XI th Dynasty Temple at Deir El-Bahari, 3 Vols, London, 1907-1913.

وتعداد ماشية ، وهى تعرض حياة العصر فى وضوح قد يفوق مناظر النقوش التى عرفتنا بحضارة مصر القديمة فى واقعية لا نظير لها من أى عصر سالف (٩) .

هذا وقد عثر فى «دندرة» — مقابل قنا عبر النهر — على لوحة لرجل كان فى خدمة إحدى ملكات العصر ، يصف فيها سيده بأنه «ماهرة فى الكتابة ، وبارعة فى العلوم التى تمتلئ بها مكتبة الجنوب الكبيرة ، وأنها قد أضافت إليها مجموعة كبيرة من كتب قيمة ، قام هو بترتيبها ، وأصلح ما تلف منها ، وجمع المخطوطات الممزقة منها» (١٠) .

وأما عن إدارة «منتوحتب الاول» الاقليمية ، فمن المرجح أن أمراء الاقاليم — ماعدا القليل منهم — قد عينهم الملك فى وظائفهم ، وان سحب منهم الحق فى وراثة المناصب ، ومن ثم فقد اختفى لقب «حاكم الاقليم العظيم» وغيره من النعوت الضخمة التى انتحلها حكام الاقاليم فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، وندرت مقابرهم فى أقاليمهم ، ونحتوا أغلبها حول مقابر فراعينهم فى غرب العاصمة طيبة ، تأكيداً لتبعيةهم لهم ، والمتفاهم حولهم .

هذا وقد عبر عن سلطان الفراعين ، وحكومتهم المركزية وقت ذاك ، قائد خرج لقمع تمرد بدوى ، ثم سجل أخبار نصره الذى نسبه الى سيده الفرعون ، فقال : «كان الخوف من فرعون هو الذى جعلهم يخشوننى ، وكانت سطوته هى التى جعلتهم يرهبوننى ، كما أن حب الارباب له ، هو الذى جعل الارضين تعشقانه» (١١) .

---

(٩) Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 122-123.

(١٠) A. Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, Paris, 1955, p. 66

(١١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ايتين دريو تون وجاك فاندييه : مصر — ترجمة عباس بيومى — القاهرة ١٩٥٠ ص ٣٧١ ، ٢٨٠ .

وكذا A. H. Gardiner, The Tomb of A Much-Travelled Theban Official, JEA, 4, 1917, p. 35-38.

هذا وقد بدأت الفنون تنتعش في عهد «منتوحتب الاول» ، بعد أن بقيت مهملة قرابة قرنين من الزمان ، وخلف فنان من هذا العصر ، يدعى «ارتيسن» ، نقشا يوجد الآن في متحف اللوفر ، يقول فيه «كنت فنانا بارعا في فني ، متفوقا في علمي ، عرفت كيف أصور الحركات في صورة الرجل وقوام المرأة \* \* وموازنة الذراع عند التغلب على فرس النهر ، وحركات الشخص الذي يجري ، وليس هناك شخص بقادر على أن يكتب له نجحا بعيد المدى في كل هذا ، غيري ، فضلا عن ابني الأكبر من صلبى ، «سنوسرت» (١٢) \* .

## (٢) منتوحتب الثانى

جاء منتوحتب الثانى على عرش الكنانة بعد «منتوحتب الاول» ، وقد سار «منتوحتب الثانى» (سعنخ كارع) على سياسة أبيه في التعمير ، فنشطت حركة البناء في الصعيد والدلتا ، وتقدمت الفنون في عهده ، وهناك نقوش من العام الثامن من الحكم ، على حخور وادى الحمامات ، يروى كيف أن أحد رجاله المدعو «حنو» أرسل الى هناك ليقتطع أحجارا لتمثيل تقام في مبانيه المقدسة ، ويروى «حنو» كيف خرج من «قفط» (بمحافظة قنا) في ثلاثة آلاف جندي مجهزين ، بعد أن ظهرت قوة من الشرطة ، الطريق أمامهم من العصاة ، وربما فعلت ذلك بعثة أخرى سبقته ، وأكد أنه أكرم رجاله فسمح لكل منهم بسقاء ، أو قربة ماء صغيرة ، وعصا يعلق فيها سرة الخبز وسقاء الماء ، وأضاف أنه ود لو جعل الطريق نهرا ، وجعل الصحراء طريقا زراعيا \* .

وقد حفر في الطريق الى البحر الاحمر آبارا كثيرة ، ربما بلغت خمسة عشر بئرا ، لا يزال بقايا بعضها قائما حتى الآن ، ثم استمر في طريقه حتى بلغ ساحل البحر الاحمر ، ربما عند ميناء «ساو» عند

---

M. Baud, le Metier, d'Iristisen, dans Chronique d'Egypte, (١٢)  
1938, p. 21 F.

وكذا H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom  
in Thebes, N. Y., 1947, p. 32.



نهاية وادى جاسوس الفوقانى ، وشمالي القصير القديمة بحوالى أربعين ميلا (وهو الميناء الذى تحددت معالمه بعد ذلك فى الاسرة الثانية عشرة) ، وأنزل سفينة أو سفننا حملها ببضائع يستبدلون بها ما تحتاج اليه الخزائن الملكية ومعابد الدولة من بلاد «بونت» ، ثم قطع الاحجر لتمثيل مولاة فى طريق العودة (١٢) .

هذا وقد دفن «سعنخ كارع» فى مكان ما فى المنطقة المجاورة للدير البحرى ، مادمنا نلتقى فى المرتفعات التى تشرف على الواديين بكتابات لكهنوته الجنازيين ، الذين عملوا فى خدمة عبادة هذين الملكين اللذين يحملان لقب «منتوحتب» (الاول والثانى) .

تشير بردية تورين الى فترة سنوات سبع ، فيما بين نهاية حكم «منتوحتب الثانى» (سعنخ كارع) وقيام الاسرة الثانية عشرة ، دون أن تحدد لها ملكا معيناً ، ويرجح البعض أن هذه الفترة انما كانت من نصيب «منتوحتب الثالث» (نب تووى رع) ، وليس هناك ما يشير الى أنه كان مغتصبا للحكم ، ولعل السبب فى اهمال اسمه فى بردية تورين ، وقوائم الرعامسة ، انما هو نقص فى الوثائق التى استخدمت كمصدر لمؤلفى هذه القوائم (١٤) .

وهناك آثار تحمل اسم «منتوحتب الثالث» منها اناء حجرى عثر عليه فى اللشت ، على مقربة من هرم الملك «أمنمحات الاول» — مؤسس الاسرة الثانية عشرة — وقد نقشت أسماؤه من الخارج «حور ، نب ،

- 
- (١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٠ — ٤٣١ .  
وكذا J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag, 429-433, p. 208-210.  
وكذا Jean Vercouter, The Near East, The Early Civilization, London, 1967, p. 351-352.  
وكذا W. C. Hayes, Career of The Great Steward Henenu under Nebhepetre, JEA, 35, 1949, p. 43 F.  
(١٤) J. Vercouter, op. cit., p. 353.  
وكذا H. Goedicke, JEA, 42, 1956, p. 50-53.

تتوي ، ابن رخ ، منتوحتب» ، ومن الداخل كتب الاسم الحسوري  
لأمنحات الاول، وفي المالين كتب ((محبوب حاقحور، سيدة دندرة)) (١٥) .

وهناك ثلاث كتابات من عامه الاول ، وواحدة من عامه الثاني ،  
وتسجل ايفاد موظف للحصول على الجمشت (الاماتيست) من وادي  
الهودى ، على مبعده ١٧ ميلا ، الى الجنوب من أسوان (١٦) ، ولعل  
أهم حدث يرتبط بعهد « منتوحتب الثالث » إنما هو قيام وزيره  
«أمنحات» ، على رأس عشرة آلاف جندي من الصعيد والدلتا، بحملة  
الى وادي الحمامات ، لقطع الاحجار اللازمة لتابوت سيده الفرعون ،  
فضلا عن تشييد معابد في الصعيد ، وأنه قد أتم ما عهد اليه انجازه  
بنجاح ، ثم عاد بعد أن سجل عدة نقوش ، وقد جاء فيها أنه كان يلقب  
«الامير الوراثنى ، الشريف ، حاكم طيبة ، والوزير ، ورئيس كل النبلاء  
ومراقب كل ما تمنحه السماء ، وما تغله الارض ، وما يهبه النيل ،  
مراقب كل شئ في هذه الديار» .

على أن هناك من يتشكك في الآلاف المشرة من الرجال الذين  
صحابوا أمنحات في بعثته هذه ، ولكنهم لا يتشككون في أمرين صحبا  
هذه البعثة ، الواحد ماروى عن غزال يتقدم في غير خوف ، باديا للعيان  
أمام العمال ، ليضع صغيره على كتلة الحجر المزعم لتكون غطاء للتابوت،  
والآخر ، هطول أمطار غزيرة بعد عاصفة عاتية ، كشفت عن بئر  
مساحتها عشرة أذرع طولا ، ومثلها عرضا ، ملأى بالماء حتى  
الخافة (١٧) .

---

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, N. Y., 1953, p. 167, (١٥)  
fig. 102.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 125. وكذا

H. E. Winlocke, JEA, 26, 1940, p. 116-119. وكذا

Ahmed Fakhry, The Amethyst Quarries of Wadi El-Hudi, (١٦)  
Cairo, 1952, p. 19-23.

A. Erman, ZAS, 1891, p. 60. (١٧)

= J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag. 436-453, p. 212-216. وكذا

وعلى أية حال ، فسرعان ما تتغير الاحوال ، وتقوم أسرة جديدة ،  
هى الأسرة الثانية عشرة ، يؤسسها وزير «منتوحتب الثالث» والمدعو  
«أمنمحات» ، وعلينا أن نفترض أنه فى فترة معينة تأمر ضد سيده  
الملك ، وربما استطاع أن يعتلى العرش مكانه بعد بضع سنوات من  
الاضطراب ، وهناك كشف حديث يلقي ضوءا على هذه النظرية ، ذلك  
أن هناك كتابة من الأسرة الثامنة عشرة منقولة عن الصرح الثالث  
بالكرنك تذكر بعد الملكين «نب حبت رع» و «سعنخ كارع» الاب  
المقدس المدعو «سنوسرت» ، الذى نستطيع أن نعرف من لقبه أنه  
الاب غير الملكى لأمنمحات ، ومن المعروف أن الأسرة الثانية عشرة  
(١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) كانت تتكون من عدد من الملوك يتبادلون فيما  
بينهم ألقاب «أمنمحات» و «سنوسرت» على التوالى فى معظم  
الاحيان (١٨) .

على أن هناك من يرى أن أمنمحات الاول لم يصل الى العرش عن  
طريق القوة اعتمادا على جزء من آنية عليها الخراطيش الملكية للملك  
«منتوحتب الثانى» و «أمنمحات الاول» مكتوبة معا ، ورغم أن نهاية  
الأسرة الحادية عشرة تكتنفها ظلمة ، غير أننا فى ضوء معلوماتنا الحالية ،  
لا نستطيع القول بأن هناك تدبيرا سياسيا عنيفا ، كان سببا فى أن يعتلى  
أمنمحات الاول عرش البلاد ، كما أن الملك الجديد لم يكن يميل الى  
استخدام العنف ، كما كان يقظا فى كل من بداية ونهاية حكمه (١٩) .

---

G. Goyon, Nouvelles Inscriptions Rupestres du Wadi  
Hammamat, Paris, 1957, No. 52-60.

= وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 125.

(١٨)

J. Vercoutter, op. cit., p. 354.

(١٩)



## ٢ - الاسرة الثمانية عشرة

( ١٩٩١ - ١٧٨٦ ق م )

(١) أمنمحات الاول (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق م)

في عام ١٩٩١ قبل الميلاد ، جلس أمنمحات الاول على عرش الكنانة ، ورغم أن هناك من يذهب الى أن الرجل انما قد تولى العرش في ظروف قاسية ، تعرضت البلاد فيها الى هجمات من بدو الصحراء الشرقية والغربية<sup>(١)</sup> ، غير أننا لا نملك أى دليل يؤكد هذا الاتجاه ، وعلى أى حال ، فإن «أمنمحات الاول» (سحتب اي ب رع) ربما كان يرتبط بعلاقة ما بالاسرة المالكة ، عن طريق الملك الاخير «منتو حتب الثالث» ، والذي لم تكن أمه من نسل ملكى ، ولعل هذا انما يفسر لنا الحظوة التى كان يتمتع بها أمنمحات الاول عند آخر المناقحة ، والجرأة التى استولى بها على عرشهم ، وعلى أى حال ، فنحن على يقين من أن أمنمحات الاول لم يكن من النسل المباشر لفراعين الاسرة الحادية عشرة<sup>(٢)</sup> .

ومصادرنا هنا ليست وثائق رسمية ، وانما روايات وقصص شعبية ، فهناك بريدية في متحف ليننجراد بالاتحاد السوفيتى تحمل رقم (١١٦ ب) ، عثر عليها الاثرى الروسى «فلاديمير ساميو نوفيتش جولينشف» (١٨٥٦ - ١٩٤٧) ، وقام بنشرها في عام ١٩١٣<sup>(٣)</sup> ، كما قام بترجمتها كذلك كثير من علماء المصريات ، من أمثال «سير ألن جاردنر»<sup>(٤)</sup>

A. Weigall, op. cit., p. 69.

(١)

J. Vecoutter, op. cit., p. 354-355.

(٢)

V. S. Goleuischeff, Les Papyrus Hieratiques, N. 1116 B, del Ermitage Imperial, Petersbourg, 1913.

(٣)

A. H. Gardiner, The Prophecy of Neferti, JEA, I, 1914, p. 100-106.

(٤)

و «أدولف ارمان»<sup>(٥)</sup> و «جون ويلسون»<sup>(٦)</sup> و «جورج بوزنر»<sup>(٧)</sup> وغيرهم<sup>(٨)</sup>

وليس من شك في أن هدف هذه البردية إنما كان تمجيد «أمنمحات الاول» «سحتب ايب رع» ولا بد أنها تبعا لذلك إنما كتبت في عهد أمنمحات الاول — وربما بعده بقليل — وان زعم صاحبها «نفرتي» (أو كما كان يسمى الى عهد قريب «نفر — ريهو») أنها إنما ترجع الى عهد «سنفرو» — مؤسس الاسرة الرابعة — فقد جاء فيها أن سنفرو كان يسعى وراء ما يسليه ، فدعا اليه بعضا من رجال هاشيته ، ليبحثوا له عن رجل ماهر يستطيع أن يقدم له ما يريد ، وكان هناك كاهن مرتل من «بو باسطة» يدعى «نفرتي» وقع الاختيار عليه ، فطلب منه فرعون أن يحدثه عن المستقبل ، أكثر مما يحدثه عن الماضي ، فاندفع هذا في وصف كارثة مقبلة ، تذكرنا بجلاء الصورة التي المتقينا بها في عصر الثورة الاجتماعية الاولى .

ومع ذلك فإن الخلاص سوف يأتي في النهاية ، «سيأتي ملك من الصعيد يدعى «اميني» (اختصار يؤكد لاسم امنمحات) ، ابن امرأة من قاستي ، طفل من خن نخن (البصيلية مركز ادفو) ، يستقبل التاج الابيض ، ويلبس التاج الاحمر ، وسوف يسعد من يعيشون في عصره ، وسيجعل ابن واحد منهم ، خالدا الى الابد» .

وهكذا تشير نبوءة «نفرتي» الى أن «اميني» إنما سيتولى عرش الكنانة بناء على ارادة الهية ، وأن الحكماء قد تنبأوا بذلك أمام الملك سنفرو ، ذلك الفرعون الذي كان له في قلوب الشعب مكانة لا تعادلها

---

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, (٥)  
Lonoon, 1927, p. 100-110.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 444-445. (٦)

G. Posener, op. cit., p. 22, 47-51. (٧)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, (٨)  
p. 200-206.

مكانة فرعون آخر ممن سبقوه ، وانطلاقا من هذا فان أمنمحات الاول لم يكن يحمل دماء ملكية ، ذلك لان اصطلاح «أبن واحد منهم» انما كان طريقة شائعة عند القوم ، عن ذلك الشخص الذى كان من منبت طيب ، ولكنه لم يكن من أسرة ملكية •

هذا وقد اعتبر «أمنمحات الاول» نفسه بداية لعصر جديد ، الامر الذى يبدو جليا فى اصطناعه اللقب الحورى «وحم مسوت» — وهو نفس التعبير الذى سيستعمله «سيتى الاول» من الاسرة التاسعة عشرة ، كما سوف يستخدم فى أخريات أيام الاسرة العشرين<sup>(٩)</sup> — ومع ذلك فاننا نرى «سنوسرت الاول» يكرس تمثالا ، لسلف الاسرة الحادية عشرة «أنبيوتف الاكبر ، المولود من ايكو» فضلا عن مذبح للملك «سعنخ كارع ، منتوحتب الثانى» الذى ختمت قوائم الملوك به الاسرة الحادية عشرة ، فلو أنه كان هناك لون من ألوان الصراع بين «أمنمحات الاول» وبين أسرة المنتاحسة ، فان ذلك لم يحدث الا فى الفترة القصيرة لحكم «نب تووى رع ، منتوحتب الثالث»<sup>(١٠)</sup> •

وليس هناك من ريب فى قوة «أمنمحات» الاول ، الامر الذى مكن ولده وخلفاءه من بعده أن يحتفظوا بالعرش مدى قسرين كاملين ، وسنوات خمس (١٩٩١ — ١٧٨٦ ق م) ، هذا الى جانب زيادة ضخمة من الناحية العددية فى الآثار ، كما أن مدد حكم الملوك طويلة فى معظم الاحايين ، وهى آيات بيئة على التقدم والاستقرار فى جميع أنحاء البلاد ، وقد كثرت المعابد المحلية ، سواء تلك التى شيدها ملوك الاسرة ، أو أضافوا اليها ، رغم أنه لم يبق لنا — كقاعدة عامة — سوى

---

J. Corny, A Note on The Repeating of Birth, JEA, 14, (٩)  
1929, p. 194-198.

J. H. Breasted, op. cit., p. 51. وكذا

A. H. Gardiner, op cit., p. 127. (١٠)

H. E. Winlock, op. cit., p. 5. وكذا

H. Gauthier, Le Livre des Rois d'Egypte, I, Cairo, 1907, وكذا  
p. 245.



كتل متفرقة منها فقط ، أما البقية الباقية فتشرد دمرت ، أو نقلت من مكانها لتفسح طريقا لابنية من عصور لاحقة ، هذا فضلا عن كثرة اللوحات الخاصة ، وبالذات تلك التي عثر عليها في أبيدوس ، التي اشتهرت كمكان لدفن الاله اوزير •

ولعل مما تجدر ملاحظته أن أمنمحات الاول انما كان يستهدف الاستحواز على سلطان أوتوقراطي ، ينافس به سلطان فراعين الدولة القديمة ، ومع ذلك فان النقوش الرائعة على جدران المقابر الصخرية في بنى حسن تكشف عن أن كبار مقاطعة «أوريكس» ( Oryx = اقليم الوعل) انما كانوا سادة صغارا في ممارسة حقوقهم ، وهناك كثير من الموظفين تذكرنا ألقابهم بالوظائف التي كانت تتصل بالقصر الملكى ، من أمناء ومشرفين على قاعة العدل ، ومشرف على المخازن وخزنة وقائد فرقة ، فضلا عن حملة الجزى الاجنبية (١١) •

ولعل من أهم أعمال أمنمحات الاول الداخلية انشاؤه لعاصمة جديدة لمصر ، وذلك حين أدرك أن طيبة (الاقصر) لا تصلح عاصمة للبلاد ، ولم يسع الى أن يتخذ من احدى العواصم القديمة — كاهناسية أو منف — مركزا له ، وانما اختار مكانا وسطا بين الصعيد والدلتا ، هذا فضلا عن رغبته في أن تكون عاصمته على مقربة من الاسيويين الذين كانوا يتسللون الى الدلتا ، وكذا على مقربة من منطقة خصبة يمكن استغلالها في مشاريعه الزراعية ، وأخيرا ليكون على مقربة من أنصاره في مصر الوسطى ، وهكذا كانت «ايثت تاوى» — على مبعده ١٨ كيلا الى الجنوب من منف — ويعنى اسمها «القابضة على الارضين» (أرض الصعيد والدلتا) عاصمة لأمنمحات الاول ، وأسرتة من بعده ، فشيد هرمه — وكذا فعل سلفه سنوسرت الاول — على مقربة منها •

هذا وقام «سمبسون» في عام ١٩٦٣م بدراسة بعض مشاكل من

---

(١١) Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford,

.. 1964, p. 127-128.

الاسرة الثانية عشرة ، ومنها العاصمة (ايثت تاوى) وقد انتهى الى  
أنها انما قد أنشئت في أوائل عهد «أمنمحات الاول» ، وأن أقدم ذكر  
لها انما كان في السنة الاخيرة لحكمه ، أثناء اشتراك «سنوسرت الاول»  
معه ، وأن وجود مقابر من الدولة القديمة ، وكذا من الاسرة الحادية  
عشرة ، في جبانة «اللشت» المجاورة لها ، لا يعنى أبدا أن «ايثت  
تاوى» عريقة في القدم .

وطبقا لرواية «بعنخى» فهي تقع فيما بين منف وميدوم ، وأغلب  
الظن أنها تقع فيما بين القرى التالية : «بمها» أو «المتنيا» أو «اللشت» ،  
وان أشار بعض الباحثين الى موقع قديم في «بمها» شمال هرم  
أمنمحات بقليل ، على أنه موقع العاصمة ، وان كنا في الواقع لانستطيع  
حتى الان تحديد موقعها على وجه اليقين ، حتى ينجح الاثريون في  
الكشف عن موقعها بصفة قاطعة .

هذا وقد جاء اسم «أمنمحات الاول» ضمن اسم المدينة بمعنى  
«أمنمحات يملك الارضين» ، ثم اختصرت الى «ايثت تاوى» ثم الى  
«اثو» ، وعلى أى حال ، فقد كانت «ايثت تاوى» مقر الملك ، ومركز  
النشاط الفنى والادارى في مصر ، واستمرت كذلك طوال عهد الاسرة  
الثانية عشرة ، وان ظلت في أعين الاجيال التالية العاصمة الملكية  
النموذجية وليس عاصمة الاسرة الثانية عشرة فحسب ، وان كان شأنها  
كمدينة انما قد أهمل بعد الدولة الوسطى ، وقد مر بها «بعنخى»  
(٧٥١ — ٧٣٠ ق.م) عندما أتى مصر ليعيد اليها وحدتها ، كما  
أشار «بسماتيك الاول» (٦٦٤ — ٦١٠ ق.م) الى زيارته لها (١٢) .

وهناك ما يشير الى أن أمنمحات الاول انما قد حكم البلاد بيد  
قوية ، وانه استطاع خلال بضع سنوات أن يحقق لمصر رخاء لم تعرفه

---

(١٢) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .  
W. K. Simpson, JARCE, II, 1963, p. 53-63. وكذا  
A. H. Gardiner, op. cit., p. وكذا

منذ الاسرة السادسة ، وليس من شك في أن الرجل قد بذل جهودا كبيرا لاسترداد الهيبة الملكية تماما ، ولكي يضع حكام الاقاليم تحت سلطانه المباشر ، ورغم أن أمراء الاقاليم ظلوا في الواقع أقوىاء حتى عهد سنوسرت الثالث ، إلا أن أمنمحات الاول انما نجح الى حد كبير في تثبيت حقوقه كفرعون ، فلقد أصبحت وظيفة حاكم الاقليم وراثية ، ولكن يمنحها الملك لمن يضمن ولاءه ، ومع ذلك لم يبلغ سلطات الحكام الوراثيين ، كما حدث في بنى حسن ، حيث يؤكد الملك بنفسه سلطات أمراء «منعت خوفو» على اقليم الوعل ، وهو الاقليم السادس عشر من أقاليم الصعيد ، كما ظهرت في تلك الفترة عائلات جديدة — كما في اليفانتين وأسيوط والقوصية — حلت مكان الامراء الذين عينهم فراعين الاسرة الحادية عشرة •

هذا وقد اتبع أمنمحات الاول سياسة جديدة بين أمراء الاقاليم منعت التنافس بينهم ، وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر ، كما سن قانونا نظم به نصيب كل اقليم من مياه النيل الخاصة بربى الاراضى الزراعية ، هذا فضلا عن تحديد الكمية التى يقدمها كل اقليم من المواد الغذائية ، وعدد السفن اللازمة للاسطول ، وأعداد الرجال للجيش المرابط ، وذلك للمشروعات الملكية فى أقاليمهم أو خارجها ، ومن المعروف أن أمراء الاقاليم انما كانوا هم المكلفون بحشد الجند ، الذين كانوا يكونون فى ذلك الوقت الجزء الأكبر من القوات المسلحة المصرية (١٣) •

هذا وقد مارس أمنمحات الاول سلطانه فى الاقاليم ، فى الدرجة الاولى ، عن طريق الضرائب ، التى كانت تدفعها الاقاليم للتاج الملكى ، وقد استلزم ذلك أن تكون الحكومة المركزية على معرفة تامة بالوضع

---

(١٣) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٥٧ •  
وكذا R. O. Faulkner, Egyptian Military Organization, JEA, 39,  
1953, p. 36 F.



الاقتصادى للبلاد ، ومن ثم فقد عين موظف أطلق عليه اسم «رئيس المراقبين لاراضى الخزانة الملكية» .

هذا ويبدو واضحا أن أمنمحات الاول انما أراد أن يستعيد السلطات الملكية تدريجيا ، وان كان قد ترك لامراء الاقاليم قدرا كبيرا من السلطة والحرية فى ادارة أقاليمهم ، كما أن تثبيت الحدود الإقليمية ، فضلا عن استرجاع الاراضى الحكومية المسجلة ، انما كانا فى نفس الوقت إعادة للتدخل الملكى فى الادارة الإقليمية ، وبمرور الايام زاد هذا التدخل الملكى ، عن طريق سيطرة الحكومة المركزية ، والاراضى التى ضمت للتاج فى كثير من الاقاليم ، وانطلاقا من هذا كله ، فقد أصبحت الخزائن الملكية من وسائل قوة فرعون ، التى كان لها أسطولها الخاص ، والذى كان يشرف عليه رجال البلاط المستقلون تماما عن أمراء الاقاليم<sup>(١٤)</sup> .

على أن هناك دلالات تشير الى أن هناك ضرورة ماسة لاتخاذ احتياطات واسعة للحفاظ على سلطان فرعون ، وربما كان «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع = أمنميس الاول) يقرب من أواسط العمر حين اعتلى العرش ، ومن ثم فانه قد أشرك منه فى الحكم<sup>(١٥)</sup> ولده الاكبر «سنوسرت الاول» فى العام العشرين ، ثم حكما معا عشر سنوات بعد ذلك ، وقد اتبعت هذه السنة طوال حكم الاسرة الثانية عشرة ، ومع ذلك فربما لم يكن ذلك فى بداية الامر تجديدا كاملا ، ذلك لان هناك ما يشير الى أن «ببى الاول» فى الاسرة السادسة ، ربما فعل ذلك<sup>(١٦)</sup> ، وربما كان الهدف من ذلك انما هو اتقاء خطر أمراء

---

J. Vercoutter, op. cit., p. 360-361. (١٤)

(١٥) أنظر عن أنواع الحكم المشترك ( محمد بيومى مهران : اخناتون - القاهرة ١٩٧١ ص ١٣٦ ١٣٨ ) .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, (١٦)  
p. 97, 129.

الأقاليم الأقوياء في لحظات الضعف المؤقت عند نقل التاج من ملك  
الى آخر (١٧) .

وكان أمنمحات الاول على نشاط جم في تدبير أمور مملكته وحسن  
تنظيمها ، ولم يدخر وسعا في نشر الامن والسلام في ربوعها ، ومع  
ذلك فقد دبرت مؤامرة لاغتياله ، بتدبير من الحريم في أكبر الظن ، وقد  
اختلف المؤرخون في نتائجها ، فذهب فريق الى أنها قد أودت بحياة  
فرعون ، بينما ذهب آخرون الى أن الرجل قد أصيب فيها ، ولكنه لم  
يلق حتفه ، ومن ثم فقد أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» في العرش  
ثم زوده بنصائحه في الاثر المعروف باسم «تعاليم الملك أمنمحات» (١٨) ،  
وهو قطعة أدبية تشتمل على خلاصة تجاربه الشخصية الواسعة ،  
يصف فيها أعماله ، وما لقيه من جحود وسوء تقدير ، وقد جاء فيه  
عن المؤامرة :

«كان ذلك بعد العشاء حين حل الليل ، اقتطعت لنفسي ساعة  
للراحة ، وأنا ممدد فوق سريري ، كنت مجهدا ، واستشعر قلبى  
للنحاس ، وفجأة ترائقت الاسلحة ، وسمعت حديثا يدور حول  
شخصي ، غظلت في مكاني كثعبان الصحراء ، ثم قمت لأحارب وحدي ،  
وأدركت أن هذا هجوم دبره الحرس ، لو أنني كنت قد أسرعت  
بالاسلحة في يدي لاستطعت أن أرد الادنياء ، ولكن ليس هناك قوى  
في الليل ، ولا يستطيع المرء أن يحارب منفردا ، وليس هناك مهرب  
موفق دون حماية» (١٩) .

W. K. Simpson, The Single-Dated Monuments of Sesostris, (١٧)  
I, An Aspect of The Institution of Coregency in The Twelfth Dynasty,  
JNES, 15, 1956, p. 214-219.

(١٨) أنظر : عن هذا التعليمات :

A. de Buck, The Instructions of Amenemhat, p. 847-852.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 418-419.

A. Erman, op. cit., p. 72-74.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 130.

وكذا

وكذا

(١٩)

ومن الواضح أن ذلك إنما يشير الى المؤامرة التى أودت بحياة «أمنمس الاول» ، ويتساءل الرجل : «أكانت المؤامرة بفعل المحريم ، أنبتت بذورها فى أركان البيت ؟ ان سوء الطالع لم يلزمنى منذ ولادتى ، ولم يحدث شئ من قبل يعدل بسالتي واقدامى ، ومع ذلك فهذه خاتمة كل شئ» •

ولعل الاشارة الاخيرة انما قد تشير الى أن المؤامرة قد أودت بحياة أمنمحات الاول ، وان كنا لا نستطيع أن نقول ذلك ، دون أن يخالجننا ريب فيما نقول أن ذلك هو الحق الصراح ، فمزال أمر نتيجة المؤامرة موضع خلاف بين المؤرخين ، وأما ما يلى ذلك فيرويه نص يعد من أروع ما وصلنا من الادب المصرى القديم ، وهو ما عرف باسم «قصة سنوهى» (٢٠) •

كان «سنوهى» شابا نشأ فى البلاط الملكى (٢١) ، وكان يصاحب الجيش الذى أرسله «أمنمحات الاول» ، وعلى رأسه ولده «سنوسرت الاول» ، الى أرض التمنو فى ليبيا ، وحين تم لنسوسرت انهاء مهمته ، وفى أثناء عودته الى القصر ، أرسل رفقاء القصر اليه بأمر وفاة أبيه ، وتصادف أن كان سنوهى واقفا على مقربة من خيمة سنوسرت ، حين أنهى اليه بالسر الكبير ، فذعر أشد الذعر ، وأصابته القشعريرة كل

( ٢٠ ) أنظر عن قصة سنوهى :

ET

A. Erman, op. cit., p. 14-20.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-22.

وكذا

A. M. Blackman, Some Notes on The Story of Sinuhe.,

وكذا

JEA, 22, 1936, p. 35-44.

( ٢١ ) اختلف المؤرخون فى صلة سنوهى بالاسرة المالكة ، فهناك من يرى فيه شابا نشأ فى البلاط الملكى ، ومن يرى أنه يرتبط بالعائلة المالكة برابطة قرابة ، ومن يرى فيه أحد أبناء أمنمحات الاول من أم غير ملكية ، ومن يرى فيه واحدا من رجال البلاط فى عهد أمنمحات الاول ، ولكنه من الحزب المعارض لتوليده سنوسرت العرش ، وهذا ما نرجحه ( أحمد فخري : المرجع السابق ص ٢١٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٨ ) •

A. H. Gardiner, op. cit., p. 131.

وكذا



أعضاء جسده ، ومن ثم فقد أخذ يعدو ليجد له مخبأ ، وسرعان ما وجدته  
أخيرا بين شجرتين •

ولعل ذلك إنما يشير الى أن سنوهى إنما كان مواليا لحزب يعارض  
في تولية «سنوسرت الاول» عرش الكنانة ، فلما علم بوفاة أمنمحات  
فر الى الشرق ، فقد خشى أن يصيبه الاذى ، بعد أن فقد أكبر معين  
له في القصر ، وربما خشى أن تنتشب فتنة على العرش في العاصمة .  
يعز عليه أن يلتزم الجانب الصالح فيها ، فأثر البعد ، واستخفى عن  
الجيش واعتزله ، وتخطى الحدود الشمالية الشرقية وحيدا ، ويواصل  
سنوهى فراره على أطراف الصحراء ، فيبلغ رأس الدلتا ، وما يكاد  
يركبه حتى هبت ربيع من الغرب ، فدفعته في غير عسر على متن النهر،  
وظلت تدفعه حتى بلغ محاجر الجبل الأحمر من وراء العباسية ، فمضى  
وجهه حتى بلغ حصنا يقال له «سور الامير» أو «حائط الامير» •

ويستمر سنوهى في مغامرته ، فيروى لنا أن بلدا قد أسلمه الى  
آخر ، حتى وصل الى «جبيل» ، ثم غادرها الى بلاد آخر دعاه «كومي» ،  
حيث أمضى هناك شهورا ستة ، ويبدو أن سنوهى كان على معرفة بتلك  
البقاع ، كما كان على معرفة ببعض أهلها ، ويتجه سنوهى بعد ذلك  
الى «رتنو الطيا» بعيدا عن سلطان «سنوسرت الاول» ، وربما كان  
هناك مصريون آخرون يعيشون هناك ، وربما كانوا منفيين كذلك .  
ورغم أن سنوهى إنما كان في أمن من عقاب فرعون ، فإنه كان يكرم  
وفادة حاملي الرسائل المصريين ، والذين كانوا يسافرون جيئة وذهابا  
من هناك الى العاصمة المصرية ، ومن ثم فربما كان سنوهى يعيش على  
مقربة من الطريق الرئيسي بين مصر وبين لبنان وشرقي سورية (٢٢) •

وأيا ما كان الامر ، فلقد أقام سنوهى هناك وترعم إحدى القبائل  
الى أن وصل الى سن الشيخوخة ، وهنا وصلت له أوامر فرعون بأن «عد

---

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, (٢٢)  
1963, p. 134-155.

الى «مصر حتى ترى الارض التى نشأت فيها ، وقبل الارض عند البوابة  
الثنائية المظلمى ، والتحق بالبلاط ، لقد هرمت الان ، وعز نشاطك ،  
فتذكر يوم الدفن . . . . ولا ينبغي أن تموت فى بلد غريب ، ولا ينبغي  
أن يخفرك البدو ، أو أن تكفن فى جلد شاة ، هذا ليس أوان الطوفان  
فى الارض فعد واحذر المرض» •

ويعود سنوهمى الى مصر ، ويأمر فرعون بأن يمنح بيتا ، وأن يقدم  
له الطعام من القصر ثلاث مرات يوميا ، وأن يبنى له هرما من الحجر ،  
وأن يرتب لخدمة روحه الكهنة الجنازيين •

بقى أن نشير الى مجموعة أمنمحات الاول الهرمية ، والتى بناها فى  
مجاورات عاصمته الجديدة (ايثت تاوى) ، على غرار المبادئ الاساسية  
فى بناء المقابر الملكية فى الدولة القديمة ، وفى نفس الوقت شابهت معبد  
منتو حتب الاول فى الدير البحرى ، وذلك بإقامتها على أرضية مرتفعة ،  
وجعل هبانيها على مستويين مختلفين ، وفى داخل حدودها مقابر أعضاء  
الاسرة المالكة والمقربين من الحاشية ، وقد قامت بعثة من متحف  
المتروبوليتان فى عام ١٩٢٠م بحفر هذه المجموعة الهرمية حفرا جزئيا ،  
ووجدت محتوياتها الداخلية قد نهبت كلها من قديم الزمن •

هذا ولم يتم حتى الان الكشف عن معبد الوادى لهذا الهرم ، وان  
عشر على أجزاء من الطريق المصاعد الموصل اليه ، وأما المعبد الجنازى  
فما زالت خرائبه باقية حتى اليوم من الجهة الشرقية من الهرم ، هذا  
وقد عُثر فى خرائب هذا المعبد على احدى ودائع الاساس ، والتى تتكون  
من ستة قوالب من الطين ، وقد ثبت فى كل منها لوحة صنية عليها اسم  
المعبد واسم هرمه ((مساكن سحبق ايب رع ، هضيفة)) ، ولكننا نعرف  
من آثار أخرى أن اسم هرمه انما هو «عظيمة هى حسنات أمنمحات» •

ويذهب «وليم هيز» الى أن الاول ربما كان اسم هرم الملك ،  
أو اسم الهرم الذى كان موضوعا فوق قمته ، وأن الاسم الثانى هو  
اسم المعبد الجنازى أو اسم المجموعة الهرمية كلها ، غير أن هذا

التفسير — فيما يروى الدكتور أحمد فخرى — لا يتفق مع ما نعرفه عن الاهرام السابقة ، اذ أن اسم الهرم انما كان هو نفسه اسم كل جزء من مجموعته الهرمية ، بما في ذلك هرم الملكة وبقية الجبانة الملكية، وربما قد حدث تغيير في اسم الهرم •

ويبلغ ارتفاع هرم امنمحات الاول الان حوالى ٢٠ مترا ، ولكن ارتفاعه الاصلى كان ٥٨ مترا ، وطول ضلعه ٨٤ مترا ، وزاوية ميله ٥٤° ، وتحت ركنه الجنوبى الغربى عثروا على وديعة أساس فيها أشياء مماثلة لوديعة الاساس التى عثروا عليها فى المعبد الجنازى (٢٣) •

وهناك ما يشير الى أن أمنمحات الاول انما قد استعمل فى بناء قلب هرمه ، وجدران معبده الجنازى ، عددا هائلا من كتل الحجر الجيرى المأخوذة من مقابر الدولة القديمة فى دهشور وسقارة والجيزة ، والمزينة بالنقوش والكتابات ، غير أننا لا نستطيع — بسبب التخریب الذى أصاب هرم أمنمحات الاول ومجموعته عند إجراء الحفائر — أن نفرق بين أحجار الدولة القديمة ، وتلك التى صنعت فى الأسرة الثانية عشرة لمتزين هذا المعبد ، ولم يكن من الميسور دائما معرفة الفرق بين نقوش كل من العهدين ، لأن أمنمحات الاول كان يقلد فى عمد بعض مميزات النقوش فى الدولة القديمة ، وكثيرا ما نقلت على آثار الأسرة الثانية عشرة مناظر مشابهة للمناظر الموجودة فى مقابر الدولة القديمة (٢٤) •

(٢) سنوسرت الاول (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق م) :

تابع «سنوسرت الاول» (خبر كارع) سياسة والده ، وقد تمكن من أن يحكم البلاد بخبرة ودراية ، ذلك لأنه لم يكن حديث عهد بإدارة شئون البلاد ، فقد اشركه والده معه فى الحكم منذ حوالى ١٩٧١ ق م ،

---

(٢٣) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ص ٣٠٤ - ٣٠٦ •  
W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, 1953, p. 175. وكذا  
I. E. S. Edwards, op. cit., p. 219-220. (٢٤)



أى شوال الاعوام العشرة الاخيرة من حكمه ، وقد عثر (جيمس ادوارد كوييل) فى عام ١٨٩٦/١٨٩٥ بين خرائب الغرف الخلفية فى معبد الريمسيوم على أوراق من البردى تبين احتفالات تتويج الملك ((سنوسرت الاول)) (٢٥) .

هذا وقد اشتهر ((سنوسرت الاول)) بكثرة أعماله العمرانية ، ففى مصر ما يقرب من ٣٥ منطقة وجدت بها آثار من عهده ، موزعة على الوادى من الاسكندرية وحتى الجندل الاول ، جنوبى أسوان ، كما فى تانيس وفاقوس والغيوم وعرب الاطساولة بأسيوط وأبيدوس ودندرة وقفط والكرنك والطود ونخن (البصيلية) واليفانتين (٢٦) .

غير أن أهم أعماله فى هذا المجال ، انما كان تشييده من جديد لمعبد رع بمدينة هليوبوليس ، وقد بدأ العمل فيه منذ العام الثالث للحكم ، وعندما أتم ثلاثين سنة على العرش ، واحتفل بعيد الثلاثينى ، أقام أمام المعبد مسلتين من الجرانيت ، مازالت احدهما قائمة فى مكانها هناك حتى الان ، وهى عبارة عن كتلة واحدة من الجرانيت الاحمر الوردى ، يبلغ ارتفاعها أكثر من ٢٠ مترا ، جىء بها من محاجر الشلال الاول ، ثم نقلت ووضعت فى مكانها بمهارة فائقة .

وليس هناك من شك فى أن اهتمام (( سنوسرت الاول )) بمدينة هليوبوليس (أون) (عاصمة الاقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى) انما كان لأسباب سياسية ودينية ، ذلك أن الاله رع — معبود هليوبوليس — هو أكبر الالهة المصرية طرا ومسيدهم ، كما أنه واحد من أقدمهم جميعا ، وكانت الاسرة الثانية عشرة تهتم كثيرا باحياء العقيدة وسطوتها ، فضلا عن ارضاء الكهانة المصرية جمعاء ، وكان رع الحامى العظيم لفراعين الدولة القديمة ، الذين حملوا لقب ((ابن

---

J. E. Quibell, Ramesseum, London, 1896, p. 3-5.

(٢٥)

Revue d'Egyptologie, 16, 1964, p. 201-203.

(٢٦)

W. M. F. Petrie, Abydos, I, London, 1900, Pl. LJV.

وكذا

رع» (سارع) ، كما أن «سنوسرت الاول» كان شديد الرغبة في إعادة المقام الارضى لهذا الاله .

وأخيرا فان هليوبوليس (أون = عين شمس) انما كانت تقع في مدخل الدلتا ، وكان معبدها من المراكز الكبرى للحج لكل سكان مصر السفلى ، ومن ثم فقد كسب «سنوسرت الاول» احترام الاحجاج جميعا ، عندما قام بتبجيل أون ، وهو مكسب جد عظيم ، بالنسبة للملك ترجع كل اصوله الاولى والاصيلة الى الصعيد ، وفي ضوء هذا كله يمكن القول أن إعادة معبد هليوبوليس ، انما يمكن أن ينظر اليه على أنه دليل على تحالف الصعيد والدلتا ، وهو منحة من الملك المصعدي الى رعاياه في الدلتا ، وإشارة الى انتهاء البغض الطويل المدى الذى كان نتيجة الحروب الاهلية بين الاخوة في الصعيد والدلتا (٢٧) .

هذا وقد تسيد «سنوسرت الاول» بناء صغيرا في الكرنك ، يستخدم أثناء الاحتفالات لتستريح فيه سفينة الاله آمون ، وقد عثر «شيفرييه» على أحجاره داخل الصرح الثالث الذى شيده الملك «أمنمحت الثالث» (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م) ، وقد كان عند هدمه كاملا ، ومن ثم عثروا في السنوات الماضية على جميع أحجاره تقريبا ، وأعادت هيئة الآثار المصرية تركيبها ، وهو قائم الآن في المعبد نفسه ، ولا يبعد اقليل عن مكانه الاصلى ونقوشه من أجمل ما أخرجته يد الفنان المصرى فى أى عصر من العصور (٢٨) .

وفي شمال الوادى ، تحدث الكتاب التدامى من الاغارقة والرومان عن قناة كانت تصل بين النيل والبحر الاحمر ، وتبدأ من الفرع البوياسطى ، شمال الزقازيق بقليل ، ثم تمتد فى وادى طميلات ، حتى

J. Vercoutter, op. cit., p. 370-371. (٢٧)

P. Lacau and H. Chevrier, une Chapelle de Secostris I (٢٨)  
er a Karnak, Cairo, 1956, p. 2.

وكذا أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢١٨ .

تنتهى الى البحيرات المرة ، ونسب «بلينى» أقدم مشروع لهذه القناة الى «سيزوستريس» ، والذي يرى فيه بعض المؤرخين المحدثين الملك «سنوسرت الاول» وأن القناة انما بدأت فى عهده ، بينما ذهب فريق آخر الى أن هذه القناة ، بصورتها ووظيفتها آنفة الذكر ، لم يكن لها وجود قبل عهد «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق.م) ، وهو الاتجاه الذى يرجحه الكثيرون من المؤرخين (٢٩) .

هذا وقد عنى «سنوسرت الاول» عناية كبرى باستغلال مناجم الصحراء ، فأرسل البعثات التى جابت الفيروز والنحاس من سيناء ، والرمز من محاجر حتتوب (٣٠) — على مبعده ٢٧ كيلا فى الصحراء الى الشرق من تل العمارنة — والاحجار الصلبة والجرانيت من وادى الحمامات (٣١) وأسوان ، وقد كُشف مهندسوه الذهب والنحاس فى وادى العلاقى فى الصحراء شرقى كوبان (٣٢) ، كما حصل على الديوريت من الصحراء النوبية ، على مبعده ٥٠ ميلا الى الشمال الغربى من توشكى (٣٣) والاماتيت من وادى الهودى (٣٤) ، والجرانيت الوردى من محاجر الجندل الاول ، والتى كان يحكمها «سرنبوت الاول» من قبل فرعون (٣٥) .

- 
- (٢٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ١٧١ .  
 وكذا G. Posener, La Canal du Nue a la Mer Rouge. Chronique d'Egypte 13, 1938, p. 259-273.  
 (٣٠) B. Grdseloff un Nouveau Graffito de Hatnoub. ASAE, 51, 1951, p. 143-146.  
 (٣١) W. K. Simpson, Historical and Lexical Notes on The New Series of Hammamat Inscriptions, JENS, 13, 1959, p. 20-37.  
 (٣٢) A. Lucas, Ancient Egyptian Naterials and Industries, London, 1962, p. 237, 256.  
 وكذا JEA, 33, 1947, p. 52-57.  
 (٣٣) T. Save Soderbergh, Aegypten und Nubien, Lund, 1941, p. 7.  
 (٣٤) A. Fakhry, The Amethyst Quarries of Wadi El-Hudi, Cairo, 1952, p. 19-23.  
 وكذا B. Porter and R.L.B. Moss, op. cit., VII, p. 319.  
 (٣٥) T Save Soderberghe, op. cit., p. 67-69, 72.  
 وكذا A. Rowe, AEA, 39, 1939, Pls 25-26, p. 187-194.



هذا وقد اتبع «سنوسرت الاول» سياسة أبيه نحو أمراء الاقاليم،  
والذين كان الكثير منهم من أبناء أولئك الذين كانوا يحكمون أقاليمهم  
على أيام أبيه أمنمحات الاول ، فخللوا موالين له بعد اغتيال أبيه ، ولم  
يتجاوزوا سلطان فرعون الذى منحهم حقوقهم الوراثية ، فضلا عن  
ثرواتهم الشخصية ، كما كانوا دائما يمدونه بفرق الجند التى كان  
يتكون منها الحرس الملكى (٣٦) .

واذا صدقنا ما جاء على جدران مقبرة «امينى» أمير بنى حسن ،  
فان «سنوسرت الاول» انما يكون حقا اداريا ممتازا ، اذ تشير نصوص  
هذه المقبرة الى جهوده الطيبة ، وحزمه فى ادارة البلاد ، يقول «امينى»  
— والذى عينه سنوسرت الاول خلفا لابيه خنم حتب الذى كان واليا على  
أيام أمنمحات الاول — «قضيت سنين حاكما على اقليم أوريكس  
(الوعل) ، وقمت بإداء كل الخدمات المطلوبة لبیت الملك ، ولقد عينت  
مشرفين واداريين على ضياع الاقليم ، وبها ثلاثة آلاف من الثيران  
الجيدة وقد نالنى المديح فى بيت الملك بسبب ذلك عند كل سنة تعداد ،  
وقد قدمت كل انتاجها لبیت الملك ، ولم يحدث أن أثير ضدى ما يشير  
الى عجز فى أى مكتب من مكاتبه» (٣٧) .

ويتابع امينى القول بأنه رغم كل ما فرضه بسبب ولائه ، فانه كان  
يحكم اقليمه بعدالة لا تنحرف ، فلم يظلم أية أرملة ، ولم يحتقر أى  
فلاح أو عامل ، «وعندما حلت سنة المجاعة حرثت جميع أراضي  
الاقليم ، من حده الجنوبى الى حده الشمالى ، وأبقيت الاهالى أحياء،  
وأعطيتهم طعاما ، حتى لم يوجد بينهم جائع واحد» (٣٨) .

هذا وقد بدأت سياسة تقوية نفوذ الملكية التى وضعها أمنمحات

J. Vercoutter, op. cit., p. 368.

(٣٦)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 129.

(٣٧)

P. E. Newberry, Beni Hassan, I, Yondon, 1883, p. 27.

(٣٨)

J. Vandier, La Famine dans l'Egypte Ancienne, Le Caire,  
1963, p. 101 F.

وكذا

الاول تأتى ثمارها الان ، يبدو هذا واضحا فى تقريرىظ «سنوسرت الاول» الذى جاء فى قصة سنوهى «انه بالتاكيد اله لا نظير له ، وليس أحد مثله ، انه سيد الحكم ، وصاحب المخطط الناجية ، والوصايا الرائعة» ، وهكذا يبدو واضحا أن سنوهى ، رغم انه ينسب لفظ الاله لنفس الملك ، الا أنه ينسب اليه كذلك الصفات الانسانية كالاخلاص والسياسة الحكيمة والشجاعة ، والتي كانت نتيجة التأثير الاوزيرى ، حيث تظهر لنا أقوى تباين ممكن مع السلطة غير البشرية لفراعين الدولة القديمة، كما أن الملك كان وما يزال «الاله الطيب» .

واتبع سنوسرت الاول سياسة أبيه فى نظام الحكم المشترك، ولكنه ربما عرف — من خبرته الشخصية — أخطار المدة الطويلة فى المشاركة ، ومن ثم فهو لا يعطى ولده أمنهحات الثانى المقام الملكى الا فى العامين الاخيرين من حكمه ، كما استعان سنوسرت الاول فى ادارته لشئون البلاد بالوزراء ، الذين كانوا يقومون بالدور التالى للملك فى إدارة شئون مصر فى الفترة المبكرة من عهد الاسرة الثانية عشرة ، وقد تاقب على منصب الوزير فى عهد سنوسرت الاول خمسة رجال على الاقل ، ولعل الملك انما يخشى الوزراء الاقوياء ، ومن ثم فقد قسمت مهام الوزير بين اثنين ، الواحد للصعيد ، والاخر للدلتا ، وعلى أى حال ، فأيا كان الحد الجغرافى لسلطات الوزير ، فقد كان ، على أيام سنوسرت الاول ، هو رأس البلاط والادارة بشكل عام ، فهو الذى يعلن القوانين ويحافظ على السجلات ، ومن ألقابه رئيس الاعمال الملكية ، وأمين بيت المال ، الى جانب الاشراف على الجيش والشرطة (٣٩) .

هذا وقد بنى سنوسرت الاول مجموعته الهرمية على مبعدة ميل ونصف الى الجنوب من هرم أبيه أمنهحات الاول ، وكان « جاستون ماسبرو» أول من كشف عنها عام ١٨٨٢م ، عندما وجد بعض أجزاء من أدوات صنعت من المرمر تحمل اسم سنوسرت الاول ، وفى عام

J. Vercoutier, op. cit., p. 368-369.

١٨٩٤ قام جوتييه وجيكييه بحفر جزء من المنطقة ، وقد عثروا في الجهة الشرقية من الهرم في حفرة كبيرة من الأرض على عشرة تماثيل من الحجر الجيري بالحجم الطبيعي للملك «سنوسرت الأول» توجد الآن بالمتحف المصري بالقاهرة ، وتمثل الملك جالساً على عرش ، ويلبس النقبة الملكية ، وعلى رأسه لباس الرأس المعروف باسم «نمس» ، وفي الفترة فيما بين عامي ١٩٠٦ ، ١٩٣٤ م قامت بعثة متحف المتروبوليتان بنيويورك بحفر الباقي من المنطقة ، هذا ورغم أن مجموعة سنوسرت الأول الهرمية تشبه في كثير من تفاصيلها مجموعة أبيه ، إلا أننا لانعرف عن مجموعة أمنمحات الأول غير الخطوط العامة ، بينما نعرف الجزء الأكبر من التخطيط الأصلي لمجموعة سنوسرت الأول معرفة جيدة ، والتي تكاد تكون صورة من معابد الأسرة السادسة الجنازية ، وخاصة مجموعة «ببي الثاني» (٤٠) .

وكان ارتفاع هرم سنوسرت الأول الأصلي ٦١ متراً ، وطول ضلعه ١٠٥ متراً ، وزاوية ميله ٤٩° ، ويتكون مبنى الهرم من ثمانية جدران ضخمة من الحجر ، تسير من مركز الهرم الى كل ركن فيه ، وإلى منتصف كل ضلع ، وكذلك ثمانية جدران قصيرة ، اثنان منها على مقربة من كل ركن من الأركان ، وهي مشيدة بعناية ، وفي قوة الجدران الأخرى ، وقد أحاط سنوسرت الأول هرمه بسور زين بألواح نقشته باسمه ، وإلى جوار الهرم بنى الكاهن الأكبر لاونو ، ايمحتب ، قبره هناك ، هذا وقد عثر في سرداب من الطوب ، الى الشرق من الهرم ، على تماثيل للملك ، الواحد بتاج الصعيد ، والاخر بتاج الدلتا (٤١) .

هذا وتشير لوحات الأساس الى أن الهرم انما كان يسمى «سنوسرت يشاهد الأرضين» ، غير أن الوثائق الأخرى ، ومنها قصة

(٤٠) أحمد فخري : الاهرامات المصرية ص ٣٠٨ .

وكذا I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 220.

(٤١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٠٩ .

وكذا W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, N. Y., 1953, p.

193-194.



سنوهى ، ولوحة أوقاف المعبد التى عشر عليها فى منف — انما تدعوه  
 «محمية هى أماكن سنوسرت» ، أى أن الهرم كان يحمل اسمين ، كما  
 كان هرم أبيه من قبل ، ولعل مما تجدر الإشارة اليه أنه لم يعثر للان  
 على معبد الوادى لهذا الهرم ، وان عشر على الطريق الصاعد له ،  
 والمبنى بالحجر الجيرى الجيد ، وهناك بقايا للمعبد الجنائزى تكفى  
 لمعرفة رسمه التخطيطى ، وهو يشبه الى حد كبير المعابد الجنائزية فى  
 الدولة القديمة ، وان وجدت به مائدة قرابين من الجرانيت مزينة  
 برسوم أشخاص يمثلون الاقاليم المصرية ، تشبه مائدة القرابين التى  
 عشر عليها فى معبد أبيه أمنمحات الاول (٤٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن عهد سنوسرت الاول ،  
 انما قد بدأ والسحب تتجمع من حوله ، وانتهى كواحد من أمجد الفترات  
 فى تاريخ مصر ، فقد استعادت البلاد كل قوتها القديمة ، واستعادت  
 الملكية كل هيبتها السابقة ، ومن ثم فقد رأينا القوم يؤلفون سنوسرت  
 بعد موته ، كما يشير الى ذلك نص على أحد التماثيل الصغيرة لأمم  
 الأفراد ، عشر عليه فى العاصمة «ايثت تارى» (٤٣) وقد ظلت عبادته  
 قائمة حتى الاسرة الثالثة عشرة ، كما تشير الى ذلك طبغات أختام  
 القرابين التى قدمت الى معبد هرمه (٤٤) ، فضلا عن لوحات من الدولة  
 الحديثة جاءت بها أسماء لاشخاص كانوا يعملون كهنة للفرعون  
 المؤله (٤٥) ، وأخيرا فلقد حفظ اسمه اليونانى (سيروسريس) فى  
 أسطورة من العهد الاغريقى ، نسبت فيها أعمال بطولية من النوع  
 الخرافى الى سنوسرت الاول وسنوسرت الثالث ، من الاسرة الثانية

(٤٢) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٨ ، ٣١٠ .

وكذا A. H. Gardiner, Notes on The Story of Sinuhe, Paris, 1916, p. 9, No. 2.

BMAA, 19, 1924, Part, 2, p. 35. (٤٣)

EMMA, 28, 1933, Part, 2, p. 21-22. (٤٤)

W. C. Hayes, op. cit., p. 191, 342. وكذا

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I' 1953, p. 195. II, (٤٥)

1959, p. 51, 168.

عشرة ، فضلا عن رعمسيس الثانى من الاسرة التاسعة عشرة (٤٦) .

(٣) أمنمحات الثانى (١٩٣٩ - ١٨٩٥ ق م) :

وضع خلفاء سنوسرت الاول سياستهم على أساس الاحتفاظ بمكاسبه بالنسبة لحكام الاقاليم ، فأمنمحات الثانى - كان قد اشترك مع أبيه فترة لا تقل عن سنتين - قد اتبع مع أمراء الاقاليم نفس سياسة أبيه . فقد أكد لبعضهم حقوقهم اليراثية ، مع الحفاظ على هيمنة العرش على أقاليمهم ، ويبدو أن حياة الهدوء والاستقرار التى عاشتها البلاد على أيامه قد أتاحت له فرصة الاشراف عليهم ، يولى منهم من يشاء ، ويعزل من يشاء ، ويقيم لهم حدود أملاكهم ، ومع ذلك فهناك ما يشير الى أن حاكمى اقليمى الاشمونين وبنى حسن ، قد استعادوا كثيرا من سلطاتهم ، وبدأوا فى منافسة فرعون فى الثراء والتفاخر .

وفى الواقع فن سعة الانقلاب التى ادعاها أمراء الاقاليم حينذاك، واحتفاظ أغلبهم بقوات محلية كبيرة فى أقاليمهم ، وجرأة «أمينى» أمير بنى حسن ، على تأريخ نصوصه بسنوات ولايته ، قد دفع بعض الباحثين الى القول بأن النصف الاول من عصر الاسرة الثانية انما يمد عصرا اقطاعيا من نوع جديد ، لم تكن فيه سلطة الملوك ، ولكن تضخمت فيه سلطة حكام الاقاليم ، برضا الملوك ولصالح الرعية ، واستمرت هذه الاوضاع قائمة طوال عهدى أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى (٤٧) .

هذا وقد اختار أمنمحات الثانى لبناء هرمه مكانا منعزلا فى

---

(٤٦) أنظر : K. Lang, Sesostri, Ein Agypischer König in Mythos Geschichte und Kunts Munich; 1954.

(٤٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦٩ .  
وكذا H. Kess, Ancient Egypt, London, 1961, p. 318.  
وكذا A. H. Gradiner, op. cit., p. 129.

الصحراء ، على مبعدة ثمانية كيلومترات الى الجنوب الشرقى من هرم سنخرو الشمالى فى دهشور ، قريبا من حافة الهضبة ، وعلى مبعدة ١٥ كيلا من النيل ، ويبدو أن مشاريع أبيه قد أثرت على خزان الدولة ، ومن ثم فقد لجأ الى خفض التكاليف ، وخلط بناء الاحجار بالطوب اللبن ، ولم يتم أحد حتى الآن بحفر معبد الوادى ، وان وجد طريق صاعد ، طوله ٧٠٠ مترا ، ويمتد من حافة الاراضى الزراعية متجها نحو الغرب الى الهرم ، وأما المعبد الجنائى فهو مخرب ، وان وجدت بين خرائطه أحجارا تحمل اسم أمنمحات الثانى ، مما يؤكد نسبة الهرم اليه .

وليس هناك فى مجموعة أمنمحات الثانى الهرمية ما يشير الى أى تجديد فى التصميم أو طريقة البناء ، ولكنها نالت شهرة فى نهاية القرن الماضى بسبب ما عثر فيها على ما عرّف باسم «كنز دهشور» وهو مجموعة من المجوهرات والامثلة الشخصية، التى اكتشفها «دى مورجان» فى عام ١٨٩٤/١٨٩٥ م ، ومحفوفة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة ، وتشتمل على عقود ذهبية وأحجار كريمة ، وأدوات أخرى مغطاة بصفائح من الذهب ، منها خنجر مطعم بالذهب ، وبمختلف الرموز الملكية وتشهد دقة الصنعة والذوق الفنى فى المجموعة كلها بمهارة الصانع المصرى فى درجاتها ، وقد كشفت جميعها فى قبر «كمى نوب» زوج الملك ، فضلا عن قبور أميرات أربع ، هن : «أتا» و «أناروت» و «خنمت» و «ست حاتحور آت»<sup>(٤٨)</sup> .

هذا وقد أشرك أمنمحات الثانى معه فى الحكم ولده سنوسرت الثانى ، ولكنه قتل — فيما يرى مانيتو — فى السنة السابعة من الحكم المشترك<sup>(٤٩)</sup> ، ولكن يبدو أن «مانيتو» قد خلط بين سيرة أمنمحات

---

J. De Morgan, Dahchour, II, Vienns, 1903, p. 37, 57, 68, 75. (٤٨)  
I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 225. وكذا  
A. Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, Paris, 1968, p. 74. (٤٩)



الاول وحفيده أمنمحات الثانى ، فنسب قصة المؤامرة التى دبرت لاغتيال الاول خطأ الى الثانى ، وعلى أى حال ، فلقد مات أمنمحات الثانى بعد أن حكم ٣٥ عاما ، وهناك على صخور الجندل الاول نقش لاحد رجال عهده المدعو «حابو» ، ويؤرخ بالعام الخامس والثلاثين من حكم أمنمحات الثانى ، والثالث من حكم ولده<sup>(٥٠)</sup> .

( : ) سنوسرت الثانى ( ١٨٩٧ - ١٨٧٧ ق م ) :

خلف سنوسرت الثانى أباه أمنمحات الثانى على عرش الكنانة ، ويحدثنا «مانيتو» عن سنوسرت (خخ خبررع) كأنما هو عملاق يبلغ ارتفاع قامته أربعة أذرع وثلاث قبضات واصبعين أى أكثر من مترين ، وان لم يتحدث عنه قليلا ، ربما لقصر مدة حكمه التى لم تزد عن سنوات تسع .

وقد قام سنوسرت الثانى بنشاط عمرانى فى اناسية ، حيث عثر على بعض كتل حجرية لمعبد هناك<sup>(٥١)</sup> كما عثر فى الكرنك على رأس تمثال من الجرانيت الوردى ، هذا فضلا عن آثار أخرى فى مناطق متفرقة من البلاد ، كما فى سراييط الخادم ووادى الحمامات وفى القصير واللاهون وأسوان ، وقد تزوج سنوسرت الثانى من سيدة تدعى «نفرت» ، عثر لها على تمثال فى تانيس ، وقد حملت لقباً غير مألوف بين ألقاب ملكات الفراعين هو «هاكمة النساء» وأنجب منها بنتا دجيت «حتشبسوت»<sup>(٥٢)</sup> .

هذا وقد شيد سنوسرت الثانى هرمه عند مدخل الفيوم ، فى منطقة اللاهون ، على مبعدة ٤ كيلا الى الجنوب من العاصمة (ايثت تاوى) ، فوق صخرة مرتفعة ، على حافة الصحراء التى تفصل بين مدينتي الفيوم ووادى النيل ، وهناك على مبعدة ١٦٠٠ مترا ، أمام منتصف

( ٥٠ ) A. Weigall; Guide to the Antiquities of Upper Egypt; p. 411.

( ٥١ ) E. Naville, Ahnas El-Medineh, London, 1894, p. 25.

( ٥٢ ) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٨٠ .

واجهته الشرقية نجد معبد الوادى المخرب الآن ، واما معبد الجبىرى ، فقد بنى أمام الواجهة الشرقية للهرم ، وهناك ما يشير الى أنه كان معبدا فخما ، ذلك لان أكثر أجزائه كانت مشيدة بأحجار الجرانيت الاحمر ، وكانت النقوش التى عليها نقوشا غائرة ملئت باللبن الأخضر ، غير أن أكثر أجزاء الهرم انما هى مشيدة باللبن ، وكان كساؤه الخارجى غير سميك ، ومن ثم فلم يصمد أمام التخريب الذى حدث للحصول منه على الحجر الجيرى الابيض ، وبالتالي فلم يبق منه الا مرتفع من اللبن ، يشبه كوما مرتفعا له قاعدة مربعة ، ولكن ارتفاعه عند تشييده كان ٤٨ مترا ، وطول ضلع قاعدته ١٠٦ مترا (٥٣) .

ويشير هرم «سنوسرت الثانى» الى تجديد تمت محاكاته فى هرمين آخرين من أهرام الاسرة ، ذلك أن التجربة قد أثبتت أنه من النادر أن يفلت الهرم من النهب ، مادام المدخل المؤدى الى غرفة الدفن يشغل مكانه الطبيعى فى الجانب الشمالى من المبنى العلوى ، ومن ثم فسان مهندس سنوسرت رأى أن يضع المدخل خارج الهرم نفسه ، ومع ذلك فان هذه الخطة أثبتت ، على أى حال ، عدم صلاحيتها للغرض الذى صممت من أجله ، لانه اتضح عند الوصول فى النهاية الى غرفة الدفن ، أنها نهبت من غير وازع ضمير حى ، ولم يبق من كل المعدات الجنازية الثمينة التى كانت تملؤها أصلا من غير شك ، سوى تابوت رائع من الجرانيت الاحمر ، مع مائدة قربان من المرمر ، ومع ذلك فاننا لا ننكر عبقرية المهندس التى كلفت الاثرى الكبير «فلندزر بترى» شهورا طويلة مفضنية فى عام ١٨٨٧/١٨٨٨م ، حتى استطاع الوصول الى البئر التى تنزل الى الممر المؤدى الى المدخل (٥٤) .

هذا وقد اختلف هرم سنوسرت الثانى فى بنائه العلوى فى كثير من

(٥٣) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣١٤ .  
 (٥٤) I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, p. 225-226.  
 B. Porter and R. L. B. Moss, op. cit., IV, p. 107 F, وكذا  
 A. H. Gardiner, op. cit., p. 138-139. وكذا

النواحي عن هرم أسلافه ، فقد احتوى بناؤه الداخلى على ربة من  
الصخر ، ترتفع عن سطح الارض بأربعين قدما ، أقام فوقها شبكة من  
الجدران السائدة ثم ملأ المساحات المختلفة بين تلك الجدران بطوب  
اللبن ، ثم كسى هذا البناء الداخلى بالطريقة المعتادة بأحجار جيرية  
من نوع جيد ، وبنو المدماك الاسفل داخل الاساس الصخرى ليتحمل  
ضغط البناء الخارجى ، ويوجد حول كل جانب من جوانب القاعدة خندق  
غير عميق مملوء بالرمل ، كان الغرض منه امتصاص مياه الامطار التى  
كانت تنزل على واجهة الهرم ، وقد قدر «فلاندر زبترى» أن مثل هذا  
الخندق يستطيع أن يستوعب كمية من ماء المطر ، فى أى مرة تسقط  
فيها الامطار بشدة فى مصر ، ويحيط بالهرم جدران ، الواحد من  
الحجر على حافة الخندق ، والاخر من الطوب اللبن أقيم بعيدا الى  
الخلف ، وكان خلف السور الخارجى صف واحد من الأشجار ، زرعت  
فى الحفر التى نقرت فى الصخر ، وملئت بالطين (٥٥) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن «سنوسرت الثانى» انما  
قد شيد على مقربة من هرمه فى «اللاهون» (كاهون) عند مدخل الفيوم  
من قبل النيل مدينة صغيرة ، للمهندسين والموظفين والصناع والعمال،  
الذين كانوا يعملون فى بناء الهرم ، ولتكون بيوتها بعد ذلك مساكن  
للكهنة الذين سوف يعهد اليهم بأداء الطقوس الجنازية فى معبديه ،  
وقد سماها «حطب سنوسرت» (سنوسرت راض) وترجع أهمية المدينة  
فى أنها أقدم مدينة مصرية واضحة المعالم تعرف الاثريون على رسوم  
مساكنها ، لأنها لم تعمر الا فترة قصيرة ، ولم تبني فوقها منازل أخرى،  
بينما تعاون على اخفاء آثار أمثالها بناء بيوتها من اللبن سريع الهدم ،  
واستخدامها للسكنى جيلا بعد جيل ، وقيام مساكن العصور اللاحقة  
لها على أطلالها ، هذا فضلا عن أن اللاهون انما قد شيدت فى منطقة من  
مناطق الحواف الصحراوية الجافة ، ثم هجرها أصحابها ، فغطت

---

I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, (Penguin Books), (٥٥)  
1965, p. 227.



الرمال ما بقي من أطلالها ، وحفظت منها ما سلم من أيدي القرويين  
المنقبين عن قوالب اللبن والسماد القديم •

ومن ثم فإن مكتشفها «فاندرز بترى» إنما يذهب الى أنه إنما أهاط  
اللائام عن بقايا مدينة كلها من عصر واحد ، كما كشف عن مرحلة غير  
متوقعة لتخطيط المدن ، وهى ، على أية حال ، إنما تصور للاثريين حياة  
الدولة الوسطى ، كما تمكنهم من أن يطارقوا الشوارع والازقة التى  
مشى فيها أهلها ، ويريحوا فيها حيث كانوا يريحون •

وكان هناك سور يدور من ثلاثة جوانب حول المدينة ، التى تنفتح  
على سهل النيل الى الجنوب ، وهناك شارع رئيسى فى الداخل حول  
المجموعة الرئيسية من المباني ، كما أن هناك شوارع أصغر تتخلل  
المباني ، وكانت المدينة تنقسم الى حيين متميزين ، الواحد للمساكن  
الخاصة ، وتتميز بيوته بأنها على مثال الدورات الواسعة فى الريف ،  
بحيث بلغت مساحة الواحد منها ٢٧٠٠ مترا ، وتضمن البعض منها نحو  
سبعين حجرة وصالة ودهليزا ومخزنا ، ويميز كل منها بجناح لرب  
الدار وضيوفه ، وجناح للحريم وغرف النوم ، وابتعدت عن الجناحين  
حجرات الخدم والمطابخ والمخازن •

وأما الحى الآخر ، فهى حى العمال ، ويشغل نحو ربع المدينة  
ويشمل من مائتين الى مائتين وخمسين بيتا ، وهى فى الواقع بيوت  
ضيقة متلاصقة ، يقطعها شارع رئيسى من الجنوب الى الشمال، عرضه  
تسعة أمتار ، وتتصل به على زوايا قائمة شوارع جانبية عديدة ، يبلغ  
عرض كل منها أربعة أمتار تقريبا (٥٦) •

هذا وقد بنيت بيوت المدينة جميعا من اللبن ، ولكل منها قساعة

---

(٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧١ - ١٧٢ ، محمد  
أنور شكرى : المرجع السابق ص ٧٨ - ٨٠ •  
وكذا W. M. F. Petrie, Illahun; Kahun and Gurob, I, (1889-  
1890), London, 1891, Pl. XIV, p. 5 F.

كبرى ذات عمد ، بها حوض من الحجر الجيري في الوسط ، وكان السقف عادة من كتل خشبية ، فوقها حزم من القش (وربما من الجريد) المغطى بالطين ، ولا تزال سقوف مقبية من اللبن في مكانها ، بعضها كامل ، وبعضها لم يبق منه سوى الجزء الأسفل ، أما الابواب فمعدود من اللبن ، ونحن نعرف ، على وجه اليقين ، أن القوم قد عرفوا العقد والقبو ، وأن استعماله انما كان شائعا منذ أمد بعيد لدى المصريين (٥٧) .

هذا وقد عثر في اللاهون على كمية من الاثاث والادوات والحلى ، تكاد تكون فريدة من نوعها في أرض الفراعسين ، كما عثر كذلك على مجموعة من البرديات التي كتبت بالخط الهراطيقى تناولت موضوعات مختلفة ، فمن بينها ورقة طبية تتناول أمراض النساء ، وجزارة عن الطب البيطرى .

ثم هناك برديات نستنتج منها أن المرء يستطيع أن يورث من يشاء — بيته ومثاقه ووظيفته — وفي حالة أخرى تترى من بين ماتركه الرجل ، زوجة وأربعة من العامو ، وبضعة عبيد أسويين ، وكانت مثل هذه الوثائق تتطلب شهودا من الناحية الرسمية ، وتودع في مكتب السجلات ، والامر كذلك في عملية احصاء السكان ، اذ كان يتطلب الامر أن يذهب رب الاسرة الى مكتب حكومى ، يتبع ديوان الوزير في منطقته ، فيدلى ببيان عن أفراد أسرته وأعمار أطفاله ، ثم يقسم على صحة بياناته ، كما يقدم شهودا على ذلك ، وهكذا كانت الحياة الدائبة لهذه المجموعة المحلية الهامة كانت تنظم عن طريق معايير ادارية دقيقة ، نستطيع أن ندرك مداها ومراميها من لمحات فيما بقى من هذه المخطوط .

وأخيرا فقد كانت هناك قصاصات تعليمية لتعليم الانشاء وصيغ

---

W. M. F. Petrie, Ten Year's Digging in Egypt, London, (٥٧)  
1893, p. 115.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 143.

وكذا

الرسائل ، ثم تمارين حسابية ورياضية ، كان أمتع ما فيها أخذها بطريقة التربيع والجذر المربع ، فضلا عن مسائل تشبه معادلات الدرجة الاولى (٥٨) .

(٥) سنوسرت الثالث ( ١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق م ) :

ورث سنوسرت الثاني ولده «سنوسرت الثالث» (خم كاو رع) ، والذي قدر له أن يكون واحدا من أعظم من جلسوا على عرش الفراعين طوال العصور ، وقد طال حكمه حتى أربى على ثمان وثلاثين سنة ، رأت فيها مدر من المجد والخير ، ما لم تره في عصور كثيرة ، وفي الواقع أن تلك السمعة الطيبة التي اشتهر بها سنوسرت الثالث ، إنما تستند الى أساس من حقيقة ثابتة ، ذلك أنه في ظل حكمه بلغت الدولة الوسطى أقصى سموها وقوتها ، فالفراعنة الأوائل من الأسرة الثانية عشرة إنما قد وصلوا بالدولة الى القوة بمساعدة أمراء الاقاليم ، ومن ثم فقد تركوا لهم امتيازاتهم دون مساس .

غير أن سنوسرت الثالث إنما بدأ منذ أوائل عهده بالغناء منصب حاكم الاقاليم ، وان كنا لا نعرف سببا لذلك على وجه اليقين ، فربما حاول الامراء الثورة على الرجل في أوائل عهده ، وربما رأى هو أن سيطرته على الدولة ، لا تتفق واستقلال أمراء الاقاليم (٥٩) .

وأيا ما كان الامر ، فليس هناك من ريب في أن سياسة سنوسرت الثالث نحو أمراء الاقاليم إنما كانت سياسة ناجحة ، فقد أزال من البلاد كل أثر لما كانوا يتمتعون به من نفوذ ، ذلك النفوذ الذي ظل قويا ، كل القوة ، طوال عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، وعندما استطاع «منتوحتب الاول» إعادة توحيد البلاد ، أخضعهم لسلطته .

---

(٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧١ - ١٧٣ .  
وكذا A. H. Gardiner, op. cit., p. 144.  
وكذا W. C. Winlock, The Treasure of El-Lahun, N. Y., 1934.  
(٥٩) J. Vercoutter, op. cit., p. 373.



وقد استغل أمنمحات الاول ما فى نفوسهم من حفيظة ، وانتهج سياسة وسط . فلم يعمد الى القضاء الحاسم على أمراء الاقطاع ، الذى ذل نفوذهم قويا ، بالرغم مما فعله بهم منتوحتب الاول ، وانما عمل أمنمحات الاول على مهادنة أمراء الاقطاع ، بشريطة أن يعلنوا ولاءهم للسلطة المركزية ، ويقدموا لها الاموال والرجال ، ويعترفوا بنوع من الاشراف المركزى على شئونهم الداخلية ، وكان يقرب اليه الامراء الذين يرتضون هذه الشروط ، ويعلنون الولاء للملك ، ويأخذ بالشدة أولئك الذين تسول لهم أنفسهم التمرد ، ومناصبه الملك العداء .

وهكذا وجد نوع من العداء المستمر المستمر بين الملك وأمراء الاقاليم ، وأحيانا كان هذا الصراع يأخذ مظهرا علنيا حين زاد نفوذ بعض هؤلاء الامراء وتضخمت ثرواتهم ، ففسلا عن اصرارهم على توريث أبنائهم حكم اقاليمهم ، حتى لو كان الوريث طفلا صغيرا ، فكان من الضرورى وضع حد لهذا الامر ، ولم يكن هناك أتدر من : «سنوسرت الثالث» لتسديد هذه الضربة .

وهكذا رأينا النصوص المصرية منذ حوالي عام ١٩٦٠ ق.م ، وحتى منتصف عهد سنوسرت الثالث ، لا تتحدث كثيرا عن أمراء الاقاليم فالاسرات المحلية القليلة ، والامراء المتخطفسون الذين أرخوا الاحداث بسنوات حكمهم ، والذين رسمت صورهم على المعابد فى هيئة تماثيل ضخمة بحجم كبير كالملوك تماما ، لم تعد تظهر فى المناظر المصرية ، فقد أصبحت الاقاليم تدار مباشرة من القصر الملكى ، عن طريق ثلاث ادارات حكومية ، واحدة لمصر العليا ، وأخرى لمصر الوسطى ، وثالثة لمصر السفلى ، ويرأس كل ادارة منهما موظف كبير ، ويساعده معاونون ومجلس شورى ، ثم هيئة حكومية ثانوية ، وكل تلك الاجهزة — وخاصة ادارات العدل والزراعة والخزانة — انما كانت تحت اشراف الوزير (٦٠) .

---

J. H. Breasted, ARE. Parag. 641, p. 235.

وهناك ما يشير الى أن نزع ملكية أمراء الاقاليم إنما قد تم بصورة تدريجية ، بل إنها حتى لم تكن شاملة ، ذلك لأنها إنما قد وجهت أساسا الى حكام الاقاليم الاقوياء ، وبخاصة في اقليمى الاشمونين وبنى حسن ، اذ أننا نعلم أن الاقليم العاشر (أنتايوبوليس — قاو الكبير) قد احتفظ أميره «(واح كا الثانى)» بكل سلطاته فى عهد أمنمحات الثالث<sup>(٦١)</sup> وكذا أمير الكاب<sup>(٦٢)</sup> .

هذا فضلا عن أن سياسة سنوسرت الثالث هذه ، لم تؤد الى الاجحاف بالحقوق المشروعة ، والثروات المعتولة ، للعاملين المخلصين من حكام الاقاليم فى عهده ، يدل على ذلك أن تضمنت مقبرة «تحوت حتب» فى وادى البرشا ، ما يصور تمثالا ضخما يمثله ، أذن له الفرعون باقامته فى مقبرته ، وقد بلغ ارتفاعه ما يقرب من سبعة أمتار ، ووزنه ٦٠ طنا ، وتكفل بنقله ١٧٢ رجلا ، ويصف لنا «(تحوت حتب)» طريقة نقل هذا التمثال الضخم بأن الطريق من المهاجر الى مكان اقامته إنما كان حثبا ، وأن قوى الرجال سوف تخور ، ان استمروا فى نقله على هذا الطريق ، ومن ثم فقد أنشأ طريقا جديدا ، وأن سكان المدينة قد تجمعوا عندئذ لنقل التمثال ، راضين غير مكرهين ، وأن ذلك قد أسعد «(تحوت حتب)» كثيرا ، وبخاصة أن من بين المتطوعين رجلا هرما كان يستند على طفل ، وأن الجميع إنما كانوا يصفقون ويغنون<sup>(٦٣)</sup> .

- 
- |   |        |
|---|--------|
| W. C. Hayes, A Papyres of The Late Middle Kingdom in The Brooklyn Museum, Brooklyn, 1958. | = وكذا |
| W. Helck, Zur Verwaltung des Mitteren un Neuen Reichs, Leiden, 1958, p. 241-243.          | وكذا   |
| JNES, 12, 1943, p. 31-33.   | وكذا   |
| J. Vercoutter, op. cit., p. 374.  | وكذا   |
| J. Vandier, Reflexions sur L'Histoire de la XIIe Dynastie, Revue Historique, 1958, p. 18. | (٦١)   |
| J. Vercoutter, op. cit., p. 374.  | وكذا   |
| E. Drioten et J. Vandier, L'Egypte, Paris, 1962, p. 302, 307.                             | (٦٢)   |
| A. Weigall, op. cit., p. 77-78.   | (٦٣)   |
| P. E. Newberry, El-Bersheh, I, London, 1895, Pd, 15.                                      | وكذا   |

وعلى أى حال ، فلقد كتب للفرعون نجما بعيد المدى فى إعادة المركزية المطلقة لإدارة الحكومية ، مركزية أقرب ما تكون إلى تلك التى كانت على أيام الدولة القديمة ، ومن ثم فلم يكن أمرا مفاجئا أن نرى ظهور طبقة اجتماعية جديدة ، ربما يمكن أن نطلق عليها « الطبقة الوسطى » — فيما يروى وليم هيز — وتتكون من طبقة الموظفين فضلا عن الصناع ، وصغار ملاك الاراضى الزراعية ، وقد استغلت هذه الطبقة الجديدة ثرواتها فى إقامة لوحات بأسماء أصحابها ، وتمثيل صغيرة أقاموها لأنفسهم بمعبد أوزير فى أبيدوس (٦٤) .

هذا وقد اهتم «سنوسرت الثالث» كثيرا ببناء دور العبادة وغيرها، فأقام معبدا فى اهناسية (٦٥) (هيراكليونبوليس) ، وآخر فى أبيدوس ، مقر أوزير ، كما اهتم بهذه المدينة المقدسة عند النجوم ، ومن ثم فقد أمر بترميم ما تهدم من معابدها ، وتنظيم أعيادها ، كما عثر له على تمثالين بين أطلالها ، ومعبد جنازى صغير ، هذا فضلا عن قبر له هناك، لا يدري الاثريون ان كان قبرا أصليا ، أو رمزيا — وهو الأرجح — لانه وجد منهوبا تماما ، وهو ، على أية حال ، عبارة عن نفق طويل يوصل إلى غرفة بها تابوت من الجرانيت الموردي ، وكذا صندوق لحفظ أواني الأحشاء ، وقد بنى فوق التبر مزارا ، أحيط بسور أقام حوله بعض الأمراء وكبار الموظفين قبورا لهم (٦٦) ، وأخيرا ، فلقد شيد الرجل معبدا للاله منتو فى المداود ، على مبعده ٥ كيلا شمالى طيبة ، على مقربة من الصحراء الشرقية .

وقد اختار سنوسرت الثالث منطقة دهشور لتشييد هرمه الذى

J. Vercoutter, op. cit., p. 374. (٦٤)

J. Spiegel, Zum Osirkult Von Abydos in mittleren Reich, وكذا

Die Welt des Orients, II, 1959, p. 397-403.

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, N. Y., 1953. وكذا

W. M. F. Petrie, Ehnasia, Pls. XI, XIII, XIV. (٦٥)

(٦٦) عبد الحميد زاهد : المراجع السابق ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

W.M.F. Petrie, Abydos, II, London, 1903, Pl XVII. وكذا



دُفن فيه ، ومن حوله أفراد أسرته وكبار رجال بلاطه ، وقد بنى الهرم من اللبن ، وكسى من الخارج بالحجر الجيري ، فوق إحدى المرتفعات المشرفة على العاصمة ، على مقربة من هرم جده «أمنمحات الثانى» ، ولم يتم حتى الآن حفر معبد الوادى لهذا الهرم ، وإن كان من السهل تتبع آثار طريقه الصاعد ، على مقربة من حافة الاراضى الزراعية ، وهو يسير فى اتجاه شمال غربى ، ويصل الى السور المحيط بالهرم الى الجنوب قليلا من المعبد الجنائزى ، والمخرب الآن تماما ، وقد عثر فيه فى عامى ١٨٩٣/١٨٩٤م على أحجار منقوشة باسم «سنوسرت الثالث» (٦٧) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن سنوسرت الثالث — وكذا أمنمحات الثالث — قد سارا على نهج «سنوسرت الثانى» فى استخدام الطوب اللبن فى اقامة البناء العلوى ، وزيادة عدد الحجرات والممرات فى الجزء الاسفل ، كما اتبعنا نفس الطريقة فى عدم وضع منخل المبنى السفلى فى الواجهة الشمالية ، ولكن عند نقطة بعيدة عن الهرم نفسه ، لا يمكن العثور عليها ، الا بطريقة الصدفة ، أو بعد البحث المضنى — كما حدث مع «دى مورجان» عندما قام بحفر هذين الهرمين فى عام ١٨٩٤/١٨٩٥م ، حيث استطاع بعد شهور عدة من العمل ، أن يعين فى النهاية موقع مدخل هرم سنوسرت الثالث فى الفناء الذى يقع فى الجانب الغربى منه ، وأن يعين مدخل هرم أمنمحات الثالث فى مكان مشابه مواجه للركن الجنوبى من واجهة الهرم الشرقية — ورغم كل ذلك ، فقد تمكن اللصوص من الوصول اليها ، ومن ثم غلـمـ.يجـد «دى مورجان» سوى القليل .

هذا وقد عثر «دى مورجان» فى مقبرتى الاميرتين «سات حاتحور»

---

(٦٧) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣١٨ .  
وكذا J. De Morgan, Fouilles a Dahchour (Mars-Juin, 1894)  
Vienna, 1895, p. 47 F.

و «مريت» (داخل السور الخارجى لهرم أمنمحات الثالث) على مجموعة من الحلى ، من نوع تلك التى وجدت فى مقابر أميرات أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى ، ولم توضع هذه الحلى على مومياء الاميرات، وانما أخفيت فى مكان خاص داخل المتبرة ، مما كان سببا فى أن يذهب البعض الى أن هناك مجموعة أخرى من الحلى — ربما كانت من نوع أردأ — كانت تجهز لتوضع مع المومياء ، أما الحلى الأخرى التى أخفيت فى مكان خاص من المتبرة ، فهى الحلى التى كانت تلبسها الاميرات أثناء حياتهن<sup>(٦٨)</sup> .

وأخيرا فما من ريب فى أن سنوسرت الثالث قد اتبع سنة أسلافه فأشرك معه فى الحكم ولده «أمنمحات الثالث» فى أخريات أيامه لفترة قصيرة ، وان كان هناك من يرى أنها انما كانت فترة طويلة ، اعتمادا على عدة نصوص فى وادى الحمامات ، غير أن هذا لا يتفق مع معلوماتنا عن هذين الملكين ، فضلا عن تأريخ النصوص نفسها<sup>(٦٩)</sup> .

#### (٦) أمنمحات الثالث (١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق م)

ورث أمنمحات الثالث (نسى ماعت رع) عرش الكنانة عن أبيه العظيم سنوسرت الثالث ، وقد قيض الله له أن يجلس على العرش قرابة نصف قرن من الزمن (٤٨ عاما) ، وقد ورث عن أبيه قوة العزيمة ، ولكن فى ميدان آخر ، غير ميدان القتال ، ويبدو أن جهود أبيه الموفقة فى السودان وفلسطين ، انما جعلت هذه الشعوب المجاورة تحسن بقوة مصر ، وتجنح الى المسالمة ، فاستغل أمنمحات الثالث (أمنميس الثالث) ذلك فى تنشيط أعمال التعدين فى الصحراويين .

ومن هنا نراه يرسل عماله الى سيناء لاستخراج كنوزها من

---

(٦٨) أنظر : J. De Morgan, Fouilles a Dahchour en 1894-1895, II, :  
Vienna, 1903.

I. E. Edwards, op. cit., p. 228.

G. Goyon, Nouvelles Inscriptions Rupestres du Wadi  
El-Hammamat, Paris, 1957.

وكذا

(٦٩)

الفيروز والانداس ، وقد بدأت بعثاته في السنة الثانية من حكمه ، واستمرت كذلك كل عامين تقريباً ، وكان آخرها في عامه الثامن عشر أو العشرين ، وربما الخامس والأربعين ، وهناك في النقوش ما يشير الى ما كانت تلاقية البعثات للحصول على الفيروز من صعوبات ، منها ما كان يتصل بحرارة الجو ، وخاصة تلك التي تتم في شهور الصيف ، ومنها ما يتصل باشتباكات بين أعضاء البعثات ، فضلاً عن المتسللين من الآسيويين (٧٠) .

هذا وقد كان لأممحات الثالث نشاط في وادي الدمامات ، وفي كثير من المهاجر الأخرى ، فلقد أرسل بعوثا الى صحراء النوبة الغربية لاجتار أحجار الديوريت وغيرها من الأحجار الأخرى ، وقد عثر هناك على لوحات منحوتة ، منها واحدة مؤرخة بالسنة الرابعة ، وأخرى بالسنة السادسة ، كما قام كذلك بأخذ أحجار من مهاجر طرة ، هذا وقد عثر على اسم الملك أممحات الثالث في الكاب والكرنك ومنف وتل اليهودية ، فضلاً عن معبد الإله (سوبيك) في كيما نارس ، بقيت منه أعمدة كبيرة من الجرانيت الموردي على هيئة البردي (٧١) .

واحد من الأهمية بمكان الإشارة الى أن أهم آثار عهد أممحات الثالث ، والتي كتب لها نجاحا بعيد المدى في تخليد اسم الرجل بين فراعين الدولة الوسطى ، فضلاً عن الفراعين جميعا في كل العصور ((سند الفيوم)) فقد كان من بين ما عثر به أممحات الثالث تنظيم أمر فيضان النيل الزائدة عن الحاجة ، والتي لم تستطع البلاد قبله الافادة منها .

---

(٧٠) W. M. F. Petrie, Researches in Sinai, London, 1906, p. 94.

وكذا J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, I, Chicago, 1906, Parag, 733-738, p. 321-323.

(٧١) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة - القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٨٣ -

٣٩٤ ،

وكذا W. M. F. Petrie, Labuyrinth Gerzeh and Mozghuneh, London, 1912, Pls, 22-32, p. 27-28.



ولقد أمر — بادیء ذی بدء — بتسجيل ارتفاع النهر عند القلاع  
التي أنشأها أبوه ( سنوسرت الثالث ) في ( سمنة ) و ( قمة ) ،  
ولاتزال مسجلة في الاعوام ( ٤١٤٠ : ٣٧٠٣٣ ) ، وهي تزيد فيما بين عامي ٢٦ ، ٣٠ ، قدما عن متوسط  
مستويات ارتفاعه اليوم ، وكان يظن أنه أقام هناك خزاناً رفيع من  
المستوى الى ذلك الحد ، ولكن ليس هناك من الآثار المادية أو غيرها  
ما يشير الى ذلك ، ولسنا نحرف سبباً لانخفاض مستويات النهر خلال  
الثلاثين قرناً الماضية (٧٢) .

وهناك من يعلل ذلك بأن الفيضان في تلك السنين ربما كان أعلى  
منه اليوم ، أو أن مجرى النيل هناك قد انخفض من جراء التعرية  
والتآكل وشدة الانحدار وسرعة المياه ، وكانت هناك صلة بين تدوين  
هذه المناسيب وبين سد الفيوم — الذي سوف نتحدث عنه حالا —  
اذ أن هذه المناسيب الموجودة على مبعده حوالي ٧٠٠ كيلا من الفيوم،  
كان لها أثرها في تقوية هذا السد ، وتقدير المياه قبل وصولها اليه  
وتنظيمها (٧٣) .

وهناك على مبعده ٨٠ كيلا من القاهرة ، وفي الصحراوات التي  
تمتد الى الغرب من وادي النيل ، واحة غنية بها مدينة وعدة قرى ،  
وتشغل مساحة قدرها ٥٠ كيلا ، وتسمى «الفيوم» (بمعنى أليم أو  
البحيرة) ، فضلا عن بحيرة في أطرافها ، كانت فصل اليها مياه فيضان  
النيل ، عن طريق لسان من الارض الخصبة ، عرضه ثمانية كيلو مقرات،  
وقد كانت في بادیء أمرها عبارة عن مستنقعات واسعة مهلوة بالمياه،  
وفي الاسرة الخامسة جففت الاجزاء الاكثر قربا عن طريق عمل  
جسور ، وشيدت هناك مدينة «شيدت» .

هذا وقد كانت البحيرة التي تشغل منخفض الفيوم تسمى في الدولة

---

(٧٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٤٩ .

(٧٣) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٢٩٥ .

القديمة (تأخنت - ان - مرور) ، ثم أطلق عليها في العصر الاغريقي (بحيرة مورييس) وما زالت بقايا منها تعرف حاليا باسم (بحيرة قارون) ، وكان بحر يوسف - وما يزال - يصب فيها ، وهو يخرج من ديزوط - على مبعدة ٣٠ كيلا شمالى أسيوط - كفرع من فروع النيل (والان من ترعة الابراهيمية) ويسير محاذيا لمجرى من الناحية الغربية ، ثم ينحرف الى الغرب مخترقا المرتفعات الغربية بالقرب من الملاحون - على مبعدة ٢٥ كيلا من مدينة الفيوم<sup>(٧٤)</sup> - تاركا أجزاء صغيرة من الاراضى الصالحة للزراعة .

وليس هناك من بين هذه الاجزاء من تشغل مساحة كبيرة غير الفيوم ، حيث كانت هناك في العصر الحجري الحديث ، تلك البحيرة التى كانت تتدفق اليها أمواه النيل ، ومن ثم فقد كانت أرضها غنية بطمي النيل ، التى يمكن أن تنتج محاصيل وفيرة ، وهكذا رغب ملوك الاسرة الثانية عشرة في اعادة اتصال تلك البحيرة بالنيل ، وكان لقرب الفيوم من العاصمتين (منف وايتت تاوى) أثره الكبير في التفكير في إقامة سد الفيوم ، حتى يمكن أن يسد احتياجات الناس هناك<sup>(٧٥)</sup> .

هذا وقد نسب الكتاب القدامى من الاغارقة والرومان فكرة الاستفادة من مياه الفيضان ، وإقامة سد الفيوم ، الى «أمنمحات الثالث» وحده ، رغم أن هناك ما يشير الى أن المشروع انما قد بدأ منذ أيام (منوسرت الثانى) ، ان لم يكن قبله ، وذلك عندما عمل الرجل على تنظيم جريان المياه عن طريق سد أقميم فوق مصب قناة هواره على مقربة من الملاحون<sup>(٧٦)</sup> .

---

A. H. Gardiner, and I. H. Bell, The Name of Lake Mccris, JEA 29, 1943, p. 37-50. (٧٤)

A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947, p. 115-116. وكذا

Jean Vercoutter, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967, p. 370. (٧٥)

J. J. Clere, Histoire des XIe et XIIe Dynasties Egyptien- (٧٦)

وعلى أى حال ، فإن أمزجحات الثالث إنما هو المسئول ، على وجه اليقين عن إقامة هذا المشروع ، عندما فكر فى الافادة من مياه الفيضان ، عندما اتخذ من بحيرة منخفض الفيوم (تأحنت ان مرور) خزاناً طبيعياً ، فبنى سدا يحجز المياه ، ثم يصرفها بمقدار فى أوقات التحريك ، ومن ثم فقد فكر فى طريقة منظمة لدخول المياه وخروجها من هذا الخزان الطبيعى ، وذلك باستخدام المجرى الطبيعى (بحر يوسف) الذى كانت تجرى فيه مياه النيل من شمال أسيوط ، عند ديروط ، وكانت المياه تجرى فى بحر يوسف الى الفيوم عن طريق سدود ، لها عيون لتصريف المياه .

وقد بنى هذا السد عند المدخل الطبيعى للبحيرة ، فى أضيق ممر ينفذ منه بحر يوسف الحالى ، خلال جريانه من النيل الى منخفض الفيوم ، وكان ممرا يسمى ( راحنة ) بمعنى ( فم البحيرة ) ثم حرف اسمه الى ( لاهنة ) ، وأخيراً الى ( لاهون ) ، وهو اسمه الحالى ، وإن كان ( بقرى ) قد حرفه الى ( كاهون ) .

وقد سمحت الفتحات الجديدة بتوجيه المياه توجيهها سليماً ، حين تجرى على الانخفاض التضاريسى التدريجى من ضفة النهر حتى بحيرة الفيوم وربما سمحت كذلك بوقف اتجاه المياه الى البحيرة بعد الفيضان ، وتوجيهها الى قناة أخرى تجرى الى الشمال الشرقى منها ، وبذلك أمكن اكتساب ٢٧ ألف فدان من غمر الفيضان ، كانت شيئاً كبيراً فى زمانها .

ويروى (سترابو) أنه شهد بنفسه الطريقة التى كانت تخزن بها المياه ، وهذا يشير الى أن عملية تخزين المياه إنما قد ظلت قائمة حتى عام ٢٤ قبل الميلاد ، على الأقل .

nes, in Cah. H. M. I. 1954, p. 653.

Strabo, XVII, 809 F.

Herodotus, II, 129.

J. Vercoutter, op. cit., p. 374.

وكذا

وكذا

وكذا



وهكذا استطاع أمنمحات الثالث أن يحول اقليم الفيوم الى بقعة من أخصب بقاع مصر ، استغلتها الدولة في انشاء القرى والمدن الجديدة ، ويصور أهمية هذا المشروع أن المدن التي أنشئت معه ارتفعت نحو ٣٠ مترا ، عن مستوى القرى القديمة التي سبقت عصره ، وأن بعض مدنه الجديدة التي جاورت البحيرة أصبحت تبعد الآن عن ضفافها عدة كيلو مقترات ، بعد أن انكمشت مساحة البحيرة ، وانخفض مستوى مائها (٧٧) .

وقد أقام أمنمحات الثالث على الشاطئ الشمالي من البقعة التي اقتطعها من الغمر ، عند مكان يدعى (بياهمو) حاجزين ضخمين ، أقام فوقهما تمثالين كبيرين جالسين يمثلانه ، ارتفاع الواحد منهما حوالي ١٢ مترا ، فضلا عن قاعدة من الكوارتز الصلب ، وقد زعم هيرودوت أنه رآهما يرتفعان من بحر موريس .

وليس هناك من ريب في أنه إنما كان يعنى بذلك التمثالين العملاقين لامنمحات الثالث ، اللذين شهدهما (فلنדרز بتري) يطلان على البحيرة عند بياهمو ، ويفترض أنهما كانا قائمين في حوش قريب من قمة السد ، ولم يعثر على ما يماثل هذا الاثر في مصر كلها ، الا اذا أخذنا في الاعتبار مسألة (ايجيح) ، التي أقامها سنوسرت الاول ، ويبلغ ارتفاعها ٥٠ قدما ، ويعلو قممها تمثال الملك سنوسرت الاول ، وعلى أى حال ، فإن التمثالين العملاقين لامنمحات الثالث قد اختفيا ، ولم يبق الا قاعدتهما ، وبعض قطع محفوظة بمتحف الاشموليان باكسفورد (٧٨) .

---

(٧٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٣ ، نجيب ميخائيل :  
المرجع السابق ص ٣٥٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٩٤-٣٩٥ ،  
Pasarge, Fajum und Moeris-Sec, Geog. Zeitschrift, وكذا

XLVI, 1946, p. 353 F.

I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, 1965, p. 229-230. وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 138, 140. (٧٨)

W. M. F. Petrie, Kahun, Gurob and Hawara, London, وكذا  
1890, Pls. XXV, XXVII.

وعلى أى حال ، فإننا نلتقى من جديد مع الملك أمنمحات الثالث بظاهرة تملك فرعون لاكثر من هرم ، فقد كان الاثر الذى أمر أن يقام — بالاضافة الى هرم دهشور — يقع فى « هواره » ، على مبعده بضعة أميال الى الغرب من اللاهون ، بجوار قناسة من العصر العربى ، وهناك اتخذت كذلك خطى واسعة لاحتباط مساعى النهايين ، ولم تكن جهود «بترى» فى عام ١٨٨٦م ، للوصول الى مكان الدفن الحقيقى ، أقل مما اتبعه فى اللاهون فى العام التالى (٧٩) .

ولعل من الاهمية بمكان أنه لم يكن لهرم هواره (٨٠) معبد واد أو طريق صاعد ، والى الجنوب منه مباشرة نجد المكان الذى كان فيه مبنى «اللابيرانت» التيه الشهير ، ومن المؤكد أن المعبد الجنازى لامنمحات الثالث انما كان على الاقل جزءا من ذلك المبنى الذى مات أمنمحات الثالث دون أن يتم العمل فيه ، فأكملته «سوبك نفرو» آخر ملوك الاسرة الثانية عشرة ، وكان طول هذا المبنى حوالى ٣٥٠ مترا ، وعرضه ٢٤٤ مترا ، وان لم يبق منه الان جدار واحد فى مكانه ، فقد استخدمه أهل المنطقة منذ العصر الرومانى كمحجر يأخذون منه حاجتهم من الاحجار .

هذا وقد قام بوصف «اللابيرانت» بأسهاب كل من هيرودوت وديودور الصقلى وسكلوس وسترابو ، وقد فحص «فلنדרز بترى» المكان فحفا سطحيا فى نفس الوقت الذى فحص فيه الهرم ، ثم أعاد الفحص فى عام ١٩١١م ، فكشفت عن مساحة واسعة من شظايا الحجر

---

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٧٩) 1964, p. 139.

(٨٠) يبلغ ارتفاع هرم هواره ٥٨ مترا ، وطول كل ضلع من أضلاعه ١٠٠ مترا ، وزاوية ميله ٤٥ — ٥٤٨ ، ومدخله فى الجهة الجنوبية وهو يؤدى الى عدد من الدرجات تنزل الى ممر يظهر كأنه مسدود تماما لا يتصل بأى مكان آخر ( أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٢٣ ) .

الجيرى ، مع بقايا قليلة تحمل أسماء أمثمحات الثالث والملكة سوبك نفرو ، ويحول اتساع هذه المساحة وشكلها المربع ، دون التفكير في أن هذا المبدأ الجنازى يمكن أن يكون من الطراز المعتاد ، والواقع أنه يمكن أن نقبل في ثقة ما قدمه الكتاب الكلاسيكيون ، حيث أنهم لم يغالوا كثيرا ، فهيرودوت يتحدث عن المبنى ، وكأنما هو أعجوبة فاقبت الاهرام نفسها (٨١) .

يقول هيرودوت في وصف اللابيرانت « لقد رأيتته بنفسي ، وهو عمل يعجز عن وصفه البيان ، اذ لو قدر لامرئ أن يجمع معرضا للمباني والاثار الفنية التى شيدها اليونانيون ، لبدت عملا أقل من اللابيرانت ، بشأن ما تطلبه من نفقات ومن عمل شاق ، ولو أن معبدى أفسوس وساموس ليستحقان الكلام ، كذا لاحظنا أن الاهرام تجل عن الوصف ، وأن كلا منها يكافئ كثيرا من آثار يونانية ، حتى عظيمها ، ولكن اللابيرانت يفوق الاهرام أيضا ، وبه اثنا عشر بهرا مسقوفا مداخلها متقابلة ، ستة تتجه نحو الشرق ، وستة نحو الغرب ، متتابة ، يحيط بها سور خارجى واحد ، وهناك نوعان من القاعات ، بعضها تحت الارض ، وبعضها فوق الاولى فوق سطح الارض ، وعددها ثلاثة آلاف قاعة ، خمسمائة وألف من كل نوع ، ولقد رأينا بأنفسنا التى فوق سطح الارض ، وجلسنا خلالها ، وأنا لنتكلم عما شاهدناه بأعيننا ، أما القاعات التى تحت الارض ، فوقفنا على أمرها مما قيل لنا ، لان هؤلاء الذين يشرفون عليها من المصريين لم يرضوا البتة أن يرونا اياها ، مدعين أنه توجد بها توابيت الملوك الذين بنوا — لأول مرة — ذلك اللابيرانت ، وبها توابيت التماسيح المقدسة أيضا ، أما القاعات العليا فقد رأيناها بأعيننا ، وهى تفوق أعمال البشر ، فالمرات خلال الردحات

Strabo, XVII, 37.

Herodotus, II, 148-149.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 140.

1 E. S. Edwards, op. cit., p. 231-235.

W. M. F. Petrie, Hawara, Pl. p. 4-11.

(٨١)

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا



والمترجحات المعقدة منتهى التعقيد خلال الابهاء ، كانت لنا مصدر  
اعجاب لاحد له ، أثناء مرورنا من البهو الى القاعات ، ومن هذه الى  
الاروقة ، ومن هذه الى ردهات أخرى ، ومن القاعات الى سائر الابهاء ،  
وسقف هذه الابنية كلها من الحجر مثل الجدران ممثلة بالاشكال  
المحفورة ، وتحيط بكل بهو أعمدة من الحجر الابيض متداخلة باتقان ،  
ويلتصق بالركن الذى ينتهى عند اللابيرانت هرم (٨٢) (هرم هواره  
الآنف الذكر) •

وأما «سترابو» فيصف «اللابيرانت» وكأنما هو يحتوى على عدد  
ضخم من الابهاء المتصلة بعضها ببعض الآخر ، عن طريق ممرات  
دوارة لا يستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها ، وأن سقف كل غرفة  
انما يتكون من كتلة واحدة من الحجر ، بل ان الرجل انما يظن أن كل  
مقاطعة في مصر انما كانت لها صالة اجتماعات خاصة بها •

وطبقا لرواية «بليزى» فان هذه الصالات انما شيدت بطريقة  
خاصة ، حتى أنه في اللحظة التى تفتح فيها الابواب انما يحدث صوت  
مزعج ، يشبه صوت الرعد ، وينعكس في الداخل ، وأنه يجب عبور  
معظم أبنية اللابيرانت في ظلام تام ، وربما كانت هذه المباني التى أطلق  
عليها «اللابيرانت» مبان حكومية تدار منها شئون الدولة ، وان كان  
الارجح أنه كان معبدا ضخما لامنحصات الثالث ، أقيم بجواره  
هرم له (٨٣) •

وأيا ما كان الامر ، فمما يدعو للأسف أننا لا نستطيع اليوم أن  
نتحقق من وصف المؤرخين القدامى للابيرانت ، بعد أن تتابعت محن  
الايام على البناء ، وعدت عليه العوادي في القديم والحديث ، ففى

---

(٨٢) هيروdot يتحدث عن مصر - ترجمة محمد صقر خفاجه تقديم  
ومراجعة أحمد بدوى - القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٧٩ - ٢٨١ •

Strabo, XVII, 37.

A. Weigall, op. cit, p. 80.

H. Kiese Ancient Egypte, London, 1961, p. 225.

(٨٣)

وكذا

وكذا

العصر الرومانى بنيت من أنقاضه مدينة «كروكوديلوبوليس» (مدينة التمساح) ، ومنها بنيت أكثر مرافق السكة الحديدية فى العصر الحديث .

ولعل ذلك يرجع ، أول ما يرجع ، الى مارزئت به مصرنا الحبيبة من حكام أجانب ، لا تهمهم اثارها ، التى جهد الأسلاف فى اقامتها ، لانها دليل على عظمة هذا الشعب العريق وعلى مجد أجداده العظام ، فضلا عن أنها انما تذكر أبناءه ، دائما وأبدا ، الى أى وطن عظيم هم ينتسبون ، وإلى أى شعب عريق ينتمون ، فتدفعهم دفعا الى طرد كل غاز ، أراد أن يدنس وطنهم بغزوه ، حتى يكونوا أكفاء للمجد العريق ، جديرين بهؤلاء الأجداد ، الذين صاغوا تاريخ العالم ، حين كان العالم يعيش فيما قبل التاريخ ، وما كان ذلك أبدا يوافق هوى المعتدين ، ويحلوا لحظة واحدة للمغتصبين .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن أمنمحات الثالث انما أقام لنفسه حرما آخر فى دهشور ، بين هرم سنفرو المنحنى وبين قسرية دهشور قريبا من حافة الاراضى الزراعية ، وهو آخر مجموعة أهرام دهشور فى الجهة الجنوبية ، ولم يحفر معبد الوادى لهذا الهرم حتى الان ، وان دل على مكانه طريق صاعد طويل ، كان طوله ٦٠٠ مترا ، وعرضه ١٨٥ مترا ، وفى نهايته بقايا مكاتب ادارة هذا الهرم ، ومنازل كهنته ، فضلا عن المعبد الجنائزى الذى لم يبق منه الا القليل (٨٤) .

(٧) أمنمحات الرابع ( ١٧٩٨ - ١٧٩٠ ق م ) .

لم يكن أمنمحات الرابع (ماعت خرو رع) فى نشاط أسلافه ، أو فى مهارتهم السياسية والادارية ، وان كان قد أرسل بعض البعثات الى المحاجر فى النوبة ، وفى وادى هودى للحصول على أحجار الاماتيست ، وعلى أية حال فلقد حكم — طبقا لما جاء فى بردية تورين —

---

(٨٤) أحمد فخرى : الاهرامات المصرية — القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٢٦ —

سنوات تسع ، وأشهرًا ثلاثة ، وعشرين يومًا ، وإن كان عامه السادس هو آخر ما سجل له من سيناء .

هذا ويرجح الاثريون أنه قد دفن في أحد الهرمين اللذين ينسبان إليه وإلى الملكة «سوبك نفرو» وقد كشف عن بقاياهما «ماكاى» في عام ١٩١٠/١٩١١م ، خلف قرية «مزغونة» — على مبعدة ٣٠ كيلو الى الجنوب من الجيزة — وإلى الجنوب من أهرام أجداده في اللشت ، وهناك في هرمى مزغونة هذين ، من التحسينات ما يشير الى أن بانيهما انما قد أفاد من التجارب المعمارية التى تمت فى هرم هواره ، الذى ينسب الى الملك أمنمحات الثالث<sup>(٨٥)</sup> .

هذا وقد جاء اسم أمنمحات الرابع على جدران معبد مدينة ماضى ، جنوب غرب الفيوم ، وقد كشفت عنه بعثة ايطالية فى عام ١٩٣٦م<sup>(٨٦)</sup> ، وهناك ما يشير الى أن المعبد قد بدىء فى بنائه فى الفترة التى اشترك فيها أمنمحات الرابع مع أبيه فى الحكم ، وهو يتكون من بوابتين عظيمتين ، ثم قاعة عمد لها باب كبير ، ثم ممر ضيق ، وينتهى المعبد بثلاثة مقاصير ، مازال سقفها باقيا ، وقد خصصت لعبادة ثالوث منطقة الفيوم ، الالهة «رننوت» (ربة الحصاد) والاله «سوبك» والاله «حورشدت» (حورس الفيوم)<sup>(٨٧)</sup> .

(٨) سبك نفرو ( ١٧٨٩ - ١٧٨٦ ق م )

انقطعت سلسلة الملوك المذكور فجأة بعد أمنمحات الرابع ، وإن كان هناك ملك يدعى «حور أوت ايوب» لا يعرف الباحثون مكانه على وجه التحقيق من أخريات أيام الاسرة الثانية عشرة ، وعلى أى حال ،

---

I. E. S. Edwards, op. cit., p. 235-236. (٨٥)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 140-141. وكذا

G. Jequier, Deux Pyramides, du Moyen Empire, Cairo, 1938, p. 67. وكذا

A. Voglinaro, Medinet Madi, Millano, 1936-1937. (٨٦)

(٨٧) عبد الحميد زايد مصر الخالدة — القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٠١ .



فإن هذه الاسرة انه<sup>١</sup> تنتهى بشكل غامض بحكم ملكة ، كتب اسمها بعدة مترادفات (سبك كارع ، سبك نفرو رع)<sup>(٨٨)</sup> ، والاسم الاخير هو الاكثر شيوعا .

هذا وتذهب بردية تورين الى أن «سبك نفرو رع» إنما قد حكمت أعواما ثلاثة ، وأشهرها أربعة ، وعشرين يوما ، وأما قائمة سقارة فقد ذكرتها باسم «سبك كارع» ، واعتبرتها خليفة للملك أمنمحات الرابع ، وأما المؤرخ المصرى «مانيتو» فقد أطلق عليها اسم «سكميوفوريس» واعتبرها أختا للملك أمنمحات الرابع ، وهناك خاتم أسطوانى فى المتحف البريطانى يحمل ألقابها كاملة ، كما دعيت كذلك «حبيبة رع» و «ربة التاجين» ، وغير ذلك من الألقاب التى تزدان بها أسماء الملوك من آل فرعون<sup>(٨٩)</sup> .

وقد عثر «ادوارد نافيل» فى نواحي تانيس على تمثال فى هيئة أبو الهول ، وعليه أثر من طغراء ملكى ، قدر أن يكون لهذه الملكة ، هذا فضلا عن أنقاض عمارة لها كانت قد شيدتها فى «اهناسية» ، ثم هدمها الرومان واستعملوا حجارتها فى بعض مبانيهم<sup>(٩٠)</sup> .

هذا ويذهب بعض الباحثين — اعتمادا على ظهور اسم سبك نفرو على أحد العناصر المعمارية الى جوار اسم أمنمحات الثالث — الى أن الاخير ربما كان أباهما ، وأنها قد اشتركت معه فترة فى الحكم<sup>(٩١)</sup> ،

---

(٨٨) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم — الجزء الاول — القاهرة ١٩٦٧ ص ١٨٣ ، وكذا .

أنظر : H. Gauthier, le Livre des Rois d'Egypte, I, Cairo, 1907, p. 341.

H. Gauthier, op. cit., p. 341. (٨٩)

(٩٠) أحمد بدوى : فى موكب الشمس — الجزء الثانى — القاهرة ١٩٥٠ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

وكذا ASAE, 18, 1918, p. 34.

E. Naville, Goshen and The Schrine of Saft el Henna, وكذا p. 192.

W. M. F. Petrie, Kahun, Gurob and Hawara, London, (٩١) 1890, Pl. XXVI. 12.

كما أن هناك دليلا أكثر تأكيدا على اشتراك أمنمحات الثالث والرابع في الحكم لفترة ما ، بينما لا نجد اشارة الى اشتراك في الحكم بين أمنمحات الرابع وسبك نفرو ، وأمام مثل هذه الملاحظات نرى أنه من الخطورة بمكان أن نقدم نتائج ايجابية ، وان كان هناك احتمال مقبول عن امكان وجود نزاع في الاسرة خرجت منه «سبك نفرو» منتصرة<sup>(٩٢)</sup> .

وهكذا فإن «سبك نفرو» انما تمثل ثانی حالة في تاريخ مصر تتجس فيها امرأة في أن تجعل من نفسها «ملك مصر العليا والسفلى» ، غير أن مثل هذا الموقف الشاذ انما كان يحمل بذور الكارثة ، ذلك أنه بعد «سبك نفرو» — كما حدث بعد نيتوكريس — تعاقبت سلسلة من الملوك لم تترد مدة حكم أحدهم — فيما يرى سير ألن جاردنر — على ثلاث سنوات ، وأيا كان السبب ، فإن الدولة الوسطى المجيدة قد انهارت نهائيا<sup>(٩٣)</sup> .

---

P. E. Newberry, The Co-Regencies of Ammenemes, III, IV, and Sebeknofru, in JEA, 29, 1943, p. 74-75.

(٩٢)

وكذا

T. Save-Soderbergh, JEA, 37, 1951, p. 53.

(٩٣)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 141.

وكذا

## الفصل الثانى

### السياسة الخارجية

#### ١ - الاسرة الحادية عشرة

بدأ منتو حبت الاول (نب حبت رع) ، بعد أن كتب له نجحا بعيد المدى فى تحقيق وحدة البلاد ، فى استعادة نشاط مصر فى الصحراء الشرقية ، فارسل حملة الى وادى الحمامات ، هذا وقد سجل أحد جنوده المدعو «تويمانو» - وهو نوبى فيما يبدو - فى نقش على صخور «أبيسكو» ، على مقربة من الشلال الاول ، أن سيده الفرعون قد «استولى على الارض كلها ، وأقدم على ذبح أسىوى دجائى» (جائى) - أى أهل جنوب الشام - .

ولا يبدو أن أمر تهدئة الأرض كلها تم قبل العام السادس والاربعين اذ أن هناك لوحة فى تورين من ذلك التاريخ تحدثنا بأن «تقدما طيبا تم بسبب منح الاله منتو الارضين (الصعيد والدلتا) للملك «نب حبت رع» ، وقبل انتهاء الحكم أصبح من الممكن كذلك لحامل ختم الهى يدعى اختوى ، من أن يذهب فى رحلة واسعة النطاق الى الخارج ، وأن يعود بكثير من المعادن والاشجار الثمينة من مختلف الانواع ، مما يشير الى أن القوات المصرية قد دخلت آسيا ، وان لم تذهب الى ما ذهبت اليه قوات الاسرة السادسة<sup>(١)</sup> .

L. Lobs, Reliefs und Malerei des Mittleren Reichs, Heidelberg, 1922, fig. 14, p. 22.

(١)

A. H. Gardiner, JEA, 4, p. 28 F.

وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p. 121-122.

وكذا



هذا وليس هناك من النقوش ما يشير الى بعثات للملك منتو حتب الاول الى سيناء ، غير أن اقامة سنوسرت الاول تمثل للملك منتو حتب الاول في سرابيط الخادم — أهم مناطق مناجم الفيروز في سيناء — انما يشير الى أن منتو حتب الاول انما قد أعاد فتح الطريق الى مناجم الفيروز هناك ، الأمر الذي أكدته «خيتي» — أحد موظفي منتو حتب الاول — عندما أعلن أنه ختم كنوز مناجم الفيروز في سيناء في مجدد حور ، وبالتالي استعادة سيادة مصر وسلطانها على بدو الصحراء في سيناء .

وأما بالنسبة الى ليبيا ، فقد أرسل منتو حتب الاول قوات كان هدفها أن تظهر ، كما لو كانت تمسك بأعناق أولئك الذين أزعجوا مصر منذ عهد الدولة القديمة ، وقد تمكنت من قتل قائد الليبيين (تحنو) في إحدى هذه الغارات ، هذا فضلا عن أن قوات منتو حتب الاول قد وصلت الى واحات الصحراء المغربية ، كما اتخذ كثيرا من الخطوات للسيطرة على الصحراء الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية<sup>(٢)</sup> .

وهناك ما يشير الى أن سيادة مصر على النوبة السفلى لم تستمر بعد موت «ببى الثانى» ، إذ ضاعت قوة الحكم المصرى المركزى بعد موته ، ثم أعقب ذلك فوضى في البلاد ، على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، مما أدى فى النهاية الى ضياع ممتلكات مصر فى الجنوب ، فى الفترة فيما بين نهاية الاسرة السادسة وبداية الاسرة الحادية عشرة .

وهكذا يذهب «سيبل فرث» الى أن هجرة «المجموعة الثالثة» انما كانت نتيجة للضعف الذى أصاب النوبة السفلى ، بعد حملة «ببى نخت» ، وبداية العهد الاقطاعى ، والحروب الاهلية التى دارت رحاها بين فراعين اهناسية وأمراء طيبة ، مما مكن المجموعة الثالثة ( ٢٤٠٠ — ١٦٠٠ ق.م) من وضع أقدامها فى النوبة السفلى<sup>(٣)</sup> .

J. Vercontter, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967, p. 350.

(٢)

G. M. Firth, The Archaeological Survey of Nubia, II, Cairo, 1915, p. 20.

(٣)

مذا ويبدو أن المجموعة الثالثة هذه لم تكن قد انتشرت جنوبا حتى الجندل الثانى ، ولكنها اقتضرت على النوبة السفلى (واوات) (٤) ، تاركة النوبة العليا (كوش) لجيرانها المحبين للحروب ، وان ذهب البعض الى أن أقوام المجموعة الثالثة كذلك كانوا لا يميلون الى الحروب ، اعتمادا على ندرة الأسلحة بين الأشياء التى عثر عليها فى مقابرهم ، فضلا عن أن الفرق الزنجية فى الجيوش المصرية انما كانت من أهل «كرما» ، هذا الى أن الحصون المصرية التى فى قلب وطن المجموعة الثالثة — كما فى كوبان وايكور — انما توجد بها آثار أهل كرما الذين خدموا كجنود ، بينما لا نجد نفس الآثار العسكرية لأصحاب المجموعة الثالثة ، وأخيرا فهناك ما يشير الى وجود مساكن لأهل المجموعة الثالثة على مقربة من الحصون المصرية ، وليس فى داخلها مما يشير الى أن أهل المجموعة الثالثة انما كانوا قوما محبين للسلام ، ولم يعتبرهم المصريون لائقين للخدمة العسكرية ، ومن ثم فقد اعتمدوا على المحاربين الجنوبيين كاحتياطى فى معسكراتهم (٥) .

على أن هناك وجها آخر للنظر ، يذهب الى أن أقوام المجموعة

---

(٤) لعل أهم القبائل التى سكنت النوبة السفلى انما كانت هى : ١ - قبيلة واوات ، وقد سكنت المنطقة حول كورسكور ٢٠ - قبيلة إيرثت ، وسكنت المنطقة حول توماس ٣٠ - قبيلة ستاو ، وسكنت المنطقة حول توتسى ٤٠ - قبيلة ايام وسكنت المنطقة فيما بين أرمننا وبوغن ( وان كان هذا موضع جدل طويل ، كما أشرنا من قبل ) ٥٠ - قبيلة المدجاو . وهى من القبائل الرحل التى لم تستقر فى منطقة بعينها ، وكانت تجوب مناطق السودان والنوبة السفلى ، وقد انتمت هذه القبائل كلها الى الجنس الحامى الذى انتمى اليه سكان شمال أفريقية فى كافة العصور ( عبد المنعم أبو بكر : بلاد النوبة - القاهرة ١٩٦٢ ص ١٥ - ١٦ ) .

(٥) والتر ايمرى : مصر وبلاد النوبة - ترجمة تحفة حندوسة ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٠ ص ١٤١ - ١٤٣ ،

وكذا G. A. Reisner, Excavations at Kerma, II, Cambridge, 1923, p. 555.

وكذا W. B. Emery and L. P. Kirwan. The Excavations and Survey between Wadi Essebua and Adindan Cairo, 1935, p. 8.

الثالثة انما كانوا أصحاب حرب ، وأن عدم وجود الاسلحة في أثاث مقابرهم ، لا يعنى بالضرورة أن يكونوا أهل سلم ، فربما كانت الاسلحة غالية بالنسبة الى النوبى ، ومن ثم فهو غير قادر على شرائها بهدف وضعها في قبوره ، وربما كانت عادات القوم الجنازية لا تتفق ووضع الاسلحة في المقابر ، هذا فضلا عن أن الاحتلال النهائى للنوبة على أيام «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق.م) انما يشير الى مقاومة عنيدة من جانب النوبيين ، وأن أقوام المجموعة الثالثة انما كانوا قد استوطنوا النوبة منذ فترة طويلة (٦) .

وأيا ما كان الامر ، فهناك نقش في طيبة (الاقصر) يسجل أن جنديا يدعى «جمى» - ويلقب بالمشرف على الجنود ، والمشرف على التراجمة (رئيس القافلة) - أنه جعل «وأوات» تدفع الجزية لامير طيبة ، وأنه قضى على تمرد أى شائر هناك ، مما يدل على أن المصريين ، حتى أبان ضعفهم بسبب الانقسامات الداخلية ، انما كان أمراؤهم في طيبة ، ما يزالون يهتمون بالنوبة ، ويفرضون سلطانهم عليها ، وان كان هناك من يذهب الى أن هذا لا يعنى أكثر من حملة قام بها «جمى» على النوبة هذا فضلا عن أن نشاط الاهناسيين عند الحدود الجنوبية انما هو أمر بحيطه الشك والابهام ، وان وجد نقش يشير الى مراقبة الحدود الجنوبية ، ومنع الهجرة من الجنوب الى داخل مصر (٧) .

وعلى أى حال ، فما أن بدأت مصر تقتضى على فوضى عصر الانتقال الاول ، وتعيد وحدة القطرين ، حتى وجهت اهتمامها صوب النوبة ، وهناك ما يشير الى نشاط عسكري مصرى في النوبة ابان الجزء الثانى من عصر الاسرة الحادية عشرة (٢١٣٤ - ٩٩١ ق.م) وفي ذلك عثة نقوش صخرية في «بوهن» (مقابل وادى حلفا عبر النهر) ، ولكنها

(٦) سليم حسن : مصر القديمة - الجزء العاشر - القاهرة ١٩٥٥

ص ٩٢ .

W. M. F. Petrie, A Season in Egypt, 1887, London. 1888, (٧)  
Pl. XII, No. 310.



كانت حملات تأديبية للرد على اعتداءات النوبيين على القوافل التجارية المصرية ، والعمل في المعاجر ، فمثلا يسجل نقش أبيسكو — وقد أشرنا إليه من قبل — أن الملك «نب حبت رع» قد سافر إلى بوهن ، وأنه قد عبر البلاد جميعا أثناء رحلته البحرية هذه ، وطبقا لرواية خيتي — خازن بيت المال — فقد عاد بمعادن وأحجار كثيرة •

غير أن الأمور في النوبة العليا ربما كانت تختلف عن ذلك ، إذ يبدو أنه أثناء الفوضى التي سادت مصر قد تكونت قوة عسكرية في الجنوب ، أطلق المصريون عليها اسم «كوش» أصبحت فيما بعد قوة تهدد مصر نفسها ، حتى أن ملوك الأسرة الثانية عشرة إنما قد اضطروا إلى بناء مواقع حماية كبيرة هناك<sup>(٨)</sup> •

وفي عهد الملك «سعنخ كارع» أرسلت بعثة — بقيادة حنو — إلى وادي الحمامات ، قوامها ثلاثة آلاف رجل ، وعندما وصلت إلى شاطئ البصر الأحمر ، صنعت سفنا لأحضار المرمر من بلاد بونت<sup>(٩)</sup> ، ونظرا لأن شاطئ البصر الأحمر في النهاية الشرقية لطريق وادي الحمامات ، عبارة عن أرضين صحراوية ، فقد حملت البعثة معها المراكب التي صنعت في وادي النيل ، لإعادة تركيبها على الشاطئ ، ثم الأبحار إلى بونت ، وهكذا أبحر الأسطول إلى بونت ، بينما بقي أعضاء البعثة في وادي الحمامات ، لأحضار أحجار الجرانيت الخضراء لصنع التماثيل منها ، ثم عادت مرة أخرى إلى مدينة «قفط» بدون أية حوادث عارضة<sup>(١٠)</sup> •

---

(٨) والتر ايمري : المرجع السابق ص ١٤٣ — ١٤٤ ،  
T. Save Soderbergh. Egyptien und Nubien. Lund. 1941, وكذا  
p. 58.

وكذا  
A. E. P. Weigall, Report on The Antiquities of Lower  
Nubia, Cairo, 1907, Pl. XIX.

(٩)  
J. Couyat and P. Montet, les Inscriptions Hieroglyphiques  
du Ouadi Hammaman, Cairo, 1912, No. 114.

وكذا  
J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag., 4027-433,  
p. 208-210.

(١٠)  
J. Vercoutter, op. cit., p. 351-352.

هذا وقد زاد «حنو» أمرا آخر في عهد «سعنخ كارع» (منتو حتب الثانى) ، فذكر لنفسه دورا في معاملة «الحاونبو» ، أى أهل جزر البحر الأبيض المتوسط ، لاسيما الكريتيين ، وقد تكون هذه المعاملة ودية أو عدائية ، وإن كان الاحتمال الأول هو الأرجح (١١) .

وهناك من عهد «منتو حتب الثالث» (نب توى رع) — كما أشرنا من قبل — ثلاث كتابات من عامه الأول ، وواحدة من عامه الثانى تسجل إيفساد موظف للحصول على الجبهشت (الاماتيست) من وادى اليهودى (١٢) ، هذا فضلا عن ارسال بعثة في عامه الثانى — بقيادة وزيره أمنمحات — الى وادى الحمامات ، لتأتى له بتابوت ضخم (١٣) .

---

(١١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة — الجزء الاول — ص ٤٣٣ .

J. H. Breasted, op. cit., Parag. 428, p. 209.

وكذا

A. Rowe, ASAE, 39, 1939, p. 187 F.

(١٢)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 125.

وكذا

A. Fakhry, op. cit., p. 19-23.

وكذا

J. H. Breasted, op. cit., Parag. 439, p. 212.

(١٣)

## ٢ - الاسرة الثانية عشرة

### (١) في الشمال والشمال الشرقي

قامت السياسة المصرية الخارجية في عصر الاسرة الثانية عشرة ، على أساس تغليب علاقات الود مع الدول المجاورة في الشام والعراق وجزر بحر ايجة ، واتخاذ الصلات التجارية معها سبيلا الى التأثير الحضارى فيها ، كما قامت على أساس توطيد النفوذ ، وتوسيع الاشراف والاستثمار على امتداد الحدود في الغرب والجنوب ، أى في ليبيا والنوبة ، مع ايثار السلام المسلح القائم على التحصين واليقظة في الناحيتين ، وعدم الالتجاء الى استخدام القوة فيها ، الا حين الضرورة (١) .

وهكذا بدأ امنمحات الاول - مؤسس الاسرة الثانية عشرة - في تنفيذ سياسة السلام المسلح ، فاهتم بحدوده الشرقية ، ونعرف من نبوءة «نفرتى» انه قضى النصف الاول من حكمه في طرد البدو الاسيويين الذين نزحوا الى الدلتا واستقروا فيها ، خلال فترة الاضطرابات التى كتب على البلاد أن تعيشها في أخريات أيام الاسرة الحادية عشرة ، ورغبة من الفرعون في عدم عودة الاسيويين مرة أخرى الى الدلتا ، فقد شيد امنمحات سلسلة من الحصون على حدود الدلتا الشرقية ، عرفت باسم «أسوار الحاكم» أو «حائط الامير» .

ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين ، أين كانت تقع تلك الاسوار ؟ غير أن ذكرها مرتين إنما يكفى لجعلنا ندرك مدى الخطر المتوقع من هذه الناحية ، وهى ، على أية حال ، سلسلة من الحصون والتحصينات

---

(١) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ١٧٦ - ١٧٧ .



أقيمت للاشراف على الممرات التي تؤدي الى داخل مصر من ناحية حدودها الشرقية والشمالية الشرقية ، وربما كان أكثرها في مدخل وادي طميلات (٢) .

وهناك في قصة سنوهي ما يشير الى أهمية هذه الحصون في اداء دورها ، فالرجل يحدثنا أنه عندما بلغ أحد الحصون ( هائط الامير ) خشى أن يقبض عليه «هناك خبأت نفسي بين الحشائش ، خشية أن يرانى الحارس ، الذى كان مكلفا بالمراقبة في هذا اليوم ، اذا ما نظر في اتجاهي» ، ولما أمن عين الرقيب ، واصل سيره بالليل ، وعند الصباح بلغ البحيرات المرة على طريق السويس (٣) .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا الى أن قصة سنوهي إنما تشير الى أن اللغة المصرية — لغة سنوهي — إنما كانت معروفة لدى بعض السوريين وأن المرسل والتجار المصريين انما كانوا يترددون على لبنان حيث كان يقيم ، ويمرون بها الى ما هو أبعد منها ، وأن الحكام السوريين انما كانوا على اتصال بمجريات الامور في مصر ، ويحبون أن يستزيدوا من أخبارها ، وأن سنوهي قد اشترك بفرقة من أهل الشام في صد جماعات سمي رؤساؤهم باسم (حقاو خاسوت) بمعنى حكام البلاد الأجنبية أو حكام البراري ، وهو نفس الاسم الذى أطلقه المصريون فيما بعد على زعماء الهكسوس ، وذلك مما يعنى أن سورية بدأت تتعرض منذ ذلك الحين لهجرات أجنبية عنها ، ليس من المستبعد أنها كانت تمثل أسلاف الهكسوس الآريين ، وان كانت هذه الهجرات لا تزال حينذاك قليلة ضعيفة (٤) .

هذا فضلا عن أن زعامة مصر المادية والثقافية انما كانت أمرا ثابتا

J. Vercoutter, op. cit., p. 361-362.

(٢)

Alan H. Gardiner, The Prophecy of Neferti, JEA, I, 1914, p. 105.

وكذا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 19.

(٣)

(٤) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ١٧٨ .

بالإدلة المادية ، فقد كان الملوك — وربما النبلاء كذلك — يرسلون الهدايا الى الأمراء السوريين الموالين لهم ، وأن هؤلاء الأمراء إنما كانوا يحبون تلك الهدايا ، وتنتشرح لها صدورهم ، كما كانت كافية لكسب صداقة تلك الدويلات الصغيرة في آسيا<sup>(٥)</sup> ، ومن هذه الهدايا أوان من الأوبسديون الأسود اللامع الى أمير جبيل في عيد توليته أمانة مدينته ، فضلا عن تمثال صغير على هيئة أبو الهول من قطنة للاميرة ((أثا)) ابنة أمنمحات الثانى وهو أقدم تمثال معروف من نوعه يمثل سيدة مصرية في هيئة أبو الهول<sup>(٦)</sup> .

ومع ذلك فإن لوحة نسمونت — وتؤرخ بفترة الحكم المشترك بين أمنمحات الأول وولده سنوسرت — إنما تشير الى أن هذا القائد إنما كان عليه أن يشهر الحرب على الآسيويين الرحل ، وأن يثمر حصونهم ، ولكننا لا نعرف الى أى مدى بلغ نشاطه في الأقاليم الآسيوية<sup>(٧)</sup> .

وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى أن النشاط المصرى فى غربى آسيا لم يتوقف فى تلك الفترة ، حيث قدر لمر أن تقوم هناك بدور قيادى ، ومن ثم فقد تم احتلال مدينة جبيل ، أو على الأقل ، فلقد فرضت عليها التبعية المباشرة<sup>(٨)</sup> ، وهكذا رأينا الحكام هناك يتخذون لاماراتهم شعارا ذا طابع مصرى ، وربما كانوا يتطيبون عند تنويعهم بزيت ، وضع فى أنية تحمل اسم ملك مصر<sup>(٩)</sup> ، هذا فضلا عن أنهم

(٥) John A. Wilson, The Egyptian Middle Kingdom, at Megiddo, in AJSL, 58, 1941, fig. 14, B. p. 225-236.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٩ .

وكذا P. Montet, Byblos, et l'Egypte, Paris, 1928, Pls. 88-89.

(٧) A. H. Gardiner, op. cit., p. 132.

وكذا J. H. Breasted, ARE, I, Parag. 469-471, p. 227-228.

(٨) جان يويوت : مصر الفرعونية — ترجمة سعد زهران — القاهرة

١٩٦٦ ص ٩٨ .

(٩) T. Save Soderberghe, The Hyksos in Egypt, JEA, 37, 1951, p. 53.

كانوا يكتبون أسماءهم بالهيروغليفية المصرية ، ويستعملون اللقب  
المصري «حاشى عا» الذى حمله الموظفون المصريون منذ أمد بعيد فى  
أقاليم مصر نفسها<sup>(١٠)</sup> .

ومع ذلك فإن استاذنا الدكتور أحمد فخري (١٩٠٥ — ١٩٧٣)  
— طيب الله ثراه — انما يرى أن هؤلاء الحكام لم يكونوا من موالى  
مصر ، أو كانوا يحكمون باسمها ، أو يقدمون لها جزية مفروضة<sup>(١١)</sup> ،  
ذلك لأن مصر لم يكن لها — فيما يرى جون ويلسون — امبراطورية  
سياسية فى آسيا ابان عهد الدولة الوسطى ، ولكنها كانت تتمتع بالفوائد  
الروحية والاقتصادية اللتين كانت تجنيها ، فقد كانت لها سيطرة فعلية  
على تلك البلاد فى ميدان الحضارة والتجارة<sup>(١٢)</sup> .

ورغم ذلك كله ، فإن شواهد التاريخ انما تشير الى أن مصر ، انما  
كان لها نفوذ هناك ، وأن هذا النفوذ لم يكن مقصورا على مدينة  
جبيل وحدها ، وربما قد امتد الى مدن سورية أخرى، مثل «أو جارىت»  
(رأس الشمرة) ، التى يحتمل أنها كانت — فيما يرى البعض — تتبع  
مصر سياسيا<sup>(١٣)</sup> ، هذا فضلا عن الآثار المصرية ، انما كانت قد انتشرت  
فى كثير من المدن السورية<sup>(١٤)</sup> ، فهناك فى «قطننة» — وتقع فى مكان تل  
المشرفة الحالية ، على مبعده ١١ ميلا الى الشمال الشرقى من حمص —  
عثر على تمثال يحمل اسم الملك أمنمحات الثانى (١٩٢٩ — ١٨٩٥  
ق . م)<sup>(١٥)</sup> .

وفى عام ١٩٣٦ ، عثر فى «طود» — على مبعده ثلاث كيلو مترات

(١٠) جان يويوت : مصر الفرعونية ص ٩٩ .

(١١) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٢٢٨ .

(١٢) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 155.

(١٣) T. Save Soderbergh, JEA, 37, 1951, p. 53.

(١٤) أنظر : محمد بيومى مهران : اخناتون — عصره ودعوته .  
القاهرة ١٩٧٩ ص ٣ — ٦ .

(١٥) A. H. Gardiner, op. cit., p. 132.



شمال محطة أرمنت — على كنز ثمين من مصنوعات من الذهب والفضة  
واللازورد ، تشير بوضوح الى يد الصانع الميزوبوتامي والايجي ،  
وقد نقشت عليها خراطيش أمنمحات الثانى ، وربما كانت هدايا  
— وربما جزية — من حكام جبيل (١٦) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن مقبرة «خنوم حتب» أمير  
بنى حسن (اقليم الوعل) ، على أيام «سنوسرت الثانى» انما قد  
احتفظت لنا بمناظر تمثل ملابس ومستوى الحضارة فى سورية فى ذلك  
العصر ، حيث تقدم لنا «خنوم حتب» ، وهو يستقبل مجموعة أسيوية  
(كنعانية) تتكون من ٣٧ شخصا ، من شباب وشيوخ ، ونساء وأطفال ،  
بزعامه كبيرهم «أبشاي» (أبشا) ، والذي لقب «حقا خاست» (أى  
حاكم البلد الاجنبى) ، والذي حرف فيما بعد الى «هكسوس» ، وكان  
المقادمون يلبسون ملابس فاخرة ، ذات ألوان متعددة ، ويطلق الرجال  
لحاهم ، ويسلحون بسهام وأقواس ، وكان للنساء شعر طويل أسود ،  
كما كن يلبسن النعل ، وليس الصندل ، كما فى مصر ، والكتابة التى  
تحت صورهم انما يمكن أن تقرأ كالتالى : «السنة السادسة تحت حكم  
جلالة حور ، مرشد الارخبين ، ملك مصر العليا والسفلى سنوسرت  
الثانى ، عدد الاسيويين الذين حضروا عند الحاكم ، الأمير خنوم حتب ،  
ومعهم الكحل ، انما كان ٣٧ فردا» .

وفى الواقع أن وفود الكنعانيين الى مصر لم يكن جديدا فى تاريخها ،  
لكن الجديد هنا هو تصويرهم فى مجموعات أسرية بخصائصهم القومية ،  
هذا فضلا عن أن الاسيويين انما كان قد كثر مجيئهم الى مصر على أيام  
الاسرتين الثانية عشرة ، والثالثة عشرة ، رجالا ونساء ، فى أعداد كثيرة ،

R. Bisson de la Roque, Tresor de Tod, Cairo, 1950. (١٦)

R. Bisson de la Rouque, Depot Asiatique Trouve a Tod وكذا

(1934-1936) Cairo, 1937, p. 113.

J. Vandier, A Propos d'un depot de Provenance Asiatique وكذا

Trouve a Tod, Syria, 18, 1937, p. 174-182.

وقد اجتفظت النصوص من عهد الدولة الوسطى بأسماء كنعانية كثيرة، عمل بعض أصحابها في مناطق المناجم والمهاجر المصرية ، وعمل آخرون أتباعا وأماء في البيوت والمعابد (١٧) .

بقى أن نشير الى أن هناك جدلا طويلا بين العلماء عن علاقة مجموعة «أبشاي» (أبشا) هذه ، ودخول سيدنا ابراهيم ، صاوات الله وسلامه عليه ، أرض الكنانة ، فضلا عن دخول بنى اسرائيل — بقيادة يعقوب عليه السلام — اليها (١٨) ، والرأى عندى أن مجموعة أبشاي هذه ، لا تتصل من قريب أو بعيد ، بابراهيم الخليل ، أو حفيده يعقوب ، ذلك أن الخليل عليه السلام (١٩) ، انما قد ولد في العراق حوالى عام ١٩٤٠ ق.م ، وأنه هاجر الى كنعان ، حوالى عام ١٧٦٥ ق.م ، وهو في الخامسة والسبعين من عمره ، حيث بقى هناك حينما من الدهر ، ثم رحل الى أرض النيل الطيبة ، بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، أو بسبب نشر دعوته ، وهذا ما نميل اليه ونرجحه ، ثم عاد الى فلسطين ، وتزوج من السيدة هاجر المصرية ، وأنجب منها ولده اسماعيل عليه السلام ، حوالى عام ١٨٥٤ ق.م ، وهو في السادسة والثمانين من عمره ، فاذا كان ذلك كذلك ، فان دخول ابراهيم مصر ، انما كان فيما بين عامى ١٨٦٥/١٨٥٤ ق.م ، وهى فترة تقع في عهد «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ — ١٨٤٣ ق.م) .

وأما حفيده يعقوب فقد عاش في الفترة (١٧٨٠ — ١٦٣٣ ق.م) ، وهكذا نستطيع القول أن أبا الانبياء — ابراهيم الخليل عليه السلام —

(١٧) جيمس بيكى : الاثار المصرية في وادى النيل ٧٢/٢ — ٧٣ .  
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨٠ .  
وكذا W. C. Hayes, A Papyrus of The Late Middle Kingdom in The Brooklyn Museum, 1955, p. 87-99, 133-134.

وكذا P. E. Newberry, Beni-Hassan, I, London, 1893, Pls. 28-31.

وكذا A. Erman and H. Rake, la Civilisation Egyptienne, p. 689.

(١٨) انظر : Vergote, Joesph en Egypt, Paris, 1969, p. 16.

(١٩) سنتعرض لقصة سيدنا ابراهيم عليه السلام بالتفصيل بعد آخر هذا الفصل ، حيث سنفردها لها فصلا خاصا بها ، وان كان موجزا .

قد أتى الى مصر على أيام الاسرة الثاانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م)،  
وربما في عصر «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق.م) ، وأن  
الاسرائيليين قد دخلوا مصر - بزعامة يعقوب - على أيام الهكسوس  
(١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق.م) (٢٠) .

وأيا ما كان الامر ، ففي عهد «سنوسرت الثالث» ارتحل الملك نفسه  
للقضاء على الاسيويين ، ووصل الى اقليم «سكهم» الذي يرى فيه  
بعض الباحثين ناحية «ششم» في منطقة السامرة الجبلية (٢١) ، ولعل  
السبب في هذه الحملة انما كان اغارة بعض القبائل الاسيوية ، وربما  
بدو الصحراء المتاخمين لفلسطين ، اغارة مفاجئة على مصر ، فوجه  
اليهم هذه الحملة التي كسرت شوكتهم .

وعلى أى حال ، فلقد عثر في «مجدو» - وهي تل المتسلم الحالية،  
الى الغرب قليلا من بحيرة طبرية ، وعلى مبعدة ٢٠ ميلا جنوب شرق  
حيفا (٢٢) - على ختم أحد مسجلى المواشى ، وعلى تمثال لامير  
الاشمونين «تحتو حثب الثانى» ، في عهد سنوسرت الثالث ، ومن  
ناحية أخرى ، فلقد عثر في مقبرة أمير الاشمونين نفسه ، في مصر ،  
على صورة ماشية واردة من فلسطين (٢٣) ، كما عثر في بيروت على تمثال  
صغير لابي الهول وقبلادة للملك أمنمحات الرابع (١٧٩٨ - ١٧٩٠  
ق.م) (٢٤) ، وأما أقصى الاماكن الى الشمال التي عثر فيها على مثل

---

(٢٠) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن هذا الموضوع في الجزء السابع  
من كتابه «دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم» ( أنظر : محمد بدوى  
مهران : اسرائيل - الكتاب الاول - التاريخ - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٥٠ -  
٢٥٩ ) .

(٢١) J. H. Breasted, op. cit., p. 302.

(٢٢) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٨٤٠ - ٨٤١ ،

وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970,  
p. 709-710.

(٢٣) W. S. Smith, Interconnection in The Ancient Near East,

London, 1965, p. 14.

(٢٤) محمد بدوى مهران : اخناتون ص ٤ - ٥ جان يويوت : المرجع

السابق ص ٩٨ - ٩٩ .



هذه الأشياء فهي «أنخانا» التي لا تبعد كثيرا عن منصب الأورنت (٢٥) .

ولعل كثرة الآثار المصرية في آسيا من تلك الفترة ، إنما هي التي دفعت أثريا محنكا مثل «سير ليونارد ووللي» (١٨٨٠ — ١٩٦٠) الى أن يؤكد أنه لابد من أن هناك حملات أكيدة قد تمت في ذلك العصر ، حتى نلتقى بمثل هذا العدد الذي عثر عليه من الأشياء التي تنتمي الى الاسرة الثانية عشرة (٢٦) .

هذا وقد اهتم أمنمحات الثالث كثيرا بأعمال التعدين لاستخراج الفيروز والنحاس من مناجم سيناء ، وقد أحصى له هناك ما لا يقل عن ٥٩ نقشا (٤٩) في سراييط الخادم ، ١٠ في وادي مغارة ووادي ناصب (٢٧) ، وقد رتبت النقوش من السنة الثانية وحتى السنة الخامسة والأربعين ، وهي تضم أسماء رؤساء العمال الذين كانوا يشرفون على آبار التعدين ، وموظفي الخزانة الذين كانوا يفتشون على المناجم ، ويوازنون بين الانتاج واحتياجات الدولة .

وقد حولت المواقع القديمة الى محطات ثابتة ، وزودت بمنازل للموظفين وأكواخ للعمال ، وآبار ومستودعات للمياه ، فضلا عن حصون لصد هجمات البدو ، الى جانب قبور لأولئك الذين يتوفون في تلك الصحراوات البعيدة عن وادي النيل ، وأخيرا فلقد اهتم الفرعون بمعبد الالهة حاتحور ، راعية المنطقة ، وربة الفيروز ، فوسع معبدها بدرجة كبيرة (٢٨) .

---

B. Porter and R.L.B. Moss, op. cit., VII, p. 395. (٢٥)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 132-133. وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 132. (٢٦)

Sir Loenard Woolley, PM; p. 386. وكذا

A. H. Gardiner, T. E. Peet and J. Cerny, The Inscriptions of Sinai, I, London, 1952, p. 15 F. (٢٧)

G. Posener, Litterature et Politique dans l'Egypte de la XIIe Dynastie, Paris, 1956, p. 131-132. وكذا

(٢٨) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٢٩٩ .

واتسعت صلات مصر التجارية والثقافية بمناطق سورية ، وقد عثر في مقابر أمراء جبيل وأوجاريت على آثار مصرية وصلتهم على هيئة هدايا من أمنمحات الثالث والرابع<sup>(٢٩)</sup> ، وهناك ما يشير الى أن الرغبة في استمرار العلاقات الودية بين مصر وسورية ، انما كانت رغبة مشتركة من الطرفين ، فمصر انما كانت تبغى فتح أسواق لتصريف منتجاتها ، واستيراد الاخشاب والزيوت من لبنان ، وأن تستورد ما كان يتجمع في موانئها من منتجات شرق البحر الابيض المتوسط من فضة وزيوت ومعادن وأحجار كريمة ، وأن تستورد ما كان يتجمع في أسواقها الداخلية من منتجات بلاد النهرين وايران والاناطول وبلاد العرب ، وأخيرا فانها انما كانت حريصة على قوة صلتها بفلسطين باعتبارها العصب الرئيسي لتجارقتها البرية مع ما ورائها من بلاد الشام .

والامر كذلك بالنسبة الى الدويلات الصغيرة في فلسطين وسورية وفينيقييا التي وجدت في مصر خير عميل للتبادل التجاري الواسع ، ومصدرا رئيسيا للتبادل الحضارى ، وكان يعينها أن تظل علاقاتها بمصر القوية المتحضرة الغنية ، لولا مشاكل الحدود التي كانت تنشب بين الحاميات المصرية وبين بدو الصحراء الفلسطينية ، ولم تأب مصر من ناحيتها أن تفتح مجالات العمل أمام رجال جنوب سورية في مناجم الفيروز في سيناء ، بل انها لم تأب أن تفتح أمام الراغبين منهم في الاستقرار فيها باب الوظائف في العاصمة المصرية نفسها<sup>(٣٠)</sup> .

## (٢) في الغرب

لم يقتصر نشاط أمنمحات الاول على الاهتمام بحدوده الشرقية ، وانما اهتم كذلك بحدوده الغربية ، ومن ثم نراه يقوم ببناء سلسلة حصون على حدود الدلتا الغربية ، كما في واحدة النطرون ، وربما

B. Porter and R. L. B. Moss, op. cit., 7, p. 386.

(٢٩)

J. A. Wilson, AJSL, 8, 1941, p. 235.

وكذا

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٣ .

الخارجية كذلك ، وما زالت بقايا الاولى قائمة حتى الان في وادي  
النطرون ، وبداخلها معبد له بوابة من الجرانيت عليها اسمه (٢١) .

وهناك في قصة سنوهى ما يشير الى أن أمنمحات الاول انما قد  
أرسل حملة في أخريات عهده — تحت قيادة ولى عهده الامير  
سنوسرت — لتأديب الشائرين في الصحراء الغربية ، حيث نقرأ «أرسل  
جلالته جيشا الى التحنو (الليبيين) بقيادة ولده البكر ، الاله الطيب ،  
سنوسرت ، ليضرب البلاد الاجنبية ، وليأسر سكان أرض تحنو ، وكان  
في طريق العودة ، ومعه أسرى أحياء من التحنو ، وكل أنواع الماشية  
التي لا تحصى» (٣٣) .

وتابع سنوسرت الاول سياسة أبيه في مراقبة الليبيين ، وهى نفس  
السياسة التى تابعه فيها خلفاؤه ، حتى لنرى لقبا جديدا يظهر فى هذه  
الفترة ، هو «مراقب الصحراء الغربية» ، والذي حملة كبار الموظفين (٣٣) ،  
وهناك ما يشير الى قيام تجريدة على أيام سنوسرت الاول الى الواحات  
الغربية ، وقد قامت هذه التجريدة من طيبة ، ويحدثنا أحد قوادها  
بقوله : «لقد وصلت الى الواحات الغربية ، وكشفت عن الطرق المؤدية  
الى المتمردين ، وأسرت الذين وجدتهم هناك وبقي جيشى سالما ، وبدون  
خسائر» .

وأما الليبيون فقد أخذوا الى السكينة بعد الحملة التى قادها  
الفرعون — على أيام أبيه — ضدهم ، ومن ثم فلم نجد اشارة الى  
التمحو فى النصوص التى ترجع الى أيام «سنوسرت الاول» ، وان كان  
الملك قد داوم على الاتصال بالواحات ، ومن ثم فقد ذهبت رسله الى

A. Fakhry; Wadi El-Natrun, ASAE, XL, p. 837-848. (٣١)

J. A. Wilson, The Libyans and The End of The Egyptian Empire, AJSL, LI, 1935, p. 74. (٣٢)

(٣٣) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس  
الثالث الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١١٧ .



الواحدة الخارجية عن طريق أبيديوس (٣٤) \*

### (٣) في الجنوب

كانت مصر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد من أقوى دول المشرق الأدنى القديم ، أن لم تكن أقوىها جميعا — ذلك لأن منطقة النوبة السفلى ، إنما كانت تحتلها القوات المصرية ، بعد أن تم إخضاعها إخضاعا تاما للنفوذ المصري ، وبعد أن بنى فيها من الحصون ما بلغ عدده سبعة عشر حصنا ، بل أن مصر كانت قد دفعت بحدودها الجنوبية حتى كرما ، جنوب الجندل الثالث (٣٥) \*

#### (أ) في عهد أمنمحات الأول وولده سنوسرت الأول :

هذا وقد تابع أمنمحات الأول سياسة أسلافه في الاهتمام بالجنوب ، وقد امتد نشاطه الحضارى ، فضلا عن الاشراف السياسى ، في بلاد النوبة حتى كورسكو (جنوبى دنقلة) ، ورغم أن هناك من يذهب إلى أن المركز التجارى في كرما إنما قد أنشئ في عهد الدولة القديمة ، فمن المرجح أنه قد أنشئ في عهد أمنمحات الأول حتى أطلقت النصوص على أسوارها «أسوار أمنمحات المبجل» (٣٦) ، وهو حصن كبير مبني بالطوب على هيئة حوش كبير ، ذى جدران ضخمة عالية تستطيع صد أية غارة من الصحراء ، وتجعل جاليتها التجارية تعيش في أمن وأمان وقد كان لهذا المركز من الأهمية ما جعل فرعون يولى عليه أحد كبار موظفيه ، ومن أشهرهم «(حعبى زفاى)» وهو أحد أمراء أسيوط (٣٧) \*

ZAS, 42, 1905, p. 124-128.

(٣٤)

G. Posener, op. cit., p. 53, 104.

وكذا

J. Vercouter, The Near East, The Early Civilization, London, 1967, p. 368.

وكذا

C. Reisner, Excavations at Kerma, I, p. 30.

(٣٦)

T. Save-Soderbergh, op. cit., p. 107-108.

وكذا

J. H. Breasted, ARE, I, Chicago, 1906, Parag. 472-473, p. 228.

وكذا

J. A. Wilson, op. cit., p. 159.

(٣٧)

هذا وينسب الى أمنمحات الاول كذلك اقامة حصن في « سيمنة » ، جنوبى الشلال الثانى ، فضلا عن حصن آخر في « بوهن » ، أقامه سنوسرت الاول فى العام الخامس والعشرين من حكم أبيه ، وفى العام التاسع والعشرين أرسلت حملة الى النوبة — وطبقا لنص كروسكو ، فقد أخضعت النوبة السفلى (واوات) للسيادة المصرية ، تحسبا لمعارك حربية أكثر خطورة مع كوش ، ويذهب « والتر ايمرى » (١٩٠٣ — ١٩٧١) الى أن الحملة المصرية انما كانت تهدف الى أمرين ، الواحد فرض السيادة المصرية على المنطقة التى تقع فيما بين الجندل الاول والثانى ، فضلا عن استغلال ثروة المناجم ، وبعض المحاصيل الجنوبية الأخرى ، والآخر : إبقاء النوبة السفلى ، كمطقة حاجزة بين مصر وكوش (٣٨) .

وقد أبدى « سنوسرت الاول » همة ملحوظة فيما يتصل بالنوبة ، وسار بنفسه مستهدفا ارساء قواعد ثابتة للحكم المصرى فى الجنوب ، حتى ذهب بعض العلماء الى أن ينظر اليه وكأنما هو أول من اتبع سياسة حاسمة نحو النوبة ، فقد مد الحدود المصرية حتى وادى حلفاء ، على الأقل ، كما ينسب اليه تشييد ما لا يقل عن ثلاثة قلاع فى هذه الجهات .

وعلى أى حال ، فلقد ظهر فى النصوص المصرية — ولأول مرة — الاسم الجغرافى « كاش » ، الذى حرف فيما بعد الى « كوش » ، ويعنى فى الدولة الحديثة اقليما اداريا متميزا عن « ووات » يمتد الى الجنوب وراء الجندل الثانى ، بينما يقصد به فى التوراه « أثيوبيا » عامة ، وذلك مقابل تسمية النوبة السفلى « ووات » وتمتد فيما بين الجندل الاول والثانى .

---

(٣٨) والتر ايمرى : مصر وبلاد النوبة — القاهرة ١٩٧٠ ص ١٤٥ — ١٤٦ ، وكذا  
J. Vercoutter, op. cit., p. 362.

هذا وقد بدأت العملية الحربية المهمة في عهد سنوسرت الأول بعد تسع سنوات من تهدئة «واوات» ، وكانت وادى حلفا قد أصبحت في عهد سنوسرت الأول في قبضة المصريين ، واطلوا بها حامية مصرية ، ومن ثم فقد أصبح الفرعون في وضع يمكنه من تشييد سلسلة من الحصون ، أصبحت فيما بعد أعظم الموانع الحربية التي صنعتها أيد بشرية في العالم القديم ، هذا وقد عثر في بوهن على نقش يمثل الملك واقفا أمام اله الحرب موننتو ، وهو يخاطبه بقوله : «لقد أحضرت لك كل بلاد النوبة تحت قدميك أيها الاله الطيب» ، هذا الى جانب منظر لرأس أسير وأكتافه ، فوق سياج بيضاوى يتوسطه اسم مركز أو مدينة مغلوبة ، كما عثر كذلك على أسماء عشرة مناطق تم اخضاعها ، في منطقة الجندل الثانى (٣٩) .

وهناك نقش آخر في مقبرة «امينى» أمير بنى حسن ، يقول فيه : «لقد تبعت سيدى عندما أبحر جنوبا لطرده أعدائه ... كابن حاكم قليم ، وواحد من الاشراف وكقائد للجيش ، وعظيم اقليم الموعل ، وكابن يمثل والده العجوز الذى يتمتع بالحظوة عند الملك ، وحب البلاط له ، وفى أثناء ابحارى جنوبا ، مررت فى كوش ووصلت الى حدود الدنيا ، وأحضرت الجزية ، وقد وصل مديحى الى السماء ، ثم رجع مولاي سالما ، بعد أن طرد أعدائه فى كوش الضخيمة ، ورجعت معه ، دون خسارة فى جنودى» (٤٠) .

وهكذا أصبحت منطقة الجندل الثالث بعد هذا النصر تحت رقابة المصريين ، وبدأ سنوسرت فى تشييد حصون وقلاع بقيت لسنين عديدة السد المانع الذى حد من قوة كوش ، وبعد أن اختار مهندسو سنوسرت

J. H. Breasted, The Wadi Helfa Stela of Senwosrt, (٣٩)

I, in PSBA, 23, 1901, p. 230-235.

T. Save-Soderbergh, Aegypten und Nubien, Lund, 1941, كذا  
p. 69-70, 88, 92, 98.

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag. 515-523, p. 250-263. (٤٠)



العسكريين السيد الطيبي في منطقة الجندل الثاني والمعروفة باسم  
«بطان الحبر» ، وأقاموا محجرة من الحصون على شاطئ النهر ، على  
مقربة من بعضها ، وقد عثر على معظم معالم هذه الحصون ، وقد دل  
الفحص على أنها شيدت كلها في وقت واحد تقريبا ، وأنها بنيت على  
طراز واحد ، كجزء من فكرة حربية واحدة ، ويبدو أن معظمها قد بدأ  
في عصر سنوسرت الأول (٤١) .

هذا وقد عين سنوسرت الأول بعد انتصاره على النوبة «سرنبوت»  
أمير اليفانتين (جزيرة أسوان) حاكما على أملاكه الجديدة هناك ،  
ويصف «سرنبوت» نفسه في مقبرته بأسوان بأنه «الأمير الوراثي ،  
الحاكم ، نبيل الملك وسميره الوحيد والمشرق على كهانة سالت في  
اليفانتين ، مراقب النوبة الأكبر ، والمشرق على كل الأراضي الأجنبية ،  
الحاكم سرنبوت» .

وهكذا كان «سرنبوت» أول وال يحكم النوبة من قبل فرعون ،  
وذلك قبل عصر الدولة الحديثة بمئات السنين ، عندما أصبح حاكم  
النوبة المصري يدعى «ابن الملك في كوش» ، ربما منذ أيام تحوتمس  
الأول (١٥٢٨ - ١٥١٠ ق م) ، وعلى أي حال ، فلقد أدت جهود  
سنوسرت الأول في النوبة إلى أن أصبحت الأحوال عادية هناك طوال  
عهدي «أمنمحات الثاني» و «سنوسرت الثاني» .

هذا وقد عين سنوسرت الأول كذلك حاكما مصريين للمدن الكبيرة  
في النوبة ، وخاصة «كرما» جنوب الشلال الثالث ، والتي كانت تعتبر  
الحد الشمالي للمناطق الزراعية في الجنوب ، كما كانت تعتبر كذلك  
سوقا رئيسيا لتجارة القوافل التي تخرج منها غربا إلى واحد سليلة  
ثم يتجه إلى درب الأربعين ، أو تتجه منها شمالا حتى الشلال  
الثاني (٤٢) .

---

(٤١) والتر إيمري : المرجع السابق ص ١٤٧ .  
(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٧ ، والتر إيمري :  
المرجع السابق ص ١٦٠ - ١٦١ ، محمد بيومي مهران : اخناتون ص  
١٤ - ١٥ .

ولعل أشهر ولاية سنوسرت الاول على كرما انما كان «(حجبي زفای)»  
 (زفای حجبي) ، والذي كان يحمل اللقب «(الرئيس الاعلى للجنوب  
 ورئيس زعماء الجنوب)» ، وكان الرجل فخورا بنفسه ، ومن ثم فانه  
 يروى في نقوشه ، أن علماء الدنيا كانوا يقدرون سياسته ، وأنه كان  
 نجما هاديا لامثاله ، ومرشدا لمن هم أكبر منه ، ثابت الفؤاد ، يضمن  
 الامور المستقبلية ، ويتنبأ بما في الصدور ، فسيح اللسان لبق الكلام ،  
 اهتدى بعقله الى سبيل الحسنی ، وعرف دائما كيف يقدر خطورتها (١٣) .

هذا وكان «(حجبي زفای)» قد أعد لنفسه مقبرة فخمة في موطنه  
 الاصلي بأسبوط وتتكون من سبع حجرات ، ويبلغ عمقها ٤٥ قدما  
 وتشتهر بنقوشها التي توضح تفاصيل الاعمال والطقوس الكهنوتية التي  
 كان يريد أن يقوم الكهنة بها بعد موته ، وقد أوقف عليها الكثير من  
 الاراضي والعبيد والمائنية ، ولكن الاقدار لم تكتب له أن يدفن فيها ،  
 وانما دفن في كرما ، تحت ركمة من التراب ، يحيط بها حوش دائري  
 ضخم ، مبني من الطوب قطره ٢٧٥ قدما ، وعلى طريقة النوبيين (١٤) .

ويروى الدكتور «(جورج رايزنر)» (١٨٦٧ - ١٩٤٢) الذي كشف  
 عن مقبرة «(حجبي زفای)» ، كرما في عام ١٩١٤/١٩١٥م (١٥) ، فيقول :  
 «(أقيمت مأدبة جنازية فخمة ، ذبحوا فيها أكثر من ألف ثور ، دفنوا

- 
- وكذا G. Reisner, Excavations at Kerma, Harvard African Studies, Cambridge, 1923, p. 5-6.  
 (٤٣) عبد المزيب صالح : المرجع السابق ١٧٧ - ١٧٨ .  
 (٤٤) J. H. Breasted, ARB, I, 19/6, p. 285-260.  
 وكذا JEA, 5, 1918, p. 79-98.  
 وكذا P. Montet, Kemi, I, 1923, p. 53.  
 وكذا A. Weigall, op. cit., p. 73.  
 وكذا J. H. Breasted, The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, London, 1912, p. 259.  
 (٤٥) J. A. Wilson, op. cit., p. 139-140.  
 وكذا G. A. Reisner, in Bulletin of The Museum of Fine Arts, Boston, XIII, 1915, p. 72.

رؤوسها حول النصف الجنوبي للدائرة من الخارج ، ثم وضعوا  
الامير في الحجرة المقبية ، والى جانبه القرايين المقدمة ، ثم أقفلوا  
الخشبي ، وأما الضحايا فكانوا جميعا من النوبيين ، وكانوا  
بخدرونهم أثناء الخفلة باعطائهم منسوما ، أو كانوا يخنقونها  
يحملونهم ليضعوهم فوق أرضية الدهليز ، وكان عددهم يتراوح  
مائتين وثلاثمائة ، من الرجال والنساء والأطفال ، ثم وضعوا  
بضع أوان وقدر ، وأحيانا نجد سيفا الى جانب صاحبه ، فضع  
عليهم الشخصية أحيانا ، ثم ملأوا الدهليز بعد ذلك بالتراب ،  
شكله شبيها بتل قليل الارتفاع ، مقبى السطح ، وغطوا أعلاه  
من الطوب اللبن ، ثم وضعوا فوق القمة هريما من الحجر الكو  
ثم بنوا حجرة من الطوب اللبن حول ذلك الحجر» .

وفي الواقع أن عادة التضحية البشرية بالاتباع والخدم انه  
أمر شائعا في كثير من حضارات الشرق القديم<sup>(٤٦)</sup> ، وأن «(جعبى  
لم يأت أمرا اذا في السودان ، اذ كانت تلك عادة القوم هناك ،  
كنا نرجو أن يعمل الامير المصرى على القضاء على هذه العادة  
المنتشرة في النوبة العليا ، والتي كانت قد انتهت في مصر منذ  
ما قبل التاريخ ، أو على الاقل منذ عصر التأسيس<sup>(٤٧)</sup> ، وأن يند  
السودان الحضارة المصرية الراقية ، وأن يمتنع عن عادات  
الهمجية ، غير أن ما نرجوه شيء ، وما حدث هناك شيء آخر<sup>(٤٨)</sup>  
وعلى أى حال ، فهناك من عهد أمنمحات الثانى ، موظف

---

(٤٦) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن « التضحية البشرية » ( : د  
بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الاول - التاريخ ص ١٦٢ - ١٧٤  
(٤٧) أنظر : Reisner, The Development of The Egyptian

, London, 1936, p. 128.

وكذا F. Petrie, Tombs of The Courties and Oxyrhynkhes, 1, 1925, p. 3.

(٤٨) أنظر : محمد بيومى مهران الثورة الاجتماعية الاولى في  
الفرعونية - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢٠٩ - ٢١١ .



«سى حاتحور» يشغل منصب مساعد خزائن فرعون ، وقد سجل على لوحته الجنازية في أبيدوس قوله : «لقد زرت أراضى المناجم فى صباى ، وأجبرت النوبيين على أن يغسلوا الذهب ، وأحضرت الملاخيت ووصلت الى النوبة التى تتبع الزنوج ، وقد ذهبت معاربيا مع سيد الارضين ، وجئت الى «حيح» (ربما حح = سمنة) ، وقد تجولت فى جزرها ، وأحضرت منتجاتها» .

هذا وتسجل كذلك لوحة «حابو» الصخرية فى أسوان ، أنه فى السنة الثالثة من حكم سنوسرت الثانى ، قد زار النوبة ليتفقد حصن واوات ، مما يشير الى أن المنطقة التى غزيت فى عهد سنوسرت الاول انما قد خضعت لنظام جمع المحاصيل التى تنتجها النوبة ، وأن الحياة هناك قد سارت على أيام أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى سيرا هادئا ومنظما ، وان النوبة كانت تنعم فى عهديهما بفترة سلام<sup>(٤٩)</sup> .

#### (ب) فى عهد سنوسرت الثالث :

كانت عواقب سياسة السلام التى نهجتها مصر فى عهد سلفيه سببا فى دفع القبائل النوبية الى القيام بمحاولات للتخلص من الحكم المصرى ، هذا فضلا عن أن هجرات المجموعة الثالثة التى بدأت بوادرها منذ أيام سنوسرت الاول ، انما تقدمت نحو النوبة ، محاولة السيطرة على طرق القوافل بين النوبة ومصر ، حتى خشى ملوك الدولة الوسطى أن تتوغل فى الاراضى المصرية نفسها .

ومن هنا فقد بدأ سنوسرت الثالث يحول كل اهتمامه نحو النوبة ، تلك البلاد التى أصبحت فى عهد الدولة الوسطى خيرة البلاد التى تنتج الذهب ، هذا الى جانب أشياء أخرى كان يتم الحصول عليها عن طريق المقايضة مع المواطنين ، وبخاصة المدجاوى (المجاى = المدجاوى) من وراء حدود الجندل الثانى ، وانه لمن الواضح ، على أية حال ، أن

---

(٤٩) والتر ايمرى : المرجع السابق ص ١٦١ .

الغزو من الجنوب كان مصدر خوف دائم ، وأنه رغم الحملات إلى النوبة السفلى والصحراء المجاورة أصبحت الآن كثيرة ، فانها كانت دائما تتسم بشيء من المغامرة (٥٠) .  
 وهناك بردية عثر عليها «(أدوارد كوييل)» عام ١٨٩٢م في مقبرة أسفل معبد الرمسيوم في طيبة الغربية ، تقدم قائمة فيها ثلاث عشرة قلعة بين أسوان وسمنة (٥١) ، ومعظم هذه القلاع أمكن التعرف عليها

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, (٥٠) 1964, p. 133.

(٥١) هذه القلاع أو الحصون هي (١) الحصن المعروف باسم «الإمام» (ويقع الاسم ضائع) ، ويقع على مسافة كيلو متر ، جنوبي سمنة على الضفة الغربية للنيل ، وتدل بقاياها على أنه من الدولة الوسطى .  
 ومعاصر للحصون الأخرى في المنطقة (٢) الحصن «(خج كاورج - المجل قوى)» وهو حصن سمته على الضفة الغربية ، في مقابل حصن قمة على الضفة الشرقية ، حيث يكون النيل في أضيق مجرى له ، بين جبل من الصخر ، ويشير اسمه إلى أنه بنى في عصر سنوسرت الثالث ، ولكن الحفريات تثبت أن النصف الشرقي منه شيد على أيام سنوسرت الأول (٣) . حصن قمة ، ويعرف باسم «(باعد الإقواس)» ، وتصميمه العام مربع ، كما أنه أصغر بكثير من الحصن الذي يواجهه عند الجندل ، ومع أن تصميمه بسيط ، إلا أنه يبدو من العصر نفسه ، وأنه يكون وحدة دفاعية واحدة مع سمته (٤) حصن أورونارتى (القلعة التي تصد الأينو ، أو التي تطرد القبائل) ، وهو عند قرية الملك الحالية ، وهناك لوحة عثر عليها ١٨٩٩م في المنطقة ، تسجل أن «سنوسرت الثالث» هو الذي قام ببناء الحصن ، وأن كاف بياؤه يشير إلى أنه طعم ويدعى في بنائه في عهد «سنوسرت الأول» (٥) حصن سرس وكان يسمى «(إمام البلاد)» ويعرف باسم «(شالك)» ، ويشبه حصن «(أورونارتى)» ، ولكنه أصغر منه حجما (٦) حصن ميرجيسا ، والمعروف باسم «(الذي يكبح الصحراوات)» ، ويبدو أن هذا الاسم إنما كان يطلق على حصن «(ميرجيسا)» و «(دبترتى)» اللذين يظهران ، كما لو كانا وحدة واحدة ، والحصن الأكبر منهما هو «(حصن ميرجيسا)» ، ويقع على الضفة الغربية ، وأما حصن «(دبترتى)» فهو الأصغر ، وقد بنى على جزيرة أمام ميرجيسا تقريبا ، وعلى مسافة قريبة منه (٧) حصن أيكن ، ويقع جنوبي بوهن ، ويمكن أن يشبه بحصن كبير طوله ٩٠٠ مترا ويحيط بمدينة على الضفة الغربية أمام جزيرة «(مايانرتى)» ، عند قمة الجندل الثاني (٨) حصن بوهن وهو على الضفة الغربية أمام سوادى خلفا ، وهو أكبر حصون النوبة العليا والمركز القيادى لتنظيم حاميات الحصون الأخرى ، ومركز نائب الملك الذى كان يحكم النوبة في الدولة الوسطى ، ويتكون من التحصينات الحربية على شكل شبه مربع (١٧٣ × ١٦٢ مترا) ، ويحيط به



وعلى تخطيطها ، أما تلك التى تقع الى شمال وادى حلفا ، فمقامة على الارض السهلة ، ومن الواضح أن المقصود بها أن تكون نقط مراقبة يقظة على المواطنين •

وهناك على الاقل سبع قلاع واقعة فى الرقعة التى تمتد على مدى أربعين ميلا من الجندل الثانى ، معظمها فوق روابى ، وعدد منها فوق الجزر ، وقد صممت بغير شك لتكون مواقع دفاعية ، كما يتضح من أسمائها «التي تطرد القبائل» (التي تصد الأينو) ، و «التي تكبح الصحراوات» (التي تخضع سكان الواحات) ، وهى منشآت ضخمة لها جدران

= باادينة المكونة من مساكن وثكنات الجيش ومصانع ومعبد وقصر الحاكم وقد أظهرت الحفائر تخطيطا لمدينة مستطيلة ، ذات طرق معبده ، وذات نظام للصرف والمجارى ، ومن الناحية المواجهة للنهر وجدت بوابتين كبيرتين فى الجدران ، توصلان الى رصيف من الحجارة لرسو سفن الجزى والمحاصيل التجارية من النوبة ، وكل ذلك يشير الى رخاء وغنى ومستوى معيشى مرتفع ( ٩ - ١٠ ) ، وهما الحصنان الواقعان بين وادى حلفا وعنييه ، وفى قرية «فرس» (باخورس القديمة) ، على مبعده ٢٥ ميلا شمال الجندل الثانى ، وعند الحدود المصرية السودانية الحالية ، كشف «جريفت» عام ١٩٢١م مبان من الدولة الوسطى ( ١١ ) حصن ميعام (عنييه) ، ويرجع الى أيام سنوسرت الاول ( ١٢ ) حصن كوبان (باكى) ، على الضفة الشرقية ، وقد عثر على حصن آخر من نفس الخراز على الضفة الغربية للنيل عند «أكور» على مبعده بضعة أميال شمال كوبان والحصنان (باكى وأكور) لم يكونا معسكرين ، وانما كانا محطة تجارية ، ومقرا لابعثات الى مناجم الذهب فى وادى العلاقى ، فضلا عن توفير الحراسة لصد أى هجوم لاية قوة تأخذ طريق وادى العلاقى ، عبر الصحراء من أبو حمد ، بغية أن تتحاشى حصون الحدود الجنوبية عبر النهر ، ( ١٣ ) حصن سيموت ، وبقع على الشاطئ الشرقى للنيل عند جزيرة بيجه ( ١٤ ) قلعة أبو (اليفانتين = جزيرة أسوان) عند الجندل الاول وقد جاء ذكرها على أيام سنوسرت الثالث ، طبقا لرواية «رخمى رع» وزير تحوتمس الثالث أنظر : والتر ايمرى : مصر وبلاد النوبة - القاهرة ١٩٧٠ ص ١٤٧ - ١٥٧ وكذا W. B. Emery, Preliminary Reports on The Excavations of The Egypt Exploration Society at Bohn, Kush, 7, 1959, 8, 1960, 9, 1961, 10, 1962.

وكذا G. A. Reisner, Excavations at Semna and Uronarti by The Harvard-Boston Expedition, in Sudan Notes and Records, 12, 1929, p. 141-161.



سميكة من اللبن ، تدور حول مسافة تكفى لايواء العديد من الموظفين  
والكتاب ، وكذا الحاميات اللازمة •

وكان يبلغ ارتفاع كل قلعة أو حصن منها ، فيما بين عشرة أمتار ،  
واثنى عشر مترا ، ويبلغ سمكها ما يتراوح بين أربعة أمتار ، وستة  
أمتار ، وأحاطت به الأبراج ، وتضم في مداخله مساكن الجنود ومعبد  
صغيرا ، لاداء الشعائر الدينية للالهة وبعض الالهة النوبية •

ولسنا نعرف ، على وجه اليقين ، التاريخ الصحيح لبنائها ، وان  
كنا نعرف أن الفرعون الذى بذل جهدا ونشاطا جما ، ليؤكد سلطانه في  
هذه الناحية هو «سنوسرت الثالث» فهو الذى منح اسمه «قوى هو  
الملك خع كاورع» لقلعة «سمنة» في الطرف الجنوبي للجندل الثانى ،  
مقابل قلعة قمة على الضفة الشرقية ، وأسهمت القلعتان في حراسة  
الممرات البرية والنهرية •

ولدينا كلمة «سنوسرت الثالث» بنفسه ، من أنه حدد هنا حدوده  
الجنوبية ، وفي اللوحة الكبرى التى ألقى بها ضوءا من ادراكه ، نراه  
يقول : «ان أيا من ولدى يستطيع أن يحمى الحدود التى أقرها جلالتي ،  
فهو ولدى من صلبى ، وانه لمثل صادق لذلك الابن الذى يحمى أباه ،  
ويذود عن حدوده ، فأما من قعد عن ذلك ولم يذد عن حدودى ، فذلك  
ليس من ولدى لاننى لم ألدّه ، وهذا تمثالى أقمته لكم على الحدود عله  
أن ينهضكم فذودوا عنه» (٥٢) •

وأمر «سنوسرت» الثالث في العام الثامن من حكمه — حيث أبصر جنوبا  
«ليهزم كوش الشريرة» — بحفر قناة جديدة ، على مقربة من جزيرة  
سهيل — على مبعدة ثلاثة كيلو مقترات جنوبى أسوان — لخدمة سفنه ،  
وقد عرفت هذه القناة باسم «جميلة طرق خع كاورع» (أى سنوسرت

F. Daummas, op. cit., p. 80-81.  
J. H. Breasted, op. cit., p. 293.

(٥٢)  
وكذا

الثالث) ، واستعملتها أساطيل الفراعين لمئات من السنين ، أثناء حروبهم المتقطعة مع كوش ، ويمكن اعتبارها من أكبر الأعمال التي قام بها هذا الملك العظيم ، وأما مقاييس هذه القناة ، فهي ٢٥٠ قدما طولا ، ٣٤ قدما عرضا ، ٢٥ قدما عمقا (٥٣) .

وهناك نقش في سمنة يؤرخ بالعام الثامن من حكم سنوسرت الثالث ، يبين الاجراءات المشددة التي اتخذت لمنع النوبيين من التسرب شمالا ، «الحد الجنوبي الذي أقيم في العام الثامن من حكم ملك مصر العليا والسفلى «خع كاورع» سنوسرت (الثالث) ، الذي يعطى الحياة أبدا ، لمنع أى زنجى» (٥٤) (نوبى) من المرور شمالا ، برا أو بقارب ، وكذا أى قطعان من ماشية النوبيين ، ماعدا أولئك الذين يأتون للتجارة في «ايكن» (جنوب بوهن) ، أو لعمل مشروع يتفق عليه معه ، فسوف يقدم لهم كل شئ طيب ، على ألا يسمح لاية سفينة بأن تعبر «حح» (سمنة) نحو الشمال» (٥٥) .

هذا وقد نفذت هذه السياسة بحزم ، كما تشير الى ذلك الرسائل التي بعث بها من سمنة الى العاصمة الطينية منذ أوائل عهد الاسرة الثانية عشرة ، والتي تبين أنه ، حتى التحركات التافهة لجماعات المجاى ، كان يتم التبليغ عنها ، وتنتهى معظم الرسائل اليومية بالصيغة التقليدية «كل الامور فى أملاك الملك فى أمن وسلام ، وكل شئون المولى آمنة سليمة» (٥٦) .

(٥٣) والتر ايمرى : المرجع السابق ص ١٦٢ .

وكذا J. H. Breasted, ARE, I, 1906, Parag. 642-643.

(٥٤) ان الاشارة الى أعداء مصر بالزنجى اشارة مضللة ، لان أهل كوش لم يكونوا زنوجا بمعنى الكلمة التي نعنيها في عصرنا الحالى ، وقد استعمل المصريون القدامى كلمتى «زنجى» و «نحسى» لكل قاتمى اللون ، القادمين من الجنوب ، مهما كانت اجناسهم .

A. H. Gardiner, op. cit., p. 135. (٥٥)

J. H. Breasted, op. cit., Parag. 652, p. 293. وكذا

A. H. Gardiner, op. cit., p. 135-136. (٥٦)

وأخيرا فلقد عثر في نواحي دهشور على بعض حلى لاحدى بنات  
«سنوسرت الثالث» تصور فرعون على هيئة سبع ، برأس الضفدع ،  
تحميه عقاب الوادى بجناحيها ، وهو يضرب شعوبا من النوبيين  
والاسيويين ، وشبيه بذلك ما عثر به من أيام أمنمحات الثالث ، وقد  
أخذ بناصية أحد البدو ، وانهاه عليه بالسيف يضرب عنقه<sup>(٥٧)</sup>

هذا وما أن تمضى بضعة قرون ، حتى نرى سنوسرت الثالث يعبد  
كاله في النوبة ، اذ نرى «تحتتمس الثالث» — أعظم فراعين مصر  
المحاربين على الإطلاق — يعيد دور العبادة في النوبة ، كما نراه كذلك  
يؤله سنوسرت الثالث ، وفي الحقيقة لقد كان تحتتمس الثالث بطلا  
يقدر البطولة ، أو كما يقولون لا يحسن الفضل الا ذووه — ففي معبد  
«عمدا» — على مبعدة ١٧٥ كيلا ، جنوب خزان أسوان — أقدم معابد  
النوبة ، والذي شيده تحتتمس الثالث (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق م) ، نراه  
يقدر فيه سنوسرت الثالث<sup>(٥٨)</sup> ، وكذا فعل طهرقا (٦٨٩ — ٦٦٤ ق م)  
وفي بوهن والليسيه ، بل حتى العامة من القوم قد قدسوا سنوسرت  
الثالث ففي أحد المناظر على صخور أسوان منظر يمثل عائلة قمام  
أفرادها باحضار قرابين للالهة ، ومن بينها سنوسرت الثالث<sup>(٥٩)</sup> .

هذا ويختلط سنوسرت الثالث عند مانيتو مع سلفه سنوسرت  
الثانى ، وكلاهما يشترك في لقب «سيزوستريس» ، ومهما تكن غزواتهم  
الخارجية عظيمة ، فمن الصعب أن ندرك كيف أن انتصاراتهما يمكن أن

---

P. Smither, The Semnch Despatches, JEA, 31, 1945, Pls.  
2-7, p. 3-10.

(٥٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٤٦ .

J. De Morgan, Fouilles a Dahshour, I, Vienna, 1898,  
p. 15, 19-20.

A. Weigall, op. cit., p. 104.

(٥٨) أنظر :

H. Gauthier, le Temple d'Amada, Cairo, 1913.

D. Randall-Maciver and C. L. Woolley, Buhen, Philade-  
lphia, 1911, p. 41-42. (٥٩)



تفسخهم ، بحيث يطل على صاحبها لقب «البطل قاهر العالم» كما يصفه كل من هيرودوت وديودور الصقلي ، ذلك أنه عندما وفد الاغريق والرومان الى مصر سمعوا عن سنوسرت الثالث حكايات شائعة ، وخلطوا بين أعماله وأعمال سنوسرت الاول فضلا عن أعمال الرعامسة ، فنسبوا اليه فتوحات واسعة في آسيا الغربية وأوروبا الشرقية \*

ويروى «هيرودوت» أن الكهنة قد أخبروه أن سنوسرت الثالث (سيزوستريس) قد أقطع من الخليج العربى بسفن حربية وأخضع السكان على سواحل بحر أروتري ، ثم واصل الأبحار حتى بلغ المنطقة التى لم يعد عندها البحر صالحا للملاحة لضحائته ولما عاد الى مصر أعد جيشا جرارا ، واخترق القارة ، وأخضع الشعوب التى كانت فى طريقه ، ثم سرعان ما عبر القارة بعد ذلك ، واجتاز آسيا الى أوروبا ، وأخضع السكثيين والتراقيين ، ويخيل الى أن هذين الاقليمين هما أقصى ما وصل اليه الجيش المصرى ، إذ أن الاعمدة ماتزال قائمة بهما ، ولكن لا يرى لها أثر أبعد من ذلك ، ومن هناك دار على عقبه ورجع ، وليس بإمكانى أن أتكلم بدقة عما تم بعدئذ عندما بلغ نهر فاسيس ، هل ترك الملك سيزوستريس جزءا من جيشه هناك لاستعمار تلك الديار ؟ أم أن طائفة من الجنود — وقد أنهكها السير — بقيت بمحض ارادتها على ضفاف نهر «فاسيس» على شاطئ البحر الاسود ؟ مما يدل على أن الكولخيين مصريون ، بدليل أنهم سمر البشرية ، كما أنهم — كالمصريين — يمارسون ، دون سائر البشر ، عادة الختان منذ البداية ، ذلك لان الفينيقيين والسوريين بفلسطين يعترفون بأنهم أخذوا هذه العادة عن المصريين ، كما أن طريقة الحياة واللغة متشابهة عند المصريين والكولخيين \*

ويستمر هيرودوت فى روايته ، فيقول ان «سيزوستريس» قد ترك كثيرا من الاعمدة ، التى اختلف كثير منها ، ومع ذلك فقد بقى منها الكثير فى فلسطين السورية ، وفى ايونا ، حيث يوجد تمثالان ، الواحد فى الطريق من افسوس الى «فوكايا» والاخر فى الطريق من ساراديس الى سميرنا ، وفى كلا الحالتين يصور التمثال المنحوت رجلا ضخما

ارتفاعه أربعة أذرع ونصف ، ممسكا بيمينه حربة وبيسراه قوسا ، ويمتد بعرض الصدر من كتف الى كتف نقش محفوراً باللغة المصرية المقدسة يقول : «لقد استوليت على هذه الارض بقوة اكتفى» .

ويذهب هيروودوت بعد ذلك الى أن «سيزوستريس» قد استخدم الاسرى في جر الاحجار التي استخدمت في معبد «هيفايستوس» (معبد بتاح) وفي حفر القنوات ، وأنه قد وزع الاراضى على جميع المصريين ، فأعطى كل فرد بالتساوى نصيبا مربعا ، ومن هذا المصدر أوجد الدخل لأنه أمر بتأدية ضريبة سنوية ، واذا أكل النهر جزءا من نصيب أحد الافراد ، بسبب طغيانه على هذا الجزء ، توجه الى الملك وبين له ما حدث ، فكان يرسل معه أشخاصا لمعاينة الارض وقياس المقدار الذى نقص منها ، حتى يدفع الضريبة المقررة بما يتناسب والمتبقى من الارض ، ويخيل الى أن هذا كان بدء اكتشاف علم المساحة الذى انتقل الى اليونانيين (٦٠) .

وبدهى أن ما كتبه هيروودوت عن سنوسرت الثالث — وبخاصة فيما يتصل بحروبه — انما قد خلط فيه بين الخيال والحقيقة ، فمثلا من المعروف أن الرجل لم يركب البحر في حروبه ، وانما ركب النيل ، ليخضع العصاة في بلاد النوبة ، وليرد عنها غارات الزنوج ، وأنه حفر قناة في الصخر على مقربة من جزيرة سهيل ، كما أشرنا من قبل — وأن هيروودوت انما يذهب الى أن الرجل قد هزم السكثيين والتراقيين، وأنه قد عبر قارة أفريقية ، واجتاز آسيا الى أوربا ، ليخضع هاتين القبيلتين، وهو قول لا يستند الى أساس من علم .

وأما أمر وصوله الى نهر فاسيس (أشهر أنهار كولخس على شاطئ البحر الاسود) ، فربما كان كذلك ، وان كنا لا نستطيع التسليم برأيه في أن الكولخين كانوا مصريين ، وأنهم من بقايا عساكر سيزوستريس

(٦٠) هيروودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر خفاجه ، ومراجعة وتقديم أحمد بدوى — القاهرة ١٩٦٦ ص ٢١٧ — ٢٢٨ .

هناك ، وأما توزيع الاراضى على جميع المصريين فأمر يصعب تصديقه ،  
وان كان ذلك معروفا بالنسبة لحكام الاقاليم والكهنة والجند ، وأما  
مسح الاراضى الزراعية سنويا ، وتقدير الضرائب على قدر المنزوع من  
الارض ، فذلك نوافقه عليه تماما ، وهو أمر أثبتته كثير من المؤرخون  
القنصدامى ، وأخيرا فان «سيزوستريس» هذا ، انما كان يعنى به  
هيودوت — فى بعض الاحيان — رعمسيس الثانى ، أكثر مما يعنى به  
سنوسرت الثالث .

وعلى أى حال ، فان المؤرخ المصرى «مانيتو» يذهب الى أن  
سنوسرت الثالث قد أخضع آسيا فى تسع سنوات ، وكذا أوربا حتى  
تراقيا ، وأنه اهتم بتسجيل أحوال الناس أينما ذهب ، وأنه حدد  
جماعات النبلاء والنبيلات على النصب .

ويروى «ديودور الصقلى» أنه تحقق من أن «سيزوستريس» قد  
نشأ على طبيعة الحسب منذ صغره ، وأنه تحبب الى رعيته حتى  
يساندوه فى مشاريعه ، وأنه اتخذ له بطانة من أتباعه الإشداء ، وأنه  
قد فتح بلاد العرب والمحبة والهند وبلغ البحر الاسود ، ووصل الى  
تراقيا ، وجعلها حدود مملكته ، وهو أمر جد مبالغ فيه (٦١) .

وعلى أى حال ، فلقد بقى الحكم المصرى فى النوبة ، بعد انتصارات  
الملك سنوسرت الثالث العظيم هناك ، والتي أدت الى أن يمد حدوده  
حتى «سمنة» ، على الاقل ، طوال حكم خلفائه «أمنمحات الثالث»  
(١٨٤٢ — ١٧٩٧ ق م) و «أمنمحات الرابع» (١٧٩٨ — ١٧٩٠ ق م)  
والملكة «سبك نفرو» (١٧٨٩ — ١٨٧٦ ق م) ولم نجد أية إشارة الى  
نشاط عسكرى فى تلك المنطقة ، وبقيت النوبة السفلى (واوات) دونما

---

(٦١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨٢ .

Diodorus, I, 53 F.

A. H. Gardiner, op. cit., p. 439.



أى اضطراب (٦٢) ، وأن كانت هناك إشارة من الكاب الى أن أمنمحات الثالث قد قام ببناء جدار فى حصن النوبة .

غير أن هناك كسفا لا يستطاع فى يسر التوفيق بينه وبين تثبيت سنوسرت الثالث لحدوده الجنوبية عند سمته ، جنوبى الجندل الثانى، فهناك فى «كرما» — جنوبى الجندل الثالث ، وعلى مبعده أكثر من مائة ميل جنوب الجندل الثانى — اكتشف الاثرى الأمريكى «جورج أندروز رايزنر» (١٨٦٧ — ١٩٤٢) مبنى يشبه القلعة وجبانة ، ترجع الى بداية الاسرة الثانية عشرة كما عثر على نقش لامنمحات الثالث ، يسجل كمية قوالب اللبن المطلوبة لترميم نقطة الحدود هذه ، والتي عرفت بأنهم «أسوار أمنمحات» ، ، وتشير أشياء أخرى عثر عليها هناك الى مشابهة تؤكد أن مؤسس الاسوار — كما أشرنا من قبل — إنما كان «أمنمحات الاول» ، بل ان هناك كذلك أوان من المرمر تحمل اسم «ببى الاول» ، من الاسرة السادسة ، ولكن ربما كانت هذه مستوردة جىء بها بقصد التبادل .

وأما الجبانات التى عثر عليها هناك ، فليس بها طابع مصرى، وكذا الفخار والقاشانى والتطعيم بالعظام والاسلحة ، وأما القبور فهى كومة دائرية ضخمة ، تختلف تماما عن المصاطب فى مصر المعاصرة ، وأما الموتى فقد دفنوا راقدين على جنوبهم بغير تحنيط ، ومن حولهم زوجاتهم وأتباعهم مقتولين ومدفونين مع مولاهم ، ليقوموا على خدمته فى العالم الآخر ، وقد عثر فى إحدى الكومات على تمثال للاحاكم «حعبى زفاى» (حب دجفاى) ، وآخر لزوجته ، وهما من أسيوط — كما أشرنا من قبل — وأنه كان يحكم كرما على أيام «سنوسرت الاول» أفكانت كرما محطة دائمة للتجارة والصناعة ، ولكن كيف كانت تسد حاجتهما ، مادام خط الدفاع (القلاع) فى الجندل الثانى ، يشير الى أن ماوراءه كان معاديا له ؟ (٦٣) .

(٦٢) والتر ايمرى : المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٦٣) T. Save-Soderbergh, Aegypten und Nubien, 1941, p. 103 F.

وأما عن الإدارة المصرية في النوبة في عهد الدولة الوسطى ، فمن المؤكد أنها كانت تخضع لإشراف الوزير المقيم في طيبة مباشرة ، وأن هذا الوزير إنما كان يقوم بجولات تفتيشية دورية ، وكما أشرنا من قبل ، فهناك برديات من الهرمسيوم تشير إلى دقة الإشراف على حصون النوبة ، وأنه كان يبلغ إلى طيبة ، حتى التحركات التافهة لجماعات المجاي<sup>(٦٤)</sup> ، كما كانت كل قلعة من تلك القبلاع النوبية إنما تتضمن عدد من المصالح المنفصلة ، كما هو الحال في مصر — يديرها موظفون مصريون حتى أننا لا نجد أية إشارة لموظفين نوبيين أو غير مصريين ، وأن مهمة هؤلاء الموظفين إنما كانت الإشراف على عمليات التعدين ، وتأمين طرق التجارة والحدود ، وأن هناك نوعا من الضرائب كان يفرض على النوبيين الذين كانوا يعيشون في المناطق الخاضعة للسيادة المصرية.

وفي كل ذلك كان المصريون يعاملون النوبيين بالحسنى ، ماداموا يؤدون ما هو مفروض عليهم ، سواء كان ذلك جزية ، أو أعمالا أخرى يكلفون بها ، وكانت الحاصلات النوبية من المواد الخام تسلم في كروبان ، أما المواد المشغولة ففي قلعة «أكوز» ، والتي كانت تشرف على تحركات القوم<sup>(٦٥)</sup> .

---

B. Porter and R. L. P. Moss, op. cit., 7, p. 175 F. =

A. H. Gardiner, op. cit., p. 136-137.

P. Smither, op. cit., Pls, 2-7, p. 3-10. (٦٤)

(٦٥) محمد أبو المحاسن عصفور : علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم — الاسكندرية ١٩٦٢ ص ١١ — ٥٢ ، ٥٦ ،

T. Save Soderbergh, op. cit., p. 71.

A. Row, ASAE, 39, 1939, p. 187-188.





## الفصل الثالث

### ابراهيم عليه السلام في مصر

(١) تقديم :

شاءت ارادة الله — ولا راد لمشيئته — أن يكون لارض الكنانة ذكر في كتبه من توراة وانجيل وقرآن عظيم ، فلقد تحدثت التوراة والانجيل عن مصر، ماشاء الله لهما أن يتحدثا ، وتحدث القرآن الكريم عن مصر في مواضع كثيرة ، بالاسم المصريح تارة ، وبالكناية تارة أخرى •

أخرج الأمام السيوطي في «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» عن «ابن زولاق» أن مصر ذكرت في القرآن في ثمانية وعشرين موضعا ، وقال : بل أكثر من ثلاثين وقع فيها ذكر مصر من القرآن صريحا أو كناية ، ونقل عن «الكندي» تعليقه على طائفة من آياته فيها قوله : «لا يعلم بلد في أقطار الارض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء ، ولا وصفه بمثل هذا الوصف ، ولا شهد له بالكرم ، غير مصر» •

وهكذا كانت مصر فصلا في كل دين ، شرفت أرضها الطيبة بزيارة أبى الانبياء ، سيدنا ابراهيم ، وبين ربوعها بعث الله يوسف الصديق نبيا ورسولا ، وعلى ضفاف نيلها ، أو على أحد فروعها ، ولد موسى الكليم وعاش حتى تلقى وحى ربه ، في أرض كانت ، وماتزال وستظل ان شاء الله أبد الدهر ، أرضا مصرية ، ثم أقبل عليها بعد حين من الدهر ، طال قرونا وقرونا ، عيسى ابن مريم ، وكانت به أسبق المؤمنين •

وهكذا كانت مصر الحبيبة ، مقصدا للانبياء ، ومهبطا للوحى •

فلئن كان حبيب الله ، ورحمة العالمين ، وخاتم النبيين ، جدنا ومولانا  
ومسيدنا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، نال من الله  
ما ناله موسى الكليم ، على أرض المعجاز الطاهرة ، ولئن كان المسيح  
كلمة الله وروحه ، ولد في بيت «الحم» وربى في «النادرة» في أرض  
كنعان ، ثم شهدت فلسطين معجزات المسيح ، فنيها علمه ربه الكتاب  
والحكمة والتوراة والانجيل، وفيها «بعث رسولا الى بنى اسرائيل»<sup>(١)</sup> .

لئن كان ذلك كذلك ، وهو كذلك على وجه اليقين ، فان مصر قد  
شرفت بثلاثة من أولى النظم ، أفضل النبيين والمرسلين ، شرفت بزيارة  
أبى الانبياء ابراهيم الشليل ، وفيها بعث موسى الكليم ، وعلى أرضها  
درج المسيح في المهود صبيا ، كما شرفت بقدم يوسف الصديق اليها ،  
وهو صبي لما يرفع بعد ، وعاش فيها حتى لقي ربه الكريم ، ثم ضمت  
بين ثراها جسده الطاهر الكريم ، كما شرفت بمثل ذلك من أبيه يعقوب ،  
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهكذا نالت مصر نصيبا وافرا من شرف النبوة ، وكرامة الرسالة ،  
فمن الانبياء من شرفها بزيارة ، فأقام بين أهلها حيناً من الدهر ، يقول  
لهم ، ويأمرهم بما علمه الله ، ويهديهم سبوا السبيل ، ومنهم من  
جاءها ، وقد كتب عليه شيء من الرق ، فأكرمه الله حتى كان عزيزها ،  
وصاحب الامر فيها ، ثم بعث الى أهلها رسولا نبيا ، ومنهم من ولد  
ونشأ فيها ولبث في أهلها من عمره سنين ، «ولما بلغ أشده آتيناها حكما  
وعلما وكذلك نجزي المحسنين»<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من جاءها هربا من ظلم  
غشوم يحتمى بحمى الله فيها «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما  
التي ربوة ذات قرار ومعين»<sup>(٣)</sup> .

وكان ختام المسك لنعم الله على أرض الكنانة من شرف النبوات ،

(١) سورة آل عمران : آية ٤٨ - ٤٩ .

(٢) سورة القصص : آية ١٤ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ٥٠ .

أن كان لسيدنا ومولانا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم — ما كان لآبيه ابراهيم الخليل — زوج مصرية ، وكما كانت «هاجر»<sup>(٤)</sup> المصرية ، أما لبكر ابراهيم ، سيدنا اسماعيل عليه السلام ، جد العرب ، وكانت «مارية» المصرية ، أما لابراهيم ، ولد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وأخيرا ، وليس آخرا ، وكما ذكرنا في مقدمة هذه الدراسة ، فلقد أوصى نبي الاسلام ، ورحمة الله للعالمين ، سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بأهل مصر خيرا ، فقال ، صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا فتحت مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحمها» ، وفي رواية أخرى «ستفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بتبطنها خيرا ، فإن لكم منهم صهرا وذمة» ، وفي رواية «ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحمها»<sup>(٥)</sup> .

فأما «الذمة» فإن «مارية» أم ابراهيم ولد المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، انما كانت امرأة صعيدية من «حفن» (قرية الشيخ عبادة الحالية ، بمحافظة المنيا) ، وأما «المرحم» ، فإن أم العرب السيدة «هاجر» زوج ابراهيم ، وأم اسماعيل ، عليهم السلام ، انما كانت مصرية كذلك .

---

(٤) هاجر : سيدة مصرية تحمل اسما مصرية ، ورد في الآثار المصرية بما لا يدل على غير تصحيف يسير ، اذ نقرأه في المصرية «هاقر» و «هقرة» ( أحمد عبد الحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ص ١١ - ١٣ ، وكذا

H. Ranke, Die Agyptischen Personennamen, (Glickstadt, 1935, 1952), Band, I, S. 231.

(٥) أنظر : صحيح مسلم ١٩٧/٤ ، سيرة ابن هشام ٦/١ - ٧ ، طبقات ابن سعد ٩٢/١ - ٩٣ ، الكندي : فضائل مصر ص ٢٦ - ٢٧ .



## (٢) مكانة ابراهيم عند المسلمين :

يقدم القرآن الكريم سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام<sup>(٦)</sup> ، على أنه انما كان وحده أمة ، قانتا لله ولم يك من المشركين ، يقول سبحانه وتعالى «ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة وأنه في الآخرة لمن الصالحين»<sup>(٧)</sup> .

وهكذا يرسم القرآن ابراهيم عليه السلام ، نموذجا للهداية والطاعة والشكر والانبية لله تعالى ، ويقول عنه هذا : انه كان أمة ، واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة ، بما غيها من خير وطاعة وبركة ، ويحتمل انه كان اماما يقتدى به في الخير ، وقد ورد في التفسير بالمأثور هذا المعنى وذاك ، وهما قريبان ، فالامام الذي يهدي الى الخير ، هو قائد أمة ، وله أجره وأجر من عمل بهدأيته ، فكأنه أمة من الناس في خيره وثوابه ، لا فرد واحد<sup>(٨)</sup> .

ومن هنا كان سيدنا ابراهيم عليه السلام في القرآن الاسوة الحسنة للمؤمنين جميعا ، يقول تعالى «قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه»<sup>(٩)</sup> .

هذا وينظر القرآن الكريم الى ابراهيم الخليل عايه السلام ، على

---

(٦) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن سيدنا ابراهيم ( انظر : محمد بيومي مهران : اسرائيل ٥٠/١ - ١٨٤ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١٣/١ - ١٨٠ ) .

(٧) سورة النحل : آية ١٢٠ - ١٢٢ ، وأنظر : تفسير ابن كثير ٩١٥/٢ - ١٩٦ ، تفسير القرطبي ص ٣٨١٣ - ٣٨١٥ ، صفوة التفاسير ١٤٨/٢ ، تفسير النسفي ٣٠٣/٢ - ٣٠٤ .

(٨) في ظلال القرآن ٢٢٠١/٤ (بيروت) ١٩٨١ .

(٩) سورة الممتحنة : آية ٤ ، وأنظر : تفسير الطبري ٦٢/٢٨ - ٦٣ ، تفسير الطبرسي ٤٧/٢٨ - ٤٨ ، تفسير روح المعاني ٦٩/٢٨ - ٧٢ ، تفسير الفخر الرازي ٣٠٠/٢٩ - ٣٠١ ، تفسير القاسمي ٥٧٦٥/١٦ - ٥٧٦٦ ، تفسير القرطبي ص ٩٥٣٥ ، تفسير الكشاف ٢٩٥/٤ ، تفسير ابن كثير ٥٤٣/٤ - ٥٤٤ ، تفسير النسفي ٢٤٧/٤ ، صفوة التفاسير ٤٠٣/١ - ٤٠٤ ،

أنه أبو الأنبياء ، فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء ،  
 بعد إبراهيم ، فمن ذريته وشيعته<sup>(١٠)</sup> ، وهذه رتبة لإبراهيم لا تعلو  
 عليها رتبة ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ، أخرج من صلبه أنبياء بررة  
 حملوا الراية وتوارثوا المشعل ، فكان منهم اسماعيل وإسحاق ويعقوب ،  
 وكان يحيى واليسع وزكريا وإلياس ، وكان داود وسليمان ويوسف  
 وهارون ، وكان موسى وعيسى ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليهم  
 أجمعين . ولنقرأ هذه الآيات من سورة الانعام ، يقول تعالى  
 «وذلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان  
 ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا  
 من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون  
 وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من  
 الصالحين ، واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على  
 العالمين ، ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبتيناهم وهديناهم الى  
 صراط مستقيم»<sup>(١١)</sup> .

(١٠) ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٧/١ .  
 (١١) سورة الانعام : آية ٨٣ - ٨٧ ، تفسير الطبرى ٥٠٤/١١ - ٥١٣  
 تفسير البحر المحيط ١٧٢/٢ - ١٧٣ ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم  
 ٥٧/٤ ، تفسير المنار ٤٨٥/٧ - ٤٩١ ، تفسير ابن كثير ٢٤٦/٢ - ٢٥٠ ،  
 تفسير النسفى ٢١/٢ - ٢٢ ، تفسير القرطبى ص ٢٤٦٦ - ٢٤٧٠ ،  
 هذا ويلاحظ أن لوطا ذكر من ذرية إبراهيم ، وهو فى الواقع ابن أخيه ،  
 فقد دخل فى الذرية تغليبا ، كما ذكر عيسى ، دلالة على دخول ولد البنات  
 فى ذرية الرجل لان عيسى ينسب لإبراهيم من أمه مريم ، وروى ابن أبى  
 حاتم أن الحجاج الثقفى أرسل الى يحيى بن يعمر ، فقال بلغنى أنك تزعم  
 أن الحسن والحسين من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم ، تجده فى كتاب  
 الله ، وقد قرأته من أوله الى آخره فلم أجده ، قال : أليس تقرأ سورة  
 الانعام «ومن ذريته داود وسليمان» حتى بلغ «ويحيى وعيسى» فقال :  
 ليس عيسى من ذرية إبراهيم ، وليس له أب ، قال صدقت ، ولهذا اذا أوصى  
 الرجل لذريته أو وهبهم ، دخل أولاد البنات فيهم ، فاذا أعطى الرجل  
 بنيه أوقف عليهم ، كما ثبت فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه  
 وآله وسلم أنه قال للحسن بن على بن أبى طالب «ان ابنى هذا سيد» ،  
 فدل على دخوله فى الابناء ، ولهذا يقول العلماء أن أولاد فاطمة الزهراء  
 عليها السلام أولاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم (تفسير ابن كثير ٢٤٨/٢ -  
 ٢٤٩ ، تفسير النسفى ٢١/٢ ، تفسير القرطبى ص ٢٤٦٨ ، صحيح البخارى  
 ٣/٣٤٣ - ٣٤٤) .

هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِنَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» (١٢) .

وإبراهيم الخليل في القرآن الكريم ، أحد أولى العزم الخمسة المنصوص على أسمائهم تخصيصًا من بين سائر الأنبياء في آيتين من القرآن الكريم ، وهما قوله تعالى «وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» (١٣) ، وقوله تعالى «ثُمَّ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (١٤) .

وإبراهيم الخليل ، في عقيدة المسلمين ، أفضل الرسل إطلاقًا ، بعد سيدنا محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس أدل على هذه الأفضلية من أن المسلمين يصلون على إبراهيم وآله ويباركونهم ، كما يصلون على نبيهم محمد وآله ويباركونهم ، حتى أن النبي — كما جاء في الصحيح — عندما سئل : كيف نصلى عليك يا رسول الله ؟ قال : «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» (١٥) .

---

(١٢) سورة النحل : آية ١٢٣ ، وأنظر : تفسير ابن كثير ٩١٦/٢ ، تفسير القرطبي ٣٨١٤ - ٣٨١٥ ، تفسير النسفي ٣٠٤/٢ .  
(١٣) سورة الاحزاب : آية ٧ ، وأنظر : تفسير ابن كثير ٧٤٧/٣ ، تفسير النسفي ٢٩٥/٣ ، تفسير القرطبي ص ٥٢٠٨ - ٥٢٠٩ ، صفوة التفاسير ٥٣/٢ ، زاد المسير لابن الجوزي ٣٥٤/٦ ، تفسير البيضاوي ١١٤/٢ ، في ظلال القرآن ٢٨٢٩/٥ - ٢٨٣٠ .  
(١٤) سورة الشورى : آية ١٣ ، وأنظر : تفسير القرطبي ٥٨٣٩ - ٥٨٣٠ ، تفسير النسفي ١٦٣/٤ - ١٦٤ ، حاشية الصاوي على الجلالين ٣٢/٤ ، تفسير البيضاوي ١٧٢/٢ .  
(١٥) أنظر روايات أخرى عن كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (صحيح مسلم ١٢٣/٤ - ١٢٧ - بيروت ١٩٨١ ، صحيح البخاري ١٥٠/٦ - ١٥١ ، تحفة الاحوزي ٦٠٤/٢ ، ٤٥٠/١٠ ، مسند الامام أحمد ١١٩/٤ ، ١٨/٦ ، تفسير ابن كثير ٨٠٦/٣ - ٨٠٩ ) .



وهكذا يكرر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، ومنذ أيام  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحتى تقوم الساعة ، يكررون هذا  
الدعاء المبارك يوميا خمس مرات ، على الأقل ، في صلاتهم •

( ٣ ) هجرات ابراهيم عليه السلام :

بدأ ابراهيم عليه السلام دعوته الى التوحيد في العراق القديم  
بعشيرته الاقربين ، على طريقة الانبياء في الدعوة الى الله «أدع الى  
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن» (١٦) ،  
ومن ثم فقد بدأ أبو الانبياء دعوته مع أبيه بلهجة تسيل أدبا ورقة ،  
يهديه بها صراطا مستقيما ، فأشار الى الاصنام مبينا أنها لا تنفع  
ولا تضر ، ولا تسمع ولا ترى ، ولا تشعر بعابد يعبدها أو عاص  
يعصاها ، ثم بين له أنه ليس مخترعا للدعوة ، وأنها من لدن على قدير .  
وأنه تلقى من العلم ما لم يثاق أبوه ، وأنه لا ضرر على الاب ، ان  
اتبع ملة ولده أو عمل برأيه ، واختتم نصحه برجاء تقدم به الى والده ،  
أن يحذو حذوه ، ويسلك سبيله ، والا فالطريق التى يسلكها غير طريق  
المهدى ، انما هى طريق الشيطان الرجيم (١٧) •

ولكن أباه رفض الدعوة ، بل وهدده ، ان لم ينته عن دعوته هذه ،  
ليرجمته وليهجرنه الى حين ، وكان «آزر» (١٨) ، والد النبي الكريم ،  
في ذلك مغمضا عينيه عن اعتبارات النبوة ، متجاهلا اياها ، فاستنكر  
النصيحة ، وسفه رأى ، وسخر من الشرعة الجديدة ، فما كان من  
أبى الانبياء — تأدبا مع أبيه وحدها عليه — الا أن يدعو له بالمغفرة ،  
وأن ينتظر اجابة دعوته الى حين •

ولنقرأ هذه الآيات من سورة مريم «واذكر في الكتاب ابراهيم انه

( ١٦ ) سورة النحل : آية ١٢٥ •

( ١٧ ) محمد حسنى عبد الحميد : أبو الانبياء ابراهيم الخليل —

القاهرة ١٩٤٧ ص ٣١ •

( ١٨ ) أنظر : الاراء التى دارت حول آزر ( محمد بيومى مهران :

اسرائيل ١/ ٥٣ - ٦١ ) •

كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ، اذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ،  
وَلَا يَغْنَى عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ  
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ  
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ  
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَئِنْ لَمْ  
تَنْتَهِ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ  
كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَاعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى  
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا» (١٩) .

والآيات الكريمة انما تدل على أن هناك بين إبراهيم وأبيه خلافا  
عميقا. الجذور ، تأدى بالوالد أن يأمر ابنه بالهجرة ، حيث لا أمل في  
اتفاق ، ولكن سرعان ما تتأزم الامور بين أبى الانبياء وقومه ، الى الحد  
الذى لا يجد القوم منه مخرجا ، الا أن يلقوا بإبراهيم في نار أوقدوها  
لاحزاقه «ثالوا حرقوه وانصروا آلهمكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار  
كونى بردا وسلاما على إبراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ،  
ونجيناه لوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين» (٢٠) .

ومن البدهى أنه ليس في هذه الآيات الكريمة ما يشير الى ايمان  
أبى إبراهيم ، ولو آمن أبوه ، لكان ذلك حدثا هاما جديرا بالتصريح  
عليه ، تكريما له ولولده إبراهيم ، ولم يكن ابن أخيه لوط أقرب اليه  
من أبيه ، حتى ينال وحده مثوبة التوحيد (٢١) .

(١٩) سورة مريم : آية ٤١ - ٤٨ ، وأنظر : تفسير القرطبي ص  
٤١٤٩ - ٤١٥٢ ، تفسير النسفى ٣/٣٦ - ٣٧ ، صفوة التفسير ٢/٢١٨ -  
٢١٩ ، تفسير الفخر الرازى ٢١/٢٢٥ - ٢٢٦ ، تفسير البيضاوى ٢/١٦ -  
١٧ ، تفسير ابن كثير ٣/١٩٨ - ٢٠٠ ، فى ظلال القرآن ٤/٢٣١٠ - ٢٣١٣ .  
(٢٠) سورة الانبياء : آية ٦٨ - ٧١ ، وأنظر : تفسير البيضاوى  
٢/٧٦ - ٧٧ ، تفسير القرطبي ص ٤٣٤٣ - ٤٣٤٥ ، تفسير ابن كثير  
٣/٣٩٤ - ٢٩٦ ، النور المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٣٢٢ - ٣٢٣ .  
(٢١) محمود محمد عسارة : اليهود فى الكتب المقدسة - القاهرة ١٩٦٩  
ص ١٢ - ١٣ .

وهكذا فقد أبو الانبياء الامل في ايمان أبيه ، فضلا عن قومه ، ولم  
يؤمن به إلا ابن أخيه لوط ، قال تعالى : «فآمن له لوط وقال انى مهاجر  
الى ربى ، انه هو العزيز الحكيم» (٢٢) ، وهكذا قرر الخليل عليه السلام  
الهجرة ، «وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين» (٢٣) ، وهكذا كانت هجرة  
الخليل — ومعه زوجه ساره ، وابن أخيه لوط — الى «الارض التى  
باركنا فيها للعالمين» ، الى فلسطين ، حيث بقى هناك حينما من الدهر ،  
بنشر دعوة التوحيد ، ويدعو الى عبادة الله الواحد الاحد .

#### (٤) زيارة ابراهيم الخليل لمصر :

ويقيم أبو الانبياء ، ما شاء الله له أن يقيم ، في أرض كنعان ، ثم  
يرحل عنها صوب أرض الكنانة ، بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، فيما  
تروى التوراة (٢٤) ، وتشاء ارادة الله أن تكون مصر دائما وأبدا ، للبدو  
الكنعانيين ، وبخاصة في أيام القحط ، ملاذهم ، وغالبا منقذهم الوحيد ،  
فحينما كانت الارض تجف في أوطانهم ، كانت أرض الكنانة تقدم لهم  
المأوى والمرعى ، وكان النيل بفيضانه المنتظم يتعهد بذلك (٢٥) .

وهكذا أقبل سيدنا ابراهيم من كنعان الى مصر ، وطبقا لرواية  
التوراة ، فعندما أشرف على التخوم المصرية ، اتفق مع زوجه «سارة»  
على أن تقول : انها أخته ، وليست زوجته ، ذلك لان المصريين ان علموا  
انها زوجه قتلوه ، وأما ان كانت أخته فمن أجلها أكرموه .

وحدث ما توقعه ابراهيم ، وبرت سارة بوعدھا ، وأخذت الى بيت  
فرعون ، ونال ابراهيم خيرا كثيرا بسببها ، اذ أسبغ فرعون عليها  
بسببهما وافر نعمه ، من غنم وبقر وحمير واماء واطن وجمال ، الا أن  
المصائب سرعان ماتوالت على فرعون وبيته، مما اضطره الى أن

(٢٢) سورة العنكبوت : آية ٢٦ .

(٢٣) سورة الصافات : آية ٩٩ .

(٢٤) تكوين ١٢ / ١٠ .

(٢٥) W. Keller, The Bible as History, 1967, p. 87.



ابراهيم ، ويؤنبه على فعلته هذه ، وطبقا لرواية التوراة ، فقد خاطبه قائلا : «لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ، لماذا قلت انها أختي ، حتى أخذتها لتكون لى زوجة» ، ثم سرعان ما يصدر فرعون أمره بطرد ابراهيم وامراته من مصر ، وان سمح له بأن يأخذ ما كان قد أعطاه اياه من قبل (٢٦) .

ويعلم الله ، وتشهد ملائكته ، أن نفسى تتأفف من مجرد التعليق على هذه الفرية الدنيئة التى يلصقها كاتب التوراة (٢٧) ، بأبى الانبياء صلوات الله وسلامه عليه ، فتلك فعله لا يقبلها على نفسه أحط الناس خلقا ، فضلا عن أن يكون ذلك نبى الله وخليله العظيم ، ومع ذلك فانى مضطر الى مناقشتها ، والمضطر قد يركب الصعب من الامور .

ولعل من أهم ما يوجه الى هذه الرواية الكذوب من نقد ، انما بتلخص فى نقاط ، منها (أولا) أن التوراة (٢٨) نفسها تحدثنا أن الخليل قد جاء الى كنعان ، وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، وأن «سارة» كانت فى الخامسة والستين ، وأنهما أقاما فى أرض كنعان ، ما شاء الله لهما أن يقيما ، ثم هاجرا الى مصر ، فهل كانت سارة ، وقد جاوزت الخامسة والسبعين من عمرها طبقا لرواية التوراة هذه ، تفتن الرجال ، فضلا عن أن يرى ملوك مصر المترفين أنها من آرائهم ، ثم هى قد وصفت فى اصحاح قبل هذا الاصحاح من سفر التكوين ، وقد بشرت

(٢٦) تكوين ١٢/١٠ - ٢٠ .

(٢٧) من عجب أن كاتب التوراة يأبى الا أن يجعل ابراهيم عليه السلام ، وكأنما هو يتاجر بامراته من بلد الى بلد ، فها هو يكرر نفس الامر من «ابيمالك» ملك جرار الذى يكاد يقع فى نفس المأزق الذى وقع فيه فرعون من قبل ، لولا أن الرب تراءى له فى المنام وحذره من أنه سيموت من أجل المرأة التى أخذها لأنها ذات بعل ، وأمره أن يردها له ، وحين يستدعى ابراهيم ويطلب منه تفسير الموقف ، يقول له ابراهيم «بالحقيقة هى أختى ابنة أبى ، غير أنها ليست ابنة أمى ، فصارت لى زوجة» ، ثم رد له سارة ، بعد أن أعطاه ، كما أعطاه فرعون ( تكوين ١٢/٢٠ - ١٨ ، محمد بيومى مهران : أسرائيل ١٧٣/٣ - ١٧٥ ) .

(٢٨) تكوين ١٨/٩ - ١٥ .

بأسحاق ، بأنها قد صكت وجهها وضحكت وقالت : أ يحدث هذا مع عجوز عقيم ، انقطعت عنها عادة النساء (٢٩) .

ومنها (ثانيا) أن التاريخ ما حدثنا أن ملوك مصر كانوا يأخذون النساء من أزواجهن — أو من أهليهم — غصبا ، ولكنه حدثنا أن عقوبة الزنا كانت عندهم من أقسى العقوبات وأشدّها ضراوة ، حيث كان يكتب على الزانى والزانية — فيما تروى بردية وستكار — (٣٠) الموت غرقا أو حرقا ، وإن كان هذا لا يمنع من وجود ملك فاجر فاسق لا يتورع عن انتهاك الاعراض ، فالملوك ، فى كل مكان وزمان ، فيهم الصالح والطالح ، شأنهم فى ذلك شأن بقية بنى جنسهم من بنى الانسان .

ومنها (ثالثا) أن أبا الانبياء ، عليه السلام ، ربما كان يعرف من اللغة المصرية القديمة بحكم انتشارها من البلاد التى قدم منها ، طائفة من عباراتها وألفاظها ، تعينه على شئونه فى مصر ، حين أقبل عليها ، فإذا كان ذلك صحيحا — وهذا مجرد افتراض ، لا يصل الى حد اليقين — فإن الخليل عليه السلام ، لم يخرج عن مألوف المصريين فيما كانوا به يتحدثون ، فقد كانوا يطلقون على الزوجة فى اغتهم ، فضلا عن لفظ المرأة ((حمة)) و ((ست حمة)) ، يطلقون عليها لفظ ((الاخت)) (سونة = ولعلها تشبه اللفظ العربى صنو) ، وكان ذلك نوعا من التعبير عن المحبة والاعزاز . ولعل ابراهيم عليه السلام حدثنا عن غير يقين ، حين لقي الناس قد آثروا التوراة والتبريخ ، فوصف زوجته سارة ، على مألوف المصريين ، بأنها ((سونة)) بمعنى الزوجة أو الاخت ، حيث وقع وأوقع فى روع المصريين بلكنته الاجنبية ، وما عسى أن رأوا معاملته لسارة ، إنما قصد المعنى الاصلى للفظ ((الاخت)) لا الى المعنى المجازى له .

(٢٩) تكوين ١١/١٨ - ١٢ .

(٣٠) سليم حسن : الادب المصرى القديم - الجزء الاول - القاهرة  
G. Lefevre, ١٩٤٥ ص ٧٧ - ٧٩ ، وكذا  
Romans et Contes Egyptiens de L'Epoque, Paris, 1949, p. 70-77.

ولعل هذا الاتجاه في تفسير القصة انما هو قريب مما ذهب اليه مفسرو الاسلام حين حرصوا على نفى الكذب عن أنبياء الله وتنزيههم عن الوقوع فيه : وقالوا : ان الكذب حرام ، الا اذا عرض ، ومن أمثلة العزب «ان في المعاريض مندوحة عن الكذب» (٣١) .

هذا ويفسر الامام ابن كثير قول ابراهيم عليه السلام : انها أختي ، أى في دين الله ، وأما قوله ، كما في حديث البخارى وأحمد ، «انه ليس على وجه الارض مؤمن غيرى وغيرك» فيعنى زوجين مؤمنين غيرى وغيرك ، ويتعين حملة على ذلك ، لان لوطا عليه السلام ، كان معهم وهو نبي (٣٢) .

ومنها (رابعا) أنه ليس صحيحا أن ملك مصر قد منح ابراهيم عليه السلام جمالا ، ذلك لان «الجمال» وقت ذاك ، انما ظلت على التحقيق غريبة على المصريين ، بل لقد كانت غريبة كذلك على من أقبل على مصر من قبائل الساميين ، فلقد أقبلت قبيلة «أبشاي» أو قافلته (٣٣) ، تسوق الحمير وليس الجمال ، كما لم ترد فيما نقش على صخور سيناء ، في ذلك العهد صور للجمال (٣٤) ، بل ان استعمال الجمال في هذه المنطقة لم يعرف الا في أخريات القرن الثالث قبل الميلاد ، وربما بعد ذلك (٣٥) .

ومنها (خامسا) ذلك الاستعمال الخطأ للقب «فرعون» في التوراة. والذي لم يبدأ الا في الاسرة الثامنة عشرة (٣٦) ، وليس في أيام الاسرة

- 
- (٣١) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ .  
(٣٢) أنظر عن : «أبشاي» وقافلته ( محمد بيومى مهران : مصر البخارى ١٧١/٤ ، فتح البارى ٢٤٦/٦ .  
(٣٣) أنظر عن : «أبشاي» وقافلته ( محمد بيومى مهران : مصر ٦٤٦/١ - ٦٦٧ ، وكذا  
P. E. Newberry, Beni-Hassan, I, London, 1893, Pls, 28-31.  
E. Erman et H. Rake, la Civilisation Egyptienne, p. 689. وكذا  
(٣٤) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٢٦ .  
(٣٥) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١٢ - ١٣ .  
(٣٦) أنظر : A. H. Gradiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 52, and Egyptian Grammar, 1966, p. 75.  
J. A. Wilson, The of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 102. وكذا



الثانية عشرة ، والتي يفترض ، كما سنرى ، ان ابراهيم عليه السلام ،  
زار مصر على أيامها •

ومنها (سادسا) أن الهدف من زيارة الخليل عليه السلام لمصر ،  
لم يكن بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، كما تقول التوراة ، وليس  
بسبب الشدة التي واجهها في كنعان ، كما يقول الدكتور ماير ، كما انه  
لم يكن ، كما يقول يوسف اليهودي ، أن يصيب من خيرات مصر ، وأن  
يسمع ما يقوله رجال الدين فيها في أمر الله تعالى ، وفي نفسه : اذا علم  
من كلامهم ما هو خير عنده (؟) أن يتقبله ، أو يرى أن عقيدته خير مما  
عندهم فيدعوهم اليها ، هذا فضلا عن دوره في الإصلاح بين الكهنة •

وبدهى أن السبب في رفضنا لكل هذه الاتجاهات الفاسدة أن  
هجرات الخليل عليه السلام لم تكن أبدا لأسباب سياسية أو اقتصادية،  
وانما كانت لأسباب دينية ، تتصل بدعوة التوحيد التي حمل لواءها  
جدنا الأكبر ، أبو الانبياء ابراهيم الخليل ، عليه السلام ، أضف الى  
ذلك أن نبي الله عليه السلام ما كان أبدا ليجد عند المصريين الوثنيين ،  
خيرا مما عنده من الوحي ، ومن ثم فعلى وجه اليقين أن عقيدته خير  
وأفضل مما عند المصريين ، وهذا ما نؤمن به ونعتقد ، وهو ما يجب  
أن يعتقد كل مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،  
والقضاء خيره وشره ، وتلك عقيدتنا والحمد لله •

وأما عن دوره في الإصلاح بين الكهنة ، فربما كان الأفضل القول :  
إصلاح عقيدة الكهنة ، وعلى أية حال ، فلقد رأى ابراهيم عليه السلام  
المصريين متشبهين بعبادات شتى ، يخالف بعضها البعض الآخر . مما  
أدى الى أن يخالف بعضهم بعضا ، والى أن يعادى بعضهم بعضا  
لأجلها ، ومن ثم فقد جعل يناقشهم فيها ، كل فريق على حدة ، ويبدى  
نهم جميعا أنها ليست على شيء من الحق ، ويحل بذلك منهم محل  
الاعجاب ، فيتعلمون أنه لم يكن على نصيب وافر من الفطنة وحسب ،  
بل كان كذلك عظيم القدرة على اقناع سامعيه في كل موضوع تناوله

بالبحث ، الامر الذى ساعده كثيرا على تبليغ رسالته ، ونشر دعوة التوحيد بين المصريين ابان اقامته بينهم (٣٧) .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا الى أن دعوة التوحيد التى نادى بها أبو الانبياء ، ابراهيم عليه السلام ، فى ربوع الكنانة ، انما هى أول دعوة سماوية تصل الى المصريين ، لدينا عنها وثائق من التوراة والتاريخ والحديث الصحيح ، وان كان هذا لا يعنى أبدا أن المصريين لم يعرفوا دعوات التوحيد السماوية قبل عصر ابراهيم عليه السلام ، ذلك لان الله جل وعلا ، يخبرنا فى القرآن الكريم ، أنه ما من أمة الا وجاءها رسول من عند الله العلى القدير ، قال تعالى «وان من أمة الا خلا فيها نذير» (٣٨) ، وقال تعالى «وكم أرسلنا من نبي فى الاولين» (٣٩) ، «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» (٤٠) ، «ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك» (٤١) .

هذا فضلا عن أن هناك رأيا نذكره لمجرد الاستئناس به ، لا نقره ولا ننفىه ، يقول بعض الباحثين فى الآثار المصرية أن «ادريس» تعريب لكلمة «أوزيريس» المصرية القديمة ، كما أن «يحيى» تعريب لكلمة يوحنا ، وكلمة «اليسع» لكلمة اليشع ، وأنه هو الذى صيغت حوله أساطير كثيرة ، فهم يعتقدون أنه صعد الى السماء ، وصار له فيها عرش عظيم ، وكل من وزنت أعماله بعد الموت ، فوجدت حسناته ترجح سيئاته ، فإنه يلحق بأوزيريس الذى جعلوه الها لهم وقد علمهم العلوم والمعارف قبل صعوده الى السماء .

---

(٣٧) تكوين ١٢/١٠ ، عباس العقاد : ابراهيم أبو الانبياء ص ٩٧ - ٩٨ ، ف.ب. ماير : حياة ابراهيم - القاهرة ١٩٦٠ ص ٦٢ (مترجم) وكذا W. Keller, op. cit., p. 87.

(٣٨) سورة فاطر : آية ٢٤ .  
(٣٩) سورة الزخرف : آية ٦ .  
(٤٠) سورة غافر : آية ٧٨ .  
(٤١) سورة النساء : آية ١٦٤ .

ونحن لا نملك من الوثائق ما يساعدنا على تحديد زمن «ادريس» ،  
ولكن الأرجح أنه سابق على ابراهيم ، وليس من أنبياء بنى اسرائيل ،  
فلم يرد ذكره في كتبهم ، والقرآن يصفه بأنه كان صديقا نبيا ، ويسجل  
له أن الله رفعه مكانا عليا ، فأعلى قدره ورفع ذكره (٤٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن القرآن الكريم لم يشر الى  
زيارة ابراهيم عليه السلام لمصر ، وإنما أشار اليها الحديث الشريف ،  
وهو ما يؤمن به ونصدقه تماما عن عقيدة وإيمان ، روى الامام البخارى  
في صحيحه روايتين عن القصة ، وكلاهما من رواية أبى هريرة ، جاء  
في الاولى عن النبى ، صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «بيننا هو (أى  
ابراهيم) وسارة ، اذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : ان هاهنا  
رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل اليه فسأله عنهما ، فقال :  
من هذه ؟ قال : أختى : فأتى سارة قال يا سارة ليس على وجه الارض  
مؤمن غيرى وغيرك ، وان هذا سألنى فأخبرته أنك أختى فلا تكذبنى ،  
فأرسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأخذ ، فقال ادعى  
الله لى ولا أضرك . فدعت الله فأطلق ، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها  
أو أشد ، فقال ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت فأطلق ، فدعا بعض  
حجبه فقال انكم لم تأتونى بانسان انما أتيتمونى بشيطان ، فأخدمها  
هاجر ، فأنته وهو قائم يصلى ، فأوماً بيده مهيا ، قالت : رد الله كيد الكافر  
أو الفاجر فى نحره ، وأخدم هاجر ، قال أبو هريرة : تلك أمكم يابنى  
ماء السماء» (٤٣) .

وجاء فى الرواية الثانية عن النبى ، صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
هاجر ابراهيم بسارة ، دخل بها قرية فيها ملك من الملوك ، أو جبار من  
الجبابرة ، فأرسل اليه أن أرسل الى بها ، فأرسل بها ، فقام اليها فقامت توضأ

---

(٤٢) فى ظلال القرآن ٢٣١٣/٤ - ٢٣١٤ (بيروت ١٩٨١) ، وأنظر :  
عن الاساطير التى دارت حول ادريس عليه السلام ( عبد الوهاب النجار :  
قصص الانبياء - القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٤ - ٢٩ ) .  
(٤٣) صحيح البخارى ١٧١/٤ ، وأنظر : فتح البارى ٢٤٦/٦ .



وتضلي فقالت : اللهم ان كنت آمنت بك وبرسولك فلا تسلط على الكافر ، فغط حتى ركض برجله» (٤٤) .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر أن هذا الملك أو الجبار هو ملك مصر ، وإنما فهم ذلك من الرواية الاولى ، من قول أبى هريرة عن السيدة هاجر «تلك أمكم يا بنى ماء السماء» ، كما أن ذكر هاجر في هذه الرواية إنما يشير الى مصر ، وإن كان المؤرخون يرون أن هاجر إنما كانت من جهة العريش ، هذا فضلا عن أن القصة ، كما جاءت في التوراة ، إنما تكررت مع «أبيمالك» ملك جرار ، كما أشرنا من قبل ، ومع ذلك فالذى لاشك فيه أن هناك زيارة من أبى الانبياء عليه السلام ، شرفت بها أرض الكنانة ، وذلك من فضل الله على مصر والمصريين .

#### (٥) تاريخ زيارة ابراهيم لمصر :

يرجح العلماء ، أو يكادون ، وصول أبى الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام لمصر ، على أيام الاسرة الثمانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) ، ذلك لان القوم في مصر منذ أيام عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، بدأت أفئدتهم تتجه نحو معان جديدة ومبادئ جليلة ، صحيح أن فريقا من الناس قد اهتز يقينه بالدين ، نتيجة الاضطرابات العنيفة التي صاحبت الثورة ، فأذكر الاله ، واستخف بالآخرة والحساب ، حتى ذهب بعضهم ، فيما يروى «ايبو - ور» حكيم الثورة ومسجل أحداثها ، الى «أن الرجل الاحمق يقول : اذا عرفت أين يوجد الاله ، فاني أقدم له قربانا» (٤٥) .

وصحيح كذلك أن فريقا آخر من الناس بدأ يشك في الحياة الآخرة ، كما بدأ يدعو المترفين من القوم الى التمتع بمباهج الحياة الدنيا

(٤٤) صحيح البخارى ٢٧/٩ - ٢٨ .

(٤٥) A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909, p. 41-42.

وخرقها — ما وسمعهم الى ذلك من سبيل — دونما قلق على الآخرة  
وما يصيبهم فيها ، لانهم لا يعلمون عنها شيئاً ، ذلك أن واحداً من  
الراجلين لم يأخذ معه شيئاً ، مما اقتناه في الدنيا ، عندما ذهب الى  
الآخرة ، كما أن أحداً منهم لم يعد حتى ينبئهم بالخبر اليقين عن  
الحياة الآخرة وما فيها (٤٦) .

ولكنه صحيح كذلك ، أن فريقاً منهم لم يرض عما آل اليه حال  
البلاد ، ولا سكت عما نزل بها من الكوارث والمحن ، فانطلقت الافواه  
والاقلام بما أتيح لها من التعبير عن الشوق الى العدل ، وعودة البلاد  
الى النظام والامن ، وذاعت في الناس دعوة تبشر بالمخلص المنتظر  
الذى يملأ الدنيا عدلاً ، بعد أن ملئت جوراً (٤٧) ، يقول الحكيم «ايبو —  
ور» في وصفه للمنقذ الذى يأمل الخير على يديه «انه يجلب البرودة  
الى اللهب ، ويقال عنه انه راعى الانسانية ، ولا يحمل في قلبه شراً ،  
وحين تكون قطعانه (رعيتة) متفرقة ، فانه يصرف يومه في جمعها» (٤٨) .

وقد بدأ المصريون ، في هذه الفترة من تاريخ أرض الكنانة المجيد ،  
يتخذون من المساواة بين الناس دستوراً تسير الدولة عليه ، ونصوصاً  
مكتوبة فيما صدر من نصائح على لسان الجالس على العرش نفسه ،  
يقول الملك الالهناسى «خيتى» لولده «مرى كارع» : «لا تفرق بين ابن  
النبيلى وبين فقير الاصل ، وتخير الفرد بحسب كفاءته الشخصية» (٤٩) ،  
وذلك لان الناس سواسية أمام خالقهم ، يقول الملك الالهناسى «المبشر  
رعايا الاله ، خلق السماء والارض وفق رغبتهم ، وأجرى المياه دافقة

---

(٤٦) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ٣١٤ ، وكذا  
J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 467.

(٤٧) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٣٦ .

A. Erman, in LAE, London, 1927, p. 105-106. (٤٨)

J. A. Wilson, The Instructions for King Meri-Ka-Re, in (٤٩)  
ANET, 1966, p. 415.

لهم ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وخلق العشب والماشية والطير  
والاسماك ليقتاتوا بها (٥٠) •

هذا فضلا عن ايمان القوم بأن الوسائل المادية ليست وحدها هي  
الوسيلة للسعادة في الآخرة ، وانما أصبح للاخلاق في هذا العصر شأن  
عظيم في تقرير مصير الانسان بعد مماته ، ومن ثم فقد غدت الاهمية  
الكبرى للوصول الى الخلد ، انما هو العمل الصالح ، يقول الملك  
الاهناسي لولده «لا تكن شريرا فالصبر خير ، اجعل ذكراك خالدا بحب  
الناس لك» (٥١) • ويقول «اجعل الناس يحبونك في الدنيا ، فالخلق  
الطيب ذكرى للانسان» (٥٢) ، ثم يعلن في صراحة ووضوح أن الخلق  
الطيب أفضل عند الله من القرايين التي تتقدم لاستعطائه «ان خلق  
الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير» ، (أى الثور  
الذى يقدمه كقربان الى الله) (٥٣) •

وهكذا أصبح القوم يؤمنون بمبادئ جديدة ، ومعان جليلة ، غابت  
فيها الروح على المادة ، وأصبحت السعادة في صالح الاعمال ، وفيما  
يكتسب المرء من فضائل ، فأشادت الاقلام بالانظام والعدل والمساواة  
وبشرت بأن الخلود لا تسوغه وجاهة أو ثراء ، وانما سبيله اجتناب الآثام  
وفعل الخيرات، وهى بهذا قد أرهصت بما علم الانبياء (وربما كانت عندهم  
بقايا تعاليم أنبياء) وأعدت الناس لما يبعثون به من رسالة ودين ، بل  
ربما نطقت ببعض ما بثته الانبياء بلفظه ومعناه (٥٤) ، مما يدل بوضوح  
على أن مصر انما كانت في تلك الفترة أرضا خصبة لبذر بذور دعوة  
أبى الانبياء ، عليه السلام ، ومبادئه السامية •

---

A. H. Gardiner, The Instruction for King MeryKare, in (٥٠)  
JEA, I, 1914, p. 34.

FRACTIONATOR (٥١)

Ibid., p. 417. (٥٢)

Ibid., p. 417. (٥٣)

(٥٤) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٣٦ •



ولعل هذا كله يدعونا الى أن نتفق مع الذين يذهبون الى أن العصر الذي جاء فيه الخليل عليه السلام الى مصر ، انما كان على أيام الاسرة الثانية عشرة<sup>(٥٥)</sup> ، ذلك لان الاحوال المواتية التي كانت خليفة أن تجذبه اليها والاقامة فيها ، انما تهيأت واستقرت على عهد ملوك الاسرة الثانية عشرة ، ولم تنتهياً قبلها ، ولا استمرت طويلاً بعدها<sup>(٥٦)</sup> .

ذلك أن الفترة التي سبقت الاسرة الثانية عشرة ، وخاصة تلك التي كانت على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، انما كانت أيام فوضى سياسية وانهايار اقتصادي ، حتى أن «ايو — ور» يصور لنا حالة البلاد في تلك الفترة العصبية وكيف انقلبت الى عصابات ، وأصبح كل فرد فيها مسلحاً بدرعه ، لان المشاغبين قد انتشروا في البلاد يعيشون فيها فساداً ، فيقول « تدور رحي الفخار ، حقا لقد شحب الوجه ، وأصبح حامل القوس مستعداً ، والمجرمون في كل مكان ، ولا يوجد رجل من رجال الامس ، حقا ان الناهبين في كل مكان »<sup>(٥٧)</sup> .

وهكذا عمت الفوضى البلاد ، وعز فيها الامن والامن ، وسادت الحرب الاهلية ، فأخذ الاهل يقتلون بعضهم البعض الآخر ، حتى وصل الامر الى الاسرة الواحدة «فالرجل يذبح أخاه من أمه» ، « والرجل ينظر الى ولده نذرتته الى عدوه »<sup>(٥٨)</sup> .

ويحدثنا «نفرتي» في نبوءته عن ذلك كله ، فيقول « أدبعت البلاد في كرب وعويل ، لقد حدث ما لم يحدث من قبل ، سيحمل الناس

---

(٥٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٩ ،

M. F. Mnger, op. cit., p. 3323.

Westminster Historical Atlas to The Bible, Philadelphia, وكذا  
1946, p.

A. Weigal, A History of The Pharaohs, II, London, 1922, وكذا  
p. 40.

(٥٦) أحمد عبد الحميد يوسف : ص ٢٤ .

J. A. Wilson, op. cit., p. 441. (٥٧)

A. Erman, op. cit., p. 99. (٥٨)

أسلحة الحرب ، حتى تعيش الأرض في اضطراب ، وسيصنع الناس  
أسلحة من النحاس ، حتى يلمسوا الخبز بالدم ، ويضحكوا ضحكة  
الموت» (٥٩) .

وانطلاقاً من هذا كله ، فلم يكن أبو الأنبياء ليأتى الى مصر في ذلك  
الزمان ، فان هذه الاحوال التي نستطيع اتخاذها — فضلاً عن حساب  
السنين من قرائن عصره — لمانعة رجل مثله ، أن يهجر جوعاً الى جوع ،  
وأملأاً الى أملأ ، بل يهجر أمناً وأملأاً الى اضطراب وأملأاً (٦٠) ،  
فضلاً عن استحالة نشر الدعوة في هذا الجو المحموم .

وأما بعد عهد الاسرة الثانية عشرة ، أى في عهد الاسرة الثالثة  
عشرة ثم دخول الهكسوس مصر ، فرغم اضطراب الامور في تلك  
الفترة (٦١) ، فانها ، أى عصر الهكسوس ، هى التى يرجع العلماء دخول  
يوسف الصديق ، ومن بعده عشيرته من بنى اسرائيل ، الى مصر ، كما  
سنرى ، وليس بحال من الاحوال ، دخول أبى الأنبياء أرض الكنانة .  
وعلى أية حال ، فظاهر من رواية التوراة والمشنا (٦٢) أن أبا الأنبياء  
انما دخل مصر جهرة ، ولم يدخلها تسلاً ، وأنه لم يدخل في عهد من

---

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, (٥٩)  
London, 1927, p. 1332-134.

(٦٠) تكوين ١٢/١٠ ، أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق

ص ٣٥ .

(٦١) انظر : من هذه الفترة ( محمد بيومى مهران : حركات التحرير  
في مصر القديمة — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠١ — ٢٢٤ ) .  
(٦٢) المشنا : أحد قسمي التلمود (المشنا والجمارا) ، وهى مجموعة  
من الشرائع اليهودية المروية على اللسان ، يعتبرها اليهود من مصادر  
التشريع عندهم وتأتى في المقام الثانى بعد التوراة ، ويظنون أنها ترتفع  
الى موسى عليه السلام ، ومن ثم فهم يسمون «المشنا» التوراة الشفوية ،  
وقد كتبت بعبرية متطورة بالنسبة لعبرية العهد القديم ، تسمى عند اليهود  
«لغة الائمة» أو لغة الحكماء ، وتنقسم المشنا الى ستة أقسام يتضمن كل  
منها عدة أسفار ، بلغ جميعها ٦٣ سفراً أو مسكتة (انظر : محمد بيومى  
مهران : اسرائيل — الجزء الثالث — التلمود ص ٣٨٠ — ٤٥٧ — الاسكندرية  
١٩٧٩) .

عهود الاضطراب والفوضى التي سبقت أيام الاسرة الثانية عشرة ،  
أو لحقت بها على أيام الهكسوس ، بل انه ، صلى الله عليه وسلم ، انما  
أقبل ، وهو يعلم ، على دولة مستقرة منظمة ، سوف يسأل عند الحدود  
عن هويته ، وهوية من معه من رجال ونساء ، فكان منه ما كان من حديثه  
الى امرأته سارة ، فيما اتصلت روايته في سفر التكوين من التوراة .

هذا ويستخلص أيضا من أحاديث المشنا فيما كان من دخول  
ابراهيم مصر مع سارة ، أن التخوم المصرية ، انما كان عليها من عمال  
المكوس من يسأل ويستقضى القصادمين فيما يحملون في أمتعتهم من  
عروض ، اذ روت أن الخليل عليه السلام قد خاف على فرعون وقومه  
الفتنة من جمال سارة ، فحملها في تابوت وهم يعبرون تخوم الديار ،  
وسأل عمال المكوس عما في التابوت ، فأنبأهم أنه شعير ، قالوا بل نأخذ  
المكوس على قمح ، قال خذوا ما تشاءون ، فعادوا يطلبون الضريبة على  
بهار ، فأجابهم الى ما طلبوه ، فارتابوا فيما يخفيه وأمره أن يؤدي  
الضريبة على وسق التابوت ذهبا ، فقبل وأعطاهم سؤلهم ، فديرهم  
قبوله كل ما يسومونه أن يبيذه ، وخامرهم شك عظيم ، ففتحو التابوت ،  
فاذا بالنور يفيض من وجه سارة ، حتى يعم الديار ، ويغشى وجه  
فرعون (٦٣) .

ورغم ما في هذه الرواية من نقاط ضعف تكاد تقضى عليها ، وتحول  
الشك فيها الى يقين بعدم صحتها ، الا أنها في الوقت نفسه ، انما تشير  
الى أن عصر دخول ابراهيم عليه السلام أرض الكنانة ، انما كان عصر  
استقرار وأمن في البلاد ، فالحدود محمية ، وعمال المكوس يجبون  
الضرائب من القصادمين الى مصر ، ولا يستطيع واحد منهم ، الا أن  
يخضع لما يريدون .

غير أن ما تشير اليه الرواية من قدرة ابراهيم المالية ، حتى انه كان

---

(٦٣) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٢٤ - ٢٥ .



بقايد على أن يؤدي الضريبة على وسق التايوت ذهباً ، إنما يهدم رواية التوراة التي تذهب إلى أن إبراهيم إنما جاء إلى مصر هرباً من قحط حل بأرض كنعان ، فضلاً عن تعارضها لبقية قصة إبراهيم عليه السلام ، كما جاءت في التوراة ، وكيف أنه عرض شرفه وشرف بسارة — والعياذ بالله من إقتراءات يهود — في مقابل قطيع أو قطعان من ماشية ، منحها إياه فرعون (٦٤) .

ثم إذا ما تذكرنا أن القصر الملكي على أيام الاسرة الثانية عشرة ، إنما كان في «ايت تاي» (على مبعدة ١٨ كيلا إلى الجنوب من منف) وأن المكوس إنما كانت تجبى على حدود الدلتا الشرقية (ربما عند «ثارو» وهي تل أبو صيفة في مجاورات القنطرة شرق) لتبين لنا إلى أى مدى لعب الخيال اليهودي في القصة ، ولكن ما حيلتنا ، وكل رواية توراتية تناقض أخرى ، وهذه تناقض الثالثة ، وهكذا .

# الباب الخامس

عصر الانتقال الثانى

(١٧٨٦ - ١٥٧٥ ق م)

ويتكون من :

الفصل الاول : الاسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة

الفصل الثانى : الهكسوس فى مصر

الفصل الثالث : حرب التحرير





# الفصل الأول

## الاسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة

### ١ - صعوبة تاريخ عصر الانتقال الثانى :

ليست هناك فترة فى تاريخ مصر استعصت على المؤرخ المعاصر ، كما استعصت فترة عصر الانتقال الثانى (١٧٨٦ - ١٥٧٥ ق.م) ، والتي تقع فيما بين نهاية الاسرة الثانية عشرة ، وبداية الاسرة الثامنة عشرة ، فالمصادر المتاحة لنا عن هذه الفترة جد قليلة ، بل وباهتة كذلك ، ومؤرخنا الوطنى «مانيتو» لا يمكن التعويل عليه كثيرا ، والامر كذلك بالنسبة الى تتابع الملوك الذى نقل اليينا عنه ، أما بردية تورين فهي تقدم لنا بعض الاسماء ، ولكنها تحذف أسماء أخرى ، وأما قوائمنا سقارة وأبيدوس فهما تتجاهلان هذه الفترة تماما .

وفى الواقع ليس هناك من بين قوائم الملوك ما يحصى ملوك هذه الفترة ، سوى قائمة الكرنك ، وهى فى حالتها المهشمة تستطيع أن تقدم لنا ثلاثين اسما ، وهو رقم يقرب من نصف العدد الذى تؤكد الاثار الباقية ، وأنا لنجد من سوء الحظ أن هذه الاسماء مبعثرة بين أسماء ملوك الدولة القديمة والوسطى فى صورة غير منتظمة ، تجعل من العسير أن نقدم من ورائها تتابعا سليما ، والاثار المعاصرة التى يعتمد عليها لاستخلاص الحقائق ، وفلاء الفراغات الزمنية قليلة ، وهى بصفة عامة لا تقدم نفعا كبيرا .

وقد أدى ذلك كله الى أن يلجأ المؤرخون الى مصدر لا يحظى بمثل هذه الأهمية فى ظروف أخرى ، وأعنى به «الجعارين» ، وهكذا كانت طرز الجعول التى عثر عليها تحمل خراطيش ملكية ، ثم مظهر تركيب الاسماء

نفسها ، وكذا أدلة أخرى دقيقة ، من أهم الأشياء التي استعان بها المؤرخون لتحقيق تاريخ هذه الفترة ، بخاصة وأن المصريين لم يكونوا راغبين في تسجيل أحداث عصر الهكسوس البغيض • بل انهم حتى لم يحاولوا الإشارة اليه ، إلا أيام الملكة «حتشبسوت» ، فضلا عن تدميرهم للكثير من آثار الهكسوس بعد أن كتب لهم نجحا بعيد المدى في طردهم ، بل ومطاردتهم حتى زاهى ، وتحرير الكنانة من دنسهم<sup>(١)</sup> •

هذا وتميل الابحاث الحديثة الى أن هذا العصر لم يستغرق أكثر من ٢٢٠ عاما ، وربما أقل من ذلك ، لان الاحداث التي مرت بها آسيا الصغرى لا تستغرق كل هذه المدة ، أما ذلك العدد الهائل من الملوك الذين حكموا في تلك الفترة ، فيمكن تفسيره بأن هناك مجموعات كانت تحكم في الشمال ، وأخرى في مصر الوسطى ، وثالثة في الصعيد ، وأن ذلك قد حدث في أوقات متعاصرة ، أو على الأقل متقاربة ، وأن غزو الشعوب الهند أوربية لمنطقة غربى آسيا ومصر ، انما تجعل نقاطا عديدة تربط بين الاحداث في المنطقة مما يجعلنا نأمل في أن تقدم لنا بعض المصادر الآسيوية ما يساعدنا على ترتيب بعض التواريخ بدقة أكثر مما عليه الان ، وبالتالي تحديد تلك الفترة المظلمة من تاريخ البلاد<sup>(٢)</sup> •

#### ٢ - الأسرة الثالثة عشرة (١٧٨٦ - ١٦٣٣ ق م) :

انتهت الأسرة الثانية عشرة في عام ١٧٨٦ ق م ، بالملكة « سوبك نفرو » ، ربما بسبب عدم وجود وريث شرعى من الذكور يعتلى العرش بعدها<sup>(٣)</sup> وتصاب مصر بفترة من الضعف يقف المؤرخون حيارى أمامها ، فحاول فريق منهم أن يرجعها الى ظهور أعداء لمصر في سورية وفلسطين والنوبة ، اعتمادا على التماثيل والاوراق الصغيرة التي نقشت عليها في

A. H. Gardiner, op. cit., p. 147-149

(١)

J. Vercoutter, op. cit., p. 383-386.

وكذا

J. Vercoutter, l'Egypte Ancienne, Paris, 1963, p. 71.

(٢)

F. Daumas, le Civilisation de l'Egypte Pharaonique, Paris, 1965 p. 82.

وكذا

W. C. Hayes, CAH, II, Part, 2, 1973, p. 42-43.

(٣)

أخريات الاسرة الثانية عشرة ، تلك الدعوات التي تستنزل اللعنة على  
الاعداء (٤) .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن نظام الاقطاع ربما كان  
قد بعث في ذلك العهد من جديد ، وأن هناك عددا من الاسرات المحلية  
قد تقاسم حكم البلاد في وقت واحد (٥) ، غير أن هناك من يرى أن وجهة  
النظر هذه لا تستند الا على تفسير لبعض الوثائق النادرة ، والمشتقة  
جغرافيا ، الامر الذي يجعلنا لا نعزو اليها قيمة احصائية ثابتة (٦) ، فضلا  
عن أن نظام الاقطاع كان قد قضى عليه منذ أواسط الاسرة الثانية عشرة ،  
ولم يبق من آثاره غير صورة واحدة ، لا يكاد التاريخ يعرفها في غير  
امارة الكاب ، كما تشير الى ذلك لوحة المتحف المصري رقم ٥٢٤٥٣ ، من  
عهد الملك «سواج - ان - رع» (٧) .

وهناك وجه ثالث للنظر ، يذهب الى أن الاسباب انما كانت خارجية  
في الدرجة الاولى ، ذلك أن العالم القديم انما كان منذ القرن العشرين  
قبل الميلاد. يغلى كالمرجل ، وقد سادت الثورات منطقة الشرق الادنى  
القديم ، وتعددت الغزوات حين بدأت الشعوب ((الهندوأوربية)) تأتي من  
الشمال والشمال الشرقي من مواطنها الاصلية في أواسط آسيا ، لتستقر  
في بلاد المرافدين وفي سورية .

وهكذا كانت تلك الهجرات تتقدم ببطء ، وكان ذلك في مدى بضعة  
قرون ، ونزلوا الهلال الخصيب ، وتغلبوا على السكان الذين كانوا  
يقيمون هناك ، أو أجلوهم عن ديارهم ، مما أدى الى اضطراب شديد  
بين تلك الاقوام والشعوب المستقرة في تلك المنطقة .

---

(٤) جان يويوت : المرجع السابق ص ٩٩ .  
(٥) T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, p. 53.  
(٦) جان يويوت : المرجع السابق ص ٨١ .  
(٧) أنظر : P. Lacau; BIFAO, 30, 1931, p. 88 F.  
وكذا F. A. Schaeffer, ASAE, 28, 1928, p. 131.



على أن هناك من يقدم صورة مختلفة عن المتظر التاريخى إبان تلك الفترة من تاريخ الكنانة ، ذلك أن تصورنا القديم عن الفترة التى تلت الأسرة الثانية عشرة كحقبة اضطراب سياسى ، وتدهور ثقافى ، يجب أن ينقح الى حد كبير على ضوء الاكتشافات التى تمت فى السنوات القليلة .

ويذهب «وليم هيز»<sup>(٨)</sup> الى أن السبب فى قصر مدة حكم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، والضعف الواضح فى عنصر الاستمرار والتتابع الأسرى ، إنما يرجع الى أنهم لم يكونوا ملوكا بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فهم مجرد دمية يوضعون فوق العرش — ربما بالتعيين أو حتى بالانتخاب — ولفترة قصيرة محدودة ، فى حين كانت السلطات الحقيقية فى يد الوزراء ، يقبضون على خيوطها بقوة ، وهذه النظرية جذابة للغاية ، ولكن من المستحيل اثباتها .

ومع ذلك فليس هناك من ريب فى أن عدم استقرار السلطة المركزية فى البلاد قد أنهك اقتصادها ، وأن بقيت الوحدة الوطنية متماسكة ، ولمدة قرن على الأقل ، كانت فيه مصر تحكم بفرعون واحد ، وأن كان ضعيفا ، وفى نفس الوقت ظلت هبة مصر فى النوبة وفى غربى آسيا قوية الى حد كبير<sup>(٩)</sup> .

ويذهب المؤرخ المصرى «مانيتو» الى أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة إنما كانوا من طيبة ، وأنهم كانوا ستمين ملكا ، حكموا ٤٥٣ عاما<sup>(١٠)</sup> ، غير أننا نعرف أن الأسرة الثانية عشرة إنما قد انتهت فى حوالى عام

W. C. Hayes. Egypt. From The Death of Ammenemes III. to Seneferu II. CAH II. Part, 2, Cambridge, 1973, p. 44-45. (٨)

W. C. Hayes. A Papyrus of The Late Middle Kingdom : in The Brooklyn Museum. p. 146-148. (٩)

W. G. Waddell. Manetho. with an English Translation London, 1940, 72-75. (١٠)

١٧٨٦ ق.م ، وأن الأسرة الثالثة عشرة قد انتهت — كما سوف نرى —  
في عام ١٦٢٣ ق.م ، ومن ثم يمكننا القول أن هناك خطأ في تقدير  
«مانيتو» — أو من نقلوا عنه — ومن ثم يصبح حكم الأسرة الثالثة  
عشرة ١٥٣ عاما ، وليس ٢٥٣ عاما ، وأما بردية تورين فإنها تقدم لنا  
ما بين ٥٠ ، ٦٠ ملكا ، ولكنها تجاوزت عن عدد من ملوك الأسرة عرفناهم  
من مصادر أخرى (١١) .

وعلى أى حال ، فإن ملوك الأسرة الثالثة عشرة — مثلهم في ذلك مثل  
أسلافهم من ملوك الأسرة الحادية عشرة والثانية عشرة — إنما كانوا من  
طيبة ، أو على الأقل كان معظمهم من طيبة ، وقد عثر على معظم آثارهم  
في طيبة ومجاوراتها — في الدير البحري والكرك والمدامود وطيبة —  
وقد خصصت لآلهة طيبة — وبخاصة الإله موننتو — هذا فضلا عن أن  
كثيرا من أسمائهم الشخصية (أمنمحات ، أنيوتف ، سنوسرت ، نفر  
حوتب) من طراز طيبى (١٢) ، وإن كان اسم «سويك حوتب» أكثر  
الاسماء استعمالا (١٣) ، ومع ذلك فإن «وليم هيز» إنما يذهب إلى أن  
العاصمة المصرية إنما قد ظلت حتى عام ١٦٧٤ ق.م ، كما كانت من قبل  
«ايثت تاوى» ، على مقربة من البلشت ، وإن كان البلاط ينتقل أحيانا  
إلى طيبة (١٤) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن الآراء إنما تتفق — أو تكاد — على أن مؤسس  
الأسرة الثالثة عشرة إنما هو «أمنمحات سويك حوتب» (سخم رع  
خوتوى) ، ويبدو أنه كان وريثا شرعيا للعرش ، وأنه كان يرتبط بملوك  
الأسرة الثانية عشرة عن طريق الدم ، أو حتى عن طريق الزواج من

E. Drioton and J. Vandier. l'Egypte. Paris, 1952, p. 284-287. (١١)

W. C. Hayes, CAH. II. Part, 2, 1973, p. 45. (١٢)

J. Vercoutter, op. cit., p. 388. (١٣)

W. C. Hayes. JEA. 33, 1947, p. 10-11, JNES. 12 1953. p. 38-39. (١٤)

«(سؤبك نفرو)» آخر ملوك الاسرة الثانية عشرة<sup>(١٥)</sup> ، وأن انتقال السلطة إليه إنما قد تم في هدوء ، وبدون عنف<sup>(١٦)</sup> ، وأن كان هناك من يرى أن الرجل لم يصل الى العرش عن طريق الزواج، وإنما اغتصبه اغتصابا<sup>(١٧)</sup>.

وأيا ما كان الأمر ، فإن مصر على أيامه استمرت تحكم النوبة حتى «سمنة» ، حيث وجد اسمه محفورا هناك على الصخور ، بجوار اسم «أمنمحات الثالث»<sup>(١٨)</sup> ، وأنه قام في العام الرابع من حكمه بتسجيل ارتفاع الفيضان عند مقياس سمنة وقمة ، عند الشلال الثاني<sup>(١٩)</sup> ، مما يدل على أن الفرعون قد ركز مجهوداته على تلك المنطقة ، حيث أنه ربما كان يشغل وظيفة الحاكم هناك قبل أن يرتقى العرش<sup>(٢٠)</sup> ، وأنه استمر يحكم أملاك أسلافه الواسعة ، كما تركها «سنوسرت الثالث»<sup>(٢١)</sup> .

ويبدو أن الرجل لم يحكم سوى أربع سنوات ، ذلك لأن مقاييس منسوب مياه النيل لم تدون عند قلعتي سمنة وقمة بعد هذا العام الرابع ، ومع ذلك ، فيبدو أن قسوة ذلك الحاكم وحزمه — على قصر أيامه — أتاحت له أن يوجه كثيرا من نشاطه الى أعمال العمران ، فأخذ في إصلاح عمائر السلف في غير مكان من أقاليم الديار ، وعواصمها المختلفة ، مثل طيبة والمدامود واللاهون وتل بسطة<sup>(٢٢)</sup> .

وهناك ما يشير الى أن خليفته «أمنمحات سونب اف» (سخم كارع) قد حكم مصر كلها ، حيث وجدت آثاره في مصر العليا والسفلى فقد عثر

- 
- |   |      |
|---|------|
| E. Drioton and J. Vandier, op. cit., p. 283. 322.         | (١٥) |
| E. Drioton and J. Vandier, op. cit., p. 287.              | (١٦) |
| J. Vecoutter, op. cit., p. 387.                           | وكذا |
| أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٦٤ .                         | (١٧) |
| B. Porter, and R. L. B. Moss, op. cit., VII, p. 150, 156. | (١٨) |
| De Rouge, Revue Archeologique, V. P. 312.                 | (١٩) |
| A. Weigall, op. cit., p. 35.                              | (٢٠) |
| J. Vercontter, op. cit., p. 388.                          | (٢١) |
| أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٦٤ .                         | (٢٢) |
| F. L. Griffith, Bieartic Papyri from Kahun and Groub.     | وكذا |
| p. 87.  |      |



على اسمه منقوشا على لوحة اكتشفت في «أتريب» (حت حري أيب = أثر يباي = بنها الحالية) ، كما عثر له على بعض الآثار في الفيوم وفي بعض مناطق الصعيد ، وان كان هناك ما يشير الى أن السيادة المصرية في النوبة انما قد بدأت في التدهور ، فاسم الملك لم يعد له وجود في صخور سمنة ، وانما في «أسكوت» — على مبعده ١٨ ميلا الى الشمال من الحدود التي اختطها سنوسرت الثالث العظيم (٢٣) .

وأما في آسيا فما زال نفوذ مصر قويا ، ففي أيام الملك «سحتب ايب رع» — وهو الخلف المباشر للملك «أمنمحات سونب اف» ، نرى «ياكين — اليوم» أمير بيلوس يعترف بنفسه بأنه «خادم ملك مصر» (٢٤) .

وتستمر الاسرة الثالثة عشرة في الحفاظ على نفوذ مصر الخارجى ، وهناك في «سمنة» تمثال للملك «خوتوى رع» (وجاف) ، يدل على أن المصريين مايزالون يحتفظون بحماية حدودهم عند الشلال الثانى (٢٥) ، هذا وقد عثر «جيكويه» عام ١٩٢٩م وعلى مبعده كيلو مترين جنوبى مصطبة فرعون ، فى منطقة سقارة المقبلية ، على هرم بناء الملك «وسر كارع» (خنجر) ، مما يدل على أن ملوك الاسرة الثالثة عشرة مايزالون يحكمون مصر العليا والسفلى ، هذا ولم يعثر على معبد واد لهذا الهرم ولم يكتشف حتى الان طريق صاعد له ، وان وجد له معبد جنازى فى الجهة الشرقية منه ، وهيكل قرابين فى الجهة الشمالية ، وعلى أى حال، فلقد شيد هرم «خنجر» هذا من الطوب ، وكساؤه الخارجى من الحجر الجيرى (٢٦) .

ولعل عهد الملك «خع سخم رع ، نفر حوتب الاول» ( ١٧٤٠ —

---

J. Vercoutter, op. cit., p. 388. (٢٣)

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, N. Y., 1953, p. 342. (٢٤)

E. A. W. Budge, The Egyptian Sudan, its History and Monuments, I London, 1907, p. 484-486. (٢٥)

(٢٦) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٣٠ ، ٣٣٣ .

وكذا G. Jequier, Deux Pyramides du Moyen Empire, Cairo, 1933.

١٧٣٠) (٢٧) من أهم عهود هذه الأسرة (٢٨) ، ولدينا من عهده أهم أثر لدارسى الكتابة الهيروغليفية وهو لوحة كبيرة ، كُشف عنها العالم الفرنسى «أوجست فرديناند فرانسوا مارييت» (١٨٢١ - ١٨٨١م) فى أبيدوس (٢٩) ، وتركت لحالها مهملة فى المنطقة بالنسبة الى حالتها المشوهة تشويهاً بالغاً ، ولا يزال مرماها العام واضحاً ، رغم أن النسخة الوحيدة التى بين أيدينا الآن مليئة بالعيوب .

وعلى أى حال ، فهى تعد ثانياً أقدم مثال ، كما تعد أكثر النماذج إتقاناً لطراز الكتابة الملكية المشار إليها من قبل ، ويصور الملك وهو يستشير حاشيته منبثاً اياهم أنه يود أن يصوغ تمثال لئله أوزير وتأسوعة فى أشكالهم الحقيقية (٣٠) . ومن ثم يظهر الملك رغبة ملحّة فى أن يزور مكتبة معبد الاله أتوم فى هليوبوليس ، لكى يفتش فى الكتب القديمة بحثاً عن ضالته قبل أن يأمر بتنفيذ المشروع (٣١) .

ويتم لفرعون ما أراد ويرسل موظفاً الى أبيدوس ليمهد الطريق ، فيقوم بعمل الترتيبات كى يظهر أوزير فى الموكب فى قاربه المقدس ، ثم يصل الملك بشخصه ، ويشرف بنفسه على صناعة الصور ، ويسهم فى الإبادة التقليدية لاعداء الاله ، وأما بقية النص فمخصص للملك الذى يتسم بالتقوى للمعبود ، ولتهديد من تسول له نفسه مستقبلاً ، أن يحول دون تذكر مثل هذا الملك الخير العظيم (٣٢) .

ويبدو أن سيادة «نفر حوتب الأول» كان معترفاً بها فى سورية ،

(٢٧) يرى «سيف سودربرج» أنها فى الفترة (١٧٦٠ - ١٧٤٠ ق م) (انظر : JEA, 37, 1951, p. 54.)

(٢٨) W. F. Albright, BASOR, 99, 1945, p. 16.

(٢٩) A. F. F. Mariette, Catalogue des Monuments d'Abydos, No. 767, p. 234.

(٣٠) E. Drioton and J. Vandier, op. cit., p. 315.

وكذا A. H. Gardiner, op. cit., p. 154.

(٣١) W. C. Hayes, op. cit., p. 50.

(٣٢) A. H. Gardiner, op. cit., p. 154.

وقد أدى ذلك بالتأكيد إلى القول بأن الدلتا — ما عدا منطقة خويس — ،  
وهي سخا الحالية — إنما كانت ماتزال تحت إدارته (٣٣) ، وتوضح لوحة  
من الستياتيت عشر عليها عند وادي حلفا أن نفوذه قد امتد إلى  
هناك (٣٤) ، بل إن الموقف هنا أصبح كثير الشبه بما كان عليه أيام الأسرة  
الثانية عشرة ، فقد عشر في منطقته النوبة السفلى على كثير من المقابر  
الغنية ، والتي تقع على مقربة من المدن المحصنة ، وأما في السودان  
— في كرما — فقد اتصفت الحضارة التي سادت تلك المنطقة بالثراء  
البالغ كنتيجة لازدهار التجارة المصرية (٣٥) .

ولعمل أكثر الآثار أهمية نقش كشف عنه بعيدا في «بيلوس» ،  
ويصور «يوناثان» أمير بيلوس ، جالسا أمام شخص عظيم اختفت  
صورته ، ولكن النصوص المدونة إلى جانبه دلت على أنه الفرعون  
المصرى «نفر حوتب» (خع سخم رع) بالذات (٣٦) ، وربما كان «يوناثان»  
أو «يانتين» هذا ، إنما هو ابن الأمير «ياكين — اليوم» الذي كان أميرا  
لمدينة بيلوس على أيام الملك «سحتب ايب رع الثانى» وربما كان  
«يانتين» هو نفسه أمير بيلوس ، الذى يدعى «يانتين خامو» الثرى ،  
الذى تذكره سجلات مدينة «مارى» الشهيرة (٣٧) ، وفي هذا ما يشير إلى  
أن النفوذ المصرى فى جبيل إنما قد استمر إلى ما قبل سيطرة الهكسوس  
على الدلتا بعقد من السنين ، أو نحو ذلك (٣٨) .

وعلى أى حال ، فلقد جاء بعد «نفر حوتب الاول» أخوه «سبتك  
حوتب» (خع تفر رع) وقد عشر له فى تانيس (صان الحجر) على عدة  
تماثيل ، يبدو أنها قد نقلت إلى الدلتا فى فترة متأخرة ، ربما فى الأسرة

W. C. Hayes, op. cit., p. 49. (٣٣)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 154. (٣٤)

T. Save - Soderbergh, Aegypten und Nubien, 1941, p. 119 F. (٣٥)

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ١٨٤ — ١٨٥ . (٣٦)

W. F. Albright, BASOR, 99, 1945, p. 9 F. (٣٧)

W. S. Smith; Interconnections of The Ancient Near East, (٣٨)

London, 1965, p. 16.



التاسعة عشرة ، ذلك لان النقوش المدونة على واحد من هذه التماثيل  
انما تفكر اسم الاله «خمن» معبود «حفات» (المعلا الحالية ، فيما بين  
أرمنته واسن) كما أن هناك تمثالا له عشر عليه في جزيرة «أرجو» فيما  
وراء الشلال الثالث ، يبدو أنه نقل هناك في عهد الاسرة الخامسة  
والعشرين ، مما يشير الى أن مصر ، على أيام الملك «سبك حوتب» كانت  
ملتزاة تسيطر على الجنوب .

وعلى أى حال ، فان آثار الاخوين «نفر حوتب» و «سبك حوتب»  
انما تتركز بصفة خاصة في منطقة طيبة ، والتي كانت مقرا لهما ، ولعل  
مما تجدر الاشارة اليه هنا ، وجود «جعل» مشترك بين الملك «خع نفر  
رع» (سبك حوتب) وخليفته «خع عنخ رع» مما يشير الى تتابع الملكين  
على العرش فضلا عن أنهما انما كانا ينويان اقامة حكم مشترك بينهما ،  
وهي حيلة حكيمة في فترة اضطراب كهذه (٣٩) .

وأيا ما كان الامر ، فان البلاد انما تمر — بعد حكم الاخوين «نفر  
حوتب» و «سبك حوتب» بفترة من الشغب ، وتقدم لنا قوائم الملوك  
والاثار فيضا من أعداد الملوك المحليين الذين كانوا — فيما يبدو —  
معاصرين بعضهم للبعض الآخر وتصبح مصر — وهي في تلك الحال  
من الضعف والفوضى — ثمرة ناضجة يمكن أن تمتد اليها أى يد ، دون  
كثير عناء ، ربما نتيجة للاضطرابات التي سادت سورية وتسرب  
الاسيويين الى الدلتا (٤٠) ، والذين كانوا خليطا من جماعات آرية غازية،  
دفعتها الظروف الى جنوب الشام ، وبين جماعات آمورية هاربة ، عجزت  
عن الاحتفاظ بأرضها في سهول الشام وبواديها (٤١) ، وربما كنتيجة لقلّة  
الاستقرار ، وفساد الادارة ، وتفرق الكلمة ، وربما للسببين معا .

---

(٣٩) ايتين دريوتون وجاك فاندويه : مصر — ترجمة عيأس بيومي  
القاهرة ١٩٥٠ ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

(٤٠) T. Save - Soderbergh, op. cit., p. 55.

(٤١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨٩ .

وأيا ما كان الامر ، فما أن يجلس «(مر نفر رع — ابي)» على عرش الكنانة حوالى عام ١٧٠٠ ق.م ، حتى تبدأ البلاد فى الانتهاء السريع نحو النهاية المحتومة ، رغم أن حكمه الطويل — والذي قارب ربع قرن من الزمان<sup>(٤٢)</sup> — قد يشير الى اطمئنان رعاياه ، والى أنه لم يكن واحدا من هؤلاء الملوك الضعاف ، ولكن ربما كان ذلك بسند من الهكسوس ، الذين كانوا قد سيطروا على شرق الدلتا — فيما يرى بعض الباحثين — قبل عقدين من اعتلائه العرش ، أى حوالى عام ١٧٢٠ ق.م<sup>(٤٣)</sup> .

ويخيم المنظر التاريخى ، بعد «(مر حوتب)» الملقب «(ايناي)» فلا يخلف مما يرى فى الغسق سوى القليل من وراء الاسماء الملكية ، التى تقدمها لنا بردية تورين ، وهناك رأى يقترح توحيد الملك «(نجد نفر رع)» (دودى موسى) بالملك «(توتيمايوس)» الذى شهد حكمه — فيما يروى مانيتو — غزو الهكسوس لمصر<sup>(٤٤)</sup> ، ولأن اعتلاء «(دودى موسى)» العرش لا يمكن أن يكون قبل عام ١٦٧٣ ق.م ، وأن الهكسوس قد استقروا فى شرق الدلتا حوالى عام ١٧٢٠ ق.م ، فمن المحتمل أن الغزو الذى ذكره «(مانيتو)» انما كان يعنى به احتلال الهكسوس لمنف (والمدينة الملكية ايثت تاوى) بقيادة «(سالاتيس)» مؤسس الاسرة الخامسة عشرة<sup>(٤٥)</sup> ، وان كان «(سير ألن جاردنر)» يرى أن هناك أسسا قوية تتصل بالنطق السليم ، تجعلنا لا نقرن حامل الاسم الملكى «(دودى موسى)» (دجد موسى) بالملك «(توتيمايوس)»<sup>(٤٦)</sup> .

كان سقوط منف فى أيدي الهكسوس فى حوالى عام ١٦٧٤ ق.م ، بمثابة النهاية الفعلية للاسرة الثالثة عشرة ، وقد ذكرت بردية تورين

A. H. Gardiner, The Royal Canon of Turin, Oxford, 1959, (٤٢)  
p. 16, Pl. 3.

L. Habachi, ASAE, 52, 1954, p. 471-479, 558. (٤٣)

T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, p. 62. (٤٤)

W. F. Albright, BASOR, 99, 1945, p. 15. وكذا

W. G. Waddell, Manetho, London, 1940, p. 72-75. (٤٥)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 157. (٤٦)

أكثر من ستة أسماء ملكية بعد ذلك ، إلا أن هؤلاء الملوك لم يكونوا في الواقع سوى أشباح ، أو مجرد أتباع للهكسوس ، أو حتى في أحسن الفروض حكاما محليين ، لا يعدو حكم الواحد منهم أكثر من منطقة محدودة — ربما لا تزيد في بعض الاحايين عن مدينة واحدة — بل ان الملك «دودي موسى» نفسه انما قد عرف من آثار وجدت في اقليم طيبة فقط ، سواء أكانت من الدير البحري ، أو من الجبلين<sup>(٤٧)</sup> .

وهناك «دودي موسى» آخر أو الثاني عشر على اسمه على لوحة من ادفو<sup>(٤٨)</sup> ، ثم عشر على اسم أحد الملكين «دودي موسى» الاول والثاني على لوحة من ادفو كذلك ، فضلا عن نقش صخري من الكاب ، وقطعة من الالبستر من كرما ، وعلى أى حال ، فيبدو أن الملكين انما كانا يحكمان في فترات متقاربة في مصر العليا ، وأنهما ينتسبان الى أخريات أيام الاسرة الثالثة عشرة ، والتي عاصرت فترة ما من بداية الاسرة الرابعة عشرة في الدلتا<sup>(٤٩)</sup> .

وما أن يمضى قرابة ربع القرن من الزمان على سقوط منف في أيدي الهكسوس وفي حوالى ١٦٥٠ ق.م ، الا ونرى الاسرة الثالثة عشرة في انهيار شبه تام ، حتى في موطنها الاصلى في طيبة ، حيث تنهض أسرة حاكمة جديدة ، تحاول جاهدة انقاذ ما يمكن انقاذه من أرض الكنانة من الوقوع في أيدي المتطفلين الاسيويين ، تلك هى الاسرة التى عرفت فيما بعد بالاسرة السابعة عشرة المصرية .

ومع ذلك فان بردية تورين ومانيتو ظلا يعتبران الاسرة الثالثة عشرة ، على أنها الاسرة الشرعية حتى عام ١٦٣٣ ق.م ، على الرغم من أنه في كل الاحتمالات ، لم يكن كل الملوك الذين حرص هذان

W. C. Hayes, op. cit, p. 52-53.

(٤٧)

A. Barsanti, ASAE, 9, 1908, p. 1-2.

(٤٨)

R. Engellbach, ASAE, 21, 1921, 189-190.

(٤٩)



المصدران على تسجيلهما بعناية في الفترة (١٦٥٠ - ١٦٣٣ ق م) أكثر  
ه أمراء محنيين ، خلفاء ، وربما أتباع ، لحكام طيبة الجدد<sup>(٥٠)</sup> .

### ٣ - الاسرة الرابعة عشرة (١٦٣٣ - ١٦٠٣ ق م)

انتهز الامراء المحليون في منطقة سخا بغرب الدلتا فرصة الضعف  
التي انتابت الاسرة الثالثة عشرة ، فضلا عن بعدهم عن نفوذ الهكسوس  
في شرق الدلتا ، ومن ثم فقد استقلوا عن الاسرة الثالثة عشرة - ولادة  
ثلاثين عاما بعد سقوطها - متخذين من مدينة «خويس» (سخا الحالية  
في مجاورات كفر الشيخ) عاصمة لهم ، ومنشقين عن بقية أرض الكنانة،  
وطبقا لرواية «مانيتو» فان عدد ملوك الاسرة الرابعة عشرة انما كانوا  
ستة وسبعين ملكا ، وأن أيام حكمهم أربعة وثمانين ومائة عام وأنهم  
كانوا من منطقة سخا ، التي اتخذوا منها مقرا لعرشهم<sup>(٥١)</sup> .

وهكذا كتب على الكنانة أن يتنازع السلطان فيها في تلك الايام  
النكدة من تاريخها ، ملوك الاسرة الثالثة عشرة ، وأمراء طيبة في الصعيد  
الاعلى ، وأمراء سخا في غرب الدلتا ، فضلا عن الاسيويين المتطولين في  
شرقها ، وكان المرقف جد مختلف بالنسبة الى كل منهم ، كانت الاسرة  
الثالثة عشرة تلغظ أنفاسها الاخيرة ، وكان أمراء سخا من الضعف بدرجة  
تجعلهم غير قادرين على منع تسلك العدد المتزايد من القبائل الوافدة من  
آسيا الى مصر ، وكان أمراء طيبة بمثابة القبس الذي يأمل القوم أن  
ينير الطريق وسط الظلام الحالك ، ومن ثم فقد عملوا جساheids على  
احياء تقاليد الدولة الوسطى المجيدة ، أملا في أن تبقى جذوة الاستقلال  
المصرية حية ولهمردوا الطريق أمام خلفائهم المحاربين في أن يطهروا  
البلاذ في غمد قريب من دنس الاستعمار ، وذل الاستعباد ، وكان  
الاسيويون المتطفرون - أو الهكسوس كما عرفوا فيما بعد - هم القوة  
التي قدر لها أن تحكم الجزء الاكبر من البلاد ، ولكن الى حين .

W. C. Hayes, op. cit., p. 53.

(٥٠)

J. Vercoutter, op. cit., p. 390-391.

(٥١)



## الفصل الثاني

### الهكسوس في مصر<sup>(١)</sup>

#### ١ - دخول الهكسوس مصر :

يزعم المؤرخ اليهودي «يوسف بن متى» في «مجادلاته ضد ابيون» أنه يروى الكلمات الاصلية عن «مانيتو» فيقول : «في عهد الملك توتيمايوس لسبب لا أعرفه حلت بنا ضربة من الله ، وفجأة تقدم في ثقة بالنصر ، غزاة من اقليم الشرق من جنس غامض الى أرضنا ، واستطاعوا بقوة أن يثملكوها في سهولة ، في ضربة واحدة ، ولما تغلبوا على حكام الارض أحرقوا مدننا بغير رحمة ، وقوضوا أرض معابد الالهة ، وعاملوا المواطنين بعدوان قاس ، فذبحوا بعضهم ، وساقوا زوجات آخرين مع أطفالهم الى العبودية ، وأخيرا عينوا من بينهم ملكا يدعى «سالتيس» وكان مقره منف ، ففرض الضرائب على مصر العليا والسفلى ، وكان يترك وراءه حاميات في الاماكن الهامة ...» .

وتستمر الرواية فتذهب الى أن الغزاة اتخذوا من أفاريس عاصمة لهم ، وترك ملكهم فيها حامية عدد رجالها ٢٤٠ ألف جندي ، مزودين بأسلحتهم لحماية حدوده ، ونشر الرعب بين القبائل الاجنبية<sup>(٢)</sup> .

وتحدثنا النصوص المصرية — كما في معبد حتشبسوت في بنى

---

(١) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن الهكسوس في كتاب آخر له (أنظر : محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠١ - ٢٢٣) .

(٢) W. C. Waddell, Menthos, London, 1940, p. 79-83.



حسن<sup>(٣)</sup> ، وبردية ساليه الاولى في عهد مرنبتاح<sup>(٤)</sup> — عن جحافل من الهكسوس هاجمت أرض مصر في أخريات أيام الدولة الوسطى ، وكانت قد بدأت تضمحل وتكبو كبوة طويلة منذ عهد الاسرة الثالثة عشرة ، فلم يجد العدو المغير أية مقاومة عند دخول الدلتا من الشرق ، غير أن هناك ما يثبت أن الهكسوس قد وجدوا مقاومة عنيفة في الدلتا ، اذ تشير تلك الجبانة الواسعة التي عثر عليها عام ١٩٤٥م في «كوم الحصن» بمركز كوم حمادة ، أن أصحابها كانوا في حالة حرب ونضال وأن كلا منهم قد اصطحب معه الى العالم الآخر أدواته الحربية ، التي فضلها على أى متاع آخر من الدنيا<sup>(٥)</sup> .

غير أن هناك وجها آخر للنظر ، يذهب الى أنه لم يكن هناك غزو بالمعنى المفهوم ، وإنما كان تسلا من العناصر الاسيوية التي استقرت في شرق الدلتا على مقربة من مواطنها الاصلية ، ربما بسبب اضطرابات انتشرت في المناطق التي تقع الى الشمال والى الشرق من مصر ، وأما بالنسبة للمصريين فقد ظهر المقتحمون ، وكأنهم من نفس أولئك الاسيويين الذين دعوهم من قبل بأسماء عامو ، ستيتيو ، منتوسانت ، قوم رتنو ، بمعنى استخدام كل الاسماء التي عرفت في الدولة القديمة والوسطى ، والتي كانت تشير الى الاسيويين الذين كانوا جيرانا لمصر ، وهذا يعنى أن المصريين — على عكس ما نقل عن مانيتو — لم يروا فيهم شعبا مجهول الاصل ، أو غازيا جديدا ، وأنهم كأولئك الذين أزعجوا الحدود الشمالية الشرقية في عصر الانتقال الاول<sup>(٦)</sup> .

وعلى أى حال ، فرغم أن كثيرا من الاسيويين كانوا في مصر ، فيما بين نهاية الاسرة الثانية عشرة وأواسط الاسرة الثالثة عشرة ، فإن تسلا

J. H. Breasted, ARE, II, 122-126.

(٣)

Ibid., p. 165-167.

(٤)

عبد المتعم أبو بكر : كفاحنا ضد الغزاة ص ٢٧ — ٢٨ .

(٥)

J. Vercoutter, op. cit., p. 392.

(٦)

W. C. Hayes, op. cit., p. 136.

وكذا

الهكسوس<sup>(٧)</sup> أنفسهم ، بمعنى العناصر التي سيطرت على مصر ، انما قام بشكل أساسى فيما بين عامى ١٧٢٠ ، ١٧٠٠ ق.م ، والتي تشمل عهود «سوبك حوتب الخامس» و «نفر حوتب الثالث» و «واح ايبرع بارع ايبر» من الاسرة الثالثة عشرة ، وكانت الخطوة الكبرى هي فرض سيطرتهم على المناطق الشرقية من الدلتا ، واتخاذ عاصمة جديدة هناك ، كان المصريون قد أطلقوا عليها اسم «حت وعرت» ، وهى اسم بقى معروفا حتى الان باسم «هواره» ثم حوره الاغريق الى «أفاريس» .

وقد اعتمد اختيار هذه العاصمة على أساس وقوعها وسط أنصار الهكسوس ، وقيامها فوق كثبان رملية تطل على فرع النيل ، وحماية المناطق لها من حولها ، ثم على أساس قربها من آخر المواطن التي وفد الهكسوس منها على مصر (أى من فلسطين) وقربها من الطريق التجارى البرى الذى يصل بين جنوب الشام ، وقد حصن الهكسوس عاصمتهم الجديدة تحصينا شديدا ، وزودوها بسهامية كبيرة العدد ، اتقاء ثورات المصريين ، من ناحية ، واتقاء الهجرات المحتملة الجديدة التي تخوفوا أن يقوم بها أقرباؤهم الاربيون أو الاموريون<sup>(٨)</sup> .

ثم بدأ الهكسوس يتجهون نحو الاستيلاء على منف ، وقد تطلب منهم ذلك أكثر من ٦٤ عاما ، كانوا أثناءها يسيطرون على مقاطعات الدلتا — ما عدا المناطق الغربية منها ، حيث كانت الاسرة الرابعة عشرة تحكم من مدينة سخا من مجاورات كفر الشيخ<sup>(٩)</sup> — وهكذا استطاع الهكسوس

(٧) اختلف الباحثون فى تفسير اسم «الهكسوس» ، فذهب رأى الى انه بمعنى ملوك الرعاة ، لان «هيك» تعنى فى اللغة المقدسة ملك و «سوس» تعنى فى اللغة الدارجة «راعى» ، وذهب رأى آخر الى انه بمعنى الملوك الاسرى ، لان كلمة هيك المصرية تعنى «أسير» ، وأرجح الآراء أن كلمة هكسوس مشتقة من اصطلاح «حقا - خست» (وتجمع حقاو - خسوت) بمعنى «رئيس البلد الاجنبية الجبلية» ، كما أنها تشير الى الحكام وحدهم ، وليس الى الجنس كله .

(٨) عبد العزيز صالح ، مصر والعراق — القاهرة ١٩٦٧ ص ١٩٠ .

(٩) J. Vercoutter, op. cit., p. 393.

(٩)

حوالى عام ١٦٧٤ ق.م ، احتلال منف ، وقد صاحب ذلك ، دون شك ، مقاومة عنيفة من جانب المصريين ، أحرقت أثناءها المدن ودمرت المعابد ، وخضع قطاع من السكان الوطنيين لقسوة الطغيان<sup>(١٠)</sup> .

هذا ويذهب «سيف سودر برج» الى أن حكم الهكسوس فى مصر ، انما كان مجرد تغيير فى القيادة السياسية ، ولم يكن غزوا واسع النطاق ، قلمت به جماعات كثيفة من عنصر أجنبى هام ، يميزه أسلوب متقدم من أساليب الحرب ، وحضارة خاصة ، وتؤكد وجهة النظر هذه شواهد أثرية معاصرة ، منها (أولا) وجود مقابر كثيرة فى مصر من عصر الهكسوس ، كتلك التى عثر عليها فى عام ١٩٦٨ فى تل الضبعة ، شريبا من قنتير ، غير أنه لا توجد أية اشارة واضحة فيها لغزو قام به شعب أجنبى من الشمال .

ومنها (ثانيا) وجود أوان فخارية أجنبية كثيرة ، غير أن تلك الاوانى لا تعدو أن تكون نتيجة ترايد مطرد للبضائع الأجنبية ، ومنها (ثالثا) عدم وجود تغيير مفاجى فى عادات الدفن ، وان كان هناك عدد محدود للغاية من المقابر فى تل اليهودية — وتقع على مبعدة ثلاث كيلو مترات جنوب شرقى شبين القناطر ، ٢٣ كيلو من القاهرة — وأبو حير الملق وسدمنت ودشاشة (بمحافظة بنى سويف) ينسب الى الهكسوس ، ورغم ذلك فان هذه الصنعة غير مؤكدة ، فمقابر أبو حير الملق — على الاقل — ترجع الى أخريات المرحلة الأخيرة من عصر الهكسوس .

ومنها (رابعا) أن ما عرف باسم «فخار تل اليهودية» على أنه من منتجات الهكسوس أمر مشكوك فيه ، ذلك أنه من الخطورة بمكان اتباع أسلوب فى البحث يؤدى الى استنتاج تحركات شعبية ، استنادا الى وجود نوع معين من الاوانى الفخارية وحدها ، ما لم يوجد فى الوقت نفسه بعض التغيرات الهامة فى عادات الدفن ، كما أنه من الممكن فى

---

(١٠) W. C. Hayes, Egypt. From The Death of Ammenemes. III, to Sequenenre, II, 1973. p. 53.



أغلب الاحايين ارجاع حدوث تغيير ما في الشواهد الاثرية ببساطة الى  
التجارة •

هذا فضلا عن أن هذا النوع من الفخار قد وجد في مصر قبل وصول  
الهكسوس اليها بزمان طويل في منطقة النوبة السفلى ومصر الوسطى ،  
وكل ما يمكن أن يقال عن العلاقة بين الهكسوس وبين أوانى فخار تل  
اليهودية ، هو أن الهكسوس ربما قد أعجبهم هذا النوع من الفخار ،  
وأن كميات كبيرة منه قد استوردت عندما كان الهكسوس يسيطرون على  
التجارة ، ومن ثم فقد أصبح شائعا في عهدهم أكثر من شيوعه في عهد  
حكومة مصرية وطنية . تكون بالطبع أشد منهم تمسكا ومحافظا على  
الطراز المصرى التقليدى •

ومنها (خامسا) أن الهكسوس قد واصلوا السياسة المصرية في  
السودان ، وهناك ما يدل على أن التجارة ظلت مستمرة مع المركز  
التجارى المصرى في «كرما» ، جنوب الجندل الثالث ، اذ لو كان هناك  
أقوام من الاجانب قد غزوا مصر بأعداد ضخمة ، وحطموا هيكل الادارة  
ونظام الحكم المصرى ، والقبضة الحربية المصرية ، فان هذا التقدم في  
الجنوب سوف يصعب عندئذ تفسيره (١١) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن المؤرخين قد اختلفوا في  
موطن الهكسوس هؤلاء ، فمنهم من ذهب الى أنهم من سلالة آرية كان  
موطنها في وسط آسيا ، وذهب آخرون الى أنهم من أعراب شبه الجزيرة  
العربية ، بينما رأى فريق ثالث أنهم من أصل سامى ، وأنهم من طائفة  
اليهود الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وان اتجه فريق من أصحاب  
هذا الرأى الى أنهم ربما كانوا أقرباء لليهود ، وليسوا يهودا •

وهناك فريق رابع يذهب الى أن الهكسوس ليسوا شعبا له جنسه

---

T. Save-Soderbergh. The Hyksos Rule in Egypt. JEA. 37, (١١)  
1951, p. 56-62.

المعين الخالص ، وانما هم مجموعة من الشعوب التي سكنت مناطق آسيا القريبة التي اضطرت الى أن تهاجر من أوطانها تحت ضغط أقوام أتوا من هضبة أرمينيا ، وعرفوا في التاريخ باسم قبائل «الخوريين» ، واستقروا في مناطق نهر الفرات الشمالية حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م ، ولقد تزعم هؤلاء الخوريون قادة ينتمون الى الجنس الارى ، وتمكنوا من أن يقيموا دولة في شمال سورية في عهد الدولة الحديثة باسم «دولة الميتان» ثم أدت غارة الخوريين هذه على مناطق سكان سورية الشمالية واستقرارهم فيها الى نشر الفرع والرعب بين سكان سورية وفلسطين. فهرب الكثيرون منهم واندفعوا نحو الجنوب ، ووصلوا في حربهم الى مصر (١٢) .

وأيا ما كان الصواب في هذه الآراء ، فما نميل اليه ونرجحه أن الوجود الهكسوسى في مصر (١٣) انما كان نتيجة تسلك بشرى أكثر منه نتيجة غزو حربى . وأنه قد استغرق عدة أجيال ، استطاعت العناصر المتسللة في نهايتها أن تسيطر على الدلتا ومصر الوسطى . حتى القوصية جنوبا ، وأن المتسللين لم يكونوا من جنس واحد ، وانما كان الساميون — من سورية وفلسطين — يتفوقون على غيرهم في العدد ، ولكن القيادة كانت للآريين ، ذلك لان الكنعانيين ما كان في استطاعتهم وحدهم أن يتمكنوا من السيطرة على الدلتا والوادي ، وهم الذين لم يقفوا يوما أمام أجناد المصريين ، فضلا عن مواطنهم الاصلية ، فلم يكونوا بقادرين

---

(١٢) أنظر عن مناقشة هذه الآراء بالتفصيل (محمد بيومى مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ١٣١ - ١٣٧) .  
(١٣) يفهم من لوحة الأربعمئة سنة المشهورة أن بداية وصول الهكسوس الى أفاريس انما كان حوالى عام ١٧٣٠ ق.م أو ١٧٢٥ ق.م ، أو ١٧٢٠ ق.م ، على أن هناك من يذهب الى أن بداية حكم الهكسوس في مصر انما كان في وقت ما في السنوات العشر ، التي تقع فيما بين عامى ١٦٦٠ ، ١٦٤٩ ق.م ، على أساس أن طرد الهكسوس انما كان بين العام السابع والعام السابع عشر من حكم أحمس الاول ، وفي التواريخ فيما بين عامى ١٥٥٢ ، ١٥٤١ ق.م (أنظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٣٧ - ١٣٩) .

وحدهم على الاستيلاء على السلطة في مصر ، إلا عن طريق جحافل قوية من الغزاة تنقض على الدلتا فجأة ، وتنزل الهزيمة بها ، الأمر الذي لم يثبت بعد .

## ٢ - ملوك الهكسوس :

نجح الغزاة الهكسوس في توطيد نفوذهم في مصر السفلى تحت قيادة مجموعة من الأمراء الآسيويين الذين نجهل أسماءهم ، وفي عام ١٦٧٤ ق.م ، يبدأ تتابع حكام الهكسوس الستة المهمين ، والذين دعاهم مانيتو بملوك الأسرة الخامسة عشرة ، وطبقا لبردية تورين فقد حكموا مائة وثمانى سنوات ، وهذا يصل بنا الى عام ١٥٦٧ ق.م ، عندما نجح المصريون بقيادة مؤسس الدولة الحديثة في طرد الهكسوس (١٤) .

ومن ثم فهناك وجهة نظر ، يتقبلها كافة الباحثين من علماء المصريات هي أن الحصر الإحصائي للبردية إنما يضم ملوكا كثيرين كانوا موجودين معا في وقت واحد ، ومن المحتمل أنهم كانوا من أنحاء متباعدة من البلاد (١٥) ، وينظر اليهم كمجرد رؤساء لقبائل آسيوية مختلفة وعديدة، متجمعين تحت لواء ملك الهكسوس الكبير .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن معلوماتنا الحالية عن أول ملكين من الأسرة الخامسة عشرة ، إنما تأتي في الدرجة الاولى من جزء من تاريخ مانيتو ، زعم يوسف اليهودي في «مجادلاته ضد أپيون» (Contra Apionem) أنه نقلها عنه ، ومن ثم فلا نستطيع سوى أن نرجع اليه ، حيث نراه يقول ، بعد أن يصف الغزو ، «وأخيرا عينوا من بينهم ملكا يدعى «سالتيس» ، وكان مقره في منف ، ففرض الضرائب على مصر العليا والسفلى ، وكان يترك وراءه حاميات في الأماكن الهامة ، وأنه قد مات بعد أن حكم ١٩ عاما ، ثم خلفه ملك آخر يدعى «بنون» حكم ٤٤ عاما (١٦) .

W. C. Hayes, op. cit., p. 58.

(١٤)

A. H. Gradiner, op. cit., p. 150.

(١٥)

W. C. Hayes, op. cit., p. 58-59.

(١٦)



ومن المحتمل أن الملك «سالتيس» إنما هو الملك «شارك» (شالك) ،  
الذى جاء ذكره في قائمة منف ، وقد عاش هذا الحاكم قبل ملك الهكسوس  
«أبو فيس» بجيل واحد ، وقبل أحمر الأول بجيلين ، وربما كان هو  
نفسه الملك «مى ايب رع ، شيشتى»<sup>(١٧)</sup> ، وقد سيطر خلفاء سالتيس ،  
وحتى أبو فيس ، على البلاد ، من مدينة الجبلين — على مبعدة ١٨ كيلا  
شمال اسنا — وحتى حدود الدلتا الشرقية ، وربما قد امتد نفوذهم حتى  
الشلال الأول<sup>(١٨)</sup> ، وإن كانت الآراء الحديثة إنما تذهب الى أن نفوذهم  
لم يمتد الى الجنوب الى أكثر من القوصية<sup>(١٩)</sup> ، على مبعدة ١٥ كيلا  
شمالي أسيوط ، اللهم الا في احتلال مؤقت قصير لاقليم الجبلين ( بى  
حتحور ) ، قام به «أبو فيس» — آخر من حمل هذا اللقب — .

وليس هناك من دليل حقيقى على أن غيره من ملوك الهكسوس قد  
تم له ذلك الأمر<sup>(٢٠)</sup> ، بل إن آثارهم تكاد تنحصر في الدلتا ، في تل  
الضبعة وتل اليهودية وتل الصحابة ، عند مدخل وادى طميلات من  
الشرق ، فضلا عن تل الفرائشة وأنشاص ( حيث دفن الحمار الذى عبده  
في مقابر هذه المنطقة في مستوى أعلى من دفن الادميين ) وفي تل بسطة  
في مجاورات الزقازيق وغيتة وغيرها من الأماكن المجاورة ، هذا فضلا  
عن أن جتسبوت لم تجد ضرورة لاعادة بناء معابد جنوبى المعبد  
الموجود الى الجنوب من مدينة القوصية ، وإن ذهب «هول» الى  
غير ذلك<sup>(٢١)</sup> .

وأما أمر جبايتهم للضرائب من مصر العليا والسفلى على السواء ،  
فموضع شك على الأقل ، ذلك لأن وجهة النظر التى ترى احتلال  
الهكسوس للبلاد كلها ، ليست سوى وهم قضى عليه النص الكبير للملك

W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, 1973, p. 59.

( ١٧ )

J. Vercoutter, op. cit., p. 394.

( ١٩ )

F. W. Von Biasing, AFOF, II, p. 327 F.

( ١٨ )

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, p. 168.

( ٢٠ )

G. Daressy, Rec. Trav., 14, 1892, p. 26, 16, 1894, p. 42.

( ٢١ )

«كاموزا» الذي يتضمن في وضوح أن الغزاة لم يتقدموا إطلاقاً فيما وراء الجبلين ، وأنهم اضطروا إلى إرساء حدودهم بعد قليل عند الأشمونين .

وجاء بعد سالتيس «مر وسر رع» (أو ياكب بعل أو يعقوب حر) ، وإن كان من الصعب أن نتصور أن «يعقوب حر» هو «بنون» أو «بيون» الذي ذكره مانيتو ، وعلى أي حال ، فيبدو أنه الملك الثاني من حكم الهكسوس الكبار ، وقد حكم ٨ أو ١٨ سنة (٢٢) .

وجاء بعد ذلك أشهر ملوك الهكسوس «خيان» ، والذي عرف عن طريق عدد من الجعول باسم «رئيس البلد الأجنبية خيان» كما وصف على بعضها بأنه «ابن رع — سا — وسر — ان رع» ، وقد جاء الاسم واللقب معاً في خرطوش واحد على غطاء من المرمر عثر عليه في قصر «كنوسوس» بكريت ، وكذا على تمثال صغير على هيئة أسد رابض جيء به من تاجر من بغداد ، ويحمل اسم العرش «سا وسر ان رع» ، وهناك تمثال من الدولة الوسطى عثر عليه في بوباستة ، يشير إلى اغتصابه إياه، بما يشبه الاغتصاب الذي قام به «عاقن رع» في تانيس ، وهو هنا يستخدم اللقب الحوري «محتضن الأرضين» ، ويعلم عن نفسه في جرأة بأنه «المحبوب من كاه» (أي روحه) ، هذا فضلاً عن كتلة في الجبلين عليها لقبه كذلك (٢٣) .

وهكذا أراد البعض أن يتخذ من تلك الآثار دليلاً على أن «خيان» قد أقام إمبراطورية عالمية تمتد من العراق وحتى كريت وتضم سورية وفلسطين ومصر ، غير أن العلماء يستبعدون ذلك لأسباب ، منها أن هناك

J. Vercoutter, op. cit., p. 395.

(٢٢)

W. C. Hayes, op. cit., p. 59-60.

وكذا

T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, p. 63.

(٢٣)

A. H. Gardiner, op. cit., p. 158.

وكذا

A. Evans, The Palace of Minos at Knossos, 1921, p. 419.

وكذا

علاقات تجارية ، فيما يبدو ، بين العراق وجزر البحر المتوسط وبين مصر ،  
وربما كان من نتائجها غطاء المرمر الذى عثر عليه فى كريت ، ومنها أن  
أسد بغداد ربما جاء به ((اسر حدون)) من مصر تذكرا لنصره هناك ،  
ومنها أن آثار الهكسوس فى مصر وغيرها مصرية الطابع ، والا لوجدنا  
فى مصر هنا متأثرا بالفن الاشورى أو البابلى \* .

ومنها ما ذهب اليه مانيتو من أن الهكسوس قد أقاموا قلاعاً من  
ناحية الشرق ، وحصنوا الحدود الشرقية ، فاذا كانوا يملكون مصر  
وما وراءها ، فلم يقيمون هذه الحصون ، وممن يخافون ؟ ومنع ذلك فربما  
كان الهكسوس يتمتعون بنفوذ فى سورية وفلسطين ، وان كان من الأرجح  
أن سلطتهم فى غربى آسيا لم تمتد كثيراً عبر الحدود الجنوبية لفلسطين ،  
وان امتدت الصلات التجارية حتى بلاد ما بين النهرين وكريت ، أما فى  
الجنوب فلم يعثر على أية أختام أو جهارين تحمل اسم ((خيان)) فى كرما ،  
هذا فضلا عن قيام دولة مستقلة فى ((بوهن)) عرف أميرها باسم (( أمير  
كوش )) (٢٤) \* .

وجاء بعد ((خيان)) الملك ((أبوفيس)) (عاسر رع) — وهو تحريف  
للإسم المصرى ((أيبى)) — وحكم أكثر من أربعين عاماً ، وقد سجل عامه  
الثالث والثلاثين على عنوان صفحة من بردية ((رند الرياضية)) ، كما أن  
هناك عتبة باب من الحجر الجيرى من الجبلين تحمل اسمه \* ويبدو أن  
الحكام الهكسوس أصبحوا الآن أكثر تمصراً ، ففى مقبرة ((أمنحتب  
الاول)) من الأسرة الثامنة عشرة ، عثر على اناء مرمرى يحمل اسم  
الأميرة ((حریت)) ابنة ((أبوفيس)) ، يبدو أنه أخذ ينتقل جيلاً بعد جيل ،  
حتى استقر آخر الامر فى مقبرة الفرعون المصرى فى طيبة ، مما أدى  
الى أن يفترض البعض زواج ((حریت)) من أمير معاصر من طيبة ، ولعل  
هذا يشير الى أن القوم كان لهم رأى أكثر تسامحاً من تلك الآراء التى

W. F. Albright, ASOR, 13, p. 72 F.  
W. C. Hayes, op. cit., p. 61.

(٢٤)

وكذا .



تعكسها المصادر المتأخرة ، وإن كان الأمر كله مجال حدس وتخمين<sup>(٢٥)</sup> .

وعلى أى حال ، فإن الصلات بين الهكسوس وحكام طيبة على عهد أبو فيس الاول تبدو طيبة في الغالب ، ولم تتغير الأمور الا قليل نهاية حكمه بقليل ، عندما بدأ الصعيد الاعلى في الثورة ضد الغزاة الاسيويين<sup>(٢٦)</sup> ، وكان على «أبو فيس» أن يتخذ العدة لترك مصر الوسطى ، وأن ينقل حدوده الى «أطفيح» — جنوبى مدينة الصف ، بمحافضة الجيزة — وأن تعبر نساء حريمه عن رعبهن ، حين يصبح أسطول طيبة تحت أسوار أفاريس نفسها ، أو عند مدينة هامة في منطقة أفاريس<sup>(٢٧)</sup> .

ويأتى بعد ذلك «أبو فيس الثانى» (عاقن رع) ، وكما نتوقع من أسرة تتداعى على حافة الدمار ، فإن اسمه — فيما عدا ظهوره على حنجر اشترى من الأقصر<sup>(٢٨)</sup> لا يوجد جنوب بوباستة في الدلتا الشرقية ، وقرب نهاية الأسرة ، فإن الحاكم الذى دعاه مانيتو «أسييس» (أسييت = أرخليس)<sup>(٢٩)</sup> ، وربما كان هو الملك «عاسح رع» الذى وجد اسمه على مسلة صغيرة من صان الحجر ، وهى الاثر الوحيد من عهده ، الذى لم يتجاوز العام أو العامين ، وعلى أى حال ، فإن المسلة رغم أنها لا تحمل اسمه الشخصى ، فمن المنطقى أنه «خام-ودى» الذى اعتبرته بردية تورين أنه الملك الاخير من الأسرة الخامسة عشرة<sup>(٣٠)</sup> .

- 
- |  |      |
|--|------|
| W. C. Hayes, op. cit., p. 61.  | (٢٥) |
| G. Daressy, Rec. Trav., 14, 1892, p. 26.                                       | وكذا |
| JEA, 3, 1916, p. 152, 37, 1951, p. 69.   | وكذا |
| J. Vercoutter, op. cit., p. 396.   | (٢٦) |
| L. Habachi, ASAE, 53, 1955, p. 200-202.  | (٢٧) |
| T. Save - Soderbergh, in Kush, 4, 1956, p. 54-55.                              | وكذا |
| W. R. Dawson, A Bronze Dagger of The Hyksos Period; JEA, GI, 1925, p. 216-217. | (٢٨) |
| W. C. Waddell, Manetho, London, 1940, p. 82-83.                                | (٢٩) |
| W. C. Hayes, op. cit., p. 63.  | (٣٠) |

وأما الأسرة السادسة عشرة — والتي يجب أن تكون معاصرة للأسرة الخامسة عشرة — فإنها بالتخمين تضم حكام الهكسوس الصغير ، من أمثال «عنت حر» و «سمقن» و «سخع وسر رع» و «سكت» و «عسا حوتب رع» و «سخع أيد رع» و «عامو» وقريباً جداً من نهاية هذه الأسرة يمكن أن نضع «نب خبش رع» (أبو فيس الثالث) ، حيث لا نجد له مكاناً في بردية تورين ، أو في أية قائمة أخرى ، ورغم ذلك فهناك عدد من الآثار الصغيرة تحمل أسماءه وألقابه الملكية ، منها خنجر برنزي وجد في مقبرة في تايوت رجل يدعى «عابد» . يدل اسمه على أنه سامي الأصل ، هذا فضلاً عن أثر آخر يحمل على أحد جوانبه اسم وصورة صاحبه «تابع سيده نحم» . وربما كان سامياً كذلك ، ونقرأ على الوجه الآخر «الاله الطيب ، سيد القطرين ، نب خبش رع ، ابن رع ، أبو فيس ، له الحياة» (٣١) .

ويرى «سير ألن جاردنر» أنه ليس هناك مجال لأكثر من ستة من الهكسوس الأقوياء ليغتصبوا عرش الفراعين ، وأن تقدير مائة وثمانين سنة ، يكفي لتدعيم هذا الرأي ، وعندئذ فإن وصف مانيتو لهم بأنهم «أول الحكام» مفضل ، ويجب في هذه الحالة أن تختفى الاسرتان السادسة عشرة والسابعة عشرة ، وهناك دلالة أقوى مقنعة هي وجود «أبو فيس» بين الحكام لدى مانيتو ، وذلك يعني أن نفس الاسم هو للهكسوسى الذى حاربه أخ أحمس ، وسلفه المباشر «كاموزا» .

وهكذا فإن الملوك الستة لا يلحقون بأول الاحتلال الاجنبى فقط ، بل بآخره ، وكذا ليس لنا أن نغفل الدليل الذى تقدمه لوحة من عصر متأخر ، تسجل سلسلة طويلة من الكهنة المفيين يذكرون أنهم مارسوا الوظائف الكهنوتية من الاب الى الابن ، ابتداء من الأسرة السادسة عشرة ، ونجد فيها أن الملك السابق لاحمس هو «ابوبى» ، الذى يتبع

W. C. Hayes, op. cit., p. 63-64.

E. Dierot and J. Vandier, l'Egypte, Paris, 1952, p. 348.

(٣١)

وكذا

بدوره «شارك» الذى كان دون شك واحدا من أواخر الهكسوس ، وفى المكان السادس قبل «شارك» نجد «عقن» خلفا مباشرا لملك يدعى «اييى» الذى يشير اسمه الى أنه من مولد مصرى ، وربما كان هو صاحب الاسم المسجل فى منتصف العمود السابع من بردية تورين ، وهناك افتراض به بعض الجراحة قد يؤدى بنا الى أن نقرن «عقن» بالملك «عقن رع ايوبى» ، والنقطة الهامة فى هذه اللوحدة الممفية هى أنها تغطى كل عصر الهكسوس ، ونستطيع تبعا لذلك ألا نشير لأكثر من ست مدد للحكم ، ان سلمنا بأن طول كل مدة منها عادى .

وأما شخصيات الهكسوس الاضال شأننا ، والذين عرفناهم من الجعول والاختام الاسطوانية ، فيبدو أن هؤلاء كانوا أول المعتدين الذين كانوا يأملون فى السيادة ، قبل أن يستطيع الملكان خيان وأبوفيس أن يصلوا الى هذا الهدف ، غير أن هناك افتراضا آخر ، هو أن هذه الاشياء التى ذكرت كأثر لهم كانت من أصل فلسطينى ، وقد خلدت ذكرى أسماء أضال شأننا اصطنعوا الالقاب الفرعونية ، دونما أى حق ، ومع ذلك فهذه كلها افتراضات ويجب أن نكرر أن الأسرة السادسة عشرة لدى مانيتو ملفقة تماما ، وأن أسرته السابعة عشرة يمكن أن تعد عنوانا ينطوى تحت لوائه الإبراء الطيبون (٣٢) .





## الفصل الثالث

### حرب التحرير

#### ١ - الاسرة السابعة عشرة :

يتفق الباحثون - أو يكادون - على أن الملك «رع حوتب» (سخم رع واح خاعو) هو مؤسس الاسرة السابعة عشرة الطيبية ، وقد جاء اسمه في قائمة الكرنك وبردية تورين ، وفي لوحة من قفط ، ونقش من أبيدوس ، وفي قصة من عصر متأخر ، وربما كان الملك التالي هو «سخم رع وب ماعت أنيوتف» الخامس (الأكبر) ، الذي دفن بعد حكم دام ثلاث سنوات في منطقة ذراع أبو النجا ، ثم خلفه أخ له يدعى «سخم رع ، حرو حر ، أنيوتف السادس» لأشهر قليلة<sup>(١)</sup> ، ثم جاء من بعده «سوبك ام سا اف» (سخم رع شد تاوى) الذي حكم ستة عشر عاما ، والذي وصف في تقرير التفتيش على مقبرته بأنه «الملك العظيم» ، ويرجح البعض أنه هو الذي دفع الهكسوس الى شمال القوصية غير أن هناك في بردية رند الرياضية ما يشير الى استمرار نفوذ الهكسوس في طيبة حتى العام ٣١ من حكم «سا وسر رع ، أبو فيس»<sup>(٢)</sup> .

وكان تحوتب (سخم رع سمن تاوى) هو الملك التالي «وقد جاء اسمه في قائمة الكرنك ، وفي أثرين من نقادة والدير ، ولكنه ترك العرش بعد عام من الحكم للملك «سنخ ان رع» (مونتو حوتب السادس) ، والمعروف لنا من تمثالين من ادفو ، ثم جاء بعد ذلك خمسة ملوك لانعرف

H. E. Winlock, JEA, 10, 1924, p. 121-6. 234-237.

(١)

W. C. Hayes, op. cit., p. 66-67.

وكذا

(٢) جان يويوت : المرجع السابق ص ١٠٢ .

J. Vercoutter, op. cit., 406.

وكذا

عنهم سوى أسمائهم، وهم «سواج ان رع» ثم «نب اري ار أوت الثانى»  
(نفر كارع) ثم «سى وسر ان رع» ثم «سمن مدجات رع» ثم «سخم  
رع شد واست» •

وأما المجموعة الثانية من الامراء فمتمكون من خمسة حكام ، فقدت  
أسماءهم من بردية تورين ، ورغم ذلك فليس ثمة شك فى أن الثلاثة  
الآخرين هم محرروا مصر من الهكسوس ، وهم «سقن رع ، تاعو ،  
الاول» (الأكبر) و «سقن رع تاعو الثانى» (الشجاع) ثم «وادج  
خبر رع» (كاموزا) ، وقد أكدت الأدلة الأثرية هذا التتابع ، والمشكلة  
هنا هى تحديد سلفيهما المباشرين ، غير أننا نستطيع أن نجعل «نوب  
خبر رع» (انيوتف السابع) رأس تلك المجموعة من الملوك الجدد  
الاقوياء ، الذين يظهرون فى طيبة كعلامة واضحة للتحدى الخطير الاول  
لقوة الهكسوس ، كما يعد كذلك «سنخت ان رع» كخلف له (٣) •

## ٢ - سقن رع - تاعو الثانى ، وبدء حرب التحرير :

لا ريب فى أن بداية الصدام بين الملوك الوطنيين فى طيبة ، وبين  
المغتصبين فى أفاريس إنما يبدو غامضا الى حد ما (٤) ، ومصدرنا الوحيد  
فى ذلك قصة ، ربما كانت خيالية ، من عصر مرنبتاح من الاسرة التاسعة  
عشرة تعرف باسم «بردية سالييه الاولى» ، والتى تلخص لنا كيف بدأ  
ملك الهكسوس يتحرش بأمر طيبة عندما أدرك أنه بدأ يعد العدة لطرد  
الغزاة من البلاد ، فيلحق له اتهاماً سخيفاً مؤداه أن فرس النهر فى طيبة  
كان يصدر خوارا بالليل يمنعه من النوم ، ومن ثم فقد طلب منه أن  
«اعمل على طرد فرس النهر الذى فى حوش مدينتك (أى طيبة) لانه  
يقض مضجعى نهارا وليلا ، وأن الضوضاء تؤذى أذنى» •

H. Gauthier, ASAE, 31, 1931, p. 1-6.

(٣)

W. C. Hayes, op. cit., p. 68-71.

وكذا

(٤) أنظر عن حرب التحرير : محمد بيومى مهران : حركات

التحرير فى مصر القديمة ص ١٦١ - ٢٢٣ •



ويصل رسول أبو فينس إلى طيبة ، ويسأله أمير المدينة : لماذا جئت إلى مدينة الجنوب ، ولم قمت بهذه الرحلة حتى مثلت بين يدي ؟ ويجيبه الرسول بأن أميره أبو فينس هو الذي أرسله إلى هنا ، ثم سرعان ما يقص عليه الهدف من رحلته ، وتعتقد الدهشة لسان أمير طيبة ، حتى أنه يسأله في النهاية : هل سمع سيدك حقا ، وهو في تلك البلاد النائية عن بركة أفراس النهر ، الواقعة شرقي مدينة الجنوب ، ويجيب الرسول : فكر فيم بعثني من أجله مولاي ؟ \*

وهكذا يبدو واضحا أن الأمر ليس أمر أفراس النهر التي لا يمكن أن تصل أصواتها من طيبة إلى أفاريس التي تبعد عنها مئات الأميال ، ولكنه أمر تلك المشاعر الوطنية التي بدأت تقلق مضاجع الهكسوس في شرقي الدلتا ، بعد أن ظل أبناؤها حيناً من الدهر يطوونها في صدورهم ، وبعد أن باتوا يجثرون ذكريات تلك الأيام النكدة ، منذ أن حل الهكسوس في أرض الكنانة الطيبة ، ولعلهم الآن بدأوا يرفعون راية التحرير ، ومن ثم فاعل أبو فينس أراد أن يقول في رسالته إلى «سقن رع» ان المؤامرة التي تحاك ضدي في طيبة تعكر على صفو حياتي ، ثم هي أخيرا تتعذر من أبو فينس لأمير طيبة ، يطلب منه أن تجمد تلك المشاعر فوراً ، والا فليتحمل النتائج \*

ومع ذلك فقد استطاع الأمير الصعيدي أن يكظم غيظه وأن يتظاهر بالاعتناع ، بل وأن يأمر بأن تكرم وفادة الرسل ، وأن يقدم لهم كل طعام طيب ، ثم يطلب من رسول أبو فينس أن يعود إلى سيده ، وأن يبلغه بأن «سقن رع ، ناعو الثاني» سوف يستجيب لمطلبه ، وما يكاد الرسل يعودون إلى أفاريس ، حتى يستدعى «سقن رع» مستشاريه ، ويحيطهم بالأمير علماً ، ويطلب منهم النصيح والمشورة ، «غير أنهم سكتوا جميعاً لما نالهم من أسى ، ولم يعرفوا بماذا يجيبون ، خيراً كان أو شراً» (٥) \*

LAE, p. 165-167 JEA, 5, 1918, p. 40-45. ANET. p. 231-232.

(٥)

وهنا ينقطع النص ، ولم نعثر على وثيقة أخرى تجكى لنا بقية الحدث الخطير ، حتى بات من الصعب علينا أن نصيب كبد الحقيقة في أمرنا هذا ، وأن كان الأمر الذى لا ريب فيه أن الحرب قد قامت بين أبناء الصعيد الأعلى وبين الهكسوس ، وأن النصر كان من نصيب أبناء الصعيد تحت قيادة «سقن رع» الذى دفع حياته ثمنا لهذا النصر ، وأنه قد طرد الهكسوس — ومن تابعهم من ضعاف النفوس — من مصر العليا الجنوبية ، ودفع بهم الى الشمال حتى القوصية وأن تسجيل القصة نفسها ربما كان تسجيلا لانتصار «سقن رع» على أبو غيس ، والذى ربما كان هو نفسه الذى سيصبح عدوا لمولده «كاموزا»<sup>(٦)</sup> .

### ٣ - كاموزا ودوره في الجهاد :

لم تكد الاخبار تأتي باستشهاد البطل «سقن رع» في حومة الوغى ، حتى هب ولده وخليفته «كاموزا» (وادمج خبر رع) يقود الثورة ويتم رسالة أبيه ، وقد سجلت معارك التحرير التى خاضها فوق أثرين : لوح كارنارفون<sup>(٧)</sup> ، ولوح الكرنك<sup>(٨)</sup> ، وقد جاء في لوح الكرنك ( وهو جزء من اللوحة الاصلية التى نقلت عنها لوحة كارنارفون ) : « السنة الثالثة لملك القوى في طيبة ، كاموزا ، الذى عينه رع ملكا حقيقيا ، ومنحه القوة في رضى تام ، تحدث جلالته في قصره الى مجمع الكبراء الذين في حاشيته ، قائلا : «أريد أن أعرف ما معنى قوتى هذه ، حين يكون هناك رئيسا في أفاريس ، وآخر في كوش ، وأنا جالس بين أسىوى ونوبى وكل منهما يمتلك جزءا من مصر ، وأنا لا أستطيع أن أتجاوز منف ، هاك انه يضع يده على خمون ، وليس هناك توقف عن النهب بسبب العبودية للستيو ، انى سأصارعه وأبقر بطنه ، ان رغبتى أن أخلص مصر ، وأن أضرب الاسيويين ، وعندئذ قال كبار القوم في مجالسه : هاك ان الجميع موالون للاسيويين حتى القوصية ونحن مطمئنون في نصيبنا من مصر ،

W. C. Hayes, op. cit., p. 72.

(٦)

JEA, 3, 1916. p. 95-110. 5. 1918. p. 45-47.

(٧)

ASAE, 35, 1935, p. 97-121. 39. 1939. p. 245-271.

(٨)

الييفانتين قوية ، والقسم الأوسط معنا حتى القوصية ، والنابس يحرثون  
لنا أجمل أراضينا ، وماشيتنا ترعى في مناقع البردى ، إن الحبوب  
ترسل الى خنازيرنا ، وماشيتنا لا تستلب»<sup>(٩)</sup> .

وهكذا جمع كاموزا رجال بلاطه ليسترشد برأيهم ، وليتدبر معهم  
أمر هذا العدو الجاثم على صدر البلاد ، وربما ليحصل منهم على قرار  
بإعلان الحرب على الهكسوس ، غير أن الحاشية انما كانت ترى انه ربما  
كان من الانسب ، لظروف معينة ، ألا يبدأ كاموزا بالعدوان .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن النص انما يشير الى أن مصر  
انما كانت عشية إعلان كاموزا للحرب ضد الهكسوس تتقاسمها قوى  
ثلاثة ، الهكسوس ويسيطرون على الدلتا ومعظم مصر الوسطى ، من  
منف الى القوصية . وكانت النوبة تكون دريلة مستقلة ، عاصمتها «بوهن»  
(أمام وادي حلفا) ، ومن ثم فلم يبق تحت حكم كاموزا ، سوى مصر  
العليا ، كما يشير النص كذلك الى أن أشراف طيبة انما كانوا يرعون  
ماشيتهم في مناقع البردى في الدلتا ، ويحرثون الحقول في الشمال  
ليحصلوا على الحبوب لإطعام الخنازير والماشية ، وأن ذلك قد تم بين  
الطيبيين والهكسوس<sup>(١٠)</sup> ، نتيجة للحرب بين أبو فيس وسقن رع<sup>(١١)</sup> .

ويتابع النص الرواية ، فيقول ، على لسان كاموزا ، « أبحرت  
شمالا في عزم وقوة لاغلب الاسيويين بأمر آمون أعذل الناصحين ، وكان  
جيشي أمامي كلفحة اللهب ، وكان جند المدجا يقفون عاليا فوق قمراتنا ،  
ليراقبوا السقيو ويدمروا مواقعهم ، وكان الشرق والغرب يتملكان خيرة  
ما كان لهم ، وكان يتم تموين الجيش بكل شيء في كل مكان» ويحدثنا  
النص أن كاموزا ما ان وصل الى الشمال من الاشموين ، حتى بدأ في  
معاقبة من يدعى «تنتى بن ببي» الذي جعل من مدينته «نفروسي» شمال

A. H. Gardiner, op. cit., p. 166.

١. A. Wilson, op. cit., p. 167.

G. H. James, CAH, II, Part, I, 1973, p. 290.

(٩)

(١٠)

(١١)



الاشمونين ببضعة كيلو مترات ، وكرا للاسيويين ، «ولما أضلعت الارض ،  
انقضضت عليه كالصقر ، كان ذلك في وقت تطهير الفم (ساعة الظهيرة)  
فهزمته ودمرت أسواره ، وذبحت قومه ، وجعلت زوجته تأتي الى خفة  
النهر ، كان جنودى كالا سود مقابل فريستهم ، فاقتسموا فيما بينهم  
ممتلكاتهم من العبيد والماشية واللبن والدهن والعسل (١٢) .

ويستمر بطلنا الشجاع في تقدمه نحو الشمال ، ويكتب له نجحاً  
بعيد المدى في طرد الهكسوس من مصر الوسطى ، والاستيلاء على  
منف ، ومن ثم فقد أصبحت مصر العليا والوسطى ، سواء بسواء ، تحت  
سلطان كاموزا ، وبالتالي نستطيع أن نقدر أن الهكسوس قد ارتدوا الى  
الشمال واعتصموا بعاصمتهم أفاريس ، وفي مجاوراتها ، ومن حولها ،  
كانت خواتيم تلك الحرب على أرض هذا الوادى التى انتهت بطرد  
الهكسوس من مصر .

وفي يولييه من عام ١٩٥٤م ، كشف الدكتور محمد حماد في معبد  
الكرنك في طيبة عن لوحة تروى في اغاضة الجهود الحربية التى قام بها  
«كاموزا» على مقربة من قلعة أفاريس يقرع عدوه بالمفاخرة والتهديد ،  
وقد سجل تتابع الاحداث في اسهاب ، وفي لغة جد بليغة (١٣) ، مما يشير  
الى وصول كاموزا الى مقاطعة أفاريس ، ثم سرعان ما عمل رجاله على  
قطع الامدادات التى كانت تصل الى الهكسوس عن طريق فرع النيل ،  
وهنا ينقسم الهكسوس على أنفسهم ، ويخرج البعض منهم على طاعة  
مليكمهم ، ويحرز كاموزا نصرا في بعض المواقع ، ثم يصف دخوله الى  
احدى المدن في أسلوب لطيف ، حيث يقول : «لمحت نساء العدو فوق  
دياره يتطلعن من النوافذ ، وحين رأيننى لم يستطعن حراكا ، وأخذن  
يتلصحن من خلال الابواب والجدران كأفراخ القطا من جحورها» (١٤) .

(١٢) A. H. Gardiner, op. cit., p. 166-167.

(١٣) L. Habachi, ASAE, 53, 1955, p. 195-202.

وكذا M. Hammad, Chronique d'Egypte, 30, 1955, p. 198-208.

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٠ .

ثم يتحدث كاموزا بعد ذلك عن حرب خاض غمارها على صفحة الماء، فيذكر انتصاره على عدوه ، ويعد الغنائم التي استولى عليها ، ومن بينها ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الارز ، ثم يبدأ المحارب الصعيدي الشجاع ينتقم لمواطنيه ، فيتحدث كيف أنه لم يترك لاغاريس شيئا ، وربما يعنى ملكها ، وكيف أنه أخذ بثأر كل ما فعله الهكسوس بمصر من تخريب لمدنها ، وحرق لديارها ، محولا اياها الى أكوام حمراء<sup>(١٥)</sup> .

وهنا نأتى الى فقرة بالغة الاهمية في التاريخ السياسى لمصر فى نهاية عصر الهكسوس ، اذ يتحدث النص عن تطور مفاجىء خطير ، ذلك أن ملك الهكسوس انما قد حاول أن يوقع كاموزا بين فكى الكماشة،فيرسل الى أمير كوش— عن طريق الواحة البحرية — يطلب منه عوننا سريعا ، ولكن كاموزا علم بالامر ، فأرسل سرية من جيشه ، استولت على الرسالة وأطلقت الرسل لينقلوا الى ملك الهكسوس خيبة أمله ، وفشل مسعاه ، ثم احتلت الواحة البحرية حتى تمنع الاتصال بين الهكسوس وكوش<sup>(١٦)</sup> .

#### ٤ - أحمس بطل التحرير :

كان أحمس هو بطل التحرير الثالث الذى كتب له نجحا بعيد المدى فى تطهير البلاد من كل أثر للرعاة الهكسوس ، ولعل من مفارقات التاريخ اننا لا نملك وثيقة رسمية عن طرد الهكسوس من مصر ، وأن التقرير المعاصر الوحيد للحملات النهائية فى نقش مقبرة «أحمس بن ابانا» فى الكاب<sup>(١٧)</sup> ، وهو ممن شاركوا فى حرب التحرير ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، ونال تقدير مليكه ، فأنعم عليه بمنحه «ذهب الشجاعة» ، كما أغدق عليه نحوا من سبعين فدانا ، فضلا عن تسعة عشر رقيقا ، ومن أسف أننا لا نجد فى سيرة «أحمس الكابى» هذا ، كثيرا من التفاصيل عن الحملات المتتابعة التى شارك فيها ، وانما نراه يفصل فى تاريخ

L. Habachi, op. cit., p. 201.

(١٥)

T. G. H. James, op. cit., p. 291-292.

(١٦)

JEA, 5, 1918, p. 48-51, ARE, II, p. 3-9.

(١٧)

ANET, p. 233-234.

حياته ، فيحدثنا أنه قد شارك في مجموعة من الهجمات على أفاريس ومجاوراتها ، وأنه قد رقى الى امارة سفينة كبيرة تدعى ((ضوء منف)) .

وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى أن القتال حول أفاريس كان عنيفا ، وربما دام عدة سنوات ، حتى تم اخضاعها ، على أن يوسف اليهودى انما يزعم — نقلا عن مانيتو — أن الهكسوس قد استسلموا لاهمس الاول ، على أن يخرجوا بأمتعتهم وقواتهم ( ٢٤٠ ألف ) دون أن ينالهم أى أذى ، وان كذبت الاحداث السابقة هذه الرواية (١٨) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد تحصن الهكسوس بعد طردهم من مصر في ((شاروحين)) ، في جنوب غربي فلسطين ، وأسرع احمس الاول الى حصارهم فترة دار حولها جدل طويل ، فمن خالها أعواما خمسة ، ومن ظنها ستة أعوام ، وان كان العلماء يرجحون الان أنها لم تتجاوز أعواما ثلاثة ، وعلى أى حال ، فلقد نجح احمس آخر الامر في الاستيلاء على شاروحين ، ثم تابعهم حتى ((زاهى)) (١٩) ، وهذا يعنى أن الفرعون لم يظهر مصر من الهكسوس فحسب ، بل ظهر منهم كذلك — وريية وفلسطين (٢٠) ، حتى يأمن غدرهم ومعاودتهم المدوان ، ورغبة في أن يوجه اهتمامه نحو الجنوب لاسترداد النوبة ثانية الى حظيرة النفوذ المصرى ، وتسجل نقوش ((أحمس بن ابانا)) في مقبرته بالكاب ثلاث حملات على النوبة في عهد احمس الاول ، استطاع الفرعون بعدها استعادة سيادة مصر هناك ، حتى أننا لم نسمع بعد ذلك عن أية محاولة للغصيان ، وربما قد ساعد على ذلك ضعف الرغبة عند السكان المتصرين في مقاومة تغيير السيادة من أمير كوش الى الفرعون المصرى فضلا عن إعادة توطيد الحكم المصرى في النوبة ، انما كان في الواقع انضباطا

W. C. Waddell, op. cit., p. 89.

(١٨)

T. G. H. James, op. cit., p. 293-294.

وكذا

ARE, II, p. 8-12, PSEA, 15, p. 258.

(١٩)

(٢٠) أنظر عن دور المرأة في حرب التحرير (محمد بيومى مهران :

حركات التحرير في مصر القديمة ص ٢١١ - ٢٢٣) .



سياسيا أكثر منه اخضاعا دمويا ذلك لان عملية التمهير التي كانت قد بدأت منذ أيام الدولة الوسطى قد أتت ثمارها الان (٢١) .

---

T. G. H. James, Egypt, From The Expulsion of The Hyksos to Amenophis, I, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, p. 296-297.

(٢١)



## الباب السادس

قصة يوسف عليه السلام في مصر

ويتكون من :

الفصل الاول : يوسف فيما قبل الوزارة

الفصل الثانى : يوسف عزيز مصر





# الفصل الأول

## يوسف فيما قبل الوزارة

### ١ - يوسف واخوته في كنعان :

يوسف الصديق عليه السلام هو : يوسف النبی بن یعقوب لنبي بن اسحاق النبي بن ابراهيم النبي ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد أثنى عليه ربنا جل جلاله في القرآن الكريم بقوله تعالى « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » ، كما أثنى عليه سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ، حيث وصفه بقوله الشريف « ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » ، وقد جاءت قصته في سورة كاملة من القرآن الكريم هي سورة يوسف (١) .

---

(١) أنظر عن قصة يوسف كاملة من وجهة النظر الاسلامية : سورة يوسف آية ١ - ١٠٢ ، تفسير الطبري ٥٤٧/١٥ - ٥٨٦ ، ١/١٦ - ٣١٥ (دار المعارف) تفسير الفخر الرازي ٨٣/١٧ - ٢٩٩ ، تفسير الطبرسي ١٣٤٠ - ١٣٤١ ، تفسير النسي ٣٥٢/٢ - ٣٩٧ ، تفسير أبي السعود ٧٧/٣ - ١٤٣ ، في ظلال القرآن ١٩٤٩/٤ - ٢٠٣٧ (بيروت ١٩٨٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٢/٤ - ٤٢ ، تفسير ابن كثير ٢٩٤/٤ - ٣٤٩ ، تفسير القرطبي ص ٣٣٤٧ - ٣٥٠٦ ، تفسير المنار ٢١٣/١٢ - ٢٦٨ ، مسند رشيد رضا : تفسير سورة يوسف (الفاهرة ١٩٣٦) ، صفوة التفاسير ٣٩/٢ - ٧١ ، تفسير الجلالين ص ٣٠٢ - ٣٢٠ ، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣/٤ - ٤١ ، تفسير الخازن ٢٦٢/٣ - ٢٩٣ ، تفسير ابن كثير (على هامش الخازن) ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٧/١ - ٢٢٠ ، تاريخ الطبري ٣٣٠/١ - ٣٦٤ ، تاريخ ابن خلدون ٤٤/٢ - ٤٧ ، تاريخ ابن الاثير ٧٨/١ - ٨٨ ، تفسير ابن عباس ٤٩٧/٢ - ٥٠٢ ، حسن محمد باجودة : الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام ، جدة - ١٩٨٣ م ، صحيح البخاري ٩٤/٦ - ٩٨ (دار الحديث - القاهرة) .

هذا وتشير التوراة الى أن يوسف الصديق قد ولد لابيه من زوجه الثانية «راحيل» ، ابنة خال أبيه لابان في «حاران» (وتقع على نهر بلخ على مبعدة ٦٠ ميلا من اتصاله بالفرات ، والى الغرب من تل حلفاء، وعلى مبعدة ٢٨٠ ميلا الى الشمال الشرقى من دمشق) ، وكان يعقوب عليه السلام قد تزوج من أختها الكبرى «ليئة» ، ثم تزوج من راحيل ، ثم من جاريتها بلهة ، ثم من زلفة جارية ليئة<sup>(٢)</sup> ، وهكذا جمع يعقوب تحته الشقيقتين ، فضلا عن جاريتيهما ، وكان ذلك ، فيما يرى ابن كثير ، سائعا في ملتهم ، ثم نسخ في شريعة التوراة ، وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ ، لان فعل يعقوب عليه السلام دليل على جواز هذا وإباحته لانه معصوم<sup>(٣)</sup> ، بل ان الطبرى<sup>(٤)</sup> يرى في ذلك قوله تعالى «وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف» ، وان كان المفسرون يجمعون أو يكادون على أن المراد بقوله تعالى «الا ما قد سلف» أى في الجاهلية قبل الاسلام ، وليس قبل نزول التوراة ، كما ذهب ابن كثير ، أى أن النسخ كان بالقرآن ، وليس بالتوراة ، وعلى أية حال ، فلقد ماتت راحيل أم يوسف ، وهى تضع ابنها الثانى «بنيامين» ودفنت في بيت لحم (على مبعدة خمسة أميال جنوبى القدس) حيث ولد داود والمسيح عيسى بن مريم ، عليهما السلام<sup>(٥)</sup> .

هذا وقد رزق يعقوب من زوجاته الأربع بلثنى عشر ولدا ، فضلا عن ابنته دينة التى ولدتها ليئة ، وهكذا «كان بنو يعقوب اثنى عشر ، بنو ليئة راؤبين بكر يعقوب وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ، وأبناء راحيل يوسف وبنيامين ، وأبناء بلهة جارية راحيل ، دان ونفتالى،

(٢) تكوين ٢٢/٢٩ ، ٢٨ ، ٣٠/٥ ، ٩ .

(٣) تاريخ ابن كثير ١٩٥/١ .

(٤) تاريخ الطبرى ٣٢٠/١ .

(٥) تكوين ١٩/٣٥ - ٢٠ ، تاريخ ابن كثير ١٩٧/١ ، محمد بيومى

مهران : اسرائيل ٦٤٦/٢ (الاسكندرية ١٩٧٨) ، وانظر عن قصة يوسف

من الناحية التاريخية ودخول بنى اسرائيل مصر (محمد بيومى مهران -

اسرائيل ٢١٢/١ - ٢٦٠ - الاسكندرية ١٩٧٨) .



وأبناء زلفة جارية لبيثة ، جاد وأشير ، هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا في  
غدان أرام»<sup>(٦)</sup> ، ثم هاجر يعقوب ببنيه وزوجاته إلى كنعان (فلسطين)  
حيث عاشوا في «حبرون» (وتقع على مبعدة ١٩ ميلا جنوب غربي  
المقدس ، وهي مدينة الخليل الحالية ، وفيها قبر إبراهيم وسارة وإسحاق  
ويعقوب ، حيث يقوم اليوم مسجد كبير هو الحرم الابراهيمي) وظلوا  
هناك في أرض كنعان حتى هاجروا إلى مصر بدعوة من الصديق عليه  
السلام .

وهكذا عاش الصديق مع أبيه وأخوته حينما من الدهر في كنعان ،  
كان الصديق أحب الأخوة إلى أبيه يعقوب النبي عليه السلام ، لأنه  
كان ، فيما تزعم تورااة اليهود ، «يأتى بنميمتهم المردية إلى أبيهم» ،  
ولأنه «ابن شيخوخته» ولأنه صنع له من دونهم قميصا ملونا ، ولأنه  
رأى حلمين فسرهما أخوته على أنه سيكون سيذا عليهم ، أما أولهما :  
«فهانحن حازمون حزما في الحقل ، وإذا حزمتمى قامت وانتصبت  
فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتمى» ، وأما الثانى فقد رأى فيه «وإذا  
الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لى ، وقصه على أبيه وعلى  
أخوته ، فانتهره أبوه ، وقال له ما هذا الحلم الذى حلمت ، هل نأتى  
أنا وأهلك وأخوتك لنسجد لك إلى الأرض ، فحسده أخوته ، وأما أبوه  
فحفظ الامر»<sup>(٧)</sup> ، ولم يشر القرآن الكريم إلا إلى الرؤيا الأخيرة ، وأن  
أباه أمره أن يكتم رؤياه عن أخوته ، يقول تعالى «إذ قال يوسف لأبيه  
يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ،  
قال يا بنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا أن الشيطان  
للإنسان عدو مبين»<sup>(٨)</sup> .

(٦) تكوين ٢٢/٣٥ - ٢٦ .

(٧) تكوين ١/٣٧ - ١١ .

(٨) سورة يوسف : آية ٤ - ٥ ، وانظر : تفسير الطبرى ٥٥٤/١٥ -

٥٥٩ ، تفسير المنار ٢٩٠/١١ - ٢٩٩ ، تفسير ابن كثير ٢٩٧/٤ - ٢٩٩ ،

تفسير الخازن ٢٦١/٣ - ٢٦٣ ، تفسير القرطبي ص ٣٣٤٩ - ٣٣٥٧ .

وهكذا عرف يعقوب ، كما جاء في تفسير أبي السعود ( ٢٥٢/٤ ) ، من رؤيا يوسف أن الله تعالى سيبلغه مبلغا جليلا من الحكمة ، ويصطفيه للنبوة ، وينعم عليه بشرف الدارين ، فخاف عليه حسد الاخوة ، ونصحه بأن لا يقص رؤياه عليهم فيكيدوا له ، مع أن يعقوب كان يعلم أنهم ليسوا بمقادرين على تحويل مادلت الرؤيا عليه ، وقبـد جاء في الاثر «استعيتوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فان كل ذى نعمة محسود» .

وهكذا بدأ اخوة يوسف يضمرون له الشر ، لانه أحب الى أبيهم منهم «قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ، ان أبانا لفي ضلال مبين» ، والآية الكريمة تشير الى ايثار يعقوب ليوسف وأخيه عليهم ، وهم عصبة (والعصبة والعصابة : العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم) ويقول الشيخ الشعراوى فى الفتاوى : ان ايثار فرد بالحب عن الآخرين ينشئ فى نفس الآخرين عقدة النقص التى تؤدى الى أن يكون السلوك غير منطقي على المبدأ الخلقى ، ولذلك حين أجس اخوة يوسف بأن يوسف وأخاه أحب الى أبيهم منهم ، فكروا فى أن يزيحوا ذلك الحب من طريقهم وقالوا : نحن عصبة ، ولو أنهم فهموا بعض الفهم لعرفوا أنهم جاءوا بحيثية امتياز ذلك الصغير بالحب ، لانهم عصبة ، ولانهم أشداء ، وهو صغير يعطف عليه ، فلا يقيسوا العطف والحب هنا على العطف والحب عليهم ، لانهم اجتازوا مرحلة العطف والحب ، فالانسان منا يحب صغيره لانه يعتقد أن هذا الصغير بالنسبة لاختوته هو أقصرهم عمرا معه ، وأنه فى حاجة مع العجز الى شئ كثير من الحب ، فلو أن الكبار فهموا تلك العلاقة لما جعلوها عيبا فى الاب (٩) .

وعلى أية حال ، فالآية ، كما فى ظلال القرآن (١٠) ، لا تشير الى

---

(٩) محمد متولى الشعراوى : الفتاوى ٧١/١٠ - ٧٤ (بيروت ١٩٨٢) .  
(١٠) فى ظلال القرآن ١٩٧٣/٤ (بيروت ١٩٨٢) .

علمهم برؤياه ، ولو كانوا قد علموا برؤياه لجاؤ ذكرها على ألسنتهم (١١) ،  
ولكانت أدعى الى أن تلهج ألسنتهم بالحق عليه ، فما خافه يعقوب على  
يوسف لو قص رؤياه على اخوته قد تم عن طريق آخر ، وهو حقدهم  
عليه لا يثار أبيهم له ، ولم يكن بد أن يتم لانه حلقة في سلسلة الرواية  
الكبرى المرسومة لتصل بيوسف الى النهاية المرسومة ، والتي تمهد لها  
ظروف حياته وواقع أسرته ، ومجيئه لآبيه على كبره ، وأصغر الابناء  
هم أحب الابناء ، وبخاصة حين يكون الوالد في سن الكبر ، كما كان  
الحال مع يوسف وأخيه ، واخوته من أمهات ، وهكذا بدأ الحقد يغلى  
في نفوس اخوة يوسف ، ويدخل الشيطان بينهم ، فيختل تقديرهم  
للواقع ، وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة ، وتهون أحداث ضخام ،  
تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في ازهاق روح غلام برىء لا يملك دفعا  
عن نفسه ، وهو أخ لهم ، وهم أبناء نبي ، وان لم يكونوا هم أنبياء ،  
يهون هذا ، وتتضخم في أعينهم حكاية ايثار أبيهم له بالحب ، حتى  
توازي القتل ، أكبر جرائم الارض قاطبة ، بعد الشرك بالله ، وهكذا  
دبروا له مكيدة ، كي يخلو لهم وجه أبيهم ، وأنجزوا خطتهم للتخلص  
منه ، بأن «أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتذونوا  
من بعده قوما صالحين» (١٢) .

وفي الواقع ، فان قصة الصديق ، كما جاءت في التوراة والقرآن  
العظيم ، انما تشير بوضوح الى أن اخوته انما ظلوا ردحا من الزمن  
ضحايا الكبت الذي عانوه ، كي يخفوا رغبتهم في التخلص من يوسف  
رغبة في أن يخلوا لهم حب أبيهم ، ولكنهم كانوا يفشلون في اخفائها

---

(١١) جاء في تاريخ ابن الاثير : أن امرأة يعقوب سمعت ما قال يوسف  
لآبيه ، فقال لها يعقوب : اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادك ،  
قالت نعم ، فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعى أخبرتهم بالرؤيا ، فازدادوا  
حسدا وكراهة له وقالوا : ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا  
بالكواكب غيرنا ، ان ابن راحيل يريد أن يتملك علينا ويقول : أنا  
سيدكم» (الكامل في التاريخ ١/ ٧٨ - ٧٩) .  
(١٢) سورة يوسف : آية ٩ .



وكبتها ، بل كثيرا ما كانت تبدو فيما يصدر منهم من مواقف أو كلمات ضد يوسف ، مما جعل أباهم يعقوب يشك في حسن نواياهم ، عندما دعوا يوسف ليلعب معهم<sup>(١٣)</sup> ، فقال لهم «وأخاف أن يأكل الذئب وأنتم عنه غافلون»<sup>(١٤)</sup> ، وهو في الواقع إنما كان يتخوف عليه من عدوانهم أكثر مما يتخوف عليه من عدوان الذئب ، ولكنه أراد أن يصرفهم عنه بتلأ التلأ ، ولكن أخوة يوسف كانوا بارعين في الدهاء ، فقالوا لأبيهم «لئن أكله الذئب ونحن عصبة أنا إذا لخاسرون»<sup>(١٥)</sup> .

وهكذا كان من نتيجة الكبت الذي عانوه أن انصرفوا بتفكيرهم ، فكل ما كان يهمهم تحقيقه هو أن يحولوا بين يوسف وأبيه فاتفقوا على قتله ، وتلطيح قميصه بالدم ، وادعاء أن الذئب أكله ، لما ذهبوا يتسابقون وتركوه عند متاعهم ، غير أن التلفيق إنما كان واضحا ، أو كان ساذجا ، لأن القميص لم يكن ممزقا بآثار أسنان الذئب ، أو كما قال يعقوب ، في رواية السدي ، أن كان هذا الذئب لرحيما ، كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه<sup>(١٦)</sup> ، وهكذا ألهاهم الحقد الغائر عن سبك الكذبة ، فلو كانوا

(١٣) . التهامى نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن - تونس ١٩٧٤ ص ٥١٦ (رسالة دكتوراه) .

(١٤) سورة يوسف آية ١٣ .

(١٥) سورة يوسف : آية ١٤ .

(١٦) جاء في تفسير الطبري عن ابن عباس أنه قال : ذبحوا شاة ولطخوا بدمها القميص ، فلما جاءوا يعقوب قال : كذبتم لو أكله الذئب لخرق قميصه ، وفي رواية أخرى ، كما في تفسير النسفي وأبي السعود والبحارن ، أنهم ذبحوا سخة ولطخوا القميص بدمها ، وزل عنهم أن يمزقوا القميص ، فلما سمع يعقوب بخبر يوسف صاح بأعلى صوته ، وقال : أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال : تالله ما رأيت كالיום ذئبا أحلم من هذا ، أكله ولم يمزق عليه قميصه ، وفي رواية ثالثة في تفسير الخازن أنهم أتوا بذئب وقالوا ليعقوب : هذا أكل ابنك ، فقال الذئب حين سأل ، وقد أنطقه الله ، والله ما أكلت وما رأيت ولدك قط ، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء ، فقال يعقوب كيف وقعت في أرض كنعان ، قال : أتيت لصلة الرحم فأخذوني وأتوا بي إليك فاطلقه يعقوب (انظر : تفسير الطبري ١٦٤/١٢ ، تفسير أبي السعود ٢٦٠/٤ ، تفسير الخازن ٢٦٩/٣ ، تفسير النسفي ٢١٤/٢ - ٢١٥ ، صفوة التفاسير ٤٤/٢) .

أهدأ أعصابها ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب  
 باصطحاب يوسف معهم ، ولكنهم كانوا معجلين لا يظنّون ، يخشون  
 ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى ، كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب  
 المكشوفة دليلاً على التسرع ، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس وهم  
 ينفونها ، ويكادون يتهمون بها ، فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في  
 الصباح لتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم منه أبوهم أمس ، وبمثل  
 هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لظفوه به في غير اتقان ، فكان  
 ظاهر الكذب حتى ليوسف بأنه كذب (١٧) ، الأمر الذي جعل يعقوب  
 لا يصدقهم ، ولذا كان يدعوهم دائماً إلى أن يتقصوا آثار أخيه ، وقد  
 وقعوا في حالة «التبرير» ، كما يفعل المذنب ، إذ يعمد إلى تفسير سلوكه  
 ليعين نفسه وللناس أن لسلوكه هذا أسباباً معقولة (١٨) ، فهم يقولون  
 «يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا ، فأكله الذئب  
 وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين» (١٩) .

وعلى أية حال ، فلو قد كان أخوة يوسف قد أجمعوا أمرهم على أن  
 يجعلوه في غياهب الجب (٢٠) ، ولكنهم سرعان ما غيروا رأيهم حيث أشار  
 يهوذا على أن يبيعهوا للاسماعيليين ، ولكن الأمور لم تسر كما يرغبون ،  
 وكما تقول التوراة «جاء رجال مديانيون تجار فسدحوا يوسف وأصعدوه  
 من البئر ، وباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة ، فأتوا  
 بيوسف إلى مصر» (٢١) ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى  
 «وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ، قال يا بشرى هذا غلام

(١٧) في ظلال القرآن ١٩٧٥/٤ - ١٩٧٦ .

(١٨) التهامي نقرة : المرجع السابق ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(١٩) سورة يوسف : آية ١٧ .

(٢٠) ذهب بعض المفسرين إلى أنها بئر بارض الأردن أو هي بين مصر  
 ومدين أو هي على مبعدة ثلاثة فراسخ من منازل يعقوب في كنعان ، وهو  
 الأرجح ، أو هي بئر المقدس ، غير أن التقاط السيارة له ومجيئهم أباهم  
 عشاء يكون ذلك اليوم ، يضعف هذا الاتجاه (تفسير أبي السعود ٢٥٨/٤ ،  
 تفسير النسفي ٢١٤/٢) .

(٢١) تكوين ١٨/٣٧ - ٢٨ .

وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ، وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين» (٢٢) .

وهكذا هبط الصديق مصر ، كرقيق اشتراه رئيس الشرطة المصرى بثمن بخس دراهم معدودة ، رأى بعض المفسرين أنها دون الأربعين ، على أساس أنها معدودة لا موزونة ، وإنما يعد القليل ، ويوزن الكثير ، وكانت العرب تزن ما بلغ الاوقية ، وهى أربعون درهما فما فوقها ، وتعد ما دونها ، ولهذا يعبرون عن القليلة بالمعدودة ، وذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما الى أنهم باعوه بعشرين درهما ، بينما ذهب فريق ثالث الى أنهم باعوه بأربعين درهما (٢٣) ، وأيا ما كان الامر ، فقد كانت هذه نهاية المحنة الاولى فى حياة النبى الكريم .

بقيت الاشارة الى أن هناك فريقا من المفسرين ذهب الى أن أخوة يوسف كانوا أنبياء ، واستدلوا على ذلك بأنهم الاسباط المذكورون فى آية آل عمران (٨٤) «قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط» ، والصحيح أن الاسباط ليسوا أولاد يعقوب ، وإنما هم من ذرية يعقوب ، كما نبه عليه المحققون (٢٤) ، هذا وقد جاء فى المصباح المنير : السبط ولد الولد ، والجمع أسباط ، مثل حمل وأحمال ، والسبط : الفريق من اليهود ، يقال للعرب قبائل ، وللإهود أسباط ، ومن هنا ذهب المفسرون المسلمون الى أن الاسباط هم بنو

---

(٢٢) سورة يوسف : آية ١٩ - ٢٠ .

(٢٣) تفسير الطبرى ١٣/١٦ - ١٦ ، تفسير القرطبى ١٥٥/٩ - ١٥٧ ، تفسير المنار ٢٨١/٢ ، تفسير ابن كثير ٣٠٥/٤ ، تفسير روح المعانى ٢٠٤/١٢ - ٢٠٥ ، تفسير أبى السعود ٢٦١/٤ ، تفسير الخازن ٢٧١/٣ ، تفسير النسفى ٢١٥/٢ ، مؤتمر تفسير سورة يوسف ٤٢١/١ - ٤٢٧ ، المقدسى : البدء والتاريخ ٦٨/٣ .

(٢٤) يذهب البعض الى أن الاسباط كانوا من بنى اسماعيل الذين أرسل الله اليهم رسلا ، لم يذكر أسمائهم ولا أممهم ، وبخاصة من بنى قحطان ، كقوم تبع وأصحاب الرس وسبأ (أنظر صابر طعيمة : بنو اسرائيل فى ميزان القرآن - بيروت ١٩٧٥ ص ١٨١ - ١٩٦ .



يعقوب ، كانوا اثني عشر رجلا ، كل واحد منهم ولد سبطا ، أمة من الناس ، فسموا أسباطا ، هذا وقد بعث الله منهم عدة رسل ، غير أنه لم يصح أن أخوة يوسف بالذات كانوا أنبياء ، إذ لو كانوا كذلك لما أقدموا على ما أقدموا عليه من الأفعال الشنيعة ، فالحسد والسعي بالفساد ، والاقدام على القتل ، والكذب ، والقاء يوسف في الجب ، كل ذلك من الكبائر التي تتنافى مع عصمة الانبياء ، فالقول بأنهم أنبياء ، مع هذه الجرائم لا يقبله عقل حصيف<sup>(٢٥)</sup> ، ويقول ابن كثير : وظاهر ما ذكر من فعالهم ومقالهم في هذه القصة يدل على أنهم غير أنبياء ، ومن استدل بنبوتههم بآية آل عمران (٨٤) وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلال بقوى ، لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الانبياء ينزل عليهم الوحي من السماء ، ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين اخوته بالرسالة والنبوة أنه لم ينص على واحد من اخوته سواه ، فدل على ما ذكرناه<sup>(٢٦)</sup> .

## ٢ - يوسف وأمرأة العزيز :

اشترى عزيز مصر يوسف من تجار الرقيق ، ثم ذهب به الى بيته وقال لامرأته ((أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا))<sup>(٢٧)</sup> ، ذلك لان الرجل توسم في الصديق خيرا ، والخير يتوسم في الوجوه الصباح ، وخاصة حين تصاحبها السجايا الملاح ، فاذا هو يوصى به امرأته ، وهكذا بدأ الصديق مرحلة جديدة في حياته في قصر

(٢٥) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ٤٥/٢ - ٤٦ (بيروت ١٩٨١) ، تفسير الطبري ١٢١/٢ ، ٢١١/٣ - ٤٤٤٣ ، ٥٦٩/٦ ، تفسير الكشاف ١٩٥/١ ، تفسير روح المعاني ٦/١٦ ، في ظلال القرآن ١٩٧٣/٤ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ١٥٠/١ .

(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٨/١ - ١٩٩ .

(٢٧) سورة يوسف : آية ٢١ : وروى ابن كثير في تفسيره عن عبد الله بن مسعود قال : أقرس الناس ثلاثة : عزيز مصر ، حين قال لامرأته ((أكرمي مثواه)) والمرأة التي قالت لابنها عن موسى «يا أبت استأجره» ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما (مختصر تفسير ابن كثير ٢٤٥/٢) .

عزیز مصر ، والذي اشتراه ، وهو طبقا للرواية العربية ، الوزير بمصر ، وكان اسمه فيما يروى عن ابن عباس ، « قطفير » وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ « الريان بن الوليد » رجل من العمالئق ، واسم امرأته راعيل أو زليخا (٢٨) .

على أن العجيب من الامر أن تصف التوراة عزيز مصر بأنه « خفى » فرعون رئيس الشرطة (٢٩) ، ولست أدري كيف دار في خلد كاتب نص التوراة هذا ، بأن رئيس الشرطة المصرى كان خصيا ، ومن عجب أن هذه الاكاذيب قد انتقلت الى بعض كتب التفسير ، وان رفضتها جمهرة المفسرين (٣٠) ، وكأن الرجل لم يكن شافعا له ، في نظر كتبة التوراة ومن لف لفهم ، في دحض هذه الفرية ، أنه كان زوج أجمل سيدة في مجتمع الهكسوس ، ولكن ما الحيلة وصاحب سفر التكوين من التوراة انما يرى أن حاشية القصر كانت كلها من الخصيان ، حتى لنجده كذلك يصف رئيس سقاة الملك ورئيس خبازيه بأنهما من الخصيان (٣١) .

غير أن الصديق ، عليه السلام ، انما تعرض في أخريات أيامه في قصر العزيز الى امتحان رهيب ، بدأت به المحنة الثانية في حياته ، وهى أشد وأعرق من المحنة الاولى ، تجيئة وقد أوتى صحة الحكم ، وأوتى العلم ، ليواجهها وينجو منها جزاء احسانه الذى سجله الله تعالى في قرآنه ، وذلك حين روادته امرأة العزيز عن نفسه ، لأنها افنتت بحسنه فأحبته ، وليس لها ما يردعها من خوف زوجها عن خيانتة ، لانه تملك قيادته كما يشاء هواها ، شأن رببات القصور المترفات اللائى أفسدت طباعهن الحرية والفراغ ، وكادت له لما رفض أن يستجيب ، لان لها من نفاذ الكلمة ومن السلطان على زوجها ما مكنها من الانتقام ، رغم ما عرف

---

(٢٨) مختصر تفسير ابن كثير ٢٤٤/٢ .

(٢٩) تكوين ١/٢٩ .

(٣٠) تفسير الطبرى ١٩/١٦ ، تفسير القرطبي ص ٣٣٨٩ ، تفسير أبى السعود ٢٨٦/٤ ، تفسير الخازن ٢٩٣/٣ ، وانظر : تفسير البيضاوى ٤٩١/١ ، تفسير المنار ٢٧٢/١٢ ، تفسير روح المعانى ٢٠٧/١٢ ، مؤتمر تفسير سورة يوسف ٤٣٤/١ ، ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ٥٢٥/١ ، ٥٢٦ .

(٣١) تكوين ٢/٢٠ .

زوجها من آيات صديقه (٣٢) . وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى «ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين» (٣٣) .

ويقول الاستاذ سيد قطب (٣٤) ، طيب الله ثراه ، ان هذه الدعوة المسافرة الجائرة من امرأة العزيز ، لا تكون أول دعوة من المرأة ، انما تكون هي الدعوة الاخيرة ، وقد لا تكون أبدا ، اذا لم تضطر اليها المرأة اضطرارا ، والفتى يعيش معها وقوته وفتوته تتكامل ، وأنوثتها هي تكمل وتنضج ، فلا بد كانت هناك اغراءات شتى خفيفة لطيفة ، قبل هذه المفاجأة العنيفة الخليطة ، «قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون» ، والنص هنا صريح وقاطع في أن رد يوسف المباشر على المراودة المسافرة كان هو التأيي ، المصحوب بتذكر نعمة الله عليه ، وتذكر حدوده وجزاء من يتجاوز هذه الحدود ، فلم تكن هناك استجابة في أول الموقف لما دعت اليه دعوة غليظة جاهرة بعد تغليق الأبواب، وبعد الهتاف الصريح الذي يتجمل القرآن في حكايته وروايته وقالت : هيت لك .

هذا وقد حصر المفسرون القدامى منهم والمحدثون نظريتهم في الواقعة الاخيرة «ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه» فأما الذين ساروا وراء الاسرائيليات فقد رووا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعاً شبقاً ، والله يدافعه ببراكين كثيرة فلا يندفع ، صورت له هيئة أبيه يعقوب في سقف المخدع عاضاً على أصبعه بفمه ، وصورت له لوحات كتبت عليها آيات من القرآن (نعم من القرآن ؟)

(٣٢) التهامي نقرة : المرجع السابق ص ٥١٢ .

(٣٣) سورة يوسف : آية ٢٣ - ٢٤ ، وأنظر : تفسير الطبري ١٦ /

٢٤ - ٥٠ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٣٠٦ - ٣٠٩ ، تفسير المنار ١٢ / ٢٢٧ - ٢٣٥ ،

تفسير القرطبي ص ٣٣٩١ - ٣٣٩٩ .

(٣٤) في ظلال القرآن ٤ / ١٩٨٠ - ١٩٨١ (بيروت ١٩٨٢) .



تنتهي عن مثل هذا المنكر ، وهو لا يرعوئى ، حتى أرسل الله جبريل يقول له : أدرك عبدى ، فجاء فضربه فى صدره ، الى آخر هذه التصورات الأسطورية التى سار وراءها بعض الرواة ، وهى واضحة التلفيق والاختراع (٣٥) .

على أن جمهور المفسرين انما ساروا على أنها همت به هم الفعل ، وهم بها هم النفس ، ثم تجلئ له برهان ربه فتركه ، وأنكر صاحب تفسير المنار على الجمهور هذا الرأى ، ويقول الامام الفخر الرازى : المهم خطور الشئ بالبال أو ميل الطبع ، كالصائم يرى فى الصيف الماء البارد ، فتحمله نفسه على الميل اليه وطاب شربه ، ولكن يمنعه دينه عنه ، وقال أبو حيان فى البحر : نسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق والذى اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم البتة ، بل هو منفى لوجود رؤية البرهان ، وقال أبو السعود : ان همه اليها بمعنى ميله اليها بمقتضى الطبيعة البشرية ، ميلا جبليا ، لانه قصدها قصدا اختياريا ، ألا يرى الى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهيته له ونفرته منه ، وحكمه بعدم افلاح الظالمين ، وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه تسجيلا محكما ، وما قيل : انه حل الهميان ، وجلس مجلس الختان ، فانما هى خرافات وأباطيل تمجها الاذان ، وتردها العقول والاذهان (٣٦) .

هذا وقد ذهب صاحب تفسير المنار (٣٧) الى أنها همت بضربه نتيجة ابائه واهانتها لها ، وهى السيدة الآمرة ، وهم هو برد الاعتداء ، ولكنه

---

(٣٥) فى ظلال القرآن ١٩٨١/٤ ثم انظر : تفسير النسفى ٢/٢١٧ ، تفسير الطبرى ٣٣/١٦ - ٤٨ ، تفسير ابن كثير ٤/٣٠٨ - ٣٠٩ ، تفسير القرطبى ص ٣٣٩١ - ٣٣٩٨ ، تاريخ الطبرى ١/٣٣٧ - ٣٣٨ ، الكامل لابن الاثير ١/٨٠ - ٨١ ، ومن عجب أن التوراة لم تذكر شيئا مما ذكره المفسرون من هذه الروايات ، كما جاءت فى قصة المراودة فى سفر التكوين ٧/٣٩ - ٢٠ .

(٣٦) تفسير الفخر الرازى ١٨/١١٩ ، تفسير البحر المحيط ٥/٢٩٥ ، تفسير أبى السعود ٢/٦٣ ، تفسير المنار ١٢/٢٣١ - ٢٣٦ .

(٣٧) تفسير المنار ١٢/٢٢٩ - ٢٣١ .

آثر الهرب فلاحقت به وقّدت إقميصه من دبر ، على أن تفسير الهم ، فيما يرى صاحب الظلال<sup>(٣٨)</sup> ، بأنه هم الضرب ورد الضرب مسألة لا دليل عليها في العبارة ، فهي مجرد رأى لمحاولة البعد بيوسف عن هم الفعل أو هم الميل اليه في تلك الواقعة ، وفيه تكلف وابعاد عن مدلول النص ، ثم يرى في قوله تعالى «ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه» نهائية موقف طويل من الاغراء ، بعد ما أبى يوسف في أول الامر واستعصم ، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة ، ولكن السياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغلبة ، لان المنهج القرآني لا يريد أن يجعل من تلك اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساعته المناسبة في محيط القصة ، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك ، فذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله والاعتصام في نهايته ، مع الامام بلحظة الضعف بينهما ، ليكتمل الصدق والواقعية والجو التظيف جميعا ، ثم يرى صاحب الظلال بعد ذلك أن ذلك أقرب الى الطبيعة البشرية والى العصمة النبوية ، وما كان يوسف سوى بشر ، نعم انه بشر ممتاز ، ومن ثم لم يتجاوز همة الميل النفسى في لحظة من اللحظات ، فلما أن رأى برهان ربه الذى ينبض في ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة عاد الى الاعتصام والتأبى •

ولعل هذا قريبا مما ذهب اليه الزمخشري في الكشف حيث يقول :  
فان قلت : كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها ، قلت (أى الزمخشري) المراد أن نفسه ماله الى المخالطة ، ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه ، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم ، وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همّا لشدته ، لما كان

---

(٣٨) فى ظلال القرآن ١٩٨١/٤ - ١٩٨٢ (بيروت ١٩٨٢) •

صَاحِبِهِ مَمْدُوحًا عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِمْتِنَاعِ ، لَأَن اسْتَعْظَمَ الصَّبْرَ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ  
عَلَى حَسَبِ عَظِيمِ الْإِبْتِلَاءِ وَشِدْقَتِهِ •

وَأَيُّ مَا كَانَ الْأَمْرُ ، فَلَقَدْ آثَرَ الصَّدِيقُ التَّخْلُصَ بَعْدَ أَنْ اسْتَفَاقَ ،  
وَهِيَ عَدَتْ خَلْفَهُ لَتَمْسُكَ بِهِ ، وَهِيَ مَاتَرَالُ فِي هَيَاجِهَا الْحَيَوَانِيَّ (وَأَسْتَبْقَا  
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ  
أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ  
نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ  
مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذِبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ،  
فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ، قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكَ إِنْ كَيْدُكَ عَظِيمٌ ،  
يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ، وَاسْتَغْفَرَ لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) (٣٩) •

هَذَا وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمَفْسُورُونَ فِي هَذَا الشَّاهِدِ ، قِيلَ هُوَ ابْنُ عَمِّ امْرَأَةٍ  
الْعَزِيزَةِ ، وَكَانَ جَالِسًا مَعَ زَوْجِهَا لَدَى الْبَابِ ، وَقِيلَ كَانَ حَكِيمًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ  
الْمَلِكُ وَيَسْتَشِيرُهُ ، وَرَبَّمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِهَا قَدْ بَصُرَ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ  
فَأَغْضَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ بِالشَّهَادَةِ لَهُ وَالْقِيَامِ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّمَا أَلْقَى اللَّهُ  
الشَّهَادَةَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهَا لِيَكُونَ أَدْلٌ عَلَى نِزَاجَتِهِ وَأَنْفَى لِلتَّهْمَةِ (٤٠) ،  
قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ : وَكَوْنُهُ مِنْ أَهْلِهَا أَوْجِبَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهَا ، وَأَوْثَقَ  
لِبَرَاءَةِ يُوسُفَ ، وَأَنْفَى لِلتَّهْمَةِ (٤١) • وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ ،  
عَلَى رَأْسِهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ ،  
أَنَّهُ كَانَ صَبِيًّا فِي الدَّارِ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ، وَفِيهِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ رَوَاهُ  
ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صَغَارٌ»  
فَذَكَرَ فِيهِمْ شَاهِدَ يُوسُفَ ، وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ :  
«تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صَغَارٌ ، ابْنُ مَاشِطَةَ بِنْتُ فِرْعَوْنَ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ،  
وَصَاحِبُ جَرِيحٍ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ» ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (٤٢) ،

(٣٩) سُورَةُ يُوسُفَ : آيَةُ ٢٥ - ٢٩ •

(٤٠) تَفْسِيرُ أَبِي السَّعُودِ ٢٦٨/٤ •

(٤١) تَفْسِيرُ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ٢٩٧/٥ •

(٤٢) مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ ٢٤٧/٢ ، وَانْظُرْ : تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ

١٩٣/١٢ ، تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ٢١٨/٢ ، تَفْسِيرُ أَبِي السَّعُودِ ٢٦٨/٤ •



وهكذا ظهرت براءة يوسف عليه السلام للعزير ، فقبال له ((يوسف  
أعرض عن هذا)) أى لا تذكره لاحد ، لان كتمان مثل هذه الامور ، كما  
يقول ابن كثير ، هو الاليق والاحسن ، وأمرها هي بالاستغفار لذنبها  
الذى صدر منها ، والتوبة الى ربها ، فان العبد اذا تاب الى الله تاب  
الله عليه ، وأهل مصر ، وان كانوا يعبدون الاصنام ، الا أنهم يعلمون  
أن الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك (٤٣) .

غير أن أنباء الفضيحة سرعان ما تترامى الى الناس ، وطفق النساء  
خاصة يتحدثن بسقطة امرأة العزيز ، ويتناقلنها بينهن ، وأنها شغفت  
حبا بفتاها وخادمها ، وكيف خرجت على طبع أنوثتها فى أدلالها وتمنعها ،  
ونزلت عن كبريائها وسلطانها (٤٤) ، (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز  
تراود هفتاها عن نفسه وقد شغفها حبا ان لا يراها فى ضلال مبين) (٤٥) ،  
وفى ذلك اثبات فى اللوم ، فان من لا زوج لها من النساء ، أو لها زوج  
دنى قد تعذر فى مراودة الأخذان ، لاسيما اذا كان فيهم عو المجانب ،  
وأما التى لها زوج ، وأى زوج ، انه عزيز مصر ، فمراودتها لغديره ،  
لاسيما لعبدها الذى لا كفاءة بينها وبينه أصلا ، وتماديها فى ذلك ، انما  
هو غاية الغى ونهاية الضلال (٤٦) ، (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن  
واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت أخرج عليهن ،  
فلما رأينه أكبرته وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ، ان هذا  
الا ملك كريم) (٤٧) .

هذا وتشير الآية الكريمة الى أن امرأة العزيز انما أرادت أن ترد  
على النساء اللواتى أطلقن السنتهن فيها بمكر يوقعهن فيما وقعن فيه  
من طريق ثغرة الضعف الغريزي الشهوى الذى تعرفه فيهن من معرفتها

- 
- (٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٤/١ .  
 (٤٤) التهامي نفرة : المرجع السابق ص ٥١٢ .  
 (٤٥) سورة يوسف : آية ٣٠ .  
 (٤٦) تفسير أبى السعود ٢٧٠/٤ .  
 (٤٧) سورة يوسف : آية ٣١ .

لنفتتها ، ومن ثم فقد أقامت لهن مأدبة في قصرها ، وبدهى أنهن كن من نساء الطبقة الراقية اللواتي يهمنها أمرهن ، وهن اللواتي يدعين إلى الموائد في القصور ، ويؤخذن بهذه الوسائل المناعمة المظهر ، ويبدو أنهن كن يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحبائيا ، فأعدت لهن هذا المتكأ ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً تستعملها في الطعام ، ويؤخذ من هذا أن الحضارة في مصر قد بلغت شأواً بعيداً ، وأن الترف في القصور كان عظيماً ، فان استعمال السكاكين في الأكل قبل هذه آلاف من السنين له قيمة في تصوير الترف والحضارة المصرية بين حكام مصر من الهكسوس ، وهم خليط من شعوب شتى ، فما بالك بالمصريين أنفسهم ، وهم أرفع شأنًا ، وأكثر تمدناً ، وأرقى حضارة من كل شعوب الشرق القديم . وعلى أية حال ، فبينما النساء منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة ، حاجأتهن بيوسف ، فلما رأيته أكبرنه وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة ، «وقلن حاشا لله ، ما هذا بشر ان هذا الا ملك كريم» ، وهذه التعبيرات ، فيما يرى صاحب الظلال (٤٨) ، دليل على تسرب شيء من ديانات التوحيد في ذلك الزمان ، وهنا أدركت امرأة العزيز أن هؤلاء النسوة يقعن معها على أرض واحدة ، حيث تبدو فيها الانثى متجردة من كل تجميل المرأة وحيائها ، فاذا بها تقول قول المرأة المنتصرة ، والتي تفخر عليهن بأن هذا في متناول يدها ، وأن كان قد استعصى قياده مرة ، فهي تملك هذه القيادة مرة أخرى «قالت فذلكن الذي لمتتنى فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ، قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه ، والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلن ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم» (٤٩) .

وهكذا تحولت الامور الى صراع بين المرأة والفتى ، ودخلت كما يقال في دور من العناد والمغالبة غريب ، هي يتهاكها الذي انكشف عن

(٤٨) في ظلال القرآن ١٩٥٣/٤ ، ١٩٨٤ - ١٩٨٥

(٤٩) سورة يوسف : آية ٣٢ - ٣٤ .

تتبع سافر ، وكيز خائر ، وهو باصراره الذى لا سبيل له الا الى المضي  
فيما بدا وأعلن للناس ، ولكنه مع ذلك لم ينج منهم ومن كيد نساءهم ،  
وتحالف عليه قوى البغي ، فكان لهم من السلطان على أزواجهم  
ما حجب الحق الابلج ، وأساء الى الخلق المتين<sup>(٥٠)</sup> ، «ثم بدا لهم من  
بغد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين»<sup>(٥١)</sup> .

وليس هناك من سبيل الى شك في أن هذه انما تقدم لنا صورة  
لمجتمع فاسد آثم ، تصور ما كان عليه مجتمع الدخلاء من حكام  
الهكسوس المغتصبين في مصر من فساد وانحلال ، ولو لم يكن لدينا عن  
مصر في ذلك الزمان سوى تلك القصة ، لاتخذناها وحدها دليلا على  
مجتمع يسوده الاجانب والغرباء ، ولنفيها عن المصريين ونسبناها الى  
المجتمع الاجنبى مطمئين ، لانها انما تخالف عن طبيعة الاشياء في مصر ،  
وتخرج عن سليقة المصرى بما ركب فيه من الانفة والحمية والكرامة  
والكبرياء ، ولو نظرنا الى بعض قصص التوراة ، لوجدنا قصتنا هذه  
أشبه بقصص التوراة وأدنى الى مجتمعها<sup>(٥٢)</sup> ، على حين تنبو عن  
مجتمع المصريين الاصيل ، وتخالف تقاليدهم وأذواقهم ، خلافا يفوق  
كل خلاف<sup>(٥٣)</sup> .

### ٣ - يوسف فى السجن :

تمثل هذه الفترة فى حياة الصديق المحنة الثالثة والاخيرة ،  
فكل ما بعدها رخاء ، وابتلاء لصبره على الرخاء ، بعد ابتلاء صبره  
على الشدة ، والمحنة فى هذه الحلقة هى محنة السجن بعد ظهور  
البراءة ، والسجن للبرىء المظلوم أقسى ، وان كان فى طمأنينة  
القلب بالبراءة تعزية وسلوى<sup>(٥٤)</sup> ، ذلك أن القوم من الهكسوس سرعان

(٥٠) أحمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة - القاهرة  
١٩٧٣ ص ٤٥ .  
(٥١) سورة يوسف : آية ٣٥ .  
(٥٢) أنظر عن مجتمع قصص التوراة (محمد بيومى مهران :  
اسرائيل ١٦٢/٣ - ٢١٧) .  
(٥٣) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٦ .  
(٥٤) فى ظلال القرآن ١٩٨٧/٤ .



مَا قَدَّفُوا بِالصَّدِيقِ إِلَى السَّجْنِ ، رَغْمَ مَا زَاوَا مِنْ آيَاتِ بَرَاءَتِهِ ، يَحْقِدُ ،  
الْقَمِيصَ وَقَطَعَ الْإِيْدَى وَشَهَادَةَ الصَّبِيِّ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، مَدَّةَ لَيْلٍ يَحْدُدُوا  
زَمَنَهَا ، لَأَنَ الْمَهْدَفَ مِنْ ذَلِكَ أَمَا كَانَ أَن يَنْسَى النَّاسُ قِصَّتَهُ مَعَ امْرَأَةٍ  
الْعَزِيزِ ، هَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي لَا كِتَابَ لَهَا بَيْنَ أَوْسَاطِ النَّاسِ •

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الصَّدِيقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَمَا يَتَقَبَّلُ السَّجْنُ صَاحِبَ إِبْرَاهِيمَ  
مُحْتَسِبًا ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ فِي سَجْنِهِ غَرِيبًا وَحِيدًا ، يَبِيدُ أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا يَسْبَحُ  
لِمَنْ أَحْيَا الْفُؤَادَ بِنُورِهِ ، فَإِذَا بِهِ يَنْتَشِرُ رَحَابُهُ فِي وَجْدَانِهِ وَسِعَتْ  
الْكُونُ كُلَّهُ ، وَسَمِعَتْ رُوحَهُ لَتَتَّصِلَ بِرُوحِ الْوُجُودِ ، وَإِذَا بِهِ يَأْنِسُ بِرَبِّهِ ،  
وَيَحْسُ تَعَاطُفًا مَعَ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ وَمَا حَوْلَهُ ، وَإِذَا بِقَلْبِهِ يَنْفَتَحُ لِلْبَشَرِيَّةِ  
جَمْعَاءَ ، حَتَّى الَّذِينَ ظَلَمُوهُ لَمْ يَحْقُدْ عَلَيْهِمْ ، كَانَتْ أَرَادَتُهُ أَنْ يَنْقَى اللَّهُ  
حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَنِيَّتُهُ أَنْ يَخْلُصَ اللَّهُ ، وَعَزَمَهُ أَنْ يَصِلَ حَبْلُهُ بِحَبْلِ اللَّهِ ،  
وَقَصْدُهُ أَنْ يَهَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَسِيرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَجَزَاهُ اللَّهُ الْجَزَاءَ  
الْأَوَّلَى ، فَعَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٥٥) •

وَكَانَ مَلِكُ مِصْرَ مِنَ الْهَكَسُوسِ الْغَزَاةِ قَدْ أَدْخَلَ مَعَهُ صَاحِبَ طَعَامِهِ  
وَصَاحِبَ شَرَابِهِ ، بَعْدَ أَنْ اتَّهَمَهُمَا بِأَنَّهُمَا قَاتَمَا عَلَيْهِ وَدَسَا لَهُ السِّمَّ فِي  
الطَّعَامِ ، فَرَاحَ الصَّدِيقُ يَدْعُوهُمَا إِلَى اللَّهِ وَيَذْهَبُ عَنْهُمَا حَزْنُهُمَا ، وَيَبْذُلُ  
لَهُمَا مَا وَسِعَهُ الْبَذْلُ لَتَطْمَئِنَّ نَفُوسُهُمَا ، وَيَرَى السَّجْنَاءُ فِي مَسْلَكِهِ الطَّاهِرِ  
مَا يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَطْلُبُونَ إِلَيْهِ تَفْسِيرَ الرُّؤْيَا وَتَأْوِيلَ الْأَحْلَامِ (٥٦) ،

(٥٥) عَبْدُ الْحَمِيدِ جُودَةُ السَّحَارِ : بَنُو إِسْمَاعِيلَ - الْقَاهِرَةُ ١٩٦٦  
ص ٥٦ - ٥٨ •

(٥٦) ..هَنَّاكَ بِحُوثِ كَثِيرَةٍ لِعُلَمَاءِ النَّفْسِ فِي الْأَحْلَامِ ، فَمِنْ قَائِلٍ  
أَنَّهَا صُورَةٌ مِنَ الْمَاشْعُورِ النَّهَائِيِّ ، أَوْ هِيَ صُورَةٌ مِنَ الرِّغْبَاتِ الْمَكْبُوتَةِ  
تَتَنَفَّسُ بِهَا الْأَحْلَامُ فِي غِيَابِ الْوَعْيِ ، وَمِنْ قَائِلٍ أَنَّهَا تَعْوِيزِيَّةٌ ، وَمِنْ قَائِلٍ  
أَنَّهَا تَقُومُ بِوُضُفِيَّةٍ لِأَعْدَادِ الْحَيَاةِ ، إِذْ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لَا يَعْدُو أَنَّ الْقَوْمَ  
يَحْلُمُونَ ، لِأَنَّهُمْ يَلْتَمِسُونَ فِي الْحُلُمِ حُلُولًا يَسِيرُونَ عَلَيْهَا فِي نَشَاطِهِمْ  
الْمَقْبَلِ (إِسْحَاقُ رَمَزَى : عِلْمُ النَّفْسِ الْفَرْدِيِّ - الْقَاهِرَةُ ١٩١٩ ص ١٣٢ -  
١٣٤ ، التَّهَامِي نَقَرَةٌ : الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ص ٥١٨ ، فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ ١/٤  
١٩٧٢) ، وَيَذْهَبُ ابْنُ خُلْدُونٍ فِي الْمَقْدِمَةِ (ص ١٨٠) أَنَّ النَّفْسَ إِذَا خَفَتْ  
عَنْهَا شَوَاعِلُ الْحَسِّ وَمَوَانِعُهُ بِالنَّوْمِ ، تَتَعَرَّضُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا تَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ  
فِي عَالَمِ الْحَقِّ ، فَتَدْرِكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لِحْجَةً يَكُونُ فِيهَا الظَّفَرُ  
الْمَطْلُوبُ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ الرُّؤْيَا مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ •

ويؤكد القرآن الكريم والعهد القديم يتشابهان في عرضهما للامر ، وان  
استغرقت التوراة كثيرا في رؤيا السجينين (٥٧) .

على أن القرآن الكريم انما ينفرد وحده بذكر دعوة يوسف عليه  
السلام ، وهو في السجن ، الى توحيد الله ، وبث العقيدة الصحيحة ،  
ويظهر جليا في هذه الدعوة لطف مدخله الى النفوس ، وسيره خطوة  
خطوة في رفق وتؤدة (٥٨) ، قال « لا يأتیکما طعام ترزقانه الا نبأتكما  
بتأويله قبل أن یأتیکما ذلكما مما علمنی ربی » (٥٩) ، وكأنه أراد  
اخبارهما بمعجزاته توطئة لدعئتهما الى الايمان ، قال الامام البيضاوى :  
أراد أن يدعوهم الى التوحيد ويرشدهما الى الدين القويم قبل أن  
يسعفهما الى ما سألاه عنه ، كما هي طريقة الانبياء في الهداية والارشاد  
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلها على صدقه في  
الدعوة والتعبير (٦٠) .

= وروى أبو هريرة عن النبي (ص) أنه قال «لم يبق من النبوة الا  
المبشرات ، قيل وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة»  
(صحيح البخارى ٤٠/٩ - الفاهرة ١٣٧٨) وفي تفسير النسفى ١٦٩/٢  
روى عنه (ص) عن البشرى «هى الرؤيا الصالحة التى يراها المسلم او  
ترى له» ، وعنسه (ص) «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ، والرؤيا  
الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» (تفسير النسفى ١٦٩/٢) ،  
ويرى الامام الغزالى أن أدلة العمل وحدها لا تكفى لنبوة نبي ، ويقول :  
انما نعرف النبي أو العارف الذى يتلقى علمه من الله بأمر آخر ، فان  
الله أعطانا نموذجا من خصائص النبوة نشاهده في نفوسنا ، ويعنى بذلك  
ما يراه النائم من أسرار الغيب (الغزالى : المنقذ من الضلال - الفاهرة  
١٣٠٨ هـ ص ٢٤ - ٢٦) ، ويذهب صاحب الظلال (١٩٧٢/٤) الى أننا  
ملزمون بالاعتقاد بأن بعض الرؤى تحمل نبؤات عن المستقبل القريب او  
البعيد ، ملزمون بهذا أولا من ناحية ما ورد في هذه السورة من وقوع  
مصادق رؤيا يوسف ، ورؤيا صاحبيه في السجن ورؤيا ملك مصر ، وثانيا  
ما نراه في حياتنا الشخصية من تحقيق رؤيا تنبؤية في حالات متكررة  
بشكل يصعب نفى وجوده لانه موجود بالفعل .

(٥٧) سورة يوسف : آية ٢٦ - ٣٧ ، ٤١ ، تكوين ١/٤٠ - ٢٢ .

(٥٨) التهامى نقرة : المرجع السابق ص ٥٣٥ .

(٥٩) سورة يوسف : آية ٢٧ .

(٦٠) تفسير البيضاوى ٢٦٤/٢ .

ثم يتوغل في قلوبهما أكثر ، ويفصح عن دعوته ، ويكشف عن فساد اعتقادهما ، واعتقاد قومهما بعد ذلك التمهيد الطويل<sup>(٦١)</sup> ، «انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبع ملة آباءى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دون الله الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان احكممكم الله الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»<sup>(٦٢)</sup> ، وهى صورة للاسلام واضحة كاملة دقيقة شاملة ، كما جاء بها رسل الله جميعا ، من ناحيه أصول العقيدة تحتوى ، الايمان بالله وبالآخرة ، وتوحيد الله وعدم الاشراك به أصلا ، ومعرفة الله تعالى بصفاته الواحد القهار ، والحكم بعدم وجود حقيقة ولا سلطان لغيره أصلا ، ومن نفى الارباب التى تتحكم فى رقاب العباد ، وعلان السلطان والحكم لله وحده ، مادام أن الله أمر ألا يعبد الناس غيره ، ومزاولة السلطان والحكم والربوبية هى تعبيد للناس مخالف للامر بعبادة الله وحده ، وتحديد معنى «العبادة» بأنها الخضوع للسلطان والحكم والاذعان للربوبية ، وتعريف الدين القيم بأنه افراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، أى افراده بالحكم ، فهما مترادفان أو متلازمان «ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم» ، وهذه هى أوضح صورة للاسلام وأكملها وأدقها وأشملها<sup>(٦٣)</sup> .

وهكذا يبلغ الصديق عليه السلام ، أقصى الغاية من الدرس الذى ألقاه ، مرتبطا فى مطلعه بالامر الذى يشغل بال صاحبيه فى السجن ، ومن ثم فهو يؤول لهما الرؤيا فى نهاية الدرس ، ليزيدهما ثقة فى قوله كله وتعلقا به « يا صاحبى السجن أما أحكما فيسقى ربه خمرا ، وأما

(٦١) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : القاهرة ١٩٧١

ص ٢٢٥ .

(٦٢) سورة يوسف : آية ٣٧ - ٤٠ .

(٦٣) فى ظلال القرآن ٤/ ١٩٦٠ .



الآخر فيصليب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستقيان» (٦٤) .  
والصديق ، مع هذا كله ، بشر ، فيه ضعف البشر ، فهو يتطلب الخلاص  
من سجنه ، بمحاولة إيصال خبره الى الملك ، لعله يكشف المؤامرة  
المظلمة التى جاءت به الى السجن ، وان كان الله تعالى شاء أن يعلمه أن  
يقطع الرجاء إلا منه وحده ، «وقال للذى ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند  
ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين» (٦٥) ، ولبضع  
ما بين الثلاث الى التسع ، وفي الحديث «رحم الله أخى يوسف لو لم  
يقبل أذكرنى عند ربك لما لبث في السجن سبعا» (٦٦) ، والاستعانة  
بالعباد ، وان كانت مرخصة ، لكن الملائق بالانبياء الاخذ بالعزائم (٦٧) ،  
وجاء في تفسير القرطبي أن جبريل جاء الى يوسف وهو في السجن  
معاتباً فقال له : يا يوسف من خلصك من القتل من أيدي اخوتك ، قال  
الله تعالى ، قال فمن أخرجك من الجب ، قال الله تعالى ، قال فمن  
عصمك من الفاحشة ، قال الله تعالى ، قال فمن صرف عنك كيد النساء ،  
قال الله تعالى ، قال : فكيف تركت ربك فلم تسأله ووئدت بمخلوق ،  
قال يا رب كلمة زلت منى ، أسألك يا اله ابراهيم واله الشيخ يعقوب  
عليهم السلام : أن ترحمنى ، قال جبريل : فان عقوبتك أن نلبث في  
السجن بضع سنين (٦٨) .

وجاءت ساعة الذكرى عندما رأى الملك حلمها غريباً لا يقدر على  
تفسيره أحد ، فتذكر السجين السالف براعة يوسف ، ويشير به ، ثم  
ينهض الى استفتائه فينطق بالتأويل الصريح (٦٩) ، والى هذا يشير  
المقرآن الكريم في قوله تعالى «وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان  
يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ، يا أيها الملأ

- 
- (٦٤) سورة يوسف : آية ٤١
  - (٦٥) سورة يوسف : آية ٤٢
  - (٦٦) تفسير النسفى ٢٢٣/٢
  - (٦٧) تفسير أبى السعود ٢٨٠/٤ ، تفسير الخازن ٢٨٥/٣ - ٢٨٦
  - (٦٨) تفسير القرطبي ١٩٦/٩
  - (٦٩) محمد رجب البيومى : المرجع السابق ص ٢٢٥

أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون ، قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذى نجا وادكر بعد أمة أنا أنبتكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فزرروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى بعد ذلك عام فيه يغط الناس وفيه يعصرون» (٧٠) ، فقال الامام الزمخشري : تأول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصيب ، والعجاف الميايسات بسنين مجدبة ، ثم بشرهم بأن العام الثامن يجيىء مباركاً خصيباً ، كثير الخير ، غزير النعم ، وذلك من جهة الروحى (٧١) ، لان هذا العام الرخاء لا يقابله رمز فى رؤيا الملك ، فهو اذن من العلم الدنى الذى علمه الله يوسف ، فبشر به الساقى ليبشر به الملك والناس بالخلاص من الجذب والجوع بعام رضى رغيد .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أنه قد مرت بنا رؤى ثلاث ، رؤيا يوسف ، ورؤيا صاحب السجن ، ورؤيا الملك ، وطلب تأويلها فى كل مرة ، والاهتمام بها يعطينا صورة من جو العصر كله فى مصر وفى خارج مصر ، وأن الهبة الدنية التى وهبها يوسف كانت من روح العصر وجوه ، على ما نعهد فى معجزات الانبياء ، فهل كانت هذه هى معجزة يوسف عليه السلام ؟ (٧٢) ربما كان الامر كذلك ، والله وحده يعلم الغيب من الامر .

وعلى أى حال ، فلقد طلب الملك أن يأتوا بيوسف من السجن ، غير أن الصديق انما يرفض أن يغادر سجنه حتى تظهر براءته للناس جميعاً ، مما ألصق به من تهمة هو منها براء ، قال السدى ، قال ابن عباس : لو

(٧٠) سورة يوسف : آية ٤٣ - ٤٩ .

(٧١) تفسير الكشاف ٤٧٧/٢ .

(٧٢) فى ظلال القرآن ١٩٩٣/٤ - ١٩٩٤ .

بخرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشيأه مازالت في نفس العزيز  
"منه حاجة يقو" : هذا الذي راود امرأتى ، فلما رجع الرسول الى الملك  
من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة (٧٣) فقال لهن « ما خطبكن اذ  
راودتن يوسف عن نفسه قلنا حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، قالت  
امراة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن  
الصادقين ، ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد  
الخائنين ، وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي  
ان ربي غفور رحيم» (٧٤) .

وهكذا تثبت الاحداث السابقة جميعا عصمة النبي الكريم سيدنا  
يوسف عليه السلام وبراءته من تلك التهمة التى نسبها اليه من لا يعرف  
قدر النبوة ولا عظمة الرسالة ولا صفات الانبياء الكرام البررة ، فضلا  
عن أن يوسف نبي وابن نبي وحفيد نبي وجد أبيه نبي ، فهو يوسف  
بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، هذا وقد قدم لنا  
الاستاذ الصابونى وجوها عشرة على عصمة يوسف وبراءته ، منها  
(أولا) امتناعه عن مطاوعة امراة العزيز ووقوفه في وجهها بكل صلابة  
وعزم «قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون»

ومنها (ثانيا) قراره من امراة العزيز بعد أن حاصرته وضيقته عليه  
الخناق وأرادته على نفسها بالغصب والاكراه ، ولو كان يوسف قد هم  
بالفاحشة لما فر منها ، لان الذى يريد ذلك يقدم ولا يفر « واستبقا  
الباب وقدت قميصه من دبر» الآية ، ومنها (ثالثا) شهادة بعض أقرباء  
المرأة ببراءة يوسف حيث أشار بفحص ثوبه فان كان طالبا وهى الممتنعة  
فان ثوبه سيشق من أمام ، وان كانت هى الطالبة وهو الممتنع فان ثوبه  
سيشق من خلف ، وهذا ما ثبت (الآيات ٢٦ — ٢٩) ، ومنها (رابعا)  
تفضيله السجن على عمل الفاحشة (آية ٣٣) وهذا من أعظم البراهين

---

(٧٣) تاريخ الطبرى ٣٤٦/١ .

(٧٤) سورة يوسف : آية ٥١ — ٥٣ .



على براءته ، ذلك لأنه لو طأوعها لما لبث في السجن بضع سنين بسبب تلك التهمة الظالمة ، ومنها (خامسا) ثناء الله تعالى عليه في مواطن عديدة من السورة ، كما في الآيات (٢١ ، ٢٢ ، ٢٤) فلقد أخبر الله تعالى أنه من المحسنين وأنه من عباده المخلصين ، ولن يكون ثناء الله تعالى الا على من صفت نفسه ، وطهرت سريرته من كل نية سوء ، وكل عمل قبيح ، فكان من الاطهار المقربين ، كما أثنى عليه سيدنا رسول الله ﷺ فقال ﷺ : ان الكريم بن الكريم بن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم» ، وكفى بذلك شرفا وفضلا •

ودنها (سادسا) اعتراف امرأة العزيز العزيز بعصمته وعفته أمام جمع من نسوة المدينة ، كما في الآيات (٣١ — ٣٢) ومنها (سابعا) ظهور امارات براءة يوسف بكل الادلة ، كقد القميص وقطع النسوة أيديهن وشهادة الصبي ، ومع ذلك فقد أقدم العزيز على سجنه ايهاا للناس ، وسترا على زوجته (الآية ٣٥) ، ومنها (ثامنا) استجابة الله تعالى لدعوة يوسف بأن يصرف عنه كيدهن ، ولو كان راغبا في مطاوعة امرأة العزيز، لما طلب من الله أن يصرف عنه كيدهن (الآية ٣٤) ، ومنها (تاسعا) عدم قبول يوسف الخروج من السجن حتى تظهر براءته أمام الناس جميعا، (الآية ٥٠) ومنها (عاشرا) الاعتراف الواضح الصريح من النسوة ومن امرأة العزيز ببراءة يوسف وعفته (الآيات ٥١ — ٥٣) (٧٥) •

---

(٧٥) محمد على الصابوني : النبوة والانبياء ص ٧٤ — ٧٨ ، صفوة التفاسير ٥٣/٢ — ٥٤ ، تفسير النسفي ٢٢١/٢ •

## الفصل الثاني

### يوسف عزيز مصر

#### ١ - يوسف العزيز :

ظهرت براءة يوسف عليه السلام ، كما رأينا ، في الفصل السابق ، ومن ثم فقد خرج من السجن ، ولقى الملك وتحدث اليه ، فرأى فيه مزايل الامانة ، وحكمة التصرف وعزة النفس ، وامارات السيادة فقربه اليه ، ورفع منزلته لديه ، وهكذا تشاء ارادة الله أن يصبح الصديق على خزائن الارض أمينا ، بعد أن كان في زوايا الارض سجيناً ، اذ ينال المحظوة عند ملك مصر من الهكسوس بعد أن قسام بتفسير رؤياه تفسيراً يتفق ومقام النبوة ، ويتنزه عن تفسيرات رجال البلاط وحكمائه من سدنة وكهان ، فضلاً عن براءته مما نسب اليه بشأن امرأة العزيز ، ومن ثم فقد قلده الملك ما يشبه وزارة التعموين في عصرنا الحاضر<sup>(١)</sup> ، وان كانت التوراة تجعله أشبه برئيس الوزراء<sup>(٢)</sup> ، وهكذا قدر للصديق عليه السلام أن يرتفع من رق العبودية الى كرسى الوزارة<sup>(٣)</sup> ، وأن يتزوج ، فيما تروى التوراة ، من سيدة مصرية هي

(١) أنظر : سورة يوسف : آية ٥٤ - ٥٦ ، تكوين ١/٤١ - ٤٤ .

(٢) تكوين ٤٠/٤١ - ٤٤ .

(٣) ربما كان الصديق ، حديثاً عن غير يقين ، يشرف على ما كان يسمى في مصر القديمة ، مصلحة الحقول والخزانة ، فاما مصلحة الحقول : فكان يتبعها الاراضي الزراعية على ضفاف النيل ، فضلاً عن تلك التي تقع على حافة الصحراء والمحيط بالمقابر والاهرامات الملكية ، وأما مصلحة الخزانة ، وكانت تسمى بيت المال الابيض (بر - حج) وبتولى ادارتها ، تحت اشراف الوزير ، مدير البيت الابيض المزدوج ، ولها فروع في الاقاليم ، كما كانت تنقسم الى قسمين : بيت الذهب وبيت الشونة . (أنظر : محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ١٢٩) ، غير أن المؤكد أن يوسف كان يشغل منصب العزيز ، كما وصف في القرآن (سورة يوسف : آية ٧٨) .

«أسفدت بنت قبطى فارغ» كاهن أون (عين شمس) ، ومنها أنجبت ولديه منسى وأفرايم<sup>(٤)</sup> ، وأن زوجته المصادرة العربية من امرأة العزيز التى راودته عن نفسه من قبل ، وقد أسموها راعيل أو زليخا ، بعد أن شغل منصب زوجها كذلك ، بسبب موته أو إعفائه من منصبه<sup>(٥)</sup> .

ولعل سائلا يتساءل : أليس فى قول يوسف عليه السلام : «اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم» أمران محظوران فى الإسلام ، أولهما : طلب التولية وهو محظور بقول الرسول ﷺ «انا والله لا نولى هذا العمل أحدا سألته أو حرص عليه» (متفق عليه) ، وأنه ﷺ قال لعبد الرحمن بن سمرة : يا عبد الرحمن لا تسأل الأمانة ، فانك إن أوتيتها عن مسألة وكنت اليها ، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها» ، وثانيهما : تركية النفس ، وهى محظورة بقوله تعالى « فلا تركوا أنفسكم»<sup>(٦)</sup> .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن يوسف إنما طلب الولاية رغبة فى العدل ، وإقامة الحق والاحسان ، وليس هو من باب التركية للنفس ، وإنما هو للاشعار بحذركته ودرايته لاستسلام وزارة المالية<sup>(٧)</sup> ، وذهب أبو السعود فى تفسيره<sup>(٨)</sup> إلى أنه قال « اجعلنى على خزائن الأرض» أى أرض مصر<sup>(٩)</sup> وولنى أمرها من الأيراد والصرف ، انى حفيظ لهما ممن لا يستحقهما ، عليم بوجود التصرف فيهما ، وفيه دليل

(٤) تكوين ٤٥/٤١ ، ٥٠ - ٥٢ .

(٥) تفسير أبى السعود ٢٨٦/٤ ، تفسير النسفى ٢٢٨/٢ ، تفسير الخازن ٢٩٣/٣ ، تاريخ الطبرى ٣٤٧/١ : تاريخ ابن خلدون ٤٥/٢ ، الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٨٣/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢١٠/١ .  
(٦) فى ظلال القرآن ٤ (٢٠٠٦) ، تفسير الخازن ٢٩٢/٣ .

(٧) صفوة التفاسير ٥٧/١ .

(٨) تفسير أبى السعود ٢٨٦/٤ .

(٩) قال الامام القرطبى فى تفسيره لقوله تعالى «قال اجعلنى على خزائن الأرض» ، قال سعيد بن منصور : سمعت مالك بن أنس يقول - مصر خزانة الأرض ، أما سمعت الى قوله «اجعلنى على خزائن الأرض» أى على حفظها (تفسير القرطبى ص ٣٤٤ ط الشعب - القاهرة ١٩٧٠) .



على أجواز طلب الولاية ، إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة ، وإن كان من يد الجائر أو الكافر ، وقيل إن الملك أسلم ، وقال الخازن في تفسيره : يكره طلب الامارة إذا لم يتعين عليه طلبها ، فإذا تعين وجب عليه ولا كراهية عليه ، وأما يوسف فكان عليه طلب الامارة لأنه مرسل من الله تعالى ، والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره ، وإذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها ، وهنا في طلب الامارة ، بسبب ما سيحدث من قحط ، ايصال الخير للمستحقين فيجب طلبها (١٠) .

وذنب الامام النفسى في تفسيره الى أن يوسف عليه السلام وصف نفسه في قوله «اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم» ، بالأمانة والكفاية وهما طلبات الملوك ممن يولونهم ، وإنما قال ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل ، والمتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى الساد ، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله ، لا لحب الملك والدنيا ، وفي الحديث «رحم الله أخى يوسف أو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ، ولكنه أخر ذلك سنة» ، قالوا وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الانسان عمالة من يد ساءا ان جائر ، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة ، وإذا علم النبی أو العالم أنه لا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم ، الا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به (١١) وأما ابن كثير فيذهب الى أنه يجوز للرجل أن يمدح نفسه ، اذا جهل أمره ، للحاجة ، ولذا قال يوسف انه حفيظ ، أى خازن أمين ، وعليم ، أى ذو علم وبصيرة بما يتولاه ، ومن ثم فقد طلب يوسف من الملك أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأهراء لما يتوقع من حصول الخلل بعد مضي سبع سنين الخصب لينظر فيها بما يرضى الله في خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم ، وأخبر الملك انه حفيظ أى قوى على حفظ ما لديه ،

(١٠) تفسير الخازن ٢٩٢/٣ .

(١١) تفسير النفسى ٢٢٧/٢ .

أمين عليه ، عليم بضبط الاشياء ومصالح الاهراء ، وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الامانة والكفاية (١٢) .

هذا ويتجه صاحب الظلال الى أننا لانريد أن نجيب بأن هذه القواعد (عدم طلب التولية وعدم تركية النفس) انما تقررت في النظام الاسلامي على عهد سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وأنها لم تكن مقررة على أيام يوسف عليه السلام ، والمسائل التنظيمية في هذا الدين (الاسلام) ليست موحدة كأصول العقيدة الثابتة في كل رسالة وعلى يد كل رسول ، لا نريد أن نجيب بذلك ، وان كان له وجهه ، لان الامر يرتكن الى اعتبارات أخرى لا بد من ادراكها لادراك منهج الاستدلال من الاصول والنصوص ، ذلك لان يوسف عليه السلام لم يكن يعيش في مجتمع مسلم تنطبق عليه قاعدة عدم تركية النفس عند الناس ، وعدم طلب الامارة ، كما أنه كان يرى أن الظروف تمكن له من أن يكون حاكماً مطاعاً ، لا خادماً في وضع جاهلي ، وكان الامر كما توقع فتمكن بسيطرته من الدعوة لدينه ونشره في مصر في أيام حكمه ، وقد توارى العزيز ، وتوارى الملك تماماً (١٣) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن هناك من يزعم أن يوسف عليه السلام ، قد استقل بملك مصر ، اعتماداً على قول يوسف في دعائه «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث» ولا دليل لهم في ذلك ، فيما يرى ابن خلدون ، لان كل من ملك شيئاً ، ولو في خاصة نفسه ، فاستيلاؤه يسمى ملكاً ، حتى البيت والفرس والخادم ، فكيف من ملك التصرف ، ولو كان في شعب واحد منها ، فهو ملك ، وقد كان العرب يسمون أهل القرى والمدائن ملوكاً (١٤) ، فما ظنك بوزير مصر

(١٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٤ (المختصر) ، البداية والنهاية

١٠/٢١٠ ، وانظر تاريخ الطبري ١/٣٤٧ .

(١٣) في ظلال القرآن ٤/٢٠٠٦ ، ٢٠١٣ .

(١٤) تشير نصوص فرعون مصر تحوتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦

ق م) على أنه حارب في موقعة مجدو حوالى عام ١٤٦٨ ق م ، أعداءه

لذلك العهد ، وفي تلك الدولة ، وأما الذين يستدلون بقوله تعالى «(وكذلك  
مكنا ليوسف في الأرض)» ، فهو ليس بدليل أيضا ، لأن المتمكين يكون  
بغير الملك ، ونص القرآن انما هو بولايته على أمور الزرع في جمعه  
وتفريقه ، كما قال تعالى «(اجعلنى على خزائن الأرض ابنى جفيظ عليم)» ،  
ومساق القصة كلها أنه مرؤيس في تلك الدولة بقرائن الحال كلها ،  
لا مايتوهم من تلك اللفظة الواقعة في دعائه ، فلا نعدل عن النص  
المحفوظ بالقرائن الى هذا المتوهم الضعيف ، وأيضا فالقصة في  
التوراة<sup>(١٥)</sup> قد وقعت صريحة في أنه لم يكن ملكا ، ولا صار اليه ملك ،  
وأیضا فالامر الطبيعي من الشوكة والقطامة له يدفع أن يكون حصل له  
ملك ، لانه انما كان في تلك الدولة قبل أن يأتى اليه اخوته منفردا  
لا يملك الا نفسه ، ولا يتأتى الملك في هذا الحال<sup>(١٦)</sup> ، هذا فضلا عن  
أن جمهرة المؤرخين والمفسرين انما تذهب الى أنه كان أشبه بوزير  
التموين أو المالية أو ما يشبه ذلك ، مما يفهم منه أنه كان المسئول عن  
جمع الغلال وحفظها في الاهراء في سنوات الرخاء ، وحسن استخدامها  
في أعوام المجاعة<sup>(١٧)</sup> .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن التاريخ المصرى انما يصدق  
الاحداث التى أتت بيوسف عليه السلام الى منصبه ، ذلك أن مصر انما  
كانت عرضة للمجاعات ، وفترات من تدهور الانتاج الزراعى والحيوانى

---

من ملوك سورية بزعامة أمير قادش ، وعددهم ٣٣٠ ملكا وأميرا ، مع  
كل منهم جيشه الخاص ، وقد انتصر عليهم ، كما تشير نصوص شلمنصر  
الثالث الاشورى أنه حارب في موقعة قرقر عام ٨٥٣ ق م حلفا من الامراء  
السوريين يضم اثنى عشر ملكا على رأسهم بنحدد ملك دمشق ، كما اعتاد  
العرب تسمية حكام القرى والمدائن ملوكا مثل هجر ومعان ودومة الجندل ،  
وكان ولاية الاطراف وعمالها في الخلافة العباسية يسمون ملوكا .

(١٥) تكوين ٣٣/٤١ - ٥٧ .

(١٦) تاريخ ابن خلدون ٤٧/٢ .

(١٧) أنظر : تاريخ الطبرى ٣٤٧/١ - ٣٤٨ ، الكامل لابن الاثير

٨٣/١ - ٨٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢١٠/١ ، صفوة التفاسير

٥٧/٢ ، تفسير أبى السعود ٢٨٦/٤ ، تفسير الخازن ٢٩٢/٣ .



عَلَى مَرِّ الْعُضُورِ ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي أَغْلَبِ الْإِحْيَائِيِّينَ مِنْ آثَارِ اضْطِرَابِ  
النَّيْلِ وَامْتِنَاعِ فَيْضِهِ ، وَاخْلَالِهِ بِالْوَفَاءِ ، كَمَا تَعُودُ وَتَعُودُ مِنْهُ النَّاسُ كُلُّ  
عَامٍ ، فَاذَا تَدَهَوَ وَأَقَامَ عَلَى نَقَائِصِهِ لَمْ تَكَدْ مِيَاهُهُ تَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي  
تَتَحَرَّقُ شَوْقًا إِلَيْهِ ، وَتَتَنَظَّرُ الْعَامَ كُلَّهُ ، أَوْ جُلَّهُ ، لِلْقَائِهِ ، فَعَتِدْتُ فَلَا رِيَّ  
وَلَا اسْتِتْبَاتٍ ، ثُمَّ لَا زَرْعَ وَلَا خَرْعَ ، فَتَكُونُ الْكَارِثَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْبِلَادِ  
وَالْعِبَادِ (١٨) .

وَالْقَارِخُ يَحْدِثُنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا جَعَلَ بِلَادًا فِي الْعَالَمِ ، تَتَوَقَّفُ حَيَاتُهُ  
وَوُجُودُهُ ، مَصِيرُهُ وَمُسْتَقْبَلُهُ ، فِي السَّلَامِ أَوْ فِي الْحَرْبِ ، أَوْ يَرْتَبِطُ سَكَانُهُ  
وَتَارِيخُهُ بِنَهْرٍ ، مِثْلَمَا تَفْعَلُ مِصْرُ وَالنَّيْلُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَاذَا بَالَغَ النَّيْلُ فِي  
فَيْضِهِ أَحْيَانًا ، فَتَعْظُمُ أَمْوَاهُهُ وَتَضْرِبُ أَمْوَاغُهُ ، فَاذَا هُوَ يَنْدَفِعُ طُوفَانًا  
عَنيفًا مَدْمَرًا مَغْرَقًا كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ لَا يَكَادُ يَنْحَسِرُ عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا وَقَدْ  
انْقَضَى مِنْ أَوَانِ الْبَذْرِ وَقْتُ قَدْ يَكُونُ عَلَى الْإِنْتِاجِ أَيَّامُ الْحَصَادِ سَيِّئِ  
الْمُسْغَبَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ فِي سَوْتِهِ مَبْلُغُ نَقْصِ الْمَاءِ ، ذَلِكَ أَنَّ النَّهْرَ إِنْ  
هَبَطَ مَعْدَلُهُ الطَّبِيعِيُّ ، فَهِيَ «الشَّدَّةُ» الَّتِي قَدْ تَصِلُ إِلَى «الْمَجَاعَةِ» وَإِذَا  
كَانَ الْفَيْضُ الْمَغْرَقُ يَعْنِي الطَّاعُونَ ، فَإِنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ تَعْنِي «الْمَوْتَانِ»  
الَّذِي يَصِلُ إِلَى حَدِّ يَنْشُرُ مَعَهُ الطَّاعُونَ بِدَوْرِهِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَتَنَاقَصَ  
السَّكَّانُ بِدَرَجَةٍ مَخِيفَةٍ (١٩) .

عَلَى أَنَّ انْحِبَاسَ النَّيْلِ وَنُضُوبَ مَوَارِدِ الدَّوْلَةِ ، إِنْمَا كَانَ وَثِيقَ الصَّلَةِ  
بِمَا كَانَ يَنْزِلُ بِهَا مِنَ الضَّعْفِ السِّيَاسِيِّ ، وَتَحَالُلِ السَّلْطَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ ، وَتَدَهُّورِ  
الْأَمْنِ وَاضْطِرَابِ النِّظَامِ ، فَيَكُونُ شَيْعُورُ الْفَسَادِ وَانْتِشَارُ الْجَرِيمَةِ مَعَ  
الْقَحْطِ وَالْجُوعِ ، شَرًّا مُسْتَطِيرًا ، وَشَقَاءَ مُتَصِلًا ، يَحُلُّ بِالنَّاسِ فَيَتْرَكَ

---

(١٨) أَنْظُرْ : تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٣٢١/٤ ، تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ص ٣٤٤٦ -  
٣٤٤٧ ، تَفْسِيرُ الطَّبِيرِيِّ ١٤٨/١٦ - ١٥٢ ، تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ٢٢٨/٢ ، أَحْمَدُ  
عَبْدُ الْحَمِيدِ يَوْسُفُ : الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ص ٥٥ ، تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ ص ٣١١ -  
٣١٢ ، صَفْوَةُ التَّفَاسِيرِ ٥٧/٢ .  
(١٩) جَمَالُ حَمْدَانَ : شَخْصِيَّةٌ مِصْرِيَّةٌ - الْقَاهِرَةُ ١٩٧٠ ص ٢٤١ - ٢٤٥ .

في نفوسهم وعقولهم أثرا لا يمحى أو لا يكاد يمحى (٢٠) .

ويقدم لنا التاريخ أمثلة كثيرة لانخفاض النيل في مَصر قبل وبعد عصر يوسف الصديق عليه السلام ، وما ينتج عن ذلك من كوارث اقتصادية ، ومن أشهر الأمثلة ما حدث على أيام الثورة الاجتماعية الأولى (الاسرات ٧ - ١٠) يقول «نفرتي» : لقد جف نيل مصر حتى ليخوضه الناس بالقدم ، وسوف يبحث الناس عن الماء لتجرى عليه السفن فيجدوا أن الطريق قد صار شاطئاً ، وأن الشاطئ قد صار ماءً (٢١) ، ومن ثم فقد رأينا من نفس الفترة شريفاً من الصعيد هو «عنخ تفي» حاكم «نخن» (البصيلية - مركز ادفو بمحافظة أسوان) يتحدث عن سئم المجاعة فيقول أنه أمد خلالها مدناً أخرى ، إلى جانب مدينته ، بالحبوب والقمح ، وقد امتدت دائرة نشاطه حتى دندرة ، في مقابل قنا عبر النهر ، وبذا أنقذ الصعيد الجنوبي الذي كاد يموت جوعاً ، وكاد كل رجل فيه أن يغتال أطفاله (٢٢) .

على أن المصريين قد اكتسبوا من ذلك حكمة التجربة وحسن التدبير ، إذ كانوا يدخرون غلة الأرض من أيام الري لايام الجفاف ، ومن يسرهم لعسرهم ، ومن رخائهم لشدتهم ، وكانت حكمة الملوك والامراء وحكام الاقاليم وحسن تدبيرهم خائفاً أن يخفف عن الرعية بما كانوا يصنعون (٢٣) ، ومن ثم فقد رأينا «خيتي» أمير أسيوط على أيام الاناسيين يتحدث عن جهوده في القضاء على الازمة الاقتصادية ، بأن قدم هدية لمدينته بأن حفر ترعة ليروي الفلاحون منها أرضهم ويسقوا زرعهم ، ثم يقول : اننى غنى بقمح الشمال حيث كانت الأرض في جفاف ، وعندما شحت أقوات البلاد أمددت المدينة بالحبوب والخبز ، وسمحت لكل مواطن بأن يأخذ نصيبه ونصيب زوجته ، وقد أعطيت

(٢٠) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٥٦ .

A. Erman, LAE, 1927, p. 113.

(٢١)

A. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 111.

(٢٢)

(٢٣) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ٥٧ - ٥٨ .

الارملة وولدها ، وتجاوزت عن الضرائب التي تفرضها أبى ، ومالت  
المراعى بالمواشى<sup>(٢٤)</sup> ، وفي مدينة الكاب مقابل البصيلية عبر النهر ، نرى  
أميرتها «ببى» من الاسرة الثالثة عشرة ، التي سبقت قليلاً جداً عصر  
الصدقي ، وربما غاصرت أوائله من أيام الهكسوس ، يقول «لقد كنت  
أكذب القمح الجيد المطلوب ، وكنت يققظا في فصل البذر ، فلما وقعت  
المجاعة على مدى الكثير من السنين أعطيت مدينتي القمح في كل  
مجاعة»<sup>(٢٥)</sup> .

على أن العلماء على كثرة ما قرأوا من أخبار المجاعات في مصر  
القديمة<sup>(٢٦)</sup> ، انما يقفون خاصة موقف الفاحص في مجاعة نقشت أخبارها  
على الصخر من جزيرة سهيل جنوبى أسوان ، ولئن كان الخبر منسوباً  
الى أيام الملك «زوسر» من الاسرة الثالثة ، فالذى لاشك فيه انما نقش  
بعده بعشرين قرناً من الزمان ، نقشه كهان «خنوم» على عهد البطالمة ،  
ربما عام ١٨٧ ق م على أيام بطليموس الخامس ، وربما بطليموس  
العاشر في أكبر الظن ، أى في الفترة (١٠٧ — ٨٨ ق م) ، وغير بعيد

(٢٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى - الاسكندرية  
١٩٩٦ ص ١٢٨ - ١٢٩ .

وكذا J. Vandier, La Famine dans l'Egypte Ancienne, le Caire, 1936, p. 101 F.

J. H. Breasted, ARE, I, 1906, p. 181.

J. Vandier, op. cit., p. 114.

(٢٥) تعرضت مصر لكثير من المجاعات في العصور الوسطى بسبب  
انخفاض النيل ، كالتى حدثت على أيام الامويين في عام ٨٧ هـ ، وعلى  
أيام الإخشيديين في أعوام ٣٢٩ هـ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ هـ ، ٣٤٣ هـ ، ٣٥١ هـ ،  
ولعل أشهر وابشع المجاعات ما سجل البغدادى أثناء الشدة المستنصرية  
التي بدأت عام ٤٥٨ هـ ، واستمرت سبع سنين متصلة في أخريات أيام  
الفاطميين ، وبلغ من قسوتها أن أكل الناس القطط والكلاب ، ثم الجيف ،  
ثم أكلوا بعضهم بعضاً ، حتى انتهت بفناء رهيب للسكان ، لا يملك قارىء  
البغدادى الا أن يتصوره فناء كاملاً أو شبه كامل (أنظر : جمال حمدان :  
المرجع السابق ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، محمد حمدى المناوى : مصر في ظل  
الاسلام ١٧١/٢ - ١٧٥ ، الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاء ص ٥٩  
(بيروت ١٩٠٨) ، السيوطى : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة  
١٥٤/٢) .



أن يكون النص صوتاً من واقع بعيد ، يرجع إلى أيام الصديق ، وأن  
 كهان خنوم حين كتبوه على عهد بطليموس الخامس أو العاشر ، إنما  
 كانوا تحت تأثير ما كان شائعاً يؤمّذ من أصداء السنين السبع الشداد  
 التي جرت بها السنة من كان بمصر يؤمّذ من يهود ، بخاصة وأن الترجمة  
 السبعينية<sup>(٢٧)</sup> للتوراة كانت قد تمت بمصر على أيام بطليموس الثاني  
 (٢٨٤ - ٢٤٦ ق.م) ، وأن هناك جالية من يهود ، إنما كانت تقيم في  
 اليفانتين (جزيرة أسوان)<sup>(٢٨)</sup> وتطل من حيث الموقع على جزيرة سهيل  
 حيث نقش نص المجاعة<sup>(٢٩)</sup> .

وعلى أية حال ، وأياً ما كان أمر هذه المجاعات التي كانت بسبب  
 عدم فيضان النيل ، فإن المجاعة التي كانت ستحدث على أيام الصديق  
 في عهد الهكسوس ، إنما كانت حقيقة لا ريب فيها ، لولا أن تداركت  
 رحمة الله أرض الكنانة بحكمة يوسف عليه السلام ، ومن ثم فقد كانت  
 أيام الصديق في مصر خيراً كلها . دينا ودنيا ، بل إن وجود يوسف في  
 مصر حيناً من الدهر ، شرف ما بعده شرف ، وأن دعسوته كانت رحمة  
 وهداية للمصريين ، ما في ذلك من ريب ، وأن الصديق عليه السلام قد  
 أنقذ الله به مصر من مجاعة محققة ، كادت تهلك الحرث والنبل ، وبأنه  
 قد نشر في مصر دعوة التوحيد وبث العقيدة الصحيحة ، ملا في ذلك  
 شبهة من شك ، وهكذا جمل الصديق عليه السلام إلى مصر نور الإيمان  
 وهداية التوحيد ، وعدالة الله ، وكل ما هو خير وطيب من نعم الله التي

(٢٧) أنظر عن الترجمة السبعينية للتوراة . (محمد بيومي مهران :  
 إسرائيل ١٠٧/٣ - ١١٢) .

(٢٨) أنظر الجالية اليهودية في أسوان (محمد بيومي مهران :  
 إسرائيل ١٠٧/٢ - ١١٠٢) .

(٢٩) أنظر عن نقش المجاعة على جزيرة سهيل : محمد بيومي  
 مهران : مصر ٣٦٣/١ - ٣٦٦ ، إسرائيل ٢٢٧/١ - ٢٢٩ ، وكذا

P. Barguet, la Stèle de la Famine o Sahel, Cairo, 1953.

J. Vandier, op. cit., p. 132-139.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 31-32.

وكذا

وكذا

يخزيها ، تنبجانه وتعالى ، على أيدي المضطيقين الإخيار من أنبيائه  
الكرام البررة •

٢ - عصر يوسف عليه السلام :

لعل من الأهمية بمكان ونحن نقدم دراسة تاريخية في المقام  
الاول ، أن نحاول تحديد العصر الذي شرفت فيه أرض الكنانة بوجود  
يوسف الصديق عليه السلام بين ربوعها نبيا رسولا (٣٠) ، قبل أن يكون  
على خزائن الأرض أمينا •

ولعل من الافضل - بادىء ذي بدء - أن نشير الى أن التوراة  
والقرآن العظيم انما قد أشارا ، الى أن يوسف الصديق عليه السلام ،  
قد استدعى أباه وأخوته للإقامة معه في مصر ، يقول تعالى « اذهبوا  
بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ، وأتوني بأهلكم  
أجمعين » (٣١) •

هذا وتكشف صياغة التوراة لدعوة يوسف أباه وأخوته للإقامة في  
مصر عن مطالع بنى اسرائيل في مصر ، تقبول التوراة «خذوا أباكم  
وبيوتكم (خيامكم) وتعالوا الى فأعطيكم خيرات أرض مصر ، وتأكلون  
دسم الأرض ... خذوا لكم من أرض مصر عجلات لاولادكم ونسائكم  
واحملوا أياكم وتعالوا ، ولا تحزن عيونكم على أثاثكم ، لان خيرات  
جميع أرض مصر لكم » (٣٢) ، كما أن التوراة لم تهمل أيضا أن تؤكد أن  
رحلة هؤلاء المجتهدين الجياع الى مصر المضيفة - دائما وأبدا ان شاء

---

(٣٠) يقول صاحب الظلال (٣٠٨١/٥) في تفسيره لقوله تعالى  
«ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم في شك مما جاءكم به  
حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا» (غافر : آية ٣٤) : أن  
هذه هي المرة الوحيدة في القرآن التي يشار فيها الى رسالة يوسف عليه  
السلام ، للقوم في مصر ، وقد عرفنا من سورة يوسف أنه قد وصل الى أن  
يكون على خزائن الأرض أمينا ، المتصرف فيها ، وأنه أصبح عزيز مصر •

(٣١) سورة يوسف : آية ٩٣ •

(٣٢) تكوين ١٨/٤٥ - ٢٠ •

الله — إنما كانت للقوت ، ولكنها تؤكد كذلك أنها لتحقيق مؤامرة على الأرض الطيبة التي استضافتهم (٣٣) .

وعلى أى حال ، فإن يعقوب عليه السلام ، سرعان ما يصل إلى مصر ، ويصف القرآن الكريم لقاء يوسف بأبيه وأخوته في قوله تعالى «فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ، بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ، رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما والحقنى بالصالحين» (٣٤) .

هذا وتذهب التوراة إلى أن يعقوب عليه السلام إنما جاء إلى مصر ، ومعه كل أفراد أسرته «ست وستون نفسا» ، فضلا عن نساء بنى يعقوب ، وولدى يوسف ، «جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون» (٣٥) .

ويستقر بنو إسرائيل في شرق الدلتا في أرض جـوشن (جسم أو جاسام ، كما قرئ اسمها في النصوص المصرية) (٣٦) أو أرض جاسان

---

(٣٣) تكوين ١/٤٦ — ٤ .

(٣٤) سورة يوسف : آية ٩٩ — ١٠١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٦/١٦٤ — ٢٧٧ ، تفسير الطبرسي ١١٨/١٣ — ١٢٦ ، تفسير الكشاف ٢/٥٠٤ — ٥٠٧ ، تفسير ابن كثير ٣٣٤/٤ — ٣٣٧ ، تفسير الفخر الرازي ٢١٠/١٧ — ٢١٧ ، تفسير القرطبي ص ٣٤٩٢ — ٣٤٩٤ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٧/٤ — ٤٠ ، تفسير النسفي ٣٤٥/٤ — ٢٤٠ ، تفسير أبي السعود ٢٩٣/٤ — ٢٩٥ ، صفوة التفاسير ٦٨/٢ — ٦٩ ، محمد رشيد رضا : تفسير سورة يوسف ص ١٢٦ — ١٣٠ ، في ظلال القرآن ٢٠٢٧/٤ — ٢٠٢٨ .

(٣٥) تكوين ٢٦/٤٦ — ٢٧ .

(٣٦) P. Montet, l'Egypte et la Bible, Paris, 1959, p. 57.



كما في التوراة (وتقع في وادي طميلات الذي يمتد من فرع النيل الشرقي أو البيلوزي ، متجها نحو الشرق حتى بحيرة التمساح) (٣٧) ، ولعل في اختيار هذا المكان ، الى جانب جودته ، روعى فيه قسربه من حدود مصر الشرقية ، وسيناء المطلة على أرض كنعان ، حيث ورد يعقوب وبنوه . كي يقيموا ما أحبوا الإقامة ، ويرحلوا متى شاءوا المرحيل (٣٨) .

وأما متى كان عصر يوسف عليه السلام في مصر ؟ :

فالواقع أن ذلك كان موضع جدل طويل بين العلماء ، ومن ثم فهم يختلفون في تحديد عصر يوسف عليه السلام ، وبالتالي في وقت دخول بنى إسرائيل مصر ، ولعل السبب الاساسي في ذلك ، أن التوراة والقرآن العظيم ، لم يحددوا وقتا لدخول الصديق عليه السلام أرض الكنانة ، بل انهما حتى لم يذكر اسم الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام .

هذا فضلا عن أن مصر — وهى البلاد الوحيد الذى كان يأمل العلماء أن يجدوا فيه وثائق معاصرة للاحداث التى جاءت في انشوراة والقرآن العظيم — مصر هذه لم تشر أبدا الى هبوط بنى إسرائيل اليها ، بل ليست هناك أية اشارة في التاريخ المصرى القديم الى إسرائيل ، قبل عصر الملك «مرنبتاح» (١٢٢٤ — ١٢١٤ ق م) ، حيث جاء ذكر إسرائيل على اللوح المعروف باسم «لوح إسرائيل» ، والذي عثر عليه «بترى» عام ١٨٩٦م في معبد مرنبتاح الجنازى في طيبة الخربية (٣٩) .

(٣٧) خروج ١٨/٨ — ٣٦/٩ .

وكذا M. Noth, The History of Israel, London, 1965, p. 113.

وكذا M.F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, p. 420:

(٣٨) كمال عون : اليهود من كتابهم المقدس — القاهرة ١٩٧٠ .

ص ٥٨ .

(٣٩) أنظر عن لوح إسرائيل :

J. Wilson, in ANET, 1966, p. 376-378. وكذا

J. H. Breasted, in RAE, III, p. 165-166. وكذا

E. Naville, in JEA, 2, 1915, p. 196. وكذا

J. Legrain, in ASAE, 2, 1902, p. 269-279. وكذا

C. Kuentz, in BIFAO, 21, 1923, p. 113-17. وكذا

ومن هنا كان الخلاف بين العلماء على تحديد عصر يوسف عليه السلام ، فهناك من يذهب الى أنه ، عليه السلام ، قد هبط مصر على أيام الهكسوس (حوالي ١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق.م) ، وهناك من يذهب الى أن ذلك انما كان على أيام الفرعون «أمنحتب الثانى» (١٤٣٦ - ١٣١٣ ق.م) .

والرأى عندى أن عصر يوسف الصديق عليه السلام ، انما كان على أيام الهكسوس ، وقد ناقشنا هذا الرأى بالتفصيل ، وقدمنا له بما يدعمه من الأدلة التاريخية والدينية فى دراسات سابقة لنا (٤٠) .

---

(٤٠) أنظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الاول - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٩ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الكتاب الثانى - مصر - بيروت ١٩٨٨ .





## فهرس الموضوعات

ك

تقديم

### الباب الأول

#### عصر التأسيس

##### الفصل الاول :

ص ٧ - ٢٨

مؤسس عصر التأسيس

- ١ - تسمية العصر وتوقيته ... .. ٩
- ٢ - مؤسس العصر ... .. ١٢

##### الفصل الثاني :

##### الاسرة الاولى

ص ٢٩ - ٤٤

- ١ - الملك مينا ... .. ٣٩
- ٢ - الملك جمر ... .. ٣٢
- ٣ - الملك جت ... .. ٣٥
- ٤ - الملك وديمو ... .. ٣٦
- ٥ - الملك سمرخت ... .. ٤٢
- ٧ - الملك قاعا ... .. ٤٣

##### الفصل الثالث :

##### الاسرة الثانية

ص ٤٥ - ٥٨

- ١ - ملوك الاسرة الثانية ... .. ٤٥
- ٢ - ثورة برايب سن ... .. ٤٧
- ٣ - الليبيون والدلتا ... .. ٥٤

##### الفصل الرابع :

##### المدن الكبرى في عصر التأسيس

ص ٥٩ - ٨٢

- ١ - نخن = البصيلة ... .. ٥٩

٧٤	...	...	...	...	...	٢ - ثنى = أبيدوس
٧٨	...	...	...	...	...	٣ - انب حج = منف

### الفصل الخامس :

٩٨ - ٨٣	ص	السياسية الخارجية
٨٣	...	١ - الموقع الجغرافي
٨٧	...	٢ - في الشمال والشمال الشرقي
٩٢	...	٣ - في الجنوب
٩٤	...	٤ - في الغرب

## الباب الثاني

### الدولة القديمة

### الفصل الاول :

١٨٦ - ١٠١	ص	السياسية الداخلية
١٠١	...	١ - نظرية وراثة العرش
١٣٢ - ١٠٥	ص	١ - الاسرة الثالثة
١٠٥	...	١ - الملك زوسر
١١٨	...	٢ - ايمحوتب
١٢٢	...	٣ - خلفاء زوسر
١٥٥ - ١٣٣	ص	٢ - الاسرة الرابعة
١٣٣	...	١ - سنفر
١٣٧	...	٢ - خوفو
١٤٢	...	٣ - خلفاء خوفو
١٤٥	...	٤ - آثار خلفاء خوفو
١٧٥ - ١٥٦	ص	٣ - الاسرة الخامسة
١٥٦	...	١ - نشأة الاسرة الخامسة
١٦٣	...	٢ - وسركاف
١٦٥	...	٣ - ساحورع
١٦٧	...	٤ - نفر ايركارع
١٦٧	...	٥ - شبس كارع

١٦٨	...	...	...	...	...	...	٦ - رع نفراف
١٦٨	...	...	...	...	...	...	٧ - نى أوسر رع
١٦٩	...	...	...	...	...	...	٨ - من كاو حور
١٧٠	...	...	...	...	...	...	٩ - اسيسى
١٧١	...	...	...	...	...	...	١٠ - وناس

#### ٤ - الامرة السابعة ص ١٧٦ - ١٨٦

١٧٦	...	...	...	...	...	...	١ - تتى
١٧٩	...	...	...	...	...	...	٢ - ووسر كارع
١٧٩	...	...	...	...	...	...	٣ - بنى الاول
١٨١	...	...	...	...	...	...	٤ - مري ان رع
١٨٣	...	...	...	...	...	...	٥ - بنى الثانى

#### الفصل الثانى :

#### ١٨٧ - ٢١٢ ص قوة السخرة فى بناء الاهرامات

١٩٥	...	...	...	...	...	...	١ - نظرية السخرة
٢٠٤	...	...	...	...	...	...	٢ - نظرية القضاء على البطالة
٢٠٦	...	...	...	...	...	...	٣ - النظرية الدينية

#### الفصل الثالث :

#### ٢١٣ - ٢٣٤ ص التنظيم الادارى

٢١٤	...	...	...	...	...	...	١ - الوزير
٢١٧	...	...	...	...	...	...	٢ - حكام الاقاليم

#### الفصل الرابع :

#### ٢٢٥ - ٢٥٢ ص السياسة الخارجية

٢٢٥	...	...	...	...	...	...	١ - فى الشمال والشمال الشرقى
٢٣٩	...	...	...	...	...	...	٢ - فى الجنوب
٢٤٩	...	...	...	...	...	...	٣ - فى الغرب

### الباب الثالث

#### عصر الثورة الاجتماعية الاولى

#### ٢٥٣ - ٢٧٦ ص اسباب قيام الثورة الاجتماعية الاولى



٢٥٦	...	...	...	...	...	١ - الاسباب الاقتصادية
٢٦٢'	...	...	...	...	...	٢ - الاسباب الاجتماعية
٢٦٩	...	...	...	...	...	٣ - الاسباب السياسية
٢٦٩	...	...	...	...	...	٤ - الاسباب النفسية
٢٧٠	...	...	...	...	...	٥ - الاسباب الخارجية

### الفصل الثاني :

#### الاحداث السياسية في عصر الثورة الاجتماعية الاولى

ص ٢٧٧ - ٣١٠

٢٧٧	...	...	...	...	...	١ - الاسرة السابعة
٢٧٨	...	...	...	...	...	٢ - الاسرة الثامنة
٢٨٤	...	...	...	...	...	٣ - العصر الاهناسي
٢٨٩	...	...	...	...	...	٤ - الفوضى السياسية
٢٩٣	...	...	...	...	...	٥ - الانهيار الاقتصادي
٢٩٨	...	...	...	...	...	٦ - الحرب الاهلية

### الفصل الثالث :

#### نتائج الثورة الاجتماعية الاولى

ص ٣١١ - ٣٣٦

٣١١	...	...	...	...	...	١ - في المجال السياسي
٣١٧	...	...	...	...	...	٢ - في المجال الاجتماعي
٣٢٢	...	...	...	...	...	٣ - في المجال الديني

## الباب الرابع

### الدولة الوسطى

### الفصل الاول :

#### السياسة الداخلية

ص ٣٢٩ - ٣٨٠

ص ٣٢٩ - ٣٣٦

#### ١ - الاسرة الحادية عشرة

٣٢٩	...	...	...	...	...	١ - منتوجت الاول
٣٣٣	...	...	...	...	...	٢ - منتوجت الثاني
٣٣٤	...	...	...	...	...	٣ - منتوجت الثالث

ص ٣٣٧ - ٣٨٠

#### ٢ - الاسرة الثانية عشرة

٣٣٧	...	...	...	...	...	١ - امنمحات الاول
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-------------------

٣٤٨	...	...	...	...	...	٢ - سنوسرت الاول
٣٥٦	...	...	...	...	...	٣ - امنمحات الثانى
٣٥٨	...	...	...	...	...	٤ - سنوسرت الثانى
٣٦٣	...	...	...	...	...	٥ - سنوسرت الثالث
٣٦٨	...	...	...	...	...	٦ - امنمحات الثالث
٣٧٧	...	...	...	...	...	٧ - امنمحات الرابع
٣٧٨	...	...	...	...	...	٨ - سبك نفرو

### الفصل الثانى :

٤١٤ - ٣٨١	السياسية الخارجية
٣٨٦ - ٣٨١	١ - الاسرة الحادية عشرة
٤١٤ - ٣٨٧	٢ - الاسرة الثانية عشرة
٣٨٧	١ - فى الشمال والشمال الشرقى
٣٩٥	٢ - فى الغرب
٣٩٧	٣ - فى الجنوب

### الفصل الثالث :

٤٣٦ - ٤١٥	ابراهيم عليه السلام فى مصر
٤١٥	١ - تقديم
٤١٨	٢ - مكانة ابراهيم عند المسلمين
٤٢١	٣ - هجرات ابراهيم عليه السلام
٤٣٠	٥ - تاريخ زيارة ابراهيم لمصر

## الباب الخامس

### عصر الانتقال الثانى

### الفصل الاول :

٤٥٢ - ٤٣٩	الاسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة
٤٣٩	١ - صعوبة تاريخ عصر الانتقال الثانى
٤٤٠	٢ - الاسرة الثالثة عشرة
٤٥١	٣ - الاسرة الرابعة عشرة

## الفصل الثانى :

### الهكسوس فى مصر

ص ٤٥٣ - ٤٦٦

- ١ - دخول الهكسوس مصر ... .. ٤٥٣
- ٢ - ملوك الهكسوس ... .. ٤٥٩

## الفصل الثالث :

### حرب التحرير

ص ٤٦٧ - ٤٧٦

- ١ - الاسرة السابعة عشرة ... .. ٤٦٧
- ٢ - سقن رع و بدء حرب التحرير ... .. ٤٦٨
- ٣ - كاموزا ودوره فى الجهاد ... .. ٤٧٠
- ٤ - اخمس بطل التحرير ... .. ٤٧٣

## البَابُ السَّادِسُ

### قصة يوسف عليه السلام فى مصر

## الفصل الاول :

### يوسف فيما قبل الوزارة

ص ٤٧٧ - ٥٠٢

- ١ - يوسف وأخوته فى كنعان ... .. ٤٧٩
- ٢ - يوسف وامرأة العزيز ... .. ٤٨٧
- ٣ - يوسف فى السجن ... .. ٤٩٥

## الفصل الثانى :

### يوسف عزيز مصر

ص ٥٠٣ - ٥١٥

- ١ - يوسف العزيز ... .. ٥٠٣
- ٢ - عصر يوسف ... .. ٥١٢



## مؤلفات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران  
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية  
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

### أولا : فى التاريخ المصرى القديم :

- ١ - الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة الاسكندرية ١٩٦٦
- ٢ - مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩
- ٣ - حركات التحرير فى مصر القديمة - دار المعارف القاهرة ١٩٧٦  
(وهو الجزء الثالث من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم)
- ٤ - اخناتون : عصره ودعوته الاسكندرية ١٩٧٩  
(وهو الجزء الرابع من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم)
- ٥ - مصر الكتاب الاول - التاريخ الاسكندرية ١٩٨٢
- ٦ - مصر الكتاب الثانى - التاريخ الاسكندرية ١٩٨٤  
وهما الجزءان الاول والثانى من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم .
- ٧ - الحضارة المصرية القديمة الاسكندرية ١٩٨٤  
(وهو الجزء الخامس من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم)

### ثانيا : فى تاريخ اليهود القديم :

- ٨ - دراسات فى تاريخ اليهود القديم - التوراة (١) - مجلة الاسطول - العدد ٦٢ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٩ - دراسات فى تاريخ اليهود القديم - التوراة (٢) - مجلة الاسطول - العدد ٦٤ الاسكندرية ١٩٧٠
- ١٠ - دراسات فى تاريخ اليهود القديم - التوراة (٣) - مجلة الاسطول - العدد ٦٥ الاسكندرية ١٩٧٠
- ١١ - قصة ارض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (١) مجلة الاسطول - العدد ٦٦ الاسكندرية ١٩٧١

- ١٢ - قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (٢) - مجلة الاسطولوج - العدد ٦٧ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٣ - النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطولوج - العدد ٦٨ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٤ - اخلاقيات الحرب عند اليهود - مجلة الاسطولوج - العدد ٦٩ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٥ - التلمود - مجلة الاسطولوج - العدد ٧٠ الاسكندرية ١٩٧٢
- ١٦ - اسرائيل : الكتاب الاول - التاريخ (وهو الجزء السابع من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم) الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٧ - اسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ (وهو الجزء الثامن من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم) الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٨ - اسرائيل - الكتاب الثالث - الحضارة (وهو الجزء التاسع من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم) الاسكندرية ١٩٧٩
- ١٩ - اسرائيل - الكتاب الرابع - الحضارة (وهو الكتاب العاشر من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم) الاسكندرية ١٩٧١
- ٢٠ - النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل

### ثالثا : في تاريخ العرب القديم :

- ٢١ - الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - مجلة كلية اللغة العربية - العدد الرابع الرياض ١٩٧٤
- ٢٢ - العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - العدد السادس الرياض ١٩٧٦
- ٢٣ - مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة - مجلة كلية العلوم - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - العدد الاول الرياض ١٩٧٧
- ٢٤ - دراسات في تاريخ العرب القديم (وهو الجزء السادس من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم - وقد أصدرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، تحت رقم (١) من المكتبة التاريخية) الرياض ١٩٧٧

- ٢٥ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الاول في بلاد العرب  
( اصدرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - تحت رقم ( ٢ ) من  
المكتبة التاريخية )  
الرياض ١٩٨١
- ٢٦ - دراسة حول الديانة العربية القديمة  
الاسكندرية ١٩٧٨
- ٢٧ - العرب والفرس في التصور القديمة  
الاسكندرية ١٩٧٨
- ٢٨ - دراسات في الحضارة العربية القديمة  
تحت الطبع
- ٢٩ - الفكر الجاشني ، المجلس الاعلى للثقافة  
القاهرة ١٩٨٢
- ( بحث في كتاب الحضارة الاسلامية على مدى أربعة عشر قرنا )

#### رابعاً : في تاريخ العراق القديم :

- ٣٠ - قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة  
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد الخامس  
الرياض ١٩٧٥
- ٣١ - قانون حمورابي وأثره في تشريعات التورات  
الاسكندرية ١٩٧٩
- ٣٢ - المدخل في تاريخ الشرق الادنى القديم - ( بالاشتراك مع الاستاذ  
الدكتور رشيد الناضوري ) ، ( جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ) ٠

#### خامساً : دراسات تاريخية من القرآن الكريم :

- الجزء الاول : في بلاد العرب  
بيروت ١٩٨٨
- الجزء الثاني : في مصر  
بيروت ١٩٨٨
- الجزء الثالث : في بلاد الشام  
بيروت ١٩٨٨
- الجزء الرابع : في العراق  
بيروت ١٩٨٨

#### سادساً : في رحائب النبي وآل بيته الطاهرين :

- الجزء الاول : السيرة النبوية الشريفة  
تحت الطبع
- الجزء الثاني : السيرة النبوية الشريفة  
تحت الطبع
- الجزء الثالث : السيدة فاطمة الزهراء  
تحت الطبع
- الجزء الرابع : الامام علي بن أبي طالب  
تحت الطبع
- الجزء الخامس : الامام الحسن بن علي  
تحت الطبع
- الجزء السادس : الامام الحسين بن علي  
تحت الطبع







مكتبة الإسكندرية  
Bibliotheca Alexandrina



0272628